

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره "الهدية إلى بلوغ النهاية"

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إشراف الأستاذ الدكتور:

خير الدين سيب

إعداد الطالب:

محمد عبد العزيز نصري

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د. بولخراس كريمة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيساً
أ.د. خير الدين سيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقرراً
د. بلعالية محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضواً مناقشاً
د. مالك محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران "1"	عضواً مناقشاً
د. حوالم عكاشة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران "1"	عضواً مناقشاً
د. كمال قدة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	عضواً مناقشاً

إهداء

إلى أحق الناس بصحبتى...

إلى من علماني الصبر وربباني على التحمل ومكابدة الشدائد، والسهر على طلب العلم...

إلى من اقتطعا من حياتهما حياة، وسلخا من عمرهما شباباً، حتى غدوت فتى يافعاً يأملان فيه
الخير...

إلى والدي العزيزين الكريمين... أهدي ثمرة جهدي وعملي، راجياً من المولى - ﷻ - أن يطيل في
عمرهما، وأن يوفقني لطاعتهما، ويجزيهما عني خير الجزاء، إنه قريب مجيب الدعوات.

ومهما قدمت فلن أؤدّي حقهما، ولا يسعني إلا أن أقول: ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ الإسراء: ٢٤، وأقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾ الأحقاف: ١٥.

إلى: إخوتي..... وأخواتي.

إلى: زوجتي الغالية.....

إلى: كل من كان له فضلٌ عليّ.....

أهدي ثمرة عملي

شكر وتقدير وعرافان

يا ربنا لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك، ولك الحمد على نعمك الجسيمة وآلائك العظيمة، وعلى ما أنعمت علي به من إتمام هذا الجهد وإنجازه، فلك الحمد في الأولى والآخرة ولك الحكم وإليك الرجوع.

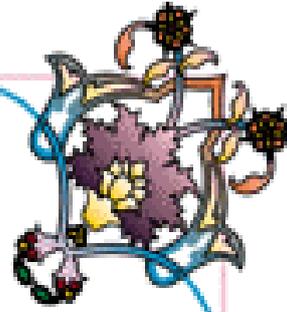
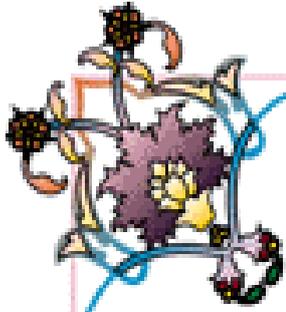
قال تعالى: ﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧ ، وقال تعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ

الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الرحمن: ٦٠، وجاء في مسند الإمام أحمد أن الرسول - ﷺ - قال: " لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ "، لذا فإنني أتوجه بالشكر الخالص إلى مشرفي الأستاذ الدكتور خير الدين سيب، الذي رعى هذا البحث وأشرف عليه من أوله إلى آخره، وما بخل عليّ بوقته وتوجيهاته ونصائحه القيمة النافعة، حتى تمت هذه الرسالة، والحمد لله، فأدعو الله الكريم رب العرش العظيم أن يحفظه، ويطيل في عمره وأن يرزقه دوام الصحة والعافية، ويجعل هذا العمل في ميزان حسناته، إنه سميع مجيب الدعوات، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ممثلة بكافة أعضاء هيئتها التدريسية جميعاً دون استثناء، الذين كان لهم الفضل في قبول بحثي ومناقشته، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

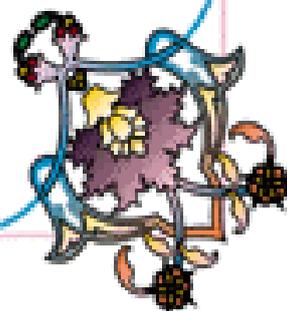
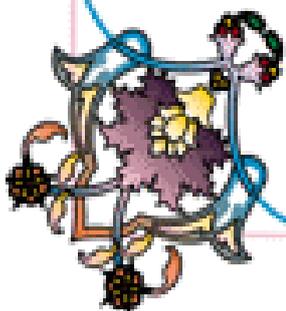
كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكاترة الكرام، الذين تكرموا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتبيين الأخطاء، واستكمال النقائص، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني ذكراً أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساعدني وشجعني على العلم والبحث، وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر الأمير خياطي صاحب القلب الطيب، وزميلتي الدكتورة مصطفى شطة، وزميلتي الدكتورة الشيخ أحمد حسين عبد الله حسان، وزميلتي الدكتورة إبراهيم الخطيب، والأخ الفاضل الدكتور أبوبكر بوسالم، والأخ الفاضل الأستاذ خير الدين هبال، والأخ الفاضل عبد الله نقدان أبو السعود، والأخ الفاضل أبو محمد المنصوري، والأستاذ ثامر سلمان أبو السعود، والمهندس محمد إسماعيل أحمد عبد الواحد، وإلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في مشوراي الدراسي من قريب أو من بعيد، وأقول للجميع: جزاكم الله خيراً، انطلاقاً من قول الرسول

- ﷺ -: " وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِيئُوهُ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا مَا تُكَافِيئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ." أخرجه الإمام أحمد في مسنده.



مقدمة



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد: فإن القرآن الكريم ينبوع الحكمة ودستور الأمة، ودواء أسقامها، ومزيل تخلفها، لا اهتداء إلا باتباعه، ولا صلاح إلا بالرجوع إليه وتطبيقه، والضلال والفساد حاصل بالإعراض عنه، كما

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ طه: ١٢٤، لذلك كان على طالب الهداية والصلاح، أن يديم الصلة

بالقرآن، تلاوة وتدبراً وعملاً، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص: ٢٩، فالتدبر خصلة من خصال

أهل الإيمان والتقوى، وسبيل من سبل أهل العلم، لتزداد معارفهم بهذا الكتاب العظيم، وتقوى

صلتهم به. وفهم القرآن الكريم يتوقف - بعد توفيق الله عَلَيْكَ - على قريحة صافية، وذهن نير،

وتعمق في أسرار البيان العربي، ودراية واسعة بالسنة المطهرة، بالإضافة إلى معارف المفسر الثقافية،

وباجتماع هذه الأمور لم يبق للمفسر إلا أن يجاهد نفسه على الإخلاص في عمله، ولزومه هدي

النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأنهما شرطاً لقبول الأعمال.

وقد اعتنى علماء الإسلام بالقرآن الكريم عناية كبيرة، منذ فجره الأول، حفظاً ودراسة وتفسيراً،

وشهدت القرون المتعاقبة من عمر هذه الأمة، أئمة أعلاماً، وهبوا أنفسهم لخدمة لكتاب الله تعالى

في شتى علومه المختلفة، وما المؤلفات والمصنفات التي تنخر بها المكتبات الإسلامية اليوم، إلا خيرٌ

دليل على الجهود القيمة المبذولة من علماء هذه الأمة.

ويعتبر التفسير من بين العلوم التي أخذت القسط الأكبر، ونالت الحظ الأوفر من حيث التأليف،

فهناك الكثير من التفاسير التي لا تعدُّ ولا تحصى، سلك فيها أصحابها طرقاً ومناهج مختلفة، كلُّ

حسب ثقافته وآرائه، فمنهم الخائض في قراءات القرآن وإعجازه وبلاغته وإعرابه، ومنهم الباحث في قضاياها الفقهية، ومنهم المنقب في جوانبه العقديّة وهكذا.

والمفسر مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي الذي عاش في القرن الخامس الهجري؛ أحد العلماء الفضلاء، الذين خدموا كتاب الله تعالى، وأسهموا إسهاماً واضحاً في هذا المجال، فترك لنا تفسيراً عنوانه: (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه، ويسمى اختصاراً "الهداية إلى بلوغ النهاية")، واشتهر مكّي بن أبي طالب القيسي عند كثير من الباحثين بكونه مشغلاً بالقراءات والنحو أكثر من علم التفسير، والناظر في مؤلفاته يدرك أن هذا العلم غلب عليه حتى اشتهر به؛ فهو مقرئ قبل أن يكون مفسراً، وهو أحد علماء هذا الفن مثل الداني وابن الجزري وغيرهم من القراء الكبار، إلى أن جاء الدكتور أحمد حسن فرحات برسالته للدكتوراه في جامعة الأزهر سنة 1973م؛ ليدرس جهود مكّي بن أبي طالب في علم التفسير، ويخلص إلى أن مكّي بن أبي طالب تفسيراً كاملاً لكتاب الله - ﷻ -، وهو موجودٌ غير مفقود، وله عدة نسخ موزعة في مكتبات العالم، وظل التفسير أسيراً حبيساً في خزائن المخطوطات إلى أن قامت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة بطباعته سنة 2008م بإشراف مجموعة من الباحثين، وبجهود مبارك مشكور نادراً ما توفر لتفسير مطبوع غيره، ونحن نتعامل مع هذا التفسير المطبوع لأول مرة، ويقع في ثلاثة عشر مجلداً وليس له - في حدود علمي - طبعة أخرى غير هذه الطبعة، لكونه لم يتناول بالدراسة التفصيلية المعمقة بالرغم من أهميته؛ وذلك لأنه لم يطبع من قبل.

ورغبة مني في التعرف على هذا العالم، والوقوف على جوانبه الشخصية، ومنهجه في التفسير، اخترت تفسيره؛ ليكون موضوعاً للدراسة والبحث للحصول على شهادة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن والتي هي بعنوان: (منهج الإمام مكّي بن أبي طالب في تفسيره "الهداية إلى بلوغ النهاية").

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

- 1 . خدمة كتاب الله تبارك وتعالى، الذي تسابق لخدمته العلماء، حفظاً ومطالعة وقراءة وشرحاً وتفسيراً وتعليماً، منذ أن نزل على الرسول - ﷺ - وإلى يومنا هذا.
- 2 . حبي لدراسة مناهج المفسرين، فمنذ أن درست هذه المادة في مرحلة التدرج وما بعد التدرج، أثرت في نفسي تأثيراً كبيراً، وحبَّ إليَّ هذا النوع من العلم الذي يخدم كتاب الله - ﷻ - .
- 3 . بعد البحث والتقصي، لم أتمكن من إيجاد أي دراسة كاملة؛ تناولت منهج مكّي بن أبي طالب في تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية، مما حبَّب إليَّ البحث في هذا الموضوع لجدته، وهو المطلوب في البحث العلمي، لأن التفسير مطبوع حديثاً في سنة 2008م، وهناك رسالة دكتوراه قديمة في جامعة الأزهر عنوانها: (مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن)، قام بها الدكتور أحمد حسن فرحات سنة 1973م. حيث تعامل مع التفسير وهو لا يزال مخطوطاً، وبعد الاطلاع عليها تبين لي أنه لم تكن عنده منهجية محددة في دراسة تفسير مكّي، بل تطرق إلى دراسة كتبه المختلفة وأطنب في ذلك، مما جعل دراسته ليست كالدراسات المعهودة في مناهج المفسرين. أما بعد طبع التفسير وإخراجه من جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة سنة 2008م، فلم أحصل في حدود علمي؛ ومنذ أن اخترت الموضوع كرسالة علمية في سنة 2011م، على أي رسالة علمية كُتبت على منهج المفسر في هذا التفسير، ولا أقصد الاستقصاء لأن الجامعات الإسلامية متعددة ومنتشرة في شتى أنحاء العالم، وهي من المغرب إلى ماليزيا وغيرها، ومكي بن أبي طالب له مؤلفات عديدة ونال شهرة واسعة ولقي عناية كبيرة من طرف العلماء والباحثين في جل العصور لاسيما في عصرنا الحاضر، وهناك رسائل كثيرة على مكّي ومؤلفاته، في مجالات متعددة غير المنهج، اطلعت على بعضها ولم يتيسر لي الاطلاع على البعض الآخر، وهذا ما سنتطرق له في الدراسات السابقة.
- 4 . دراسة مناهج المفسرين، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، تعطي الباحث فوائد كثيرة، حيث يعرف جهودهم، ويستفيد من كتاباتهم وطرقهم وأساليبهم، التي اتبعوها في التأليف، كما يستطيع الباحث أن يحدد مكانة المفسر بين المفسرين، من خلال تفسيره.

5 . الرغبة الذاتية لديّ، بدراسة تفسير من التفاسير الأندلسية القديمة، التي شهدت التفسير في أيامه الأولى؛ دراسة شاملة، ومقارنتها بالتفاسير الأخرى المشهورة، وتحقيق الفائدة المرجوة من الطريقة التي سار عليها المفسر.

6 . بروز مكّي بن أبي طالب في القرن الخامس الهجري، وتفننه في علم القراءات والتفسير واللغة العربية وتبوئه مكانة مرموقة بين علماء الأمة، إذ وصفه العلماء والمؤرخون بأوصاف لا تطلق إلا على العلماء الكبار كما سنرى لاحقاً.
لهذه الأسباب وغيرها، اخترت منهج مكّي بن أبي طالب في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، موضوعاً للدراسة.

ثانياً: مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- 1 . ما هو منهج مكّي في تفسيره؟
- 2 . هل استطاع أن يحدد منهجاً معيناً في تفسيره ويلتزم به؟
- 3 . ما هي معالم هذا المنهج وخصائصه؟
- 4 . ما هي أهم المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره؟
- 5 . ماهي القيمة العلمية لهذا التفسير، وما مكانته ووزنه بين التفاسير؟
فهذه الأسئلة تشكل محاور الدراسة التي يقوم عليها البحث.

ثالثاً: أهداف الدراسة

- 1 . تعريف الدارسين والباحثين بشخصية مكّي بن أبي طالب، والوقوف على جوانب شخصيته العلمية.
- 2 . تسليط الضوء على تفسيره، لكونه لم يتناول بالدراسة التفصيلية المعمقة، بالرغم من أهميته؛ لأنه لم يطبع من قبل.
- 3 . بيان منهج مكّي بن أبي طالب في تفسيره، وإبراز قيمته العلمية، وهي فرصة لبيان قدر ومكانة هذا المفسر.

رابعاً: أهمية موضوع البحث

- 1 . بروز شخصية مكّي بن أبي طالب في القرن الخامس الهجري، وثناء العلماء عليه، ونبوغه في علم القراءات والتفسير وعلوم القرآن واللغة العربية.
- 2 . اشتهر مكّي أبي طالب القيسي عند كثير من الباحثين بكونه مشتغلاً بالقراءات والنحو والإعراب أكثر من علم التفسير، ولكن بعد الاطلاع على تفسيره تبين لي أنه خدم علم التفسير واهتم به، وله مؤلفات في التفسير غير كتاب الهداية، ويُعتبر مرجعاً عند العلماء والقراء في علوم القرآن وفن التجويد.
- 3 . القيمة العلمية لتفسير الهداية، حيث قال عنه مؤلفه أنه جمع فيه علوماً كثيرة وفوائد عظيمة، وانتقاه من عدة مصادر، وجعله هداية إلى بلوغ النهاية.
- 4 . إشارة مكّي في مقدمة تفسيره أنه لم يقصد أي جاه بتأليفه سوى خدمة كتاب الله - ﷻ - والانتفاع به.
- 5 . رجوع أكثر المفسرين الذين جاؤوا بعده إليه، والاستشهاد بأرائه وأقواله في التفسير كابن عطية والقرطبي وابن جزّي الكلبي وغيرهم من المفسرين.
- 6 . اشتراك عدد كثير من الباحثين في تحقيقه وطباعته، وإخراجه في حلة جديدة، نادراً ما توفرت لتفاسير غيره.

خامساً: الدراسات السابقة حول تفسير مكّي ومصنفاته

هناك دراسات كثيرة ومتعددة أجريت على تفسير مكّي بن أبي طالب ومصنفاته المختلفة، - مع العلم أنه كان كثير التأليف كما سنرى لاحقاً - ولحجمها الكبير فقد خصصت مطلباً خاصاً بها، ولا أنوي ذكرها هنا من جديد حتى لا يكون تكراراً لما قلته هناك، وقد أطلعت على بعض هذه الرسائل، واستفدت منها من جوانب في بحثي هذا؛ لكنها ليست دراسة متخصصة في منهج التفسير الذي أقوم بدراسته، فهي دراسات مختلفة ومتنوعة على مكّي بن أبي طالب ومؤلفاته، ومنها ما هو متعلق بجوانب من العلوم التي طرقها مكّي، ومنها ما هو خاص بمؤلفاته المتعددة، إلا رسالة الدكتور أحمد حسن فرحات: (مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن)، وهي عبارة عن رسالة

دكتوراه مقدمة لجامعة الأزهر بمصر سنة 1973م، تكلم فيها الباحث عن الإمام مكّي ومؤلفاته ومنهجه في التفسير وقيّمته بشكل مختصر، وتعامل مع التفسير وهو مخطوط، ونبه الباحثين والعلماء إلى أهميته ومكانته بين التفاسير، بالإضافة إلى تعريفه بمؤلفات مكّي المخطوطة آنذاك في التفسير وعلوم القرآن والعربية، وهذا واضح من مقدمة المؤلف لكتابه حيث طبعه وهو أستاذ بجامعة الكويت، وصدرت الطبعة عن دار عمار بالأردن سنة 1997م، في مؤلف مستقل، وكان عملاً موقّفاً من الدكتور أحمد حسن فرحات حيث نبه؛ ولأول مرة أن لمكّي بن أبي طالب تفسيراً قيماً لا بد من دراسته وتحقيقه وطباعته، وأن هناك مؤلفات عديدة لمكّي، لم تطبع ولم تر النور بعد في علوم القرآن والتفسير والعربية، وكان هو البادئ بها حيث حقق الكثير منها بعد عمله هذا، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وسأذكر الفرق بين دراستي ودراسة الدكتور أحمد حسن فرحات في النقاط التالية:

1. تعامل مع التفسير وهو لا يزال مخطوطاً، وربما لم يحصل على كافة مخطوطات التفسير، ووصف في مقدمة دراسته أنه حصل على أربع مجلدات، وكانت أغلب النسخ المخطوطة التي حصل عليها متفرقة، وهي خاصة بتفسير مكّي ومؤلفاته المختلفة، وكثيرة الخروم وبها خروق وتلف واضح، بينما وصفت جامعة الشارقة مخطوطات التفسير حسب رواية المحققين بأنها متنوعة، وقد وصلت أحياناً إلى عشرين نسخة، وقارنت بين النسخ فيما يخص التلف والخروم لأن التفسير قديم جداً.
2. دراسته قديمة صدرت سنة 1973م.
3. لم يدرس التفسير بمناهج البحث العلمي المعتمدة حالياً في مناهج المفسرين.
4. كانت دراسته شاملة لمختلف مؤلفات مكّي بن أبي طالب.
5. أغفل جانب القراءات في تفسير مكّي، ولم يتعرض له مع أهميته القصوى؛ لأن مكّي بن أبي طالب مقرئ قبل أن يكون مفسراً، واهتمَّ بهذا في تفسيره، وتحدث في دراسته عن كتب القراءات التي ألفها مكّي بن أبي طالب، وأطنب في ذلك.
6. توصل الدكتور أحمد حسن فرحات في دراسته إلى أن تفسير الهداية هو عبارة عن تلخيص لتفسير الطبري؛ ولم يحذف منه إلا الأسانيد والمكررات، ولا يمكن موافقته على هذه النتيجة، لأن

مكي بن أبي طالب صرح في مقدمة تفسيره أنه جمعه من مصادر متعددة، - كما سنرى - وأنه استغرق في تأليفه مدة طويلة جداً، ولو كان تلخيصاً لتفسير الطبري لأنجزه في فترة قصيرة، وهناك أسباب كثيرة سنتعرض لها في هذه الدراسة تنفي هذه النتيجة.

7. خطة رسالتي ومنهجية البحث تختلف إطلافاً عما كتبه الدكتور أحمد حسن فرحات.

8. طول الفترة الزمنية بين الدكتور أحمد حسن فرحات، وتحقيق التفسير وإخراجه من جامعة الشارقة، فسنة 1973م تختلف عن سنة 2008م، وهي ما يزيد عن 35 سنة.

9. كان تحقيق التفسير من جامعة الشارقة عبارة عن عمل جبار، فلما يتوفر لغيره من التفاسير والكتب المحققة، وخصوصاً كونه عملاً جماعياً قام به مجموعة من الباحثين ولم يقم به باحث واحد؛ حيث ذكرت جامعة الشارقة في مقدمة التفسير: " إن أصل الكتاب، عبارة عن مجموعة رسائل جامعية في الماجستير لأساتذة باحثين تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، بجامعة سيدي محمد عبد الله بفاس بالمغرب الأقصى"، بينما الدكتور أحمد حسن فرحات كان لوحده. وكانت لجنة أعضاء مجموعة بحوث الكتاب والسنة في جامعة الشارقة والتي تتكون من علماء أجلاء أمثال الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم وغيره؛ قد بذلت هي الأخرى جهداً مميزاً، وأشرفت على مراجعة التحقيق وتدقيقه بالحذف والإضافة وإخراجه للطباعة، وقد رأت هي الأخرى بعض الشروط والضوابط في ذلك، من بينها أن يكون إخراج الكتاب قريباً من هدف وغاية مكي بن أبي طالب في تفسيره؛ بحيث اعتمدت الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وأن تكون على رواية ورش عن نافع وهي القراءة المعتمدة في عصر المؤلف بالأندلس والمغرب العربي؛ وإلى يومنا هذا، وكذلك الإبقاء على ترجيحات المحققين وتعليقاتهم العلمية؛ وذلك تقديراً لجهودهم، ومن باب إسناد الفضل لأهله، وأن تكون طباعة التفسير وإخراجه في أبهى حلة.

سادساً: صعوبات البحث

- 1 - ضخامة التفسير وحجمه، حيث إنه يقع في ثلاثة عشر مجلداً، من الحجم الكبير.
- 2 - تنوع الموضوعات التي تطرق لها مكي في تفسيره، وعدم ذكره للمصادر التي رجع لها، وتكرر بعض الأسماء المتشابهة في تفسيره دون ذكر الكنية أو اسم الكتاب، مثل: ابن سلام، وابن كيسان

وغيره، وقد اشتهر بهذا الاسم عدة علماء، مما جعلني أقارن بين كلامه وكلام غيره من العلماء في مصادر متنوعة.

3 - التوسع والاستطراد في بعض القضايا في تفسيره، حتى خرج أحياناً عن موضوع التفسير.

4 - تحديد رأي مكي في بعض المسائل التي تطرق لها، مع صعوبة الترجيح في المسائل الخلافية.

سابعاً: منهج البحث

اتبعت في منهج الدراسة الطريقة التالية:

1 . استعرضت تفسير مكي بن أبي طالب كاملاً، وسجلت الخطأ، وقيمت بتغيرها بين الحين والآخر حسب مقتضيات البحث ودراسته.

2 . قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول بما فيها الفصل التمهيدي، ثم قسمت الفصول إلى مباحث والمباحث إلى مطالب تحتوي على فروع أحياناً؛ حسب مقتضيات البحث، واشتمل الفصل التمهيدي على حياة مكي الشخصية والعلمية، والفصل الأول على دراسة تفسير الهداية، والفصل الثاني على منهج المفسر في التفسير بالمأثور، والفصل الثالث على منهج مكي بالتفسير بالرأي، والفصل الرابع على قيمة تفسير مكي، ثم الخاتمة، وهي عبارة عما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات.

3 . اقتضت طبيعة الموضوع أن أتبع المنهج الوصفي التحليلي مستعيناً بأداتي الاستقراء والمقارنة كل في محله حسب مقتضيات البحث، حيث وصفت تفسيره ومؤلفاته المختلفة، وذكرت الأمثلة من تفسيره وحللت ذلك بالدراسة والبيان، وقارنت بين كلامه؛ وما ينقله من أقوال العلماء في المصادر المختلفة في تفسيره.

4 . قدمت لكل مبحث بتمهيد مختصر؛ أعرف فيه بما تضمنه من مطالب علمية، أو المنهج الذي سأسلكه في عرض القضايا من تفسير مكي.

5 . كنت غالباً في الاستشهاد وضرب الأمثلة من تفسير مكي، آتي بثلاثة شواهد على الأقل من تفسيره؛ لتوضيح الأفكار وزيادة المعنى.

6 . التزمْتُ بكتابة الآيات بالرسم العثماني لمصحف المدينة النبوية الشريفة، برواية حفص عن عاصم، مع عزوها إلى سورها، مع أنها في أصل الكتاب برواية ورش عن نافع، وحاولتُ ولم يتيسر لي ذلك، وخرجت هذه الآيات في المتن، لئلا تكثر الهوامش.

7 . التزمْتُ بتخريج جميع الأحاديث النبوية والآثار الواردة في هذه الرسالة، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخرجه مبينا كتابه وبابه ورقم الصفحة، وإن كان في غيرها خرّجته، ونقلتُ أقوال المحقق في درجته بالتصحيح أو الضعف إذا تيسر لي ذلك.

8 . خرجتُ جميع الأشعار الواردة في الرسالة من مصادرها المعتمدة في التخريج.

9 . شرحتُ بعض الألفاظ الغريبة الواردة في الرسالة من كتب اللغة المعتمدة.

10 . قمتُ ببعض التعليقات في الهامش، على بعض النصوص من حين لآخر، تجلية وتوضيحاً لبعض المسائل، وربما كبرت بعض الحواشي حتى أتت على نصف الصفحة أو أكثر، وهي تعليقات يرى الباحث أنها مكملّة وموضحة للمسائل التي تطرق إليها.

11 . اكتفيتُ بترجمة الأعلام الواردة في الفصل التمهيدي، وأحلتُ على أكثر من مصدر في كتب التراجم والتاريخ، ثم خففت ذلك في دراسة التفسير، لأنها مُعرّفة في الأصل، وقد أشرت سابقاً؛ إلى أن تحقيق تفسير مكّي عبارة عن مجموعة رسائل ماجستير لأساتذة باحثين تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد عبد الله بفاس بالمغرب الأقصى.

12 . لم أترجم للصحابة والتابعين إلا قليلاً منهم، وذلك لشهرتهم، ومعرفة أهل التخصص لهم.

13 . حاولتُ في هذا البحث جاهداً، أن ألتزم الموضوعية والإنصاف، في الحكم على المفسر وتفسيره، واتبعْتُ قدر الإمكان، المنهج العلمي الملتزم به في مجال البحوث العلمية.

14 . ختمتُ البحث بفهارس علمية لآيات القرآن والأحاديث والآثار والأشعار والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات، ورتبتها حسب ورودها في البحث، ورتبتُ المصادر والمراجع وفق ترتيب أبجدي؛ ليسهل الرجوع إليها في البحث.

ثامناً: خطة البحث

تناولت هذه الدراسة منهج مكّي بن أبي طالب في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، وهو مفسر عاش في القرن الخامس الهجري، وترك لنا تفسيراً يمتاز بسهولة العبارة، والبعد عن التكلف والتعقيد، والتفسير مطبوع حديثاً، ويقع في ثلاثة عشر مجلداً، وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ففي المقدمة، قام الباحث بالتعرض لأهم الأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع من بينها خدمة كتاب الله - ﷻ -، وكونه موضوعاً جديداً لم يتطرق إليه من قبل في حدود علم الباحث، وأنه من التفاسير الأندلسية القديمة الضخمة النافعة التي شهدت التفسير في أيامه الأولى، ثم تعرض الباحث إلى مشكلة الدراسة والتساؤلات التي يمكن الإجابة عليها، وهي في نظره تشكل محور الدراسة التي يقوم عليها البحث، ثم الأهداف المنتظرة من القيام بالدراسة على تفسير مكّي بن أبي طالب، ثم ذكر أهمية موضوع البحث، ثم تطرق الباحث إلى الدراسات السابقة عن مكّي بن أبي طالب ومؤلفاته المختلفة، والفرق بين دراسته ودراسة الدكتور أحمد حسن فرحات في سنة 1973م، في نقاط محددة، ثم تعرض الباحث إلى أهم الصعوبات التي تعرض لها أثناء دراسته، وأخيراً تطرق الباحث إلى منهج البحث وخطته والطريقة المعتمدة في دراسته.

الفصل التمهيدي: حياة مكّي الشخصية والعلمية

اشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث مقسمة إلى مطالب وفروع أحياناً حسب مقتضيات البحث، ففي المبحث الأول تعرض الباحث لحياة المفسر وعصره ودراسته من كل الجوانب، أما في المبحث الثاني، فتطرق إلى هجرته المختلفة في طلب العلم، ومشايخه وتلاميذه، وفي المبحث الثالث: تطرق الباحث إلى مذهبه الفقهي ومنزلته عند العلماء، وفي المبحث الرابع، فقد تعرض إلى مصنفات مكّي بن أبي طالب ووجدتها كثيرة ومتنوعة وكانت أهمها في علوم القرآن والتفسير بما فيها القراءات؛ لأنه من القراء الكبار، وأغلب مؤلفاته في هذا الفن.

الفصل الأول: مدخل إلى دراسة تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية

اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث مقسمة إلى مجموعة من المطالب، ففي المبحث الأول، تعرض الباحث إلى التعريف بتفسير مكّي بن أبي طالب، وفي المبحث الثاني تطرق إلى الدراسة العامة حول التفسير، أما في المبحث الثالث، فتحدث عن مصادر مكّي في تفسيره لأنها تكشف لنا القواعد الخلفية لتفسيره، وبالمصادر التي أكثر منها المفسر نستطيع الحكم على تفسيره، ومعرفة المنهج العام الذي انتهجه.

الفصل الثاني: منهج مكّي في التفسير بالمأثور وما يتعلق به

اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث مقسمة إلى مجموعة من المطالب، ففي المبحث الأول، تعرض الباحث إلى منهج المفسر في التفسير بالمأثور، أما في المبحث الثاني، فتحدث عن منهج المفسر في القراءات لأنه من العلوم المهمة التي يجب على المفسر معرفتها، أما في المبحث الثالث، فتعرض الباحث إلى منهج المفسر في قضايا علوم القرآن، وهي من العلوم المهمة لكل مفسر يفسر كتاب الله - ﷻ - .

الفصل الثالث: منهج مكّي في التفسير بالرأي وما يتعلق به

اشتمل هذا الفصل على مبحثين، ففي المبحث الأول، تعرض الباحث إلى منهج المفسر في قضايا اللغة؛ لما لها من أهمية في تفسير القرآن وبيان معانيه واستخراج أحكامه، أما في المبحث الثاني، فقد تطرق الباحث إلى منهج المفسر في قضايا الفقه والعقيدة وما يتعلق بهما في تفسير مكّي، ثم تعرض الباحث لبعض آراء مكّي في رده على اليهود والنصارى والفرق الضالة.

الفصل الرابع: تفسير مكّي في الميزان

بعد البحث والدراسة الشاملة لمدة سنوات في ملامح منهج مكّي من جواب متعددة، وتسجيل بعض الملاحظات الهامة في تفسيره، قام الباحث بوضع التفسير في الميزان بما له وما عليه، واشتمل هذا الفصل على مبحثين، ففي المبحث الأول، قام الباحث بالتطرق إلى أهم مزايا تفسير مكّي بن أبي طالب في نقاط متعددة حتى تظهر قيمته ومكانته العلمية بين التفاسير أما في المبحث الثاني، فقد تطرق الباحث إلى أهم الملاحظات التي يمكن أن تؤخذ عليه، والتي ظهرت له بعد الدراسة

والبحث، وهي لا تُقلل من شأن التفسير وصاحبه مكّي بن أبي طالب، ولا تغض الطرف عن مكانته العلمية بين التفاسير، ومن ثمّ ختم بحثه بأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها.

وما كان لي أن أنهي هذه المقدمة، دون أن أسجل شكري الجزيل، وتقديري واحترامي وامتناني لأستاذي الفاضل، أستاذ النبل والمروءة، الأستاذ الدكتور خير الدين سيب الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه الأطروحة على الرغم من كثرة مشاغله وتعدد اهتماماته، ولم يبخل علي بتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة وملاحظاته الدقيقة، فقدم لي ذلك كله بعطف ولطف، فجزاه الله عني وعن العلم وطلبته خير الجزاء، وبارك له في علمه وعمره وعياله.

وبعد هذا فلا أزعّم أنّي راضي النفس عمّا كتبتُ، ولا مطمئن القلب لما جمعتُ، وحسبي أنّي بذلت ما بوسعي من جهد، وغاية ما أرجو، أن أكون قد وفقتُ لما قصدتُ إليه في هذا البحث، وأن أكون قد مهدتُ السبيل إلى معرفة الشيخ وتفسيره، وإنني بعد ذلك منشرح الصدر، منفتح القلب، لكل نصح يتمثل في إضافة أو تعديل، أو تصحيح وتقويم، ولا أدعي الكمال فيما قدّمتُ، بل الكمال لله - ﷻ -، وإني أبرأُ إليه من شر جهلي، وأسأله - ﷻ - أن يعفو عن الخطأ والزلل، وأن يوفقني للصواب في القول والعمل، وهو حسبي ونعم الوكيل، عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم.

التاريخ:

1437/03/13هـ

2015/12/24م

الباحث: عبد العزيز ناصري

الفصل التمهيدي: حياة مكي الشخصية والعلمية

المبحث الأول: حياته الشخصية

المبحث الثاني: هجرته في طلب العلم وشيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: مذهبه الفقهي ومنزلته عند العلماء

المبحث الرابع: مصنفات مكي بن أبي طالب

الفصل التمهيدي: حياة مكي الشخصية والعلمية

المبحث الأول: حياته الشخصية

أن منهجية البحث في مناهج المفسرين تقتضي من الباحث أن يتعرض لحياة المفسر وعصره ودراسته من كل الجوانب، لأن الظروف العصرية لها تأثير على المفسر، وهذا لا يختلف فيه اثنان، والإنسان ابن عصره وبيئته، وهذا ما سنحاول التعرض له في هذا المبحث - إن شاء الله - ومفسرنا مكي بن أبي طالب ولد سنة 355هـ بالقيروان؛ وتوفي بقرطبة سنة 437هـ، وعاش مدة 82 سنة مليئة بالتأليف والعطاء في مجالات متعددة وفنون متنوعة في جل العلوم، وله مؤلفات كثيرة غير التفسير، وكان كثير الترحال والاستقرار في مناطق مختلفة من الغرب إلى الشرق، وألّف كتباً في القيروان ومصر ومكة المكرمة ودمشق، وكان آخرها قرطبة بالأندلس؛ والذي بقي بها حتى وفاته سنة 437هـ، وألّف بها معظم كتبه، فنحاول التطرق إلى الظروف التاريخية العامة في هذه الفترة بدءاً بالحالة السياسية والاجتماعية والثقافية وما يتعلق بذلك، حتى تتضح لنا ملامح بيئته وعصره ومدى تأثيرها على المفسر مكي بن أبي طالب في تلك الفترة من التاريخ.

المطلب الأول: مولده ونسبه وأسرته ووفاته

هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي المقرئ، وحموش اسم أبي طالب والد مكي، وهو تصغير محمد عند المغاربة، فيقال حموش أو محمد. ولد مكي بمدينة القيروان¹ سنة خمساً وخمسين وثلاثمائة هجرية (355هـ) وبها نشأ وتلقى من العلم ما كان يتلقاه من في سنه من العلوم والآداب في بداية حياته، ثم سافر إلى مصر وهو في الثالثة عشر من عمره (13 سنة)، فلازم المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب، وكانت مصر آنذاك في حكم الفاطميين، والخليفة هو العزيز نزار، ثاني خلفاء مصر من بني عبيد، ثم رجع إلى القيروان واستكمل بها علومه، ثم عاد إلى مصر للمرة الثانية، وذلك في سنة سبعة وسبعين وثلاثمائة (377هـ) في

¹ وهذه المدينة موجودة إلى الآن بهذا الاسم، وتقع على بعد (150 كم) على تونس العاصمة.

خلافة العزيز نزار الفاطمي أيضاً، فقرأ القراءات على أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون،¹ وحج في هذه السنة حجة الفريضة ثم رجع إلى القيروان، وبعدها عاد إلى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة (382هـ)، فاستكمل ما بقي له واستظهر غيرها من الآداب، ثم عاد إلى بلده القيروان في سنة 383هـ وأقام بها يقرئ إلى سنة 387هـ، ثم خرج في هذه السنة إلى مكة وأقام بها إلى آخر سنة 390هـ، وحج أربع حجج متوالية، ثم خرج من مكة سنة 391هـ، فوصل إلى مصر، ثم رحل منها إلى القيروان في سنة 392هـ، وكانت القيروان في هذا العهد تابعة للدولة الصنهاجية² ولكن تحت حكم الفاطميين في مصر، ولم تنفصل عنهم إلا في عهد الأمير المعز بن باديس الصنهاجي، الذي خلع طاعة العبيدية وخطب للقائم بأمر الله العباسي سنة 406هـ³، ويبدو أنه مر بالشام وهو في طريقه من مكة إلى مصر، لأنه ذكر أنه ألف كتابه (مشكل إعراب القرآن) عام 391هـ في الشام ببيت المقدس.

ثم ترك القيروان وارتحل إلى الأندلس وقدمها في رجب سنة 393هـ، وجلس للأقراء بجامع قرطبة، فانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن، وعظم اسمه في البلد وجل فيها قدره، ونزل عند دخوله

¹ طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، أبو الحسن الحلبي ثم المصري، مصنف التذكرة في القراءات وغير ذلك؛ وكان من كبار المقرئين هو وأبوه أبو الطيب، توفي سنة 399هـ. الصفدي: صلاح الدين "الوافي بالوفيات"، ت: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط: 1، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م، ج 16، ص 232

² استمال خلفاء الدولة العبيدية القبائل البربرية الصنهاجية واستبدلوها بدلاً من القبائل الكتامية وأسندوا إليها الأمور المهمة في الدولة، وارتفع نجم الصنهاجيين في زمن عائلة بني زيري الصنهاجية التي استطاعت أن تتخّن في ثورة أبي يزيد الخارجي، فأهدى العبيديون للصنهاجيين حكم إفريقية والمغرب، ومؤسس الدولة الصنهاجية هو أبو الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي (362 - 373هـ) الذي افتتح سنوات حكمه بقمع الثائرين وتمهيد البلاد. الصلابي: علي مُجّد، "الدولة الفاطمية"، ط: 1،

1427 هـ - 2006 م، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ص 93

³ المرجع نفسه، ص 95

قرطبة في مسجد "النخيلة" الذي بالزقاقين عند باب العطارين،¹ فأقرأ به، ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر² إلى جامع الزاهرة، وأقرأ فيه حتى انصرفت دولة آل عامر، فنقله مُجّد بن هشام المهدي³ إلى المسجد الخارج بقرطبة، وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها⁴ إلى أن قلده أبو الحزم ابن جهور⁵ الصلاة والخطبة بالمسجد بعد وفاة يونس بن عبد الله⁶، وكان ضعيفاً عليها على أدبه وفهمه، وأقام في الخطابة إلى أن مات، رحمه الله تعالى، وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر، ودفن يوم الأحد ضحوة، لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة للهجرة بقرطبة، ودفن بالربض، وصلى عليه ولده أبو طالب مُجّد، رحمه الله تعالى.

¹ هذا التعريف منقول من كتاب وفيات الأعيان، وابن خلكان ينقل عن كُتب التاريخ التي سبقته؛ مثل الصلة لابن بشكوال وغيرها، ولاشك أن بعض المؤرخين كان قد زار المكان وعرفه، فوصفه بهذا الوصف. ينظر: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ت: إحسان عباس، ط: 1 دار صادر بيروت، 1994م، ج5، ص275، وابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ت: عزت العطار الحسيني، ط: 2، مكتبة الخانجي، 1374هـ - 1955م، ص598

² عبد الملك المظفر بن مُجّد المنصور بن عبد الله بن أبي عامر المعافري، أبو مروان: ثاني أمراء الأندلس من الأسرة العامرية، كان مديراً لمملكة الأندلس في خلافة المؤيد بالله هشام بن المستنصر الأموي، حيث بويع المؤيد هذا، وكان صغير السن لا يقدر على التصرف وسنه عشر سنوات، وكان هذا في عهد الدولة الأموية في الأندلس. الزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ط: 15، دار العلم للملايين، 2002م، ج3، ص325

³ هو الخليفة مُجّد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المهدي الذي أطاح بالمؤيد في الخلافة بالأندلس ولقب بالمهدي. الزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ج7، ص131

⁴ قامت في هذه الفترة فتنة كبيرة بين أمراء بني أمية في الأندلس من قتل لبعضهم البعض، وتدخل البربر، وانتقال الحكم منهم إلى غيرهم، ثم عودة الحكم لهم من جديد.

⁵ كان وزيراً من وزراء بني أمية ثم أستبد بحكم قرطبة بعد ضعفهم، يقول الصفدي: "جهور بن مُجّد بن جهور بن عبد الله، أبو الحزم رئيس قرطبة وأميرها وصاحبها. جعل نفسه ممسكاً للأمر إلى أن يتيهأ من يصلح للخلافة، وانفرد برئاسة المصر إلى أن توفي في المحرم سنة 435هـ، ودفن بداره وصلى عليه ابنه أبو الوليد ابن جهور القائم بعده بالأمر. الصفدي: صلاح الدين، "الوفاي بالوفيات"، ج11، ص163

⁶ يونس بن عبد الله بن مُجّد بن مغيث بن مُجّد بن عبد الله قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها؛ يكنى: أبا الوليد، ويعرف: بابن الصفار، كان مولده سنة 447هـ، وتوفي سنة 532هـ. ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ص650

وقال ابن تغري بردي في حوادث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة للهجرة: "وفيها توفي مكّي بن أبي طالب حموش بن مُجّد بن مختار، الإمام أبو مُجّد القيسي القيرواني ثم القرطبي المقرئ شيخ الأندلس في زمانه؛ حج وسمع بمكة وغيرها. وكان إماماً عالماً محدثاً ورعاً؛ صنف الكثير في علوم القرآن. ومولده بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة".¹

إن تعريف مكّي بن أبي طالب موجود في كل كتب التاريخ المشهورة تقريباً مثل: وفيات الأعيان لابن خلكان وكشف الظنون والصلة وغيرها من كتب التاريخ المعتمدة، أما كتب التاريخ التي عُنيت بتاريخ الأندلس فاسمه مشهور ومذكور، وهذا نظراً لكونه عالماً من علماء الأمة والتاريخ فهو مشهور بكتبه وعلمه، لأنه عالم موسوعي ألف في معظم العلوم، وسنتطرق إلى هذا بشيء من التفصيل بعد ذكر أهم شيوخه وتلاميذه وأهم مصنفاته إن شاء الله.

المطلب الثاني: الحالة السياسية في عصره

الفرع الأول: الحالة السياسية في القيروان والمناطق التي تنقل بها

بما أن مكّي بن أبي طالب عاش في عز الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، فلا بد أن نُؤرخ لهذه الدولة ونعرّف بها، لأنها ليست مثل بقية الدول الإسلامية، ولها وضع خاص.

الفاطميون هم قوم حاولوا الإدعاء لآل البيت من أجل تأسيس دولة تحارب الدولة العباسية في الشرق والدولة الأموية في الغرب في ذلك العصر، وتقضي على الإسلام والمسلمين، ونذكر الآن كيف بدأ ظهور هؤلاء أعداء الأمة والدين، من ناحية نسبهم لآل البيت، ومن ناحية قيام دولتهم.

1 - العلماء الطاعنون في نسبهم:

يذهب أغلب المؤرخين إلى عدم صحة نسبهم لآل البيت، وإنما نسبهم ينتهي إلى مجوس شيعة باطنيين أو يهود وإنهم كذابون ومفترون على آل البيت وأعمالهم تشهد بذلك، ومن علماء السنة الطاعنين في نسبهم عدة لا تحصى منهم: ابن خلكان في (وفيات الأعيان)، والذهبي في (تاريخ

¹ ابن تغري بردي: أبو المحاسن، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ط: 1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، 1963م، ج5، ص41

الإسلام) و(سير أعلام النبلاء)، وابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية)، وابن حجر في (رفع الإصر)، وابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) و(مورد اللطافة)، والسّخاوي في (الضوء اللامع)، والسيوطي في (تاريخ الخلفاء)، و(حسن المحاضرة)، والعُلَيْمي في (الأنس الجليل)، والعصامي في (سمط النجوم العوالي) والزركلي في (الأعلام) وغيرهم، ونقل كلام ابن كثير في وصفهم في كتابه (البداية والنهاية)، حيث قال: "وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكَسْرًا، فصاروا كأمس الذاهب كأن لم يغنوا فيها. وكان أول من ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداداً اسمه عبيد، وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعمائة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولاً، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهديّة نسبة إليه، وصار ملكاً مطاعاً، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض. ثم كان من بعده ابنه القائم مُجَدِّد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور، ثم ابنه الظاهر علي، ثم أبنة المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي أحمد، ثم ابنه الأمر منصور، ثم أبن عمه الحافظ عبد المجيد، ثم ابنه الظافر إسماعيل، ثم الفائز عيسى، ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم، فجملتهم أربعة عشر ملكاً، ومدتهم مائتان ونيّف وثمانون سنة، وكذلك عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً، ولكن كانت مدتهم نيّفًا وثمانين سنة،... وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان والكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد طرابلس وإنطاكية وجميع ذلك، إلى بلاد إياس وسييس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير

ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأماً لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحصى ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحصى ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد الله - ﷻ - هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته،... ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد، وكان اسمه سعيداً، وكان يهودياً حداداً بسلمية،... وكذا صنف العلماء في الرد عليهم كتباً كثيرة، من أجل ما وُضِعَ في ذلك كتاب القاضي أبي بكر الباقلاني في الردّ على هؤلاء وسماه (كشف الأسرار وهتك الأستار) بين فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضّح أمرهم لكل أحد، ووضّح أمرهم ينبئ عن مطاوي أفعالهم، وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم: "هم قوم يظهرون الرضا ويبطنون الكفر المحض".¹

وهذا ابن كثير عالم من علماء السنة والجماعة، وصاحب التفسير، وتلميذ الإمام ابن تيمية، يطعن في نسبهم.

مع العلم أن نسبهم وقعت فيه اختلافات كثيرة نظراً لما كانت تمتاز به هذه الدعوة الباطنية من سرية في أول أمرهم لعدة أسباب، منها الخوف من بني العباس، والعلماء والولاة آنذاك، والخوف من اكتشاف أمرهم، ويقال إن أمرهم قد اكتُشف، وقتل منهم الكثير.

ومن علماء الأمة الطاعنين في نسبهم نجد الإمام السيوطي، في كتابه المشهور (تاريخ الخلفاء) أرخ فيه لكل من تولى خلافة المسلمين من عهد الرسول - ﷺ - إلى عصره، ولم يؤرخ لخلفاء بني عبيد لأنه لم يعدهم من خلفاء المسلمين، قال السيوطي في مقدمة كتابه: "إنهم غير قرشيين وإنما سمّتهم بالفاطميين جهلة العوام وإلا فجدهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبار البصري: "اسم جد الخلفاء المصريين سعيد وكان أبوه يهودياً حداداً نشابة"، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: "القدّاح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسياً، ودخل عبيد الله المغرب، وادّعى أنه علوي ولم يعرفه

¹ ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل "البداية والنهاية"، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1408 هـ - 1988 م، ج 12، ص 333، بتصرف.

أحد من علماء النسب، وسمّاهم جهلة الناس الفاطميين،... و منها: أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء ومنهم من أباح الخمر و منهم من أمر بالسجود له، والخير منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة - ﷺ - ، ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ولا تصح لهم إمامة"، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: " كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض..."

وقال أبو الحسن القاسبي¹: " إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعبّاد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختراروا الموت، فياحبذا لو كان رافضياً فقط، ولكنه زنديق...."، و قال يوسف الرعيني²: "أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة"، وقال ابن خلكان: " وقد كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة... ومنها: أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة فلا تصح؛ إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد، والصحيح المتقدم..."، فلهذه الأمور لم أذكر أحداً من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج، وإنما ذكرت الخليفة المتفق على صحة إمامته وعقد بيعته³. "وأكثر أهل العلم من الطاعنين في نسبهم، ولم يثبتوه إلا القلة منهم لسبب من الأسباب، وهو الراجح لأنهم زنادقة وما نقلته كتب التاريخ من أعمالهم، وما قاموا به ضد علماء

¹ القاسبي، أبو الحسن علي بن مُجّد، كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به وفقه مالكي، له كتاب (الملخص)، ولد بقابس قرية من قرى تونس سنة 324هـ، وتوفي سنة 403هـ بالقيروان، أي عاش في عز الدولة الفاطمية وكان شاهداً على أفعالهم، ونقل عنه السيوطي كلامه في كتابه هذا، ينظر: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج3، ص321، وابن فرحون: برهان الدين اليعمري، " الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، ت: مُجّد الأحمد، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج2، ص102

² مُجّد بن شريح بن أحمد الرعيني، أبو عبد الله: عالم بالقراءات، من أهل إشبيلية، له كتاب الكافي في القراءات وكتاب التذكرة، ولد سنة 392هـ وتوفي سنة 476هـ. ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، " الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ص524

³ ينظر: السيوطي: جلال الدين "تاريخ الخلفاء"، ت: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط:1، 1425هـ-2004م، ص11، بتصرف.

السنة في المغرب ومصر بعد قيام دولتهم يشهد على هذا، وكذلك الغموض الذي كان يلف نسبهم حتى بعد نجاح دعوتهم وقيام دولتهم، ففي الأول كانوا يتذرعون بالسرية التامة في الدعوة خوفاً من اكتشاف أمرهم؛ ولكن بعد نجاح دعوتهم لماذا لم يفصحوا عن نسبهم؟ وهذا أكبر دليل على بطلان نسبهم لآل البيت - عليهم السلام -.

2 - العلماء المثبتون لنسبهم:

هناك طائفة من علماء السنة أثبتوا نسبهم للإمام علي وفاطمة بنت الرسول - عليهما السلام -، من بينهم المقرئزي وابن خلدون وابن الأثير، أما علماء الشيعة فحدث ولا حرج عندهم في صحت نسبهم لآل البيت - عليهم السلام -.

ومن هؤلاء نجد المقرئزي¹ المؤرخ الكبير؛ وهو من العلماء المدافعين عن نسب الفاطميين، فقد ألف كتاباً خاصاً بنسبهم سماه (اتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) واستشهدا بعدة أدلة منها قوله: "وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى، وتأمّلت ما قد مر ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق في الأخبار، وتبين لك منه ما تأبى الطباع السليمة قبوله ويشهد الحس السليم بكذبه، فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يمد الكذاب المفتعل بما يكون سبباً لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه... وقد علم أن الكذب على الله تعالى، والافتراء عليه في دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة، والإمامة لهم شرعاً بكونه من ذرية رسول الله - صلى الله عليه وآله - وآل بيته من أعظم الجنايات، وأكبر الكبائر، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يظهر من تعاطى ذلك واجترأ عليه، ثم يمدّه في ظهوره بمعونته، ويؤيده بنصره حتى يملك أكثر مدائن الإسلام، ويورثها بنيه من بعده... بل الحكمة الإلهية والعادة الربانية، وسنة الله التي قد خلت في عباده، اقتضت أنه تعالى إذا رأى الكذاب يستظهر بالمحافظة على التنسم بالباطل،

¹ المقرئزي أحمد بن علي الحسيني العبيدي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، له مؤلفات كثيرة من بينها (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ويعرف بخطط المقرئزي، و (السلوك في معرفة دول الملوك) و (اتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين والخلفاء) قال السخاوي: قرأت بخطه أن تصانيفه زادت على مئتي مجلد، توفي سنة 845 هـ. الزركلي: خير الدين، "الأعلام"، م1، ص177.

ويتوصل إلى إقامة دولته بالكذب، ويحيلها بالزور في ادعائه نسباً إلى رسول الله - ﷺ - غير صحيح، وصرفه الناس عن طاعة بني العباس الثابتة أنسابهم المرضية سيرتهم، العادلة بزعمهم أحكامهم ومذاهبهم أن يحول بينه وبين همه بذلك، ويسلبه الأسباب التي يتمكن بها من الاحتراز، ويعرضه لما يوقعه في المهلك، ويسلك به سبيل أهل البغي والفساد. فلما لم يفعل ذلك بعبيد الله المهدي، بل كتب تعالى له النصر على من ناوأه، والتأييد بمعونته على من خالفه وعاداه، حتى مكن له في الأرض، وجعله وبنيه من بعده أئمة، وأورثهم أكثر البسيطة، وملكهم من حد منتهى العمارة في مغرب الشمس إلى آخر ملك مصر، والشام، والحجاز، وعمان، والبحرين، واليمن، وملكهم بغداد وديار بكر مدة، ونشر دعوتهم إلى خراسان، ونصرهم على عدوهم أي نصر، تبين أن دعواهم الانتساب إلى رسول الله - ﷺ - صحيحة، وهذا دليل يجب التسليم له¹.

فهذا دليل عقلي أستند عليه المقرئ في صحة نسبهم، فالله - ﷻ - قد يملك الظالم الكاذب وقد لا يملكه، وثبت في التاريخ إن عدة ملوك وسلاطين ملكوا دولاً لفترات طويلة من الزمن مثل فرعون وغيره؛ هم وذريتهم من بعدهم ومن بينهم: الفاطميون، وهذا ليس دليلاً على صحة نسبهم بملكهم الذي أستمر أكثر من قرنين ونصف تقريباً.

وكذلك نجد المقرئ يستدل بدليل آخر في صحة نسبهم، وهو قول منسوب لموسى الكاظم² عن ظهور المهدي بالمغرب فنجده يقول: "وقد نقل عن أئمة أهل البيت - ﷺ - الإشارة إلى أمر عبيد الله المهدي، فمن ذلك: أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن ظهور القائم متى يكون؟ فقال: إن ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء إلى الأرض، رأسه بالمغرب،

¹ ينظر: المقرئ: أحمد بن علي الحسيني العبيدي "تعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"، ت: جمال الدين الشيال ومحمد حلمي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ/1996م، ط: 1، ج: 1، ص: 54، بتصرف.

² موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن: سابع الأئمة الاثني عشر، عند الإمامية، كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد، ولد في الأبواء (قرب المدينة) وسكن المدينة، فأقدمه المهدي العباسي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة، وبلغ الرشيد أن الناس يبائعون للكاظم فيها، فلما حج مر بها سنة 179 هـ فاحتمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى ابن جعفر، سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفي فيها سجيناً، وقيل: قتل. الزركلي: خير الدين "الأعلام"، م: 7، ص: 321.

وأسفله بالمشرق. وكذلك كان بداية أمر المهدي عبيد الله، فإنه ابتداءً من المغرب، وانتهى أمره على يد بنيه إلى المشرق، فإنه ظهر بسجلماسة في ذي الحجة سنة تسعين ومائتين، وهي أقصى مسكون المغرب، ودعي للمستنصر ببغداد في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة. وكان علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم يقول: في سنة أربع وخمسين ومائتين ستكشف عنكم الشدة، ويزول عنكم كثير مما تجدون، إذا مضت عنكم سنة اثنتين وأربعين؛ يشير بذلك إلى أن البداية من تاريخ وقته، فيكون المراد سنة ست وتسعين ومائتين، وفي ذي الحجة منها كان ظهور الإمام المهدي بالله رحمة الله عليه¹.

فهذا القول الذي ذهب إليه المقرئ وهو عالم من علماء السنة غريب، فلو كان من علماء الشيعة يمكن أن يقبل منه؟! فما ذهب إليه الإمام موسى الكاظم على فرض صحته؛ لأنه من المعلوم أن الشيعة تنسب كل هذه الأقوال إلى هؤلاء الأئمة زوراً وبهتاناً، وهم منها براء، فظهور المهدي مسألة خلافية بين العلماء وأنه سيظهر في آخر الزمان، مع نزول عيسى - ﷺ -، والأحاديث الواردة في خروجه مضطربة وليست كلها صحيحة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يعني أنه هو المهدي الفاطمي الذي قامت على يده الدولة الفاطمية وهذا الرأي هو الذي رجحه المقرئ وهو خطأ، وكذلك الإمام الكاظم لا يعلم الغيب حتى يحدد وقت ومنطقة خروجه، فهذا القول باطل، وإن قاله موسى الكاظم، لأن علم الغيب أختص به الله - ﷻ -، وليس موسى الكاظم أو غيره من البشر.

ونجد إلى جانب المقرئ العلامة ابن خلدون في مقدمته حيث دافع عن نسبهم، ورد على الطاعنين فيه، وقد نقل كلامه المقرئ في كتابه (اتعاظ الحنفاء)، قال ابن خلدون: "ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين في إثبات نسب العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت - صلوات الله عليهم -، والطعن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفققت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً

¹ المقرئ: أحمد الحسيني العبيدي "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"، ج 1، ص 54

إليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفنناً في الشّمات بعدوّهم حسبما تذكر بعض هذه الأحاديث في أخبارهم، ويغفلون عن التّفطن لشواهد الوقعات وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرّدّ عليهم... وكيف يقع هذا كلّه لدعيّ في النسب يكذب في انتحال الأمر، واعتبر حال القرمطيّ إذ كان دعيّاً في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرّقت أتباعه وظهر سريعاً على خبثهم ومكرهم، فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ حَلِيقَةٍ وَإِنْ حَاكَمَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ¹

فقد اتّصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة، وملكوا مقام إبراهيم - عليه السلام - ومصلاّه وموطن الرسول - ﷺ - ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة، ثمّ انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كلّه على أتمّ ما كانوا عليه من الطّاعة لهم والحبّ فيهم واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدّولة ودروس أثرها داعين إلى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون إلى تعيينهم بالوصيّة ممّن سلف قبلهم من الأئمّة، ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم، فصاحب البدعة لا يلبّس في أمره ولا يشبّه في بدعته ولا يكذّب نفسه فيما ينتحله².

نلاحظ العلامة ابن خلدون مثل المقرئ يستدلّ بدليل عقلي، فهو يرى أن الكاذب أو المدعي في النسب لا يوفقه الله - ﷻ - في عمله، وهذا الرأي غير مستساغ فقد يوفقه وقد لا يوفقه. ونحن كما نعلم أن الذي دعا لقيام الدولة الفاطمية في البداية أبو عبد الله الشيعي، وكانت نهايته القتل من الداعي له أبو عبد الله المهدي، قال الصلابي: "يعتبر أبو عبد الله الشيعي اليماني الصنعاني المؤسس الفعلي لدولة العبيديين الرافضية الإسماعيلية في المغرب، وفي ما بين 288هـ إلى 289هـ وصل أبو

¹ هذا البيت من الطويل، وهو لزهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي، والبيت من معلقته المشهورة. ينظر: يعقوب: إميل بديع، "المعجم المفصل في شواهد العربية"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1417هـ - 1996م، ج7، ص409

² ينظر: ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُجدّد "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1408هـ - 1988م، ص31، بتصرف.

عبد الله الشيعي الرجل الداهية المراوغ الماكر صاحب الحيل العجيبة إلى مكة، وبحث عن وفود المغاربة التي جاءت للحج واستطاع أن يتعرف على حجيج كتامة، وتقرب إليهم بما أظهره لهم من زهد وفقه وعلم، وتمكن هذا الداعية من قلوب الشيوخ الكتاميين، ثم بسياسته الماكرة لبي طلبهم ونزل في القيروان لبحث عن مواطن الضعف في دولة الأغالبة، ويجمع المعلومات لمعرفة أقوى القبائل، وما هي الوسائل النافعة للدخول في بلاد المغرب، وبعد أن أيقن أن أقوى القبائل في المغرب هي الكتامية قرر الذهاب إلى بلدة تسمى (إيكجان) وهي بلدة في جبل وعر، ونهج في حياته نهج المعلم المؤدب الورع، وسلك سلوك الزهد والعفاف حتى تملك قلوبهم، واشتهر صيته، وأقبلت عليه القبائل البربرية وتصدى لتعليمهم وتفقيهم المذهب الشيعي، ثم دخل في الأمور السياسية ونظام الحكم ودور الإسلام في الحكم بالشورى، وفضل العلويين وأحققتهم في الحكم. وبسبب الظلم الذي مارسته دولة الأغالبة على الناس استجابت بعض القبائل للداعية الشيعي الذي رأوا فيه المخلص وبدأ الصدام مع الأغالبة، وانتقل أبو عبد الله الشيعي إلى حصن منيع في جبال الأوراس في بلدة (تازروت) ومن هناك كان يوجه الضربات المتتالية لدولة الأغالبة، واعتمد في ذلك على فضح الأغالبة ونشر ظلمهم، وبيان أن حكمهم خارج عن الإسلام وشريعة الرحمان، وأثار الأحقاد القديمة بين الدولة الأغلبية وبعض القبائل، وأعطى عهدًا وموآثيق لرجال وزعماء كتامة أن المستقبل والدولة والتمكن لهم، فخضعت له القبائل وتوالت المدن في السقوط، وغنم غنائم عظيمة واشتد حماس أتباعه، وساعده على ذلك انحلال وضعف دولة الأغالبة وانغماسهم في الترف، وتذمر الناس من الأمراء ومن ظلمهم، وأظهر أبو عبد الله من الحزم والشجاعة والمقدرة السياسية والكفاءة العسكرية ما جعله ثقة لمن حوله من القادة والجنود، فأعطاه ذلك شعورًا بأن الوقت حان لكشف دعوته بأن يدعو للرضى من آل البيت النبوي الذي سيظهر عن قريب ويتولى أمور الحكم. وأعلن أبو عبد الله إثر هذا النصر الحاسم على الأغالبة أن الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي وأنه قريبًا سيصل إلى بلاد المغرب ويظهر العدل والمساواة، فانضم إليه بعض قادة الأغالبة، وأصبح جيشه مائتي ألف مقاتل لكي يدافعوا عن المذهب الشيعي الإسماعيلي

والدولة الجديدة، ومعلوم من دراسة التاريخ أن الانتصارات تستحوذ على عوام الناس ويظنون أن المنتصر على الحق، ومع الإشاعة الشيعية القوية والانتصارات الملموسة وإيمان الناس بالمهدي المنتظر، أصبح الناس قادة وجنودًا لا رأي لهم ولا عقل، بل مثل الآلات في التنفيذ، وحاول أبو عبد الله الشيعي أن يعتمد في نشر مذهبه بالدعاية والمناظرة لإقناع علماء السنة والجماعة من أمثال عثمان بن سعيد الحداد، إلا أنه أسقط في يديه عندما أقاموا الحجة عليه وعلى دعائه، ولذلك اضطر أخو أبي عبد الله الشيعي (أبو العباس) أن يستخدم القوة لقلع مذهب أهل السنة والجماعة من عاصمة الشمال الإفريقي، فمارس مع علماء أهل السنة أصناف العنف والشدة والتعذيب وضربوا الفقهاء بالسياط وقطعوا ألسنة بعضهم، وضربوا الرقاب، وقطعوا أجزاء الجسم إلى عدة أجزاء، وصلبوا الفقهاء، وصادروا الأموال، وبطحووا الناس على ظهورهم وأمروا عبدهم بأن يدوسوهم بالأقدام. وأرسل إلى عبید الله المهدي وابنه القاسم للمجيء إلى القيروان، وتولى عبید الله المهدي الذي أعلن قيام الدولة الفاطمية التي نسبها إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله - ﷺ - لخداع الناس وتضليلهم.

وبدأت الدولة الفاطمية المزعومة تسعى للقضاء على الخلافة العباسية خصوصًا بعد أن تمكنوا من القضاء على دولة بني مدرار في سجلماس، ودولة رستم في تيهرت، ودولة الأغالبة في إفريقية (تونس)¹. وكطبيعة الثورات تخلص عبید الله المهدي من أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس بالقتل، وبمؤامرات متتالية وكل من كان من أنصارهم².

وقال الصنهاجي: " واستقر عبید الله بالمهدية، وقتل أبا عبید الله الداعي وأخاه أبا العباس بن زنادة يوم الثلاثاء سنة 298هـ ببستان في القصر، وأمر بهما فغسلا وكفنا وصلى عليهما وأقبل على أبي عبد الله فقال: رحمك الله أبا عبد الله وجزاك الله في الآخرة بتقديم سعيك، والتفت إلى أبي العباس فقال: ولا رحمك الله يا أبا العباس فإنك صددته عن السبيل وأوردته موارد الهلاك ثم قرأ: ﴿ وَمَنْ

¹ أي استطاعوا أن يقضوا على ثلاث دول في ظرف قياسي.

² الصَّلَّابِيُّ: علي مُجَدِّد "الدولة الفاطمية"، ص46

يَعْتَشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ وَ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴿ الزخرف: ٣٦، وأمر

بدفنهما في موضعهما الذي قتلا فيه من البستان، ثم قتل جميع من والاهما من شيوخ كتامة، وقيل؛ لأنهما ارتدا عليه وقالوا لكتامة: إنا غلطنا فيه وإن الإمام الذي دعونا إليه له علامات، ويأتي بآيات، ويطبع بخاتمه في الحجر كما يطبع في الشمع، وخلص لعبيد الله الأمر، وصفا له الملك فملك إفريقية كلها والمغرب بأسره، وطرابلس وجربة وصقلية.¹

وقال المقرئزي: "فأمر حينئذ بقتل جماعة، وأعد رجالاً لأبي عبد الله وأخيه أبي العباس، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبي عبد الله، فقال: لا تفعلوا، فقالوا له: "إن الذي أمرتنا بطاعته هو الذي أمرنا بقتلك"، فقتل هو وأخوه، وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة، وصلى عليه المهدي، وقال: رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيراً بجميل سعيك. وثار فتنة بسبب قتلها، ووجد أصحابها السيوف، فركب المهدي وأمن الناس فسكنوا، ثم تتبعهم حتى قتلهم... وكان أبو عبد الله من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون، أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال.

ولما قتل أبو عبد الله واستقام أمر المهدي عهد إلى ولده أبي القاسم بالخلافة، ورجعت كتامة إلى بلادهم فأقاموا طفلاً، وقالوا: هذا هو المهدي، ثم زعموا أنه يوحى إليه، وزعموا أن أبا عبد الله لم يمت، فبعث إليهم المهدي ابنه أبا القاسم، فقاتلهم حتى هزمهم، وتبعهم إلى البحر، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وقتل الطفل الذي أقاموه.²

فنحن نرى كيف تخلص أبو عبيد الله المهدي من مؤسس دولته، والذي كان له الفضل في قيامها، وبهذا يتبين أنهم لم تكن بينهم علاقة نسب أو شرف أو عقيدة، وإنما تربطهم مصالح، فجزاه بالقتل هو وأخاه أبو العباس كما فعل العباسيون بداعيهم ومؤسس دولتهم أبي مسلم الخراساني، وأبو عبد الله الشيعي كان في الحقيقة هو المؤسس للدولة العبيدية؛ لأنه كان يتمتع بدهاء ومكر وزهد وعلم،

¹ الصنهاجي: مجد بن علي القلعي، "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"، ت: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص44

² المقرئزي: أحمد بن علي الحسيني العبيدي "اتعاظ الخنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"، ج1، ص68

ومع ما قاساه في تأسيس هذه الدولة؛ لم يتمتع فيها بما كان يرجوه من علوّ الهمة، فخر الدنيا والآخرة، وهو الذي أخرج المهدي من السجن قبل تأسيس الدولة، وتسليم الأمر له، ولكن جزاه بالقتل هو وأخاه، وهذا جزاء كُِّلِّ من يؤسس دولة لغيره.

وقد انتقد كثير من العلماء العلامة ابن خلدون والمقريزي في إثبات نسب الفاطميين، من بينهم العلامة ابن حجر في كتابه (رفع الإصر)، وفسر حماسة ابن خلدون في إثبات نسبهم إلى أنه لا ينتمي إلى آل البيت، فنجده يقول: "والعجب أن صاحبنا المقريزي كان يفرط في تعظيم ابن خلدون، لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبّيد، الذين كانوا حُلفاء بمصر، وشهُرُوا بالفاطميين، إلى عليّ، ويخالف غيره في ذلك، وَيَدْفَعُ مَا نُقِلَ عن الأئمة في الطعن في نسبهم، ويقول: إنما كتبوا ذلك المحض مراعاة للخليفة العباسي. وَكَانَ صاحبنا ينتمي إلى الفاطميين فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم، وغفل عن مُراد ابن خلدون، فإنه كان لانحرافه عن آل عليّ يثبت نسبة الفاطميين إليهم، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة، وادعى الألوهية كالحاكم، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض، حتّى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة. وكانوا يصرّحون بسبّ الصحابة في جوامعهم ومجامعهم، فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل عليّ حقيقة، التصق بآل علي العيب، وَكَانَ ذلك من أسباب النفرة عنهم، والله المستعان"¹.

وقال القاضي أبو عبد الله بن حماد في كتابه أخبار ملوك بني عبّيد: " وكان مما أحدث عبّيد الله المهدي أن قطع صلاة التراويح، وأمر بصيام يومين قبل شهر رمضان، وقتت في صلاة الجمعة قبل الركوع، وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة، وأسقط من أذان الصبح (الصلاة خير من النوم) وزاد (حي على خير العمل مُجَّد وعلي خير البشر)، وبعد الأذان يدعو المؤذن للإمام، ويصلي عليه

¹ ابن حجر: أبو الفضل العسقلاني " رفع الإصر عن قضاة مصر " ، ت: علي مُجَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:1،

1418 هـ - 1998 م، ص 237

وعلى آباءه وأبنائه بصيغة نسجتها يد السياسة دعاية لهذه الحكومة، وكذلك كان الأذان مدة حكم بني عبّيد¹

والناظر في التاريخ يرى فعلاً أن نسبهم كان في سرية تامة، ولم يذكره حتى بعد تأسيس دولتهم ولم يفصحوا عنه، ناهيك عما كان يحيط بهم من سرية تامة في بداية دعوتهم، ومقولة المعز لدين الله الفاطمي بعد توجيه سؤال له من العلويين المصريين في مجلسه، فسل نصف سيفه، وقال: " هذا نسي، ونثر عليهم ذهباً وقال: هذا حسي"²، وهذا يدل على أن دولته قوية بالمال والنفوذ، وليس بالحسب والنسب، وكذلك المحضر الذي وقعه الخليفة المقتدر في بغداد بحضور جمع من العلماء منهم القاضي أبوبكر الباقلاني بالطعن في نسبهم. وكذلك نجد أكبر مؤلف في عصرهم والذي وصلتنا كتبه وهو القاضي النعمان القيرواني³، وكان صديقاً للمعز الفاطمي وأكبر دعائه وقاضيه، لم يذكر في كتبه التي وصلت لنا نسبهم، وهذا ما يطرح السؤال؟ ويؤكد الطعن في نسبهم، وكذلك الأسماء الغريبة التي كان يتسمى بها خلفاؤهم مثل: الحاكم بأمر الله، والقائم بأمر الله!... مما يدل دلالة واضحة على أنهم كذابون، ويستميلون العامة بهذه الألقاب، وسمّوا دولتهم بالفاطمية نسبةً إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول - ﷺ - وكل هذا تمويه فقط، وأكثر المؤرخين أن أصولهم من إيران أو يهود حاولوا القضاء على الدولة العباسية ومحاربة أهل السنة والجماعة، فلم يقدرُوا عليها في عقر دارها، فأتوا من الغرب، واستطاعوا بعد خداع العامة وانتسابهم المكذوب لآل البيت أن يؤسسوا دولتهم، ووصلت إلى ما وصلت إليه كما تقدم، وكان انتقالهم إلى مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي وكان هذا في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، حيث استطاعت جيوش المعز

¹ الملي: مبارك بن مُجّد "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، ج:2، ص:133

² ابن تغري بردي: يوسف أبو المحاسن، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج:4، ص:77

³ فقيه وقاضي فاطمي، كان اسمه مثل أبو حنيفة صاحب المذهب؛ فأسمه: القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله مُجّد بن المنصور، كان مالكي المذهب، ثم اتقل إلى مذهب الرافضة، ثم تولى القضاء في الدولة الفاطمية، توفي سنة 363 هـ، له كتب كثيرة منها: (ابتداء الدعوة للعبّيين)، وكتاب (الأخبار)، وكتاب (اختلاف أصول المذاهب) وغيرها. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج:5، ص:415

دخول مصر بقيادة خادمه جوهر الصقلي، وجوهر الصقلي هذا هو الذي بنى الأزهر سنة 361هـ ليكون منبراً من منابر العبيديين الروافض في بث معتقداتهم الباطلة وأفكارهم الفاسدة، ثم تحول بفضل الله ثم جهود صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على العبيديين في مصر إلى قلعة من قلاع أهل السنة، وبعد أن مهدت مصر للمعز العبيدي جهاز جيوشه وحاشيته وأهله وأمواله، وسار مفرقاً شمال إفريقيا إلى مصر، ليتولى أمرها، ودامت دولة الفاطميين 260 سنة، منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب، ومائتان وثمانين سنوات بمصر، وعدد خلفائها أربعة عشر خليفة، أولهم عبيد الله المهدي المؤسس، وآخرهم العاضد الذي توفي بمصر يوم عاشوراء سنة 567هـ، وبموته انقرضت دولة الفاطميين من المشرق والمغرب، وبقي منهم بمصر بقية إلى أن قضى عليهم نهائياً صلاح الدين الأيوبي، وحول الخطبة باسم أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله العباسي في بغداد، بعد انقطاعها منذ استيلاء الفاطميين على مصر لمدة طويلة، وهي أزيد من مئتي سنة، وتسلم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قصر الخلافة، واستولى على ما كان به من الأموال والذخائر، وكانت هذه الفعلة من أشرف أفعاله، رحمه الله ورضي عنه¹.

لاشك أن الحالة السياسية التي كانت سائدة في عصر مكّي بن أبي طالب، لها تأثير على علمه وثقافته وبيئته، وسنحاول قدر الإمكان التعرض لهذه الحالة التي كانت بارزة في عصره.

ولد الإمام مكّي بن أبي طالب في عز الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب العربي، وكان الخليفة في وقته هو: **المعز لدين الله أبو تميم** معد الفاطمي، وهو الرابع من خلفاء بني عبيد في المغرب، وهذا قبل انتقالهم إلى مصر، كما تروي كتب التاريخ، وكما هو مشهور أن الدولة الفاطمية قامت في المغرب ثم انتقلت إلى مصر، ودامت هذه الدولة الشيعية الباطنية أكثر من قرنين، وكانوا ينسبون إلى آل البيت، ومعلوم في تاريخ الدولة الفاطمية ما قامت به من محاربة أهل السنة والجماعة والتضييق عليهم؛ لأن فكر وعقيدة الدولة هي: عقيدة باطنية في مذهب شيعي، فحاربت علماء السنة ونصبت لهم أشد العداة وقامت بنشر الفكر الباطني مختلطاً بالفكر الشيعي من الاعتقاد

¹ ينظر: ابن تغري بردي: يوسف الظاهري، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج5، ص340، بتصرف.

بالشركيات؛ مثل: عقيدة الحلول وسب الصحابة وغيرها، وكان السبيل الوحيد للعلماء هو الهجرة، وهو ما قام به مكّي بن أبي طالب من الهجرة إلى مصر ثم إلى الأندلس، لأن هذه الأخيرة لم تكن تابعة للدولة الفاطمية، فاستعصت عليهم، وكانت حينها من أقوى الدول في المنطقة، وقد قضى الفاطميون على ثلاثة دول بالمغرب وهي: دولة الأغالبة والرستمية ودولة بني مدرار، وهناك من العلماء من رجح القضاء حتى على الدولة الأموية بالأندلس لو بقي الفاطميون بالمغرب، نظراً لما كانت تتمتع به من قوة وازدهار في بداية أمرها، وكانت هذه الحكومة العبيدية لا تعترف بأي حكومة أخرى، فكانت ترسل الدعاة إلى كافة النواحي الإسلامية بغض النظر عن بلاد الكفر، وكانت هناك هيئة خاصة بالدعاة، والداعي يدعي باسم الإمام المعصوم، وبهؤلاء استطاعت أن تبسط نفوذها على المغرب ومصر والحجاز والشام واليمن، ويقال إنها استطاعت أن تبث الدعاة حتى في حكومة بغداد والاستيلاء عليها وإحاقها بالخلافة في مصر مدة من الزمن في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي.¹

ونحن نرى التناقض في هذه الدولة العبيدية، فكان من المفروض بث الدعوة ونشر الدين الإسلامي في بلاد الكفر وليس في بلاد الإسلام، والذي قامت به هو العكس؛ فكانت مركزة في دعوتها وفتوحاتها على البلاد الإسلامية ومغضة الطرف عن بلاد الكفر، ويقال إنها كانت تتحالف معهم على بقية الشعوب الإسلامية، وكانت تجبر الناس على العمل بمذهبها، فتشيع كثير من أهل العالم رغبة أو رهبة، وامتنح الكثير من العلماء في التقيّد بالمذهب الباطني، وعذب وقتل منهم الكثير. أما مصر التي هاجر لها مكّي بن أبي طالب، فكانت عند مولده في حكم كافور الإخشيدي، وهي على مذهب السنة والجماعة، وتابعة اسمياً للخلافة العباسية في بغداد، ومستقلة بالحكم من قبل كافور الإخشيدي.

ورحلات مكّي بن أبي طالب حسب التعريف المقدم، كانت رحلاته من القيروان وهي مسقط رأسه، ثم مصر، ثم الشام، ثم مكة، ثم الاستقرار والوفاة بالأندلس. فالقيروان التي تلقى تعليمه

¹ المليبي: مبارك بن محمد "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، ج2، ص138

الأول بما كانت تحت حكم الفاطميين، والسنة التي ولد فيها مكي بن أبي طالب، وهي سنة 355هـ، هي التي أستقل فيها كافور الإخشيدي بالحكم في مصر استقلالاً تاماً¹، وكان كثير التردد بين القيروان ومصر، وهذه المناطق هي التي كثر تلقيه للعلم بها، ثم الشام ومكة، وكل هذه المناطق في ذلك العصر كانت تحت حكم الفاطميين ماعدا العراق فتابعة للخلافة العباسية، مع بدء الضعف والانحيار فيها، وتذكر كتب التاريخ أنه كانت هناك عدة محاولات لضم بغداد للخلافة الفاطمية، ومعلوم ما كان هناك من حقد بين الفاطميين والعباسيين، من كون الفاطميين يدعون بالانتساب إلى الإمام علي وفكرهم الباطني الشيعي، والعباسيون من كونهم أبناء عبد الله بن عباس الصحابي الجليل - عليه السلام -، وعلى مذهب أهل السنة والجماعة، والحقد الناشئ بينهم وبين أبناء الإمام علي من أول ظهور دولتهم.

وبما أن مكي بن أبي طالب ولد سنة 355هـ، وسافر إلى مصر وعمره 13 سنة فيكون هذا في سنة 368هـ، وهذه السنة حسب كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، كان الحكم بيد العزيز نزار وهو أبو منصور العزيز بالله بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي ثم المصري، ثاني خلفاء مصر من بني عبيد، والخامس من المهدي إليه ممن ولي من آباءه الخلافة بالمغرب، وكان مولده بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب في يوم عاشوراء سنة أربع وأربعين، وقيل: سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة للهجرة، وخرج مع أبيه المعز من المغرب إلى القاهرة ودام بها إلى أن مات أبوه المعز معد بعد أن عهد إليه بالخلافة، فولي بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة للهجرة وله اثنتان وعشرون سنة، وملك مصر وخطب له بها، وبالشام والمغرب والحجاز، وحسنت أيامه، وكان القائم بتدبير مملكته مولى أبيه جوهر القائد، وكان العزيز كريماً شجاعاً سيوساً، وفيه رفق بالرعية، ثم سار بجيوشه ومعه توابيت آباءه فنزل إلى الشام، ووصل إلى بانياس، فأخذه مرض القولنج وتزايد به حتى مات منه وهو في الحمام في سنة ست وثمانين وثلاثمائة للهجرة، وقيل في

¹ ينظر: ابن تغري بردي: يوسف الظاهري، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج4، ص11، بتصرف.

وفاته غير ذلك أقوال كثيرة، منها أنه مات بمدينة بلييس من ضواحي القاهرة، وقيل: إنه مات في شهر رمضان قبل خروجه من القاهرة في الحمام، وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر. وكانت مدة ولايته على مصر إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأياماً، وتولى مصر بعده ابنه أبو علي منصور الملقب بالحاكم بأمر الله الآتي ذكره إن شاء الله. وكان العزيز ملكاً شجاعاً مقداماً حسن الأخلاق كثير الصفح حلماً لا يؤثر سفك الدماء، وكانت لديه فضيلة، وله شعر جيد، وكان فيه عدل وإحسان للرعية. قلت: وهو أحسن الخلفاء الفاطميين حالاً بالنسبة لأبيه المعز ولابنه الحاكم، على ما يأتي ذكره إن شاء الله.¹

هذا بالنسبة للدولة الفاطمية التي عاصرها مكّي بن أبي طالب في مدينته القيروان²، ثم انتقلها إلى مصر، ورحلته من مدينته القيروان إلى مصر، وعمره آنذاك 13 سنة حسب ما تقدم، ورجوعه إلى القيروان للمرة الثانية ثم العودة مرة أخرى إلى مصر في سنة 377هـ، وكل هذا في خلافة العزيز نزار الفاطمي، ثم ذهابه للحج والشام وتردده بين هذه المناطق - مكة والشام ومصر والقيروان - وحجه أربع حجج متوالية، والمغادرة أخيراً إلى الأندلس سنة 393هـ والإقامة بها حتى وافته المنية سنة 437هـ، فقبل سنة 393هـ كانت مصر والشام والحجاز تحت حكم الفاطميين والخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي استلم الحكم بالمغرب ثم انتقل إلى مصر، وهو أول من ملك مصر من بني عبيد، قال ابن عذاري: " وذلك أنه لما توفي كافور الإخشيدي أمير مصر، بعث المعز لدين الله القائد أبا الحسن جوهرًا إلى مصر بالعساكر فافتتحها يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان. وأقيمت الدعوة للمعز، يوم الجمعة الموفي لعشرين شعبان من سنة 358هـ، ودعا له بمكة في موسم هذه السنة، ودعا أبو مسلم العلوي بالمدينة للمعز، ثم أقيمت له الدعوة بالشام".³ ومن

¹ ابن تغري بردي: يوسف الظاهري، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج4، ص114

² وكانت تحكم معظم المغرب تقريباً باستثناء الأندلس، وقد نشأت أول ما نشأت في القيروان بزعامة أبي عبيد الله المهدي، ثم انتقلت إلى المهديّة. وكانت تحكم من ليبيا إلى المغرب الأقصى تقريباً، مع التنارع على بعض مناطق النفوذ مع الدولة الأموية في الأندلس، وكانت عاصمتها في أول الأمر القيروان، ثم المهديّة ثم القاهرة بعد انتقالها إلى مصر.

³ ابن عذاري: أبو عبد الله المراكشي، "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، ت: ج. س. كولان، إ. ليفي

بروفنسال، ط:3، 1983 م، دار الثقافة، بيروت، ج1، ص222

خلال هذا نلاحظ كيف أصبحت الدولة الفاطمية تسيطر على كافة العالم الإسلامي تقريباً، المغرب ومصر والشام والحجاز واليمن. باستثناء الأندلس والتي هي بيد الأمويين وبغداد تحت حكم العباسيين، وقال صاحب النجوم الزاهرة: "وقدم جوهر القائد إلى الديار المصريّة ففتحها؛ وزالت دولة بني الإخشيد من مصر وانقطع الدعاء منها لبني العباس، وكانت مدّة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدأت دولة بني العباس إلى أن قدم القائد جوهر المعزّي وخطب باسم مولاه المعزّ معدّ العبيدي الفاطمي مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة. ومنذ افتتحت مصر إلى أن انتقل كرسي الإمارة منها إلى القائد جوهر ثلاث مائة سنة وتسعا وثلاثين سنة.¹ وحكم المعز من سنة 341هـ حتى سنة 365هـ، وكانت ولايته ثلاث وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، منها: مقامه بمصر، والباقي بإفريقية"²، ثم ابنه العزيز بالله نزار الذي حكم بين سنة (366-386هـ) ثم ابنه الحاكم بأمر الله بين سنة (386-411هـ).

ونستنتج أن مكّي بن أبي طالب قد عاش هذه الأحداث في مصر وغيرها من البلدان التابعة للخلافة الفاطمية في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، ثم ابنه العزيز نزار ثم ابنه الحاكم بأمر الله، ولم يغادر هذه المنطقة إلا في سنة 393هـ أي في خلافة الحاكم هذا، وبقي المغرب تابع للخلافة الفاطمية في مصر إلى سنة 443هـ حيث قطع المعز ابن باديس الصنهاجي الخطبة للفاطميين وخطب للخليفة العباسي في عهد المستنصر بالله الفاطمي³، خامس خلفاء مصر من بني عبيد، والذي في عهده وصلت الدولة الفاطمية إلى العراق وخطب باسمه على منابر بغداد، وشقّ عليه كثيراً انفصال المغرب، وبعث له قبيلتين عربيتين مشهورتين بالفساد كانت في صعيد في مصر، ومن يومها انقطعت دعوة بني عبيد الروافض ولم تقم لهم قائمة في المغرب، قال ابن تغري بردي: "وفيها - أي سنة 443هـ - أقام المعزّ بن باديس الصنهاجي ملك المغرب الدعوة

¹ ابن تغري بردي: يوسف الظاهري، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج4، ص25

² ابن الأثير: أبو الحسن بن أبي الكرم، "الكامل في التاريخ"، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط:1، 1417هـ / 1997م، دار الكتاب العربي، بيروت، ج7، ص339

³ أي بعد وفاة مكّي بن أبي طالب بست سنوات، لأنه توفي بقرطبة سنة 437هـ.

بالمغرب للقائم بأمر الله العباسي، وأبطل دعوة بني عبيد خلفاء مصر من الغرب. وكان المعزّ لدين الله معدّ لما خرج من المغرب وقصد الديار المصرية سلّمها إلى المعزّ بن باديس. فأقام بها سنين إلى أن توفّي، وملكها ابنه من بعده؛ فأقام مدّة سنين يخطب لبني عبيد إلى هذه السنة؛ فأبطل الدعوة لهم وخطب لبني العباس، ودعا للقائم بأمر الله وهو ببغداد. فلم تزل دعوة العباسية بعد ذلك بالمغرب حتى ظهر مُحمّد بن تومرت بالمغرب، وتلقّب بالمهدّي، وقام بعده عبد المؤمن بن علي فقطع الدعوة لبني العباس في أيام المقتفي العباسي".¹

عاش الإمام مكي بن أبي طالب في عهد عز الدولة الفاطمية العبيدية الروافض، حيث كان الرفض والتشيع ظاهراً في حياته، والمناطق التي تسيطر عليها هذه الدولة والتي تنقل فيها، مع ما كان مشتهراً عبر التاريخ، من سيطرة أهل السنة والجماعة على هذه المناطق، حيث كان المذهب المالكي متبع في دول المغرب العربي وبعض مناطق بمصر، والشافعي والحنفي والحنبلي بمصر والشام والحجاز منذ الفتح الإسلامي حتى يومنا هذا، والشيعية في الشرق العربي مثل العراق وإيران وبقية العالم الإسلامي، ولكن في فترة مكي بن أبي طالب امتد التشيع والرفض حتى وصل مصر والمغرب العربي، وانتصر المذهب الشيعي على بقية المذاهب الإسلامية في العامة والخاصة، بفضل تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب. ولما كانت دراستنا مرتبطة بالمفسر مكي بن أبي طالب وتفسيره تعرضنا لأهم الأوضاع السياسية التي عاصرها، واسترسلنا فيها نظراً لخصوصية هذه الفترة وتميّزها عن بقية فترات الحكم الإسلامي.

الفرع الثاني: الحالة السياسية في الأندلس

أما الأندلس التي انتقل إليها في سنة 393هـ؛ وبقِيَ بها حتى وفاته سنة 437هـ، فكانت تحت حكم الأمويين، والأمويون بدأ عهدهم بالخلافة في المشرق بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - وانتهاء العهد الراشدي بخلافة علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، فقامت الدولة الأموية بزعامة معاوية بن أبي سفيان بعد أمور حدثت لا يمكن التطرق لها نظراً لخصوصية هذا البحث، وكانت عاصمتها

¹ ابن تغري بردي: يوسف الظاهري، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج5، ص50

بالمشرق دمشق، وعدد خلفائهم من لدن معاوية إلى آخرهم أربعة عشر رجلاً. وكانت مدة دولتهم، منذ خلع الأمر إلى معاوية إلى أن قتل مروان بن مُجَدِّ الملقب بالحمار آخر خليفة لهم بالمشرق على يد العباسيين، وانقطاع ملكهم من المشرق، إحدى وتسعين سنة، وتسعة أشهر، وخمسة أيام، منها أيام ابن الزبير تسع سنين واثنان وعشرون يوماً. ثم تفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم وخوفاً من بطش بني العباس. وهرب منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى الأندلس؛ فبايعه أهلها وملكها هو وبنوه، وقامت بها دولة بني أمية نحو الثلاثمائة سنة. وتجددت لهم بها دولة استمرت إلى بعد الأربع والعشرين والأربعمئة 424هـ. والناس يعتقدون أن دولتهم كانت انقطعت من حين قتل مروان الحمار إلى أن جددها عبد الرحمن الداخل سنة 136 هـ أو نحوها؛ وقيل إنها كانت متصلة، لم تنقطع من زمن عثمان - ﷺ - إلى زمن المؤيّد بالله بقرطبة آخر خلفائهم سنة 424هـ، وتتبع خلفاء بني العباس الأمويين بالقتل والتشريد، وحتى قبورهم نبشت، فعبر منهم شاب متحمس للخلافة والنجاة بنفسه من بني العباس واجتاز مصر وإفريقيا والمغرب حتى وصل للأندلس بأعجوبة كما يذكر المؤرخون، وكان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي يسمّيه (صقر قريش)، لأنه يقال: "كان إذا ذكر له في مجلسه إذا كان جالساً يقف وإذا كان واقفاً يجلس"، وهذا نظراً لمكانته وقوة سلطانه، وحاول أبو جعفر المنصور القضاء عليه بدعم ثورات في الأندلس مؤيدة للعباسيين لكنها باءت بالفشل، حتى قال: "ما في هذا الشيطان مطمح، فالحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر"، وسمي بالداخل لأنه دخل أرض العجم؛ أو لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكماً على اختلاف الروايات، وجدد ملكاً عظيماً ودانت له البلاد والعباد، وانفصلت الأندلس وبقية من بعض مناطق المغرب وإفريقيا عن الخلافة العباسية في عهده باستثناء مصر.¹

والذي يهمنا من هذه المرحلة هي الفترة التي عاش فيها مكّي بن أبي طالب في الأندلس بعد انتقاله إليها سنة 393هـ، وحتى وفاته بقرطبة سنة 437هـ، ففي هذه المرحلة كانت الدولة

¹ ينظر: ابن عذاري: أبو عبد الله المراكشي، "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، ج2، ص42، بتصرف.

الأموية في الأندلس في آخر عهدها بفضل سيطرة بعض الأمراء على الخليفة والحجر عليه، مثلما كان موجوداً في المشرق عند العباسيين في آخر أيامهم ببغداد، فلم يبق من الخلافة الأموية في الأندلس إلا اسمها، فانتقال مكّي بن أبي طالب إلى الأندلس كان في عهد الخليفة هشام بن الحكم¹.

وكان المتصرف الحقيقي في الدولة هو الحاجب منصور مُجّد بن أبي عامر² أو ما يعرف بالدولة العامرية في الأندلس، ورغم هذا الاستبداد إلا أن الأندلس كانت تنعم بالرخاء والفتوحات والاستقرار بحسن تدبير هذا القائد وسياسته وقيامه بعدة فتوحات ورد الأعداء، وبنى قصره وسماه الزاهرة بقرطبة بعيداً عن قصر الخلافة، وعمّ الرخاء والأمن في أنحاء الأندلس، إلا أنه لم يتسلطن وحافظ على الخلافة الأموية، ولم يخلع الخليفة مع الحجر عليه ومنعه من التصرف في شؤون الدولة ومراقبته، وبلغ من الملك ما لم يبلغه متغلب على الخلافة مثله؛ لأنه احتوى على الملك كله، وصير الخليفة قبضة في يده كالآلة، حتى أنه لم يكن يتفقد له أمرٌ في داره ولا حرمة إلا عن إذنه وعلمه، وجعل متولي قصره من قبله ممن يثق به، وصيره عيناً على الخليفة، لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره. وسلب الخليفة ملكه وجنوده وماله ووصل من الحال التي لم يتمكن لأحد قبله ولا بعده

¹ هشام بن الحكم وهو المؤيد الأموي، من خلفاء بني أمية بالأندلس، وولاه أبوه الحكم وهو المستنصر بالله الخلافة وهو طفل لم يتجاوز التسع سنوات مما أدى إلى سيطرة الحاجب المنصور بن أبي عامر على الحكم، ولم يكن هشام إلا آلة في يده، وكان السبب في سقوط الخلافة الأموية بالأندلس، ولد هشام سنة 354هـ وتوفي سنة 403هـ، ولم يكن له من الخلافة إلا مجرد الاسم فقط. الصفدي: صلاح الدين، "الوافي بالوفيات"، ج 27، ص 205

² مُجّد بن عبد الله بن عامر المعافري القحطاني، وعبد الملك جده، هو الداخل للأندلس مع طارق، في أول الداخلين من العرب، أبو عامر، المعروف بالمنصور ابن أبي عامر: أمير الأندلس، في دولة المؤيد الأموي، وأحد الشجعان الدهاة. ولما مات المستنصر الأموي كان المؤيد صغيراً، وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لأم المؤيد سكون البلاد واستقرار الملك لابنها، وقام بشؤون الدولة، وغزا وفتح. ودامت له الإمرة 26 سنة، غزا فيها بلاد الإفرنج 56 غزاة، لم ينهزم له فيها جيش، وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد - وهو محتجب عن الناس - والملك لابن أبي عامر، لم يضطرب عليه شيء منه أيام حياته، لحسن سياسته وعظم هيئته، وبنى مدينة الزاهرة بشرقي قرطبة على النهر الأعظم، محاكياً للزهراء، وجاست خيله في أماكن لم يكن خفق فيها علم إسلامي ووصل إلى جنوب فرنسا، وولد سنة 326هـ، ومات في إحدى غزواته بمدينة سالم سنة 392هـ، ولا يزال قبره معروفاً فيها، ولبعض العلماء تصانيف في سيرته، منها كتاب لابن حيان. الزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ج 6،

مثلها؛ وفي عهده يُقال: إن الدولة الأموية وصلت إلى المغرب الأقصى وملكّت بعض مدنه مثل سبتة وغيرها بفضل هذا القائد المنصور ابن أبي عامر، وكان أول من ملك المغرب الأقصى من قادة بني أمية، وكان مقرباً للعلماء وبيني المساجد وينفق عليها الأموال الطائلة، وفي رأيي هذا السبب من مجيء مكّي بن أبي طالب من القيروان إليه، واستلامه الخطابة والتدريس في قرطبة بحواله أعلم.. وفي سنة 392هـ، توفي المنصور ابن أبي عامر - رحمه الله - ليلة الاثنين لثلاث بقين لرمضان المعظم، وهو ابن خمس وستين سنة وعشرة أشهر؛ وكان له من الولد الذكور يوم وفاته اثنان، وهما عبد الملك وعبد الرحمن الناصر؛ فكانت مدة قيامه بالدولة منذ تقلده الحجابة إلى أن توفي خمساً وعشرين سنة، وأربعة وأربعين يوماً. وترك من الأموال الناضرة بالزاهرة أربعة وخمسين بيتاً. وكان عدد الفرسان المرتزقين¹ بحضرته ونواحيها، الذين حارب بهم الحروب، عشرة آلاف وخمسمائة، وأجناد الثغور قريباً من ذلك.²

ومكّي بن أبي طالب كان في عهد الدولة العامرية بالأندلس، إلا عند قدومه كان قد توفي المنصور ابن أبي عامر، لأن مكّي بن أبي طالب قدم إلى قرطبة سنة 393هـ، والمنصور ابن أبي عامر توفي سنة 392هـ، أي قبل قدوم مكّي بن أبي طالب بسنة، وخلفه ابنه المظفر بن أبي عامر في الحجابة على عادة أبيه واستمرت الدولة العامرية بالأندلس من سنة 368هـ، حتى سنة 399هـ، أي قبل قدوم مكّي بن أبي طالب إليها، إلا أن المؤرخين يذكرون لنا بعد وفاة المنصور ابن أبي عامر دخلت الأندلس في حالة من الفوضى وعدم استتباب الأمن، مما اضطر إلى القضاء على الدولة الأموية وظهور ما يسمى بدول أو ملوك الطوائف، وعاش مكّي بن أبي طالب كل هذه الفتن في الأندلس حتى وفاته سنة 437هـ، فبعد موت المنصور ابن أبي عامر جاء بعده ابنه عبد الملك المظفر، وكان مثل أبيه في الحجر على الخليفة والقبض بسلطة الدولة، ودام حكمه سبع سنوات ثم توفي سنة

¹ الجنود النصارى الذين يجارون مع الجيش الإسلامي بأجرة. ينظر: المراكشي: عبد الواحد التميمي، " المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين"، ت: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط: 1، 1426هـ - 2006م، المكتبة العصرية، بيروت، ص 99

² ابن عذارى: أبو عبد الله المراكشي، " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، ج 2، ص 301

399هـ، وجاء أخوه عبد الرحمن بن أبي عامر وتلقب بالناصر، ودام تمسكه أربعة شهور، وكلها سلسلة من الاضطرابات والفتن؛ حيث تم خلع الخليفة المؤيد هشام، وجاء بعده مُجَّد بن هشام بن عبد الجبار وتلقب بالمهدي،¹ وكل هذا في سنة 399هـ، وانتهت خلافة المؤيد الصورية التي دامت 33 سنة، وكان كالألة في يد العامريين، وتم إلقاء القبض على عبد الرحمن الناصر ابن أبي عامر، فقتل وصلب، وانتهت بقتلته الدولة العامرية من الأندلس في التاريخ المذكور سنة 399هـ، ولم يكن الأخوين عبد الملك وعبد الرحمن من الحزم والدهاء وحسن التدبير مثل أبيهما المنصور ابن أبي عامر في التمسك بزمام الأمور، وسادت الاضطرابات والفتن الأندلس بعد مقتل عبد الرحمن الناصر، ولم تتسبب هذه الفتنة في سقوط دولة بني عامر وحدها؛ بل تعدتها إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، وأخذت الطوائف والقبائل تتناحر فيما بينها، والأندلس في حينها كانت بها قبائل عربية وبربرية ومولدين وأهل بلد، فبانتهاء الدولة العامرية أخذت الأندلس في التفكك بسبب سيطرة العامريين السابقة، وضعف خلفاء بني أمية لعدة عوامل منها التنافس فيما بينهم على الخلافة، وصغر سن الخليفة فكان يعين خليفة ولم يبلغ الحلم، مثلما رأينا في خلافة المؤيد هشام حيث كان سنه تسع سنوات حين وُلِّيَ الخلافة، وظهر ما يسمى بملوك الطوائف، ولا يسعنا أن نذكر الفتن التي وقعت نظراً لخصوصية هذا البحث، وملوك الطوائف هم عبارة عن أمراء قبائل وقضاة وغيرهم، استغلوا الفرصة بعد سقوط الخلافة الأموية وانتهاء الدولة العامرية بها وأنشأوا دويلات وأقاليم مستقلة عن بعضها البعض، ولا تربطها أي علاقة بجارتها سوى التوسع والنفوذ والتناحر فيما بينها، ويقال إن هذه الإمارات وصلت إلى أكثر من عشرين إمارة، وعمت الفوضى والفتن بلاد الأندلس، وطمع فيها النصارى عدة مرات في استرجاعها، ووقف المد الإسلامي فيها، وعصر ملوك الطوائف يكاد يجمع المؤرخون أنه عصر مستقل بذاته؛ لأنه استمر أكثر من سبعين أو ثمانين

¹ هو: مُجَّد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي، من خلفاء بني أمية بالأندلس، خرج على عبد الرحمان الناصر وقتله وصلبه كما تقدم، وخلع الخليفة المؤيد وسجنه، واستلم الحكم مكانه، وتلقب بالمهدي. ينظر: المراكشي: عبد الواحد التميمي، " المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين"، ص39، بتصرف.

سنة من تاريخ الأندلس،¹ ومفسرنا مكي بن أبي طالب عاش جزءاً من هذه الفتنة، وقد توفي - رحمه الله - في عصر ملوك الطوائف.

واستمرت ملوك الطوائف في حكم الأندلس إلى أن أخذت تسقط في يد الصليبيين، فاستعانوا بالمرابطين - أو الملتئمين كما تذكرهم بعض كتب التاريخ - في المغرب لوقف الزحف الصليبي والاستنصار بهم²، وجاؤوا وأنقذوهم ووحّدوا الأندلس تحت دولتهم المرابطية في المغرب، وذلك بين سنتي 483 - 502 هـ. وعلم ملوك الطوائف أن الاستعانة بالمرابطين تفقدتهم ملكهم، ولكنهم فضلوا الإسلام على الملك والكفر، وقد صرح أحد ملوك الطوائف وهو المعتمد بن عباد، عندما رأى سقوط دول الطوائف المتاخمة والقريبة لمملكته في يد النصارى، وأنه مستهدف لا محالة والخطر قادم، فقال قولته المشهورة: "لئن أرعى الجمال عند يوسف بن تاشفين³ أحسن من رعي الخنازير عند ملك قشتالة⁴"، أو بعبارة أخرى: "لأن أكون سائق جمال في صحراء أفريقية خير من أن أرعى الخنازير في قشتالة"، وقصده أن يسلم الأندلس للمرابطين المسلمين أحسن من تسليمها للنصارى وتصبح بلاد كفر، ولأن يأخذها المسلمون أحسن من الكفار، وهذا موقف عظيم يسجله التاريخ لهذا القائد العظيم⁵.

¹ ينظر: عنان: مُجدد عبد الله، " دولة الإسلام في الأندلس"، ط:4، 1417 هـ - 1997 م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ص3، بتصرف.

² وكان هذا بعد سقوط طليطلة، فأجمعوا لجل ملوك الطوائف مع تحفظ بعضهم على الاستعانة بالمرابطين في المغرب لوقف المد الصليبي. ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص79، بتصرف.

³ يوسف بن تاشفين هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، واستمرت في عقبه، حيث بنى مدينة مراكش وجعلها عاصمة له، وهو أول من عبر الساحل وأخذ الأندلس، وكان يلقب بأبى المصعب ويخطب للخليفة العباسي في بغداد، وأعاد الدعوة العباسية للأندلس بعد انقطاعها لفترة طويلة، ولم تزل الدعوة العباسية وذكر خلفائها على منابر الأندلس والمغرب إلى أن انقطعت بقيام دولة الموحدون التي قضت على المرابطين، واستبدت بالحكم. ينظر المصدر نفسه، ج2، ص298، بتصرف.

⁴ قشتالة كانت أعظم مملكة نصرانية، وتحدد الوجود الإسلامي في ذلك العصر، وكانت أهم مدنها العاصمة الإسبانية مدريد حالياً، وكان ملكها ملكاً قوي، وكان يطمح إلى أن ييسط سيادته على الأندلس كلها، وكان يرى في ممالك الطوائف وما يسودها من الخلاف والتفرق، فرائس هينة. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص216، وص590، بتصرف.

⁵ وهذا نراه دائماً في التاريخ؛ حيث الحكام يستعينون بإخوانهم المسلمين والتنحي عن الحكم أحسن من ترك البلاد فريسة للكفار كما حدث باستعانة بني زيان والحفصيين والسعديين وغيرهم من الدويلات في المغرب بالأترك على غزوات الصليبيين من الإسبان والبرتغال، وكانت هذه الاستعانة سبب في إلحاق بقية المغرب بالإمبراطورية العثمانية آنذاك.

ووجد ملوك الطوائف أمرهم بين متنازعين من الشمال ملك الأفرنج¹ ومن الجنوب دولة المرابطين في المغرب وهم إخوانهم في الدين، وكانوا يكونون لهذه الدولة كل الاحترام والتقدير ويرهبون بها ملك الأفرنج، وقد أرسل ملك قشتالة النصراني رسالة إلى أحد ملوك الطوائف بعد تهديده بالاستيلاء على دولته، بعد أن حذره أنه سيستعين بالمرابطين وكانوا برابرة، وفيها ما يدل على النزعة الصليبية المتجذرة في النصارى حتى يومنا هذا بقوله: "أما استدعاؤكم البرابرة²، فأمر تكثرون به علينا، وتهددونا به، ولا تقدرتون عليه، مع عداوتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم ما نبالي من أتاننا منكم، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم، فقد سكتتموها ما قضي لكم، وقد نُصّرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عدوتكم، واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكنناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم، أو يحكم الله بيننا وبينكم". وقد أرسل ملك النصارى عدة رسائل إلى يوسف بن تاشفين يحذره من التدخل في الأندلس ومساعدة إخوانه هناك، ولكنه رفض وساعد إخوانه وهزم الصليبيين في عدة معارك مشهورة وقعت بينهم؛ من بينها معركة الزلاقة³

¹ ويقال أنه فرض عليهم دفع الجزية وكانت أموال باهضة، تدفع له سنوياً لأنه راها ممالك متناحرة ومتفرقة يسهل القضاء عليها، وكان يسعى إلى التفريق بينها وإشعال نار الفتنة بينهم، وكان كل مرة يغير على مملكة ويجزها ويسلمها للنصارى ويسترق المسلمين فيها، وكان يلقب بصاحب الملتين، وهو صاحب السيادة. عنان: مُجّد عبد الله، " دولة الإسلام في الأندلس"، ج2، ص101، بتصرف.

² قصده المرابطون.

³ جرت في الأندلس سنة 479 هـ؛ بين المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين وبعض ملوك الطوائف على رأسهم المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ضد النصارى الأسبان بقيادة ألفونسو السادس، حتى أتوا أرضاً يقال لها: "الزلاقة" على الحدود الإسبانية البرتغالية حالياً، وانتهت بانتصار إسلامي ساحق، وجرح ألفونسو السادس وهرب في قليل من جيشه ومعظمهم من الجرحى ومات منهم الكثير في الطريق متأثراً بجراحه، تبعها سيطرة المرابطين على كُُل بلاد الأندلس. ومن نتائج تلك المعركة توقف المد النصراني على حدود الأندلس لمدة أربعة قرون؛ إذ حكم المرابطون ثم الموحدون الأندلس. العسيري: أحمد معمور، "موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم - ~~الخلافة~~ - إلى عصرنا الحاضر"، (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، ط:1، 1417 هـ - 1996 م، ص 213

الشهيرة وإقليم¹، واستطاع أن يوحد الأندلس تحت حكم الدولة الإمبراطورية المرابطية الكبرى². واختار ملوك الطوائف التحالف مع دولة المرابطين الإسلامية على دولة الكفر خوفاً من ضياع الأندلس، إلا أن المرابطين لم يقابلوهم بالترحيب بعد استيلائهم على الأندلس وعذبوا الكثير منهم وشردوهم وقتلوهم بأبشع الصور وكتب التاريخ تشهد على ذلك³.

ونكتفي بهذا القدر من تاريخ الأندلس؛ لأن المفسر مكّي بن أبي طالب مات سنة 437هـ؛ في قرطبة، أي في عهد ملوك الطوائف، وكان يخطب بالجامع الذي قلده أبو الحزم بن جهور الخطبة فيه كما ذكرنا سابقاً في تعريفه، وستعرض للتعريف بشخصية أبي الحزم بشيء من التفصيل نظراً لعلاقته بمكّي بن أبي طالب، قال صاحب كتاب المعجب: "ولما انقطعت دعوة بني أمية⁴ ولم يبق من عقبهم من يصلح للإمارة ولا من تليق به الرياسة، استولى على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد بن جهور، ويكفي: أبا الحزم، وأبو الحزم هذا قديم الرياسة شريف البيت، كان آباؤه وزراء الدولة الحكّمية والعامرية⁵، وهو موصوف بالدهاء ويُعد العوّر وحصافة العقل وحسن التدبير. ولم يدخل

¹ وقعت بين المرابطين بزعامة تميم بن يوسف بن تاشفين، وملك إسبانيا ألفونسو السادس في أوائل سنة 501 هـ، وانتصر فيها المرابطون وقتلوا من النصارى زهاء عشرين ألفاً، وقتل فيها سانشو الولد الوحيد وولي العهد لألفونسو السادس، ومات هما وغماً بعده، وكان نصراً عظيماً أعاد ذكريات الزلافة. عنان: محمد عبد الله، "دولة الإسلام في الأندلس"، ج2، ص401.

² المصدر نفسه، ج2، ص100، بتصرف.

³ وجد يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين ملوك الطوائف بينهم خلافات عميقة وتوحدتهم ظاهرياً مخاطر الإسبان، وتحالف بعضهم مع النصارى ضد بعضهم لبقاء ملكهم، وكذلك الجهاد الذي كانت تعلنه دولة المرابطين في الأندلس ضد النصارى كان في بعض الأحيان يخوضه المرابطون لوحدهم دون تدخل ملوك الطوائف ومساعدتهم لها والبلد بلدهم، فكان على يوسف بن تاشفين أن ينسحب من ميدان المعركة ويترك الأندلس فريسة للإسبان، أو أن يعتمد على نفسه وقواته فقط لمواصلة الجهاد، ويتطلب هذا الأمر خلع ملوك الطوائف، فجمع القضاء والفقهاء لهذا الأمر، وصدروا فتوى بمواصلة الجهاد في الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف وضمها لدولتهم في المغرب، وكان هذا في سنة 483 هـ. السامرائي: خليل إبراهيم وآخرون، "تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس"، دار الكتاب الجديد المتحدة - ط:1، 2000 م، بيروت، لبنان، ص255،

بتصرف

⁴ قصده في الأندلس.

⁵ قصده دولة الحكم بن عبد الرحمن، الملقب بالمستنصر بالله، ودولة المنصور بن أبي عامر المتغلب على هشام المؤيد ابن الحكم هذا، كما ذكرنا سابقاً.

من دهائه في الفتن الكائنة قبل ذلك، كان يتصاون عنها ويظهر النزاهة والتدين والعفاف؛ فلما خلا له الجو، وأمكنته الفرصة، وثب عليها، فتولى أمرها، واضطلع بحمايتها.

ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة ظاهرًا، جريًا على ما قدمنا من إظهار سنن العفاف؛ بل دبرها تديبيرًا لم يُسبق إليه، وذلك أنه جعل نفسه ممسكًا للموضع إلى أن يجيء من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك¹. ورتب البوابين والحشم على تلك القصور على ما كانت عليه أيام الدولة. ولم يتحول عن داره إليها، وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم. وصير أهل الأسواق جنودًا له، وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم محصاةً عليهم يأخذون ربحها ورؤوس الأموال باقية محفوظة، يُؤَحِّدُونَ بها ويراعون في كل وقت كيف حفظهم لها، وفرق السلاح عليهم وأمرهم بتفرقتهم في الدكاكين والبيوت، حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو دكانه. وكان أبو الحزم هذا يشهد الجنائز ويعود المرضى، جاريًا على طريقة الصالحين، وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك المتغلبين. وكان آمنًا وادعًا، وقرطبة في أيامه حرمةً يأمن فيه كل خائف. واستمر أمره على ذلك إلى أن مات في غرة صفر سنة 435هـ، فكانت مدة تديبره منذ أن استولى على الحكم إلى أن مات أربع عشرة سنة وأشهرًا. ثم ولي ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه أبو الوليد مُجَّد بن جمهور، فجرى في السياسة وحسن التدبير على سنن أبيه، غير مخل بشيء من ذلك، إلى أن مات أبو الوليد المذكور في سلخ شوال من سنة 443هـ. فغلب عليها - بعد أمور جرت -، الأمير الملقب بالمأمون بن ذي النون

¹ قال عنه المؤرخ مُجَّد عنان إنه بطريقته هذا أبتكر طريقة ما يسمى "بمحومة الجماعة" وهو نوع من نظام الشورى، بحيث الحاكم يرجع إلى الجماعة ويحكم باسمها، ولا يتحمل مسؤولية أي عمل لأن كل تصرفاته في الحكم تصدر باسم الجماعة، وكان هذا الرأي صوابًا في عصر ابن جمهور لما رأى التصارع والتناحر على السلطة. عنان: مُجَّد عبد الله، " دولة الإسلام في الأندلس"، ج2، ص22. وابن بسام: أبو الحسن علي الشنتريني، " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، ت: إحسان عباس، ط: 1، 1978، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ج2، ص603.

صاحب طليطلة¹، فديرها مدة يسيرة إلى أن مات.

وخلف فيها بعده من البربر رجل يعرف بابن عكاشة، أظن اسمه موسى²، فكان بها إلى أن غلبه عليها وأخرجه منها الأمير الظافر بجول الله أبو القاسم محمد بن عباد³ على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

¹ يحيى بن إسماعيل أبو زكريا المأمون بن ذا النون من ملوك الطوائف بالأندلس، وبنو ذي النون من بربر المغرب من قبيلة هواة، اسم جدهم "زنون" وخدموا آل أبي عامر، فخالطوا العرب، وحرف الاسم أو عرّب فصار "ذا النون"، كان صاحب طليطلة، وهي حالياً أواسط إسبانيا، وتسمى توليدو وتبعد نحو 40 ميلاً في الجنوب الغربي من مدريد، ذات تاريخ عربي إسلامي عريق امتد 375 سنة. وغلب المأمون على قرطبة، وملكها من يد ابن عباد المعتمد، وقتل ابنه أبا عمرو في معركة بينهما، وكان هم بني عباد السيطرة على قرطبة ونزعها من بني ذا النون، ولكن بعد انتصار المأمون ودخوله إلى قرطبة بفترة قليلة باغته المنية وتوفي سنة 467هـ، فحكم قرطبة بني عباد، وأصبحت تابعة لمملكتهم بإشبيلية. عنان: محمد عبد الله، "دولة الإسلام في الأندلس"، ج2، ص61

² كان من معاوي ابن السقاء وزير بني جهور رئيس قرطبة، فلما قتل ابن السقاء، قبض عليه فيمن قبض عليهم، وزج إلى السجن ففر من محبسه ولحق بالمأمون بن ذي النون فنصح له وكان شهماً صارماً فولاه بعض الحصون المجاورة لقرطبة، وتفاهم المأمون مع ابن عكاشة على تدبير مؤامرة للفتك بالعباديين وأميرهم، والاستيلاء على قرطبة، فدخلها بعد خلع بني جهور في خبر طويل وقتل أميرها حينئذ عبادا الملقب بسراج الدولة بن المعتمد محمد ابن عباد وبعث برأسه إلى المأمون وهو ببلنسية وذلك في سنة 467هـ، فدخل المأمون قرطبة وأقام بها نحو من ستة أشهر تم توفي في ذي القعدة من السنة المذكورة واحتمل إلى طليطلة فدفن بها وبقي ابن عكاشة بقرطبة نائباً عن القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن ذي النون بعد أن جددت له البيعة بما وبلغ ذلك المعتمد محمد بن عباد فأقبل في جموعه طالباً بئثار ابنه عباد وعلم ابن عكاشة أنه لا طاقة له به فهرب عند ذلك وأسلم قرطبة فدخلها المعتمد وبعث في أثر ابن عكاشة سرية من الفرسان طارده حتى ظفرت به وقتلته، وجيء به فصلب مع كلب إمعاناً في الزراية به. ابن الأبار: محمد بن عبد الله البلنسي، "الحلة السرياء"، ت: الدكتور حسين مؤنس، ط: 2، 1985م، دار المعارف - القاهرة، ص177، وعنان: محمد عبد الله، "دولة الإسلام في الأندلس"، ج2، ص103

³ هو المعتمد على الله محمد بن المعتض بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية، آخر ملوك بني عباد بالأندلس، ولد في باجة "بالأندلس"، وتولى حكم قرطبة وإشبيلية وما حولهما بعد وفاة والده سنة 461 هـ، وكان ألفونس السادس ملك الفرنج قد حاول أن يستولى على قرطبة وإشبيلية فلما لم يكن لدى المعتمد بن عباد قوة لدفعه، أقتعه العلماء والفقهاء بطلب المساعدة من يوسف بن تاشفين ملك المغرب، الذي استجاب لطلبه وانطلق على رأس جيوشه، حتى التقى مع المعتمد بن عباد وسارا إلى الحرب معاً، فانتصرا في معركة الزلاقة سنة 479 هـ، ثم قرر يوسف بن تاشفين القضاء على ملوك الطوائف، فأرسل جيوشه سنة 484 هـ فحاصرت المعتمد بن عباد في إشبيلية ووقع أسيراً وقتل ابنه الراضي والمأمون، وأرسل سجين إلى مراکش ومنها إلى إغمات التي ظل بها إلى أن توفي سنة 488 هـ. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج5، ص21

فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها داراً للملك. وبعد غلبة المعتمد عليها صارت تبعاً لإشبيلية¹. ومن خلال ما قاله المراكشي نستنتج أن أبا الحزم جهور كان في أوله وزيراً في عهد الأمويين وأنه من بيت رياسة وأصل؛ لأن جده كان من أوائل الموالي المسلمين الذين دخلوا الأندلس، وجده يوسف بن بخت بن أبي عبدة الفارسي، مولى عبد الملك بن مروان، وتنقل أجداده في حكم بني أمية في الأندلس خصوصاً الوزارة، ثم في عهد أبي الحزم هذا أصبحت هذه العائلة من ملوك الطوائف، ولكنها لم تسمي خليفة أو سلطاناً ولكن بطريقة الغلبة؛ كالدولة العامرية خوفاً من الفتنة، ودهاء أبي الحزم، وفي عهده نعمت قرطبة بالهدوء والاستقرار، وكانت ملاذاً لكل آمن، وبقي في الحكم أربع عشرة سنة، وتوفي سنة 435هـ، أي قبل وفاة مكّي بن أبي طالب بستين، لأن وفاته كانت في سنة 437هـ، ثم خلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور، ولم تختلف سياسته عن سياسة أبيه، إلا أنه يقال تعرض لشلل نصفي وأقعد على الفراش، ولكن أبا الوليد اضطر نتيجة ظروف عديدة إلى الابتعاد عن ممارسة السلطات، وقدم ولده عبد الملك، ولكن المذكور لم يكن على مستوى من القدرة والسياسة بحيث يتمكن من إدارة حكومة قرطبة، فأهمل شؤون الدولة وعادت الأمور المضطربة مرة أخرى وزادت سوءاً منافسة عبد الرحمن لأخيه عبد الملك في السلطة ومحاولته السيطرة عليها دون أخيه، وتنافس على الحكم ووقعت حينها فتنة كبيرة في قرطبة بسبب هذا التنافس بين الأخوين، وكان الأكبر عبد الرحمن والأصغر عبد الملك، وكان أبوهما الوليد يميل إلى ابنه الأصغر واصطالحا أخيراً على قسمة الحكم بينهما، إلا أن عبد الملك أستطاع أن يستبد بالحكم ويسجن أخاه الأكبر عبد الرحمن واستمر في نفوذه إلى أن قضت عليهم نهائياً دولة بني عباد في أشبيلية وأصبحت قرطبة تابعة لهم وأنهت دولة بني جهور سنة 462 هـ، وأخذ الوليد وأبناه عبد الرحمان وعبد الملك أسيرين في يد المعتمد بن عباد، وبذلك ينتهي حكم بني جهور لقرطبة بعد أن استمر قرابة الأربعين سنة. وسلم المعتمد قرطبة إلى ابنه عباد وكان هذا في سنة 605هـ، وبقي بها إلى أن قضت عليهم دولة المرابطين.

¹ المراكشي: عبد الواحد التميمي، " المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين"،

هذه خلاصة وجود مكّي بن أبي طالب في الأندلس وفي قرطبة بالذات، لأنه جاءها في عهد الدولة العامرية واستلم الخطابة والتدريس بجامعة قرطبة، واستمر بها في عهد الدولة الجمهورية وتوفي بها، وعاصر كل الأحداث والفتن التي ذكرناها. علماً أن قرطبة عرفت نوعاً من الاستقرار في عهد المنصور بن أبي عامر والحسن بن جمهور، ولكن البقية كانت سلسلة من الاضطرابات والفتن، وتوفي مكّي بن أبي طالب بقرطبة ودفن بها سنة 437هـ.

ومن خلال ما تقدم، نستطيع القول: إن الحالة السياسية لعصر مكّي بن أبي طالب؛ تمتاز بعصر مختلف عن بقية العصور الإسلامية، وله وضع خاص، وكان له تأثير على شخصيته وعلمه، وأنه عاش في فترة مليئة بالتغيرات والتحويلات السياسية ولم تعرف استقرار.

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية والثقافية:

الفرع الأول: الدولة الفاطمية

من المعلوم أن الدولة الفاطمية بدأت في المغرب سنة 296 هـ وانتقلت إلى مصر سنة 361هـ، وأصبحت تسيطر على الوضع في المغرب ومصر والشام والحجاز واليمن وحتى العراق في بعض الأحيان، ومفسرنا مكّي بن أبي طالب - كما ذكرنا - عاش بعض الأوضاع في هذه الدولة الشيعية؛ لأنه ولد في عزها، وتنقل في مصر والشام والحجاز وكل هذه المناطق كانت تحت حكمها وسيادتها، وعصر الدولة الفاطمية قسّمه المؤرخون إلى عهدين، عهد السلطة المطلقة للخليفة، وعهد السلطة المطلقة للوزراء، وهذا حدث في أواخر هذه الدولة بحيث لم يبق للخليفة أيّة سلطة وأصبحت كل السلطات بيد الوزير، مما أهّل للقضاء عليها بقيادة الفاتح صلاح الدين الأيوبي، واهتم الخلفاء الفاطميون بالعمارة فبنوا وشيّدوا عدة قصور ومباني ومساجد ومدارس، واعتنوا - كما ذكرنا - بالدعوة للمذهب الشيعي وتطبيقه في المجتمعات الخاضعة لسلطتهم بشتى الطرق، إلا أن المذهب السني كان هو الغالب في معظم الأحيان؛ وهذا نظراً لعدة عوامل، من بينها أن المجتمعات التي كانت تحكمها الدولة الفاطمية كان السواد الأعظم من العوام وغيرهم على المذهب السني وهو فطرة فيها، ففي المغرب كان مذهب الإمام مالك هو السائد عند عامة الشعب، منذ عهد

الأغلبية وقبل قيام الدولة الفاطمية، ويرجع الفضل في انتشاره إلى طبقة من العلماء والفقهاء أمثال أسد بن الفرات،¹ وسحنون بن سعيد التنوخي² الذي يرجع له الفضل في ترسيخ هذا المذهب في المغرب³، فكان من الطبيعي أن يتفاعل المجتمع مع هذا التوجه الجديد في الدين الإسلامي، فحدثت عدة صدامات بين علماء السنة والشيعة بعد تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب وانتقالها لمصر؛ ومحاولة فرض مذهبها الشيعي بالقوة على المجتمع الإسلامي الذي تحكمه، فكان السواد الأعظم يعارض هذا التوجه الجديد، فمن الصعب تغيير عقيدة شعب بين عشية وضحاها⁴، وعند انتقالهم من المغرب إلى مصر كتب جوهر الصقلي وهو قائد الحملة للمعز لدين الله الفاطمي، أماناً للمصريين باحترام المذهب السني⁵، ولم ينفذ هذا الأمان بعد دخول المعز لمصر، وحاربه بشتى الطرق، منها إسناد المناصب السيادية كالقضاء وغيرها إلى الشيعيين، والحكم بالمذهب الشيعي في كل الأحكام القضائية وتحويل المساجد إلى مراكز للدعوة للمذهب الشيعي، مثل مسجد عمرو بن العاص والأزهر وغيرها من المساجد ودور العلم المشهورة، واستحداث منصب داعي الدعاة، وهو بمثابة قاضي القضاة في الدول السنية، وإظهار الشعائر المخالفة لأهل السنة، كالزيادة في الأذان بتمجيد علي - كرم الله وجهه - وحي على خير العمل، والاحتفال الضخم بيوم مقتل

¹ هو مولى بني سليم، وأصله من خراسان، سمع عن مالك موطأه، وتولى منصب قاضي القضاة بالقيروان، وكان من القادة الشجعان في دولة الأغلبية، وهو الذي فتح صقلية وولاه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب على الجيش الذي أرسله لها، وتوفي ولم يستكمل فتحها سنة 214 هـ. أبو العرب: مُجَدِّدُ الإفريقي، "طبقات علماء إفريقية، وتونس"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 81، والزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ج 1، ص 298

² عبد السلام بن سعيد التنوخي، الملقب بسحنون: قاض، فقيه، انتهت إليه رئاسة العلم في المغرب، أصله شامي من مدينة حمص، ومولده في القيروان، ووليَّ القضاء بها سنة 234 هـ، واستمر إلى أن مات سنة 240 هـ، له المدونة في الفقه المالكي وأخباره كثيرة جداً. أبو العرب: مُجَدِّدُ الإفريقي، "طبقات علماء إفريقية، وتونس"، ص 101، والزركلي: خير الدين، "الأعلام" ج 4، ص 5

³ وستعرض لسر انتشار المذهب المالكي في هذه البقعة الإسلامية في المباحث اللاحقة إن شاء الله.

⁴ بوراس: رفيق، "الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية"، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي 2007، جامعة منتوري قسنطينة، ص 21

⁵ سرور: جمال الدين، "تاريخ الدولة الفاطمية"، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 274

الحسين، وعيد الغدير¹ وغيرها من الطقوس الشيعية، وإرغام أهل السنة على المشاركة فيها، وسب الصحابة - ﷺ - في كل المناسبات وحتى في الأسواق والطرقات والأمر بنقشها على البيوت والمساجد والشوارع، ومنع صلاة الضحى والتراويح، مما أحدث عدة صدمات بين الشيعة والسنة، وكان الخلفاء الفاطميون يخففون هذه الأوامر أحياناً خوفاً على الحكم، وكان هذا في عصر سيطرة الخلفاء والوزراء، - كما ذكرنا سابقاً في تقسيم الدولة الفاطمية - ورغم حرص الفاطميين وتعصبهم الشديد لمذهبهم ومحاولة نشره بشتى الطرق، إلا أن الدولة لم تُوفق في تحقيق أهدافها وبقي المذهب السني محتفظاً بقوته في شتى أنحاء الدولة، ولم يعتنق المذهب الشيعي إلا القليل من طبقات الشعب رغبة في تحقيق منصب أو غرض معين، أو الخوف من بطش الحكام، وحتى بعض الخلفاء في الدولة سمحوا بتدريس المذاهب السنية كمذهب مالك والشافعي والحنبلي ومنعوا تدريس المذهب الحنفي لأنه مذهب العباسيين، لأنهم كانوا في صراع معهم - كما ذكرنا سابقاً -، وكان من أهدافهم القضاء على الخلافة العباسية وانتزاع زعامة الإسلام منهم، وكان هذا حسب الظروف، وخصوصاً عندما أصدر الخليفة العباسي في بغداد محضراً حضره عدد كبير من العلماء والأشراف للطعن في نسب الفاطميين، بالإضافة إلى أنهم يعلمون أنهم يحكمون بلاداً أغلبها من أهل السنة والجماعة، فكانوا يتسامحون أحياناً في تطبيق المذهب السني.²

وكان اهتمام الحكام الفاطميين بالمغاربة؛ لأنهم هم الذين ساعدوهم في قيامهم بدولتهم، وانتقلهم لمصر على بقية الشعوب الأخرى، فتبوأوا عدة مناصب سيادية، وكانت المناصب السيادية في الدولة للشيعة، ثم لأهل الذمة كاليهود والنصارى ثم أهل السنة على هذا الترتيب، مما أدى إلى استياء العامة على زيادة نفوذ أهل الذمة في الدولة وحدث تناسب بين بعض الخلفاء والنصارى مثل زواج العزيز بالله بنصرانية، وتعيين يهودي والياً على الشام، مما يدل على زيادة نفوذ هذه الطبقة في المجتمع، وما كانت تتمتع به في عهد هذه الدولة، فاستأثروا بالسلطة والمناصب والثروة،

¹ وهو عند الشيعة بزعمهم يوم وصاية النبي - ﷺ - للإمام علي - كرم الله وجهه - بإمامة المسلمين.

² ينظر: زنوبة: نادى مرسي، "محاضرات في تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية" دار الثقافة العربية، القاهرة، ص165، بتصرف.

وكان الجيش الفاطمي في بداية الأمر يتألف أغلبه من المغاربة البربر وكانوا من خاصة الخليفة، وبرز منهم وزراء عظام أمثال: ابن عمار، ثم في عهد العزيز قرب الأتراك والدَّيلم والسودانيين وشغلوا المناصب السيادية في الجيش مما حدث أستياء المغاربة من هذا التغيير، وحدثت عدة فتن بين هؤلاء الطوائف مما أدى إلى عدم الاستقرار في نظام الدولة وأمنها، والسودانيون كانوا في عهد المستنصر بالله؛ لأن أمه كانت جارية سوداء فاستكثرت منهم، وكانوا في مصر منذ عهد كافور الإخشيدي¹ وبلغ عددهم خمسين ألفاً، وكانت لهم قوة ونفوذ في عهد الدولة الفاطمية، أما الأتراك فبدأ نفوذهم في عهد العزيز بالله الذي استجلبهم وأصبحوا عنصراً مهماً في الجيش الفاطمي، وحدثت صدامات عنيفة بينهم وبين السودانيين، انتهت بهزيمة السودانيين وإجلالهم إلى صعيد مصر، وكانت عطاءات الجند الأتراك كبيرة جداً مما أرهقت اقتصاد الدولة، وأثرت على طبقات المجتمع الأخرى، وكانت الفتن التي يحدثها الأتراك تؤثر حتى على الخليفة الفاطمي، وكادت تعصف بكيان الدولة، ففي عهد المستنصر كان في بعض الأحيان لا يتعدى حكمه مدينة القاهرة²، وكان يُخطب فيها للخليفة العباسي بدل الفاطمي، وكل هذا يدل على الدور الكبير الذي لعبه الأتراك في تاريخ مصر الفاطمية، وأثرهم على الحياة السياسية والاجتماعية العامة، ويأتي الأرمن بعد الأتراك في السيطرة على مقاليد الحكم في الدولة الفاطمية، وكان ذلك في عهد الوزير بدر الجمالي الذي كانت له السلطة المطلقة في الدولة فحاربوا المسلمين، وكان الأرمن جلّهم نصارى، فساهموا في بناء الكنائس والأديرة، وبناءً على هذا نستنتج أن طبقات المجتمع في العهد الفاطمي كانت متعددة، ونفوذها كان حسب اقتضاء الحاكم من ضرب بعضها ببعض وتقريب عنصر على عنصر حسب الأهواء والظروف، وكان الصراع قائماً على أشده بين هذه العناصر المكونة للمجتمع؛ مما ساعد على انهيار سلطان الدولة وزوالها.³ وكان المجتمع في الدولة الفاطمية يتكون من عدة طبقات قسّمها أغلب المؤرخين إلى ستّ طبقات وهي: طبقة الخلفاء ورجال الدولة، ثم طبقة الجند والتجار

¹ أي قبل قدوم الفاطميون إليها.

² وهذه الفتن لا يمكن التعرض لها بسبب خصوصية هذا البحث.

³ ينظر: زنوبة: نادى مرسي، "محاضرات في تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية"، ص 180، بتصرف.

والعامة، ثم العبيد وأهل الذمة من اليهود والنصارى، وكانت هذه الطبقات متباينة في المجتمع، فطبقة الخلفاء ورجال الدولة كانت من أغنى الطبقات وامتازت بالقصور والبساتين والمنتزهات الفاخرة والثراء الفاحش وغيرها من مظاهر التقدم والرخاء، وبسط الخليفة قدسية وعظمة على نفسه؛ لأنه يدّعي أنه شريف ومن آل البيت، فواجب احترامه وتفضيله على بقية الشعوب الأخرى، وهو ممثل الله - ﷻ - في الأرض، بموجب الحق الإلهي، وهو وصي النبي - ﷺ - وعلي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وهو المفسر الأول للشرع ومصدر كل علم بزعمهم، ومدحه الشعراء بقدسية الأنبياء والرسول - ﷺ - ووصفوه بأوصاف إلهية شركية، وحرص كبار الدعاة على تحقيق هذا المعنى والإشارة إلى أن الإمام هو ولي الله - ﷻ -، وتنتقل الإمامة من الأب إلى الابن، أي: يجب أن تكون في الأعقاب بغض النظر عن سنه، وليس هناك شروط خاصة في الخليفة مثل ما هي موجودة عند أهل السنة¹، وهذا ما شجع وصول الأطفال إلى هذا المنصب مثل المستنصر بالله الذي تولى الخلافة وعمره سبع سنوات، وسيطرت النساء وبقية ذوي النفوذ على السلطة الحقيقية في الدولة، مثل ما حصل مع سيدة الملك الأخت الكبرى للحاكم بأمر الله التي سيطرت على الدولة بعد قتل أخيها، وكذلك الوزراء العظام وغيرهم²، واتخذ الحكام ألقاب خلافة مميزة في التعظيم والجلاء، ووصل الحد بالخلفاء الفاطميين إلى ادعاء الألوهية كما فعل الحاكم بأمر الله، وحاول هذا الأخير نقل الحج من الحرم إلى مصر، وذلك عن طريق نقل الحجر الأسود ورفات النبي - ﷺ - والصحابة - ﷺ - وكل الرموز الدينية، وبذلك يشد الناس الرحال من أقطار الأرض إلى مصر، وتصبح العاصمة الفاطمية مقراً لقوافل الحج بدلاً من مكة والمدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام -، وكانت محاولة فاشلة من الحاكم، ولم يكتب لها النجاح، وكان همُّ الخلفاء الفاطميين تحويل مصر إلى عاصمة مقدسة، والخليفة الفاطمي هو الخليفة الشرعي للمسلمين، أما

¹ الدشراوي: فرحات، "الخلافة الفاطمية بالمغرب"، ترجمة: حمادي الساحلي، ط:1، 1994، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، ص418

² ينظر: سيد: أمين فؤاد، "الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد"، الدار المصرية اللبنانية، ط:1، 1992م، القاهرة، ص

117 . 248، بتصرف.

الخليفة العباسي في بغداد والأموي في قرطبة، فهم مجرد شخصين مغتصبين للحكم، وبذلك تمتد سلطته الكلية إلى جميع الأقطار، وهو خليفة الله - ﷻ - في الأرض، وتجب طاعته طاعة عمياء¹، أما طبقة الجنود فكانت هي الأخرى تنعم بالرخاء في عهد الدولة، فقد علم الخلفاء أن تقوية الجيش وأغرائه بالرواتب والعطاءات وكسب وده واستمالتته، له دور كبير في الحفاظ على هيبة الدولة، وتقويتها وتوسعها والاستعانة به على الأعداء والخارجين عنهم، فكانت للجنود رواتب مغرية وإقطاعات من الأراضي، وأسس له ديوان خاص وكان لهم نصيب من الغنائم في الحروب، وكان الجندي المخلص يترقى في الجيش، ويحصل على مكافئة إذا حصل على نصر في مهمته العسكرية، علماً أن الدولة الفاطمية كانت دولة عسكرية من الطراز الأول، وكانت لها قوة عسكرية زاخرة ترهب كل دول العالم آنذاك برية وبحرية، وكان الجيش مزوداً بأجود الأسلحة والعتاد المعروف في ذلك العصر؛ كآلات الحصار والمنجنيق وغيرها، وكان للخلفاء عناية خاصة بصنع السلاح والاستكثار منه². ثم يأتي التجار في المرتبة الثالثة بعد الحكام والجنود، فمن الطبيعي أن تتمتع هذه الفئة بسمعة في المجتمع، بسبب هذه المهنة، وبسبب توفر الرخاء والأمن في الدولة الفاطمية رغم ما كان يتعرض له بعضهم أحياناً من بطش الخليفة ومصادرة ماله، فساهمت الدولة في تنظيم السوق ومراقبة الأسعار، وعدم احتكار السلع خصوصاً في سنوات القحط والمجاعة، بالإضافة إلى دفع الضرائب والمكوس للدولة مقابل حرية التجارة والمرور، إلا أن التجار في الغالب لا يمثلون إلا فئة قليلة العدد في هرم المجتمع، ثم تأتي طبقة العامة من المجتمع وهي الطبقة الكثيرة العدد في أغلب المجتمعات وتمثل السواد الأعظم من الناس، وتتكون من الفلاحين وصغار التجار وأصحاب المهن والصناعات والعاطلين عن العمل، والفقراء والمساكين، ثم تأتي الطبقة الخامسة في المجتمع وهي طبقة العبيد، فكانت تشكل فئة معتبرة في المجتمع في كل الدول في ذلك العصر³.

¹ سيد: أمين فؤاد، "الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد"، ص 113. 115، بتصرف.

² عنان: مُجّد عبد الله، "الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية"، ط:3، 1983م، المؤسسة السعودية بمصر، ص 335، وهو ينقل عن كتابي (الخطط) و(اتعاظ الخلفاء) للمقريري.

³ أما في عصرنا الحاضر لا توجد هذه الطبقة لإلغاء نظام الرقيق.

فكانوا يشتغلون في شتى الوظائف، بالإضافة إلى العمل في قصور الأمراء والحكام والجيش، ومنهم من ترقى إلى أعلى المراتب حسب الظروف والأحوال، ومنهم من كان في الطبقة الكادحة وهم الأغلب، وكان معظمهم سودانيين وصقالبة وروماً، وكانت تحصل عليهم الدولة عن طريق الحروب، وتجارة الرقيق التي كانت مزدهرة في عصرهم، وكانوا يشتغلون في كل الميادين الاجتماعية وفي شتى الوظائف، وعند العامة والخاصة، ثم تأتي الطبقة الأخيرة وهي طبقة أهل الذمة من اليهود والنصارى، فهذه الطبقة كانت موجودة في كل أنحاء الدولة، وكان اليهود يجاورون المسلمين في السكنى والتجارة وغيرها، وكان لهم وضع خاص باعتبارهم من أهل الذمة، وكانت الدولة تقوم بحمايتهم بصفتهم معاهدين وهم رعية من رعيها، مع المحافظة على دينهم وممارسة شعائرهم الدينية مقابل دفع الجزية والضريبة لبيت المال حسب غنى وفقر الرعية، وقد تمكن بعضهم من الترقى إلى بلاط الخلفاء خصوصاً اليهود، وبلغوا أعلى الرتب في الدولة، وخلاصة القول: فإن الأوضاع الاجتماعية لأهل الذمة كانت متحسنة في ظل الحكم الفاطمي؛ بدليل تمكنهم من ممارسة التجارة وبناء دور العبادة والوصول إلى أعلى الرتب في الدولة.¹

هذا من ناحية استقرار الدولة، أما من ناحية الترف والبذخ؛ فكان الخلفاء الفاطميون ووزرائهم فيما بعد، من أغنى طبقات المجتمع، وعرفوا بأنهم من أغنى حكام العالم في ذلك العصر، قال الدكتور عنان: "إن الدولة الفاطمية تقدم لنا ببلادها الفخم، وغناها وجودها وبذخها الطائل، أروع الصور والمناظر الملوكية في تاريخ مصر الإسلامية، وإنه ليصعب على الباحث لأول وهلة أن يتقصى مصادر هذا الثراء العريض، الذي لبثت الدولة الفاطمية - إذا أستثنينا وقت الشدة العظمى - تتقلب في مهاده منذ قيامها بمصر حتى نهايتها، ولقد أورد لنا المؤرخون المعاصرون أو القريبون من العصر مثل المسبحي وابن الطوير وابن المأمون، وابن أبي طي وغيرهم، والمتأخرون مثل المقرئزي والقلقشندي، من الروايات والأوصاف المدهشة للقصور الفاطمية وفخامتها وروعة أبنائها وأثاثها، ومحتويات خزائنها، وضخامة حاشيتها ونفقاتها، وعن مواكب الخلفاء الفاطميين وعظمتها وبذخها

¹ ينظر: بوراس: رقيق، "الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية"، ص80، بتصرف.

ما يذهل ويذكي الخيال، وهذا كله إلى ما امتازت به الخلافة الفاطمية طوال عهدها من الجود، والبذل الغامر، الذي لا مثيل له في تاريخ القصور والخلفاء المسلمين¹. فعاشوا حياة ترف وبذخ، وكانت مظاهره في القصور والاحتفالات الدينية والمناسبات الخاصة والعطايا والهبات؛ فكانت تصرف أموال ضخمة، ووصفه المؤرخون بمظاهر الروعة والانبهار، وكان اهتمام الخلفاء بالغناء والموسيقى من مظاهر الحياة الاجتماعية في العهد الفاطمي².

أما من الناحية الثقافية؛ فقد نشطت في الدولة الفاطمية حركة علمية قوية كان أهمها الانتصار للمذهب الشيعي بدل مذهب أهل السنة والجماعة، ومحاولة من هذه الدولة أن تواجه العامة والعلماء والدول السنية في المنطقة مثل الدولة العباسية ببغداد والأموية بالأندلس، بنشر مبادئ المذهب الشيعي الفاسد، وإعداد الدعاة لنشره وصرفت أموال طائلة في ذلك، وتم بناء عدة مدارس ودور علم لخدمة هذه الأفكار والدفاع عنها، وكان الحكام يقربون العلماء والأدباء والمفكرين وإعطائهم جزيل العطايا لتنفيذ أهدافهم، وكانت القاهرة عاصمتهم مركزاً لدور العلم والعلماء، وكان تأسيس جامع الأزهر³ في عهدهم، وكان مركزاً مهماً للدراسة والعلم، وبه بيوت خاصة للعلماء والطلبة، واهتم الحكام بالمكتبات وتجهيزها بمختلف الكتب في جل العلوم، وكانت أهمها مكتبة القصر الذي وصفها المؤرخون بأنها من عجائب الدنيا بما تحويه من كتب واهتمام الخليفة بها، ومن المراكز الثقافية: دار الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله، وأطلق عليها هذه التسمية نسبة إلى الدعوة الشيعية لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة، وتم جمع العلماء والفقهاء والطلاب في هذه الدار وألحقت بها مكتبة عظيمة سميت دار العلم احتوت على كثير من الكتب في سائر العلوم، وكانت تُعنى بدراسة الفقه الشيعي إضافة إلى اللغة والأدب والطب⁴، وكانت قصور الخلفاء مركزاً لمجالس العلماء والمناظرات والنقاش، وكان الاختلاف بين

¹ عنان: مُجَّد عبد الله، "الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية"، ص 344

² سرور: جمال الدين، "تاريخ الدولة الفاطمية"، ص 144

³ والذي هو مستمر إلى يومنا هذا، وانتقل إلى جامعة كبيرة عريقة.

⁴ سرور: جمال الدين، "تاريخ الدولة الفاطمية"، ص 155

المذهب السني والشيوعي دافعاً للدولة الفاطمية للاهتمام بالعلم والعلماء، وظهرت عدة كتب تدعوا للتشيع وترد على المذهب السني، وقرب الخلفاء الشعراء لمدهم وإعطائهم العطايا والهبات والهدايا لتمجيد الدولة، وأحقّيتهم في الخلافة والانتساب لآل البيت، وكانت كتب العقيدة الإسماعيلية تدرّس بالقوة وتخصّص مكافآت قيمة لمن يحفظها مثل كتاب (دعائم الإسلام¹) للقاضي النعمان، وهو أهم الكتب عند الشيعة، وهو جزءان كبيران؛ الأول في العبادات والثاني في المعاملات والحدود، وهو مرجع الإسماعيلية حتى في عصرنا الحالي²، وكتاب (الفقه) ليعقوب بن كلس³، ولكن رغم هذا الاهتمام بالمذهب الشيوعي إلا أن المذهب السني كان غالباً على الدولة الفاطمية لأنه مذهب عامة الناس، ومعرفة الكثير من العلماء وغيرهم أن الدولة تحاول فرض مذهبها بالقوة والانتصار له، وهذا في عهد الخلفاء، أما في عهد الوزراء فكان منهم علماء برزوا في الدولة الفاطمية أمثال الوزير يعقوب بن كلس الذي ألّف عدة مؤلفات في الفقه الشيوعي والقراءات والفلسفة، بالإضافة إلى مكتبة عظيمة، وقرب بعض الوزراء العلماء والأدباء واهتموا بالعلم وجمع الكتب، وكان لهذه العناية دور كبير في ازدهار الحياة العلمية ومجيء العلماء للقاهرة للاستفادة من دور العلم، ونشطت حركة التأليف في معظم الفنون، نظراً لما وجدته العلماء من تشجيع ورعاية من الحكام، وبرز عدة علماء كبار في عصر هذه الدولة⁴، وكانت الخطب والرسائل السلطانية يُعدُّ لها ديوان خاص يسمى ديوان الرسائل، وله كُتّاب خاص، وكانت تُعدُّ بالفاظ بليغة فصيحة، وتصاغ بأساليب عالية، فكانت سلامة العرض وبلاغته من اهتمام الخلفاء الفاطميين في نشر دعوتهم والدفاع عنها، فكانت تُشرف على عدة أقطار عربية مثل المغرب ومصر واليمن والشام والحجاز، فكانت الألفاظ البلاغية والأساليب البيانية المقنعة تستعمل في مخاطبة الأمم المنضوية تحت لوائها وملوك العالم، حتى توطّد إمامتها وهيبتها السياسية، فكان ديوان الإنشاء الفاطمي قد وُفّق أحسن

¹ اسم الكتاب الكامل: (دعائم الاسلام، وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله - عليه وعليهم أفضل السلام -)

² عنان: مُجّد عبد الله، "الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية"، ص 339

³ سيد: أمين فؤاد، "الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد"، ص 121

⁴ زنوية: نادى مرسي، "محاضرات في تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية"، ص 138

توفيق في أداء مهمته، وأنه أستطاع على يد كبار الكتاب والبلغاء الذين تعاقبوا في ولايته أن يبتكر أروع الأساليب والصيغ البيانية في تدبيح المراسيم والرسائل السياسية¹. ونستطيع القول: إن الحركة العلمية في عهد الدولة الفاطمية كانت تسير بحُطة واسعة نحو التقدم والرقي، وكانت إلى جانب تغليب الدعوة الفاطمية تعني بشتى العلوم المختلفة كالطب والهندسة وغيرها.

الفرع الثاني: الأندلس

بعد وفاة المنصور بن أبي عامر - كما ذكرنا سابقاً - خلفه في الحكم ابنه عبد الملك بن أبي عامر، لأن مفسرنا مكّي بن أبي طالب قدم إلى الأندلس سنة 393هـ، وكان المنصور بن أبي عامر قد توفي سنة 392هـ، أي قبل قدوم مكّي بن أبي طالب بسنة تقريباً، فقلده ابنه المذكور الخطابة والإفتاء في جامع قرطبة، ومعلوم أن في هذه الفترة عاشت قرطبة والأندلس سلسلة من الاضطرابات والفتن الخطيرة عاشها مكّي بن أبي طالب كلها - وقد أشرنا لها سابقاً -، وقد أجمع المؤرخون في هذه الفترة على نهاية الدولة الأموية بالأندلس والتي كانت عاصمتها قرطبة، ولم يبق من خلافتهم إلا الاسم، وهذا نظراً لحجر المنصور بن أبي عامر وأبنائه من بعده على الخليفة الأموي هشام المؤيد بن الحكم، ولم يكن له من الأمر شيء، سوى اسم الخلافة، والسلطة الفعلية في يد المنصور بن أبي عامر، وسنحاول التطرق إلى شخصية المنصور، ومدى إسهامها في الحركة الاجتماعية والعلمية في الأندلس، وحتى المؤرخين استطاعوا إطلاق مصطلح الدولة العامرية على هذه الفترة، وهي فترة تسلط المنصور بن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن من بعده على الحكم والسلطة في قرطبة²، وقد نشأ المنصور بن أبي عامر في بيت علم وأدب أسهم في تكوين شخصيته العلمية، وهو من كبار تلاميذ أبي علي القالي الأديب المشهور صاحب كتاب (الأمالي)، وكان لنشأته العلمية أثر كبير في تقدم قرطبة وازدهارها علمياً وحضارياً، فقرب الشعراء والعلماء وأغدق عليهم العطايا وأكرمهم، ولم يكن سلطاناً مستبداً بالحكم والسيطرة فقط؛ كما تشير إلى

¹ عنان: مُجّد عبد الله، "الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية"، ص 334

² البشري: سعد عبد الله، "الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس"، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي 1997م،

جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 80

ذلك بعض كتب التاريخ، ومن دلائل اهتمامه بالعلم أنه كان يعقد مجالس العلم، ويأتي بالعلماء للمناظرة فيما بينهم كل أسبوع بحضرته، ولم يشغله عن المجلس إلا الجهاد¹، وكانت الحركة العلمية في عهده امتداداً لما سبق في عهد الدولة الأموية، غير أن المؤرخين يأخذون عليه إحراقه لكتب الفلسفة والمنطق والفلك دون التمييز بينها، ولكنّ هذا لا يمنع من اهتمامه بالعلوم الأخرى، غير أن بعض العلماء علّوا إقدام المنصور على هذا العمل، إرضاءً للفقهاء والقضاة في عصره وتقريباً لهم، لأنهم كانوا يرون في الفلسفة خروجاً عن العقيدة الصحيحة في الدين، وكان همُّ المنصور كسب ودّه وعدم تعكير الجو السياسي ضده، وبقي المنصور محافظاً لولائه للعلماء إلى أن وافته المنية بعد عصر حافل بالحضارة والتشديد والجهاد في سبيل الله ومكافحة الأعداء، ولم تخلف الأندلس قائداً مثله في الحفاظ عليها، وبعد وفاته خلفه ابنه المظفر عبد الملك في الحجابة واستمر في الحجر على الخليفة المؤيد هشام، والاستبداد بالسلطة المطلقة، وكان ذلك سنة 392هـ، وواصل الجهاد مثل أبيه، ولم يكن مهتماً بالعلم والعلماء، وعرفت الأندلس أمناً ورخاء في عهده، إلا أنه كان باراً بالعلماء والأدباء، ولم ينقض ما فعله أبوه بالكلية، وقد تمثل ذلك بوجود كثير من العلماء والشعراء بمختلف أصنافهم في بلاطه، ولم يقطع رواتبهم، ولكن ليس مثل أبيه المنصور، ودام حكمه سبع سنوات، وخلفه أخوه عبد الرحمن والذي أسهم في سقوط الدولة العامرية في الأندلس، فقد أرغم الخليفة المؤيد هشاماً أن يجعله ولياً للعهد، ولم يكتف بمنصب الحجابة مثل أبيه وأخيه، مما أسهم في سخط العام والخاص عليه، واستغلوا غيبة عبد الرحمن بن المنصور في أحد غزواته، وقتلوا قائد الشرطة، وخلعوا المؤيد هشاماً بسبب قبوله تولية ولاية العهد لعبد الرحمان، وما لبث أن عاد عبد الرحمن لقرطبة، وتفرق عنه أعوانه وقتل وصلب سنة 399هـ، ودام تمسكه أربع شهور، وموته تنتهي الدولة العامرية من قرطبة والأندلس والتي دامت أكثر من ثلاثين سنة تقريباً، وذلك منذ تسلط المنصور بن أبي عامر على الحكم سنة 368هـ، إلى وفاة ابنه عبد الرحمن هذا

¹ ينظر: المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي، " المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين"، ص37، بتصرف.

سنة 399هـ، ودخلت قرطبة والأندلس في فتنة عامرة لم يسلم منها أحد - كما فصلنا سابقاً في الحالة السياسية¹.

لقد تعرضنا سابقاً إلى هذه الفتنة الخطيرة التي تعرضت لها قرطبة والأندلس عامة بعد زوال الدولة العامرية، لأن لها دوراً كبيراً في الحركة العلمية والحضارية ولها أثر قوي وتأثير على طبقات المجتمع بمختلف أصنافهم، لأن استقرار الدولة وأمنها يساهم إسهاماً كبيراً في تقدم ورقي المجتمع في شتى النواحي العلمية والثقافية والحضارية وغيرها، ومفسرنا عاش جزءاً من هذه الفتنة بقرطبة، فقد برز صراع سياسي وفوضي عامرة بين طبقات المجتمع، فبعد قتل عبد الرحمن العامري، قدّم العرب والأمويون للخلافة مُحمَّد بن هشام ولقبوه بالمهدي، وبحث البربر أيضاً بعد زوال الدولة العامرية على خليفة يضمن لهم الولاء، لأنهم كانوا من أعوان العامريين، ووجدوا أنفسهم قد خسروا الدولة، فقدموا هشام بن سليمان بن الناصر الأموي، إلا أن خصومهم عاجلوهم، وقبضوا على هشام وأمر المهدي بقتله، فبايع البربر سليمان بن الحكم بالخلافة ولقبوه بالمستعين، فدخل في حرب مع المهدي وهزّمه وحاصر قرطبة، واستعان المهدي بالنصارى، ولكن لم يحالفه الحظ، فأخرج الخليفة الأول هشام المؤيد الذي كان محجوراً عليه في الدولة العامرية وبايعه بالخلافة، وكان قصده تهدئة الوضع بعمله هذا، ولكن المستعين والبربر استمروا في مطاردة المهدي إلى أن قُتل، ودخل المستعين قرطبة سنة 403هـ، وبايع الناس هشاماً، ودخلت الأندلس وقرطبة في صراع سياسي طويل، ولم يستطع المستعين ولا هشام ضبط الأمور، وبيعت الكتب من المكتبات الضخمة مثل مكتبة الحكم المستنصر وغيرها من الكتب التي خلفها الأمراء والحكام بأجنس الأثمن في هذه الفتنة، وانتشرت في كافة الأندلس بعدما كانت حبيسة في قرطبة، وكان لهذه الحركة دور إيجابي في نشر العلم في كافة أرجاء الأندلس بعد قيام ملوك الطوائف، فقد أقبل عليها العلماء بالدرس والتحليل والاستفادة منها، لأن مكتبة الحكم بقرطبة كانت مكتبة عظيمة قد حوت أكثر من أربعمئة ألف مجلد، من نفائس الكتب، وعليه فقد تعرضت هذه المكتبة إلى إحراق كتب الفلسفة والمنطق من طرف

¹ ينظر: ابن بسام: أبو الحسن علي الشنتري، " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، ج1، ص44، بتصرف.

المنصور بن أبي عامر كما أشرنا سابقاً، وتعرضت لبيع كتبها بأثمان الأثمان، وتعرضت للنهب بعد دخول البربر إلى قرطبة، وكان له دور إيجابي وسلب في نفس الوقت، وذلك عن طريق تملك كثير من العامة للكتب القيمة وانتشارها في كافة أرجاء الأندلس وغيرها من جهة، وخلوا هذه المكتبة العظيمة من الكتب ونهبها، وبيعها بأرخص الأثمان من جهة أخرى، وكان من آثار هذه الفتنة قتل كثير من العلماء أمثال المؤرخ ابن الفرضي صاحب كتاب (تاريخ علماء الأندلس)، والفقيه مُحَمَّد بن سعيد السري صاحب كتاب (روضات الأخبار في الفقه) وكتاب (عمل المرء في اليوم والليل)، ومُحَمَّد بن قاسم الأموي، وغيرهم¹، وقُتل من أهل قرطبة ما يزيد على أكثر من عشرين ألفاً من خيار الناس وعامتهم² وكان من آثار هذه الفتنة أيضاً خروج كثير من العلماء ونزوحهم من قرطبة إلى المدن الأندلسية الأخرى كطليطلة وبلنسية ودانية وغيرها، مما أسهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بعد القضاء على الدولة الأموية وظهور ما يسمى بملوك الطوائف، وهو عصر جديد له طابعه العلمي والثقافي بالأندلس، وقد خصه العلماء بمباحث خاصة نظراً لتميزه عن بقية العصور التي مرّت بها الأندلس، وينتهي عصر الخلافة الأموية بزوال الخليفة هشام المؤيد آخر خليفة بعد نهاية الدولة العامرية، وقد فصلنا هذا سابقاً في الحالة السياسية، وأشرنا إليه هنا فقط لأهميته ودور هذه الفتنة في الحالة الاجتماعية والثقافية في قرطبة والتي لجأ إليها مكّي بن أبي طالب في آخر حياته، وبقية بها حتى وفاته - رحمه الله - .

وبزوال الدولة الأموية في الأندلس انقسمت إلى عدة دول متناحرة، ولكل منها حاكم وجيش وإدارة منفصلة عن الأخرى ولا رابطة بينهما سوى التوسع والنفوذ، مما أثر على الحركة العلمية والثقافية والأدبية في الأندلس، مما أضطر هذه الدويلات إلى إنفاق الأموال الطائلة على تقوية الجيش وبناء الحصون والقلاع، مما تسبب في ارتفاع الضرائب وثقلها على السكان، وأصبحت مشكلة الحدود الداخلية بين هذه الدول هي الأساس في الحروب التي ظهرت بينها، وأصبح القوي

¹ ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ص 464

² الحميدي: مُحَمَّد بن فتوح الميورقي، "جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس"، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966م،

يستحوذ على الضعيف، والدولة الكبيرة تستولي على الصغيرة وهكذا، وأصبح التوسع والغلبة همّ الأمراء والحكام، لأنهم كانوا متفاوتين فيما بينهم في القوة والضعف والبقاء والزوال، وسبب هذا التنافر بين ملوك الطوائف؛ فقد الوحدة المشتركة في مواجهة الخطر المشترك الداهم المجاور لهم؛ وهو العدو النصراني المتربص بهم، واستغل هذا الأخير الصراع فأجج هذه الفتنة وقرب بعضاً وضرب بعضاً، حتى يسهل له أخيراً القضاء على دولة الإسلام في الأندلس، وظهرت الخيانة والتحالف والاستعانة بالعدو في وقت الحاجة بين ملوك الطوائف، وأصبحت عدة دول تدفع الجزية مقابل الرضاء عليها وحمايتها من الخصم، وكانت آنذاك قوتان عظيمتان، دولة المرابطين من الجنوب في المغرب، والتي برزت كدولة قوية، والممالك النصرانية في الشمال، وهي ثلاثة ممالك، مملكة قشتالة وليون ونفاري، وكان ملوك الطوائف تفرع إما إلى الجنوب وهي دولة المرابطين وهم إخوانهم في الدين، وإما إلى الشمال وهم النصارى العدو المتربص بهم لتحقيق أغراض شخصية، وعندما رأى يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين مدى التنافر والتخاذل والتحالف وعدم اجتماع الكلمة من ملوك الطوائف فيما بينها، وضد العدو المشترك وهو مواجهة النصارى، وسقوط عدد منها في يده من بينها مملكة ذي النون في طليطلة¹، ولم يدرك ملوك الطوائف الخطر الذي ينتظرهم، وهو يقدم لهم المساعدات لمواجهة النصارى أربع مرات متوالية، كما ذكرنا في الحالة السياسية، فجمع الفقهاء والقضاة وأصدر فتوى بالقضاء على ملوك الطوائف، وتوحيد الأندلس تحت الإمبراطورية المرابطية الكبرى، وتم له ذلك.

هذه لمحة موجزة عن زوال الدولة الأموية بالأندلس، وقيام ما يسمى بملوك الطوائف ونهايتها على يد يوسف بن تاشفين المرابطي، ونعود لقرطبة والتي هي موضوع حديثنا؛ والتي لجاء لها مفسرنا مكي بن أبي طالب في آخر حياته، وبقي بها حتى وفاته - رحمه الله -، فبعد زوال الدولة العامرية منها، ومحاولة رد الأمر لبني أمية كما فصلنا سابقاً، وظهور المستعين بالله الأموي، كان معه في جيشه شخصان علويان من ذرية الإمام علي - كرم الله وجهه -، وهما علي والقاسم بن حمود،

¹ إحسان: عباس، "تاريخ الأدب الأندلسي"، دار الثقافة - بيروت، ط: 1، 1962، ص 14

فقوّدهما على المغاربة والبربر، وولى أحدهما على سبتة وطنجة وهو علي بن حمود، وولى القاسم الجزيرة الخضراء، فراسل علي بن حمود البربر في قرطبة وكان عنده ميل لملك الأندلس، وأخبرهم أن المؤيد هشام قد كتب له بولاية عهده في قرطبة فاستجابوا له وبايعوه، وزحف إلى قرطبة واستولى عليها، قال الحميدي: "فراسلهم علي بن حمود المذكور، وقد حدث له طمع في ولاية الأندلس، وكتب إليهم يذكر لهم أن هشام بن الحكم إذ كان محاصراً بقرطبة كتب إليه يوليه عهده، فاستجابوا له وبايعوه، فرحف من سبتة إلى مالقة، وفيها عامر بن فتوح الفائقى مولى فائق، مولى الحكم المستنصر، فأطاع له وأدخله مالقة فتملكها علي بن حمود، وأخرج عنها عامر بن فتوح، ثم زحف بمن معه من البربر، وجمهور العبيد إلى قرطبة، فخرج إليه مُجّد بن سليمان في عساكر البربر، فانهمز مُجّد ابن سليمان، ودخل علي بن حمود قرطبة، وقتل سليمان بن الحكم صبراً؛ ضرب عنقه بيده يوم الأحد لتسع بقين من المحرم سنة سبع وأربع مائة، وقتل أباه الحكم بن سليمان بن الناصر أيضاً في ذلك اليوم، وهو شيخ كبير له اثنان وسبعون سنة، فكانت مدة سليمان مذ دخل قرطبه إلى أن قُتل ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر وأياماً، وقد كان ملكها قبل ذلك ستة أشهر كما ذكرنا، وكانت مدته مذ قام مع البربر إلى أن قتل سبعة أعوام وثلاثة أشهر وأياماً، وانقطعت دولة بني أمية في هذا الوقت وذكرهم على المنابر في جميع أقطار الأندلس"¹.

ونستطيع أن نقول: إن الأندلس عامة وقرطبة خاصة، بعد القضاء على الخلافة الأموية لم تعرف استقراراً إلا في عهد الدولة العامرية ودولة بني جهور، وانقسمت إلى ما يزيد عن أكثر من عشرين دويلة وهو ما يعرف بعصر ملوك الطوائف، إلى أن قضت عليهم نهائياً دولة المرابطين، وهذا العصر له طابعٌ سياسي واجتماعي وثقافي خاص يصعب حصره، لأنه أخذ مساحة كبيرة من تاريخ الأندلس، وكان كل حاكم يلقب بأمر المؤمنين، وله جيش خاص ومساحة دولته لا تتعدى محافظة من المحافظات الصغيرة في عصرنا الحالي، وكل حاكم متربص بأخيه في التوسع والنفوذ، والعدو النصراني متربص بهم جميعاً، وأصبحت المدن الإسلامية وحواضر الإسلام في الأندلس تحارب

¹ الحميدي: مُجّد بن فتوح الميورقي، "جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس"، ص 20

بعضها بعضاً، فهذه "قرطبة" تتصارع مع "إشبيلية"، وهذه "بلنسية" تتصارع مع "سرقسطة"، وعلى هذا الوضع ظلّ الصراع بين الممالك الإسلامية في هذه الفترة، وكان الشعراء والعلماء يجدون هؤلاء الحكام ويصفونهم بأحسن الأوصاف وأنهم خلفاء الله في الأرض، بالإضافة إلى ظهور الفتاوى المحرّضة على الغدر والانتقام والاستعانة بالنصارى الكفار ودفع الجزية لهم، وتصرّح هؤلاء الأمراء بفعل ما يخلو لهم، ففتوى تصرّح لقرطبة غزو إشبيلية، وأخرى تصرّح لإشبيلية غزو بطليوس، وثالثة تصرّح لبطليوس غزو ما حولها وهكذا.

وكان الشعب يحكم بالحديد والنار، وازداد الفقر وتراجع الإنتاج الزراعي والتجاري والصناعي، بسبب دفع الجزية والاشتغال بالحروب، وتكديس الأموال في بناء القصور وتقوية الجيش، فكانت أمور مخجلة يندى لها الجبين، وكانت هناك أيضاً كارثة محققة وجريمة كبرى اقترفتها أمراء بعض هذه الدويلات، وظلت ملمحاً رئيسياً في هذه الفترة، وهي الاستنجد بالنصارى والاستقواء بهم، فقد كانت كل دويلة ذات جيش؛ لكنه جيش ضعيف البنية قليل السلاح، ومن ثمّ فلا بد لهم من معين يستقوون به في حربهم ضد إخوانهم، فترزّلوا إلى النصارى في شمال الأندلس يتخذونهم أولياء ونصراء على إخوانهم، مثل الاستعانة بألفونسو السادس حاكم إمارة "قشتالة" ودفع الجزية له ولغيره، وأصبح النصارى يتوسعون على حساب الدول الإسلامية وسقوط عدد منها في حكم النصارى¹.

هذا هو الطابع العام للأندلس وقرطبة بعد سقوط الخلافة الأموية والذي انتقل لها مكّي بن أبي طالب في آخر حياته، فقد عصفت بها فتن وأوضاع يصعب التعبير عنها، وأثرت في شتى نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في عصر ملوك الطوائف إلى أن قضت عليهم نهائياً دولة المرابطين التي امتدت من شمال الأندلس؛ وهي المنطقة القريبة من فرنسا إلى وسط إفريقيا، وبدأ عصر الطوائف بالأندلس سنة 422 هـ، وانتهى سنة 479 هـ، ودائمة ستين سنة تقريباً.

¹ ينظر: إحسان: عباس، "تاريخ الأدب الأندلسي"، ص 20، بتصرف

المبحث الثاني: هجرته في طلب العلم وشيوخه وتلاميذه

بعد التعريف بمكي بن أبي طالب، والتعرض لأحوال عصره وبيئته المختلفة حسب المناطق التي تنقل بها، ولما للبيئة من تأثير وتأثير في حياة الإنسان، ودورها الكبير في بناء الشخصية وتكوينها، نحاول في هذا المبحث التطرق إلى هجرته المختلفة في طلب العلم، ومشايخه وتلاميذه، ومما لا شك فيه؛ أن معرفة مشايخ مكّي لها أهمية كبيرة في معرفة ثقافته ومذهبه الفقهي وقوة شخصيته في العلم، حيث كان كثير الترحال، وتلمذ لعدة علماء في مناطق مختلفة، مما ساهم في نبوغه وتفوقه في جل العلوم، ثم تأتي مرحلة التلاميذ الذين أقبلوا عليه في الاستفادة من علمه، بعد شهرته وانتشار علمه، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء الأفاضل، ونفع الله به جمعاً غفيراً من طلبة العلم، وهذا ما سنتطرق له في هذا المبحث.

المطلب الأول: هجرته في طلب العلم

بما أننا بصدد عالم موسوعي مثل مكّي بن أبي طالب، فلا بد أن نذكر كيف تلقى العلم وما هي حواضر العلم التي اغترف منها وتنقل لها، وساهمت في تكوين شخصيته العلمية، فقد أشرنا سابقاً أن مكّي بن أبي طالب كان مسقط رأسه بالقيروان حيث ولد بها سنة 355هـ، وكانت حينها تحت حكم الفاطميين ولم تنفصل بعد عن حكمهم¹، حيث تلقى بداية علومه في القيروان وهاجر إلى مصر سنة 368هـ وعمره 13 سنة، والخليفة المصري هو العزيز نزار، ثاني خلفاء مصر من بني عبيد، حيث انتقل مكّي بن أبي طالب إلى دراسة الآداب والحساب، وكانت القاهرة حينها حاضرة العلم والعلماء، وهذا ما نلاحظه في تردد مكّي بن أبي طالب عليها عدة مرات قبل استقراره في قرطبة، وقد ذكرت عدة كتب تاريخية رحلات مكّي بن أبي طالب، ثم رجع إلى القيروان سنة 374هـ، حيث أكمل استظهار القرآن، ثم رجع إلى مصر للمرة الثانية سنة 377هـ والخليفة بمصر العزيز نزار الفاطمي، حيث تذكر المراجع التاريخية أن في هذه الرحلة قد تفرغ إلى دراسة

¹ ذكرنا سابقاً أن الدولة الفاطمية تأسست في المهديّة بتونس ثم انتقلت إلى مصر وكانت بلاد المغرب تابعة لها ثم انفصلت عنها. ينظر: ص 21 من الرسالة.

القراءات، ولا ننس باع مكّي بن أبي طالب في علم القراءات¹، وحج في هذه السنة حجة الفريضة عن نفسه، ثم رجع إلى القيروان سنة 393هـ، واستكمل ما بقي له من القراءات، ثم رجع إلى مصر للمرة الثالثة سنة 382هـ، ولا يزال العزيز نزار على الحكم، ولكن مكّي بن أبي طالب في رحلته هذه لم يمكث كثيرا في مصر، حيث رجع في السنة الموالية وهي سنة 383هـ إلى القيروان وتفرغ للتدريس والتأليف وبقي بها حتى سنة 387هـ، أي مدة خمس سنوات، ثم غادر القيروان إلى مكة وأقام بها إلى آخر سنة 390هـ، وحج أربع حجج متوالية، ثم خرج من مكة سنة 391هـ، ويقال: إن في رحلته هذه تنقل بين دمشق والقدس ومصر، وألّف بعض كتبه خلال هذه الفترة مثل كتاب (مشكل إعراب القرآن) الذي يُقال: أنه ألّفه ببيت المقدس²، ولكنها فترة قصيرة حيث تذكر المصادر التاريخية أنه رجع إلى بلده القيروان في سنة 392هـ، بعد إقامته بمكة، والغالب على هذه الرحلة أنها كانت مرورا فقط ولم يتفرغ فيها مكّي بن أبي طالب للتأليف؛ لأنها لا تزيد على سنة أو أقل، ثم ترك القيروان ورحل إلى الأندلس سنة 393هـ، وجلس للإقراء والخطبة والتأليف بجامع قرطبة، وكانت أهم المراحل في حياته، لأنه استقر بها ما يقارب من 44 سنة، وهي مرحلة العطاء والتأليف حيث صنف كتبه المتنوعة إلى أن وافته المنية بقرطبة سنة 437هـ³، - رحمه الله ورضي عنه -.

ومن المعلوم أن في هذه الفترة كانت الدولة الفاطمية تسيطر على المغرب بما فيها القيروان مسقط رأس مكّي بن أبي طالب ومصر والحجاز والشام، والأندلس بعد انتقال مكّي بن أبي طالب إليها،

¹ ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، " غاية النهاية في طبقات القراء "، ت: ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، السعودية، ط: 1، ج 2، ص 309، وله مؤلفات عديدة في القراءات سنذكرها لاحقا.

² أشار إلى هذا ابن الجزري، ينظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 310

³ ينظر: ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، " الصلة في تاريخ أئمة الأندلس "، ص 597، والسيوطي: جلال الدين، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة "، ت: مُجد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان، ج 2، ص 298، وابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، " غاية النهاية في طبقات القراء "، ج 2، ص 309، والداوودي: مُجد بن علي بن أحمد، " طبقات المفسرين "، دار الكتب العلمية - بيروت، ج 2، ص 332

كانت الدولة الأموية في آخر عهدها ولم يبق منها إلا الاسم، وكان دخوله إليها في عهد الدولة العامرية، وحدثت فتنة كبيرة حينها - كما فصلنا سابقاً -، ولاشك أن مكّي بن أبي طالب قد عاشها كلها، وتوفي في عهد الدولة الجهورية بقرطبة أي في عهد ملوك الطوائف.

ونلاحظ من خلال رحلات مكّي بن أبي طالب المتعددة، أنه كان في عصر صعب، ومليء بالفتن والاستبداد، لأن المناطق التي تنقل بها كانت تابعة للخلافة الفاطمية، ومعروف تاريخياً دور هذه الدولة الباطنية الشيعية وما قامت به ضد علماء السنة، بالإضافة إلى الأندلس التي استقر بها، وصادفته الفتنة العظيمة التي حدثت بعد سقوط الدولة الأموية؛ لأن عاصمتها كانت قرطبة ونزل بها مكّي بن أبي طالب وكانت مصرحاً لأحداث عدة، وظهور ما يسمى بملوك الطوائف، فالأندلس كانت في مرحلة تحول من دولة كبيرة عاصمتها قرطبة وهي الدولة الأموية، إلى دويلات متعددة ومتناحرة وهي ملوك الطوائف.

ونلاحظ في هجرة مكّي بن أبي طالب من القيروان وهو شاب في مقتبل العمر؛ حيث كان لا يتعدّ سنه 13 سنة تقريباً، أنها قد تكون لعدة أسباب مثل طلب الرزق والابتعاد عن سطوة السلطان، ولكن السبب الرئيسي هو طلب العلم، حيث أتاحت له هذه التنقلات في عدة مناطق، مثل مصر والحجاز والشام والقدس والأندلس الفرصة للالتقاء بعلماء أجلاء والاستفادة منهم والتعرف على شعوب متباينة، وأهله هذا التجوال للاعتراف بمكانته وذيوع صيته عند العام والخاص وحتى عند الحكام، مثل المظفر عبد الملك بن أبي عامر والخليفة المهدي وأبي الحزم بن جمهور، وما تقلّده الخطابية والإمامة والإفتاء بمسجد قرطبة إلا دليل على ذلك، وهذه المكانة الرفيعة قلماً تتاح لغيره، وما نالها إلا بفضل علمه ونشاطه وتأليفه وسعة ثقافته، فعلاً ذكره ورحل الناس إليه من كل قطر.

المطلب الثاني: شيوخه

لقد أشارت معظم كتب التراجم والتاريخ إلى شيوخ مكّي بن أبي طالب، بالإضافة إلى كتاب الدكتور أحمد حسن فرحات، ومقدمة تفسير الهداية¹، ونحن سنذكرهم بدون حشو وتطويل حتى لا يكون تكراراً لما قيل هناك، وإنما هو من متطلبات البحث، فلقد تلقى مكّي بن أبي طالب العلم على شيوخ عدّة؛ وفي شتى المجالات، وفي كل المناطق التي تنقل بها، بما فيها القيروان مسقط رأسه ومصر ومكة - شرفها الله - وقرطبة، وكان - رحمه الله - لا يأخذ على شيخ ولا يعتمده إلا إذا تيقن أنه ذو علم ويستحق المشيخة، وقد ذكر وصف مشايخه في كتابه (الرعاية لتجويد القراءة) بقوله: "يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن، والنفاز في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن، وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم، فإذا اجتمع للمقرئ صحة الدين والسلامة في النقل والفهم في علوم القرآن والنفاز في علوم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن، كملت حاله ووجبت إمامته"².

ولاشك أن تنقلات مكّي بن أبي طالب في مختلف الأقطار والأمصار والبلاد المختلفة؛ والتي كانت حينها من حواضر العلم مثل: القاهرة والشام والقيروان ومكة وقرطبة، والتقاءه بعدة علماء، وطلبه للعلم وهو في سن مبكرة من عمره، ونبوغه في شتى العلوم، خصوصاً علوم القرآن، ساهم في تكوين شخصيته العلمية وثناء العلماء عليه، وأهله لأن يكون نابغة زمانه وعمت شهرته الآفاق وذاع صيته في مختلف الأقطار، وشُدت له الرحال.

وقد حدثتنا كتب التراجم عن الكثير من شيوخه، وكانوا كبار شيوخ العصر حينها، ويحسب لهم ألف حساب، وقد تأثر مكّي بن أبي طالب بالكثير منهم، ونكتفي بذكر أهمهم على سبيل الاختصار كما وردت في كتب التاريخ والتراجم، ولا داعي للتكرار والاسترسال في ذكرها، فهي

¹ لقد أشرنا إلى الكتاب في الدراسات السابقة وقد تعامل مع تفسير مكّي وهو مخطوط ولم يكن قد طبع بعد، ينظر: فرحات:

أحمد حسن، "مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن"، ص54، و ينظر: مكّي، الهداية، ج1، ص14

² مكّي: أبو مجّد بن أبي طالب القيسي، "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، ت: الدكتور أحمد حسن فرحات،

دار عمار - الأردن، ط:2، 1404 هـ، ص89

موجودة في مقدمة التفسير وكتب التاريخ والتراجم، فيذكر لنا ابن بشكوال صاحب كتاب (الصلة) وهو قريب من عصر مكّي بن أبي طالب وعاصر ابنه مُحمّداً وحفيده جعفر أنه: سمع بالقيروان من أبي مُحمّد بن أبي زيد القيرواني الفقيه¹ وأبي الحسن القابسي الفقيه المحدث عالم المغرب في زمانه، وعنه أخذ الفقه المالكي² وأخذ عن مُحمّد بن جعفر القزاز وكان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتنان في التأليف³ وغيرهما، وسمع بمصر: من أبي الطيب ابن غلبون وقرأ عليه القرآن والقراءات، وكان عالماً متبحراً في القراءات، واعتمد مكّي بن أبي طالب عليه كثيراً في كتبه المتخصصة في القراءات مثل كتاب (التبصرة في القراءات السبع) وغيرها، وعلى ابنه طاهر بن غلبون والذي هو شيخ الإمام الداني، وله باع كبير في القراءات، وسمع من أبي عدي عبد العزيز المصري المعروف بابن الإمام قراءة ورش وكان شيخ القراء في مصر وإليه تنتهي سلسلة رواية ورش في السماع، وروى عنه مكّي القراءة عرضاً وسماعاً، وسمع: من مُحمّد بن علي الأدفوي صاحب كتاب (الاستغناء في التفسير) واستفاد منه مكّي بن أبي طالب في تفسيره - كما سيأتي ذكره لاحقاً إن شاء الله - وكان شيخ القراء بمصر في زمانه، وكان عالماً بالنحو والتفسير والقراءات، واختلف بمصر إلى المؤدبين في الحساب، ثم رجع إلى القيروان وكان إكمالاً لاستظهار القرآن بعد خروجه من الحساب وغيره من الآداب في سنة أربع وسبعين وثلاث مائة. وأكمل القراءات على غير أبي الطيب سنة ست وسبعين ثم نهض إلى مصر ثانية بعد إكمال القراءات بالقيروان في سنة سبع وسبعين وثلاث مائة، وسمع: بمكة من أبي الحسن أحمد بن فراس العبقيسي، وأبي الطاهر بن مُحمّد بن مُحمّد بن جبريل العجيفي، وأبي القاسم السقطي، وأبي الحسن بن زريق البغدادي، وأبي بكر أحمد بن إبراهيم

¹ فقيه من أعيان القيروان مولده ومنتشأه ووفاته بها، كان إمام المالكية في عصره يلقب بقطب المذهب وبمالك الصغير، وله: (متن الرسالة في الفقه المالكي)، وكانت تلقب: "بباكورة السعد وبزبدة المذهب" لأنها أول مختصر ظهر في المذهب المالكي، وترجمة لعدة لغات في عصرنا، وترجمته عالية وشهرته تغي عن التعريف به، توفي سنة 386 هـ. ينظر في ترجمته: مخلوف: مُحمّد بن مُحمّد، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، ت: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م، ج 1، ص 144

² سبق التعريف به، ينظر: ص 24 من الرسالة.

³ نلاحظ كثرة مؤلفات مكّي بن أبي طالب، وهو مما تأثر بشيخه هذا والذي كان مفتوناً بكثرة التأليف. ينظر: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج 4، ص 374

المروزي، وأبي العباس السوي، وأحمد بن فراس المكّي، ويونس بن عبد الله القرطبي والذي استخلفه مكّي في الخطابة والتدريس بجامع قرطبة في حياته وبعد موته - كما ذكرنا سابقاً -، وكان عالماً بالحديث والفقه والشعر والخطابة"¹.

وباستعراضنا لمشايخ مكّي بن أبي طالب نستطيع أن نقف على مكانته العلمية، ونبوغه في عدة علوم، ونلاحظ تتلمذه لمشايخ عدّة، وكان أغلبهم في القراءات، وهذا ما يفسر اليد الطولى لمكّي بن أبي طالب في هذا العلم، فهو متخصص ومتبحر فيه، وكتبه المتعددة؛ والتي سندكرها لاحقاً تدل على ذلك، فهو مقرئ قبل أن يكون مفسراً، ومع ذلك فهو عالم موسوعي إذ تجمع كتب التراجم على أنه مقرئ وخطيب وفقه ومحدث وأديب وعالم بالحساب وعلم الكلام وله شعر. ونرجح أن مذهبه كان مالكيّاً، لأنه أخذ الفقه بالقيروان من ابن أبي زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير وشيخ المالكية في عصره، ورسالته في الفقه المالكي لها عدة شروح وحواشي، واستقبلتها الأمة بالقبول منذ أن صدرت وإلى يومنا هذا؛ والعلماء مقبلين عليها بالدراسة والحفظ والتحليل، وكذا شيخه القابسي المالكي في القيروان وكان أيضاً شيخ المالكية في عصره.

¹ ينظر في مشايخ مكّي بن أبي الطالب المصادر التالية: ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ص 597، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "سير أعلام النبلاء"، دار الحديث - القاهرة، 1427هـ - 2006م، ج 13، ص 232، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1417 هـ - 1997م، ص 220. وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج 5، ص 274. والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ت: مُجَدُّ أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط: 1، 1406 هـ - 1982م، ج 3، ص 313. وابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، ج 2، ص 310.

المطلب الثالث: تلاميذه

قد أشرنا سابقاً إلى أن مكّي بن أبي طالب كان متّسماً بالرحلات بين القيروان ومصر ومكة، ولم يستقر إلا في آخر حياته بقرطبة حيث قدمها في رجب سنة 393هـ، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، فانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن، وعظم اسمه في البلد وجل فيها قدره، وبقي بها مدة 44 سنة، إلى أن وافته المنية بقرطبة سنة 437هـ، قال ابن فرحون: "ودخل قرطبة أيام المظفر بن أبي عامر سنة ثلاث وتسعين ولا يُؤبّه مكانه، إلى أن نوّه بمكانه ابن ذكوان القاضي، وأجلسه في الجامع، فنشر علمه، وعلا ذكره ورحل الناس إليه من كل قطر، وولي الشورى والخطبة والصلاة، إلى أن أقعد عنها في زمن الفتنة، وصنّف تصانيف كثيرة في علوم القرآن وغيرها"¹.

و كانت أهمّ المراحل في حياته لأنه صنّف معظم كتبه بها وتلمذ له عدة طلاب، ولقد ذكرت لنا كتب التراجم عدداً كبيراً من العلماء الذي تتلمذوا له، وكان أغلبهم من الأندلسيين ومن قرطبة خصوصاً، ولا داعي أن نتعرض لهم بالتفصيل، فهّم موجودون في كتب التراجم وفي مقدمة التفسير، ولكن نشير إليهم إشارة سريعة حتى نعرف مكانة مكّي بن أبي طالب وعلمه، ونحاول أن نترجم لأهمهم، وسنعمد على كتاب (الصلة) لابن بشكوال لأنه قريب من عصر مكّي، ومراجع أخرى، وهم كالتالي:

- 1 - أحمد بن مُجّد الكلاعي المقرئ، تتلمذ على مكّي بن أبي طالب وأكثر عنه واختص به.
- 2 - أحمد بن عبد الرحمن الخزرجي المقرئ: من أهل قرطبة يكنى أبا جعفر.
- 3 - إبراهيم بن مُجّد الأزدي المقرئ: من أهل قرطبة، يكنى أبا إسحاق.
- 4 - بكر بن عيسى بن سعيد بن أحمد بن علاء بن أشعث الكندي الزاهد: من أهل قرطبة، يكنى أبا جعفر.
- 5 - بقى بن قاسم بن عبد الرؤوف: نزل أوريولة، يكنى أبا خالد.

¹ ابن فرحون: برهان الدين اليعمرى، "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، ج2، ص343

- 6 - جعفر بن مُجَدِّد بن مكّي بن أبي طالب بن مُجَدِّد بن مختار القيسي اللغوي: من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، وهو حفيد مكّي المقرئ، فقيه أديب لغوي متقن.
- 7 - خلف بن رزق الأموي المقرئ: من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم.
- 8 - خلف بن عمر بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي ابن أخي القاضي أبي الوليد الباجي: سكن قرطبة، يكنى أبا القاسم.
- 9 - خازم بن مُجَدِّد بن خازم المخزومي: من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر.
- 10 - سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي الحافظ: من أهل قرطبة سكن شرق الأندلس يكنى أبا الوليد، وهو شيخ الحافظ أبي عمر بن عبد البر المالكي، وكان الحافظ أبو عمر بن عبد البر معاصراً لمكّي بن أبي طالب ومن سكان قرطبة، إلا أنه خرج منها أيام الفتنة¹.
- 11 - عبد الله بن مُجَدِّد بن سليمان، يعرف: بابن الحاج. من أهل قرطبة، يكنى أبا مُجَدِّد.
- 12 - عبد الله بن يوسف بن نامي بن يوسف بن أبيض الرهوني: من أهل قرطبة، يكنى أبا مُجَدِّد.
- 13 - عبد الله بن مُجَدِّد بن عباس، يعرف: بابن الدباغ: من أهل قرطبة، يكنى أبا مُجَدِّد.
- 14 - عبد الله بن سهل بن يوسف الأنصاري: من أهل مرسية، يكنى أبا مُجَدِّد.
- 15 - عبد الله بن سعيد بن حكم المقتلي الزاهد: من أهل قرطبة، يكنى أبا مُجَدِّد.
- 16 - عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن عبد الرحمن بن عباس بن شعيب المقرئ: من أهل قرطبة، يكنى أبا مُجَدِّد.
- 17 - عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن أحمد الصنهاجي: من أهل قرطبة، يعرف بابن اللبان.
- 18 - عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن عتاب بن محسن: من أهل قرطبة، يكنى أبا مُجَدِّد.

¹ أبو عمر بن عبد البر المالكي: فقيه متكلم محدث مفسر أديب شاعر من أهل باجة الأندلس وحاز الرياسة فيها، وولي القضاء بمواضع من الأندلس وله مصنفات كثيرة منها: الاستيفاء شرح الموطأ، والمنتقى مختصر الاستيفاء، والايماء مختصر المنتقى، وغير ذلك، ولد سنة 403هـ، وتوفي سنة 494هـ. الحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1414 هـ - 1993 م، ج3، ص1388

- 19 - عبد الملك بن سليمان الخولاني: يكنى أبا مروان.
- 20 - عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن مُجَدِّد بن سراج: مولى بني أمية، من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان. يصفه ابن بشكوال بإمام اللغة بالأندلس من غير مدافع في عصره.
- 21 - عبد العزيز بن أحمد اليحصبي الأديب: من أهل قرطبة، يكنى أبا الأصبع ويعرف بالأخفش. وهو من مشايخ الحافظ أبي عمر بن عبد البر المالكي أيضاً.
- 22 - علي بن عبد الله بن فرج الجذامي المقرئ، المعروف بابن الألبيري. من أهل طليطلة وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها؛ يكنى أبا الحسن.
- 23 - علي بن أحمد بن أبي الفرج الأموي من أهل دانية؛ يكنى أبا الحسن.
- 24 - عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، سكن قرطبة وأصله من جيان؛ يكنى أبا الأصبع.
- 25 - عيسى بن خيرة مولى ابن برد المقرئ.
- 26 - العلاء بن أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم بن غالب الفارسي: من أهل قرطبة؛ يكنى أبا الخطاب.
- 27 - عاصم بن أيوب الأديب من أهل بطليوس؛ يكنى أبا بكر.
- 28 - فرج بن عبد الملك بن سعدان الأنصاري: من أهل جيان. سكن قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله.
- 29 - مُجَدِّد بن أحمد بن مطرف الكناني المقرئ، يعرف: بالطرفي: من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله. قال ابن بشكوال: "تلى القرآن بالروايات على أبي مُجَدِّد مكّي بن أبي طالب واختص به وأخذ عنه معظم ما عنده. وكان من أهل المعرفة بالقراءات، حسن الضبط لها، عالماً بوجوهها وطرقها. أخذ الناس عنه كثيراً".
- 30 - مُجَدِّد بن جهور بن مُجَدِّد بن جهور بن عبيد الله بن الغمر بن يحيى بن الغافر ابن أبي عبدة رئيس قرطبة؛ يكنى أبا الوليد.
- 31 - مُجَدِّد بن أحمد بن سعيد المعافري المقرئ؛ يعرف: بابن الفراء: من أهل جيان؛ يكنى أبا عبد الله.

32 - مُجّد بن مكّي بن أبي طالب بن مُجّد بن مختار القيسي: من أهل قرطبة؛ يكنى أبا طالب، روى عن أبيه مكّي أكثر ما عنده، وسمع معه على القاضي يونس بن عبد الله وأجاز لهما ما رواه، وولي إمامة الجامع، وأحكام الشرطة والسوق والأحباس بقرطبة، وكان عالماً، مشكور السيرة.

33 - مُجّد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني: من أهل إشبيلية؛ يكنى أبا عبد الله.

34 - مُجّد بن بشير المعافري الصيرفي: من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله.

35 - مُجّد بن عيسى بن فرج بن أبي العباس بن إسحاق التميمي المغامي المقرئ: من أهل طليطلة؛ يكنى أبا عبد الله.

36 - مُجّد بن فرج مولى مُجّد بن يحيى البكري، يعرف بابن الطلاع: من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله وهو من بقية الشيوخ الأكابر في وقته، وزعيم المفتين بحضرته.

37 - يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المقرئ، يعرف بابن البيان. من أهل مرسية؛ يكنى أبا الحسن¹.

نلاحظ في الكتب التي ترجمت لتلاميذ مكّي بن أبي طالب أن أغلبهم كان في علوم القرآن والقراءات، ولا ننس الباع الطويل لمكّي في القراءات، بالإضافة إلى أن تلاميذه كان أغلبهم من الأندلس، وهذا يفسر لنا المرحلة الأخيرة من حياة مكّي بن أبي طالب في قرطبة وهي ما يقرب من 44 سنة، والتي جلس فيها للتأليف والتدريس، وكانت شهرته قد طبقت الآفاق وشدت إليه الرحال، وقصده الطلاب من كل مكان للاستفادة من علمه، وتلمذ عليه خلق كثير يصعب حصرهم، وكتب التراجم قد حفظت لنا الكثير منهم وهم من جلة العلماء خصوصاً القراءات كما

¹ ينظر في تلاميذ مكّي بن أبي الطالب المصادر التالية: ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، من: ص 52 حتى ص 633، والضبي: أبو جعفر يحيى، "بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس"، من ص 65 حتى 547 و ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، من ج 1 ص 66 حتى: ج 2 ص 319، والذهبي: شمس الدين بن قأبماز، "سير أعلام النبلاء" ج 13، ص 232، والذهبي: شمس الدين بن قأبماز، "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، ص 220، والقاضي عياض: أبو الفضل اليحصي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، ت: سعيد أحمد أعراب 1981-1983م، المغرب، ط: 1، ج 8 ص 14، وهم أعداد كثيرة، يصعب حصرهم.

ذكرنا، وليس من العجب أن يكون لإمام كبير وعالم جليل مثل مكّي بن أبي طالب هذا الجمع الغفير والعدد الهائل من طلبة العلم الذين تلقوا عنه وأفادوا منه، لأنه إمام عصره وتبّوا المكانة المرموقة بين علماء الأمة، وصاروا شيوخاً كباراً في حياته وبعد موته، وتصدروا للتعليم والإفتاء والتأليف.

المبحث الثالث: مذهبه الفقهي ومنزلته عند العلماء

إن معرفة المذهب الفقهي للمفسر أمر ضروري لكل باحث في مناهج المفسرين، ومفسرنا مكّي بن أبي طالب من سكان المغرب العربي والأندلس، فهو ينتمي إلى مذهب مالك في الفقه، لأنه هو الغالب في المنطقة، وسنذكر عدة أدلة تثبت هذا، بالإضافة إلى احتلاله مكانة مرموقة بين علماء الأمة، ووصفه العلماء والمؤرخون بأوصاف لا تطلق إلا على العلماء الكبار، وهذا ما سنحاول التعرف عليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: مذهبه الفقهي

من الملاحظ أن المذهب المالكي في المغرب والأندلس انتشر قبل مجيء مكّي بن أبي طالب، وقد ذكرنا في شيوخه أنه تلقى العلم بالقيروان مسقط رأسه على يد أبي زيد القيرواني شيخ المالكية في عصره والملقب بمالك الصغير وكذلك شيخه أبي الحسن القابسي المالكي وغيرهم، ولا بد أن نذكر كيف انتشر مذهب مالك في المغرب والأندلس على غيره من المذاهب الأربعة، لأنها تنبني على ذلك، ثم نعود لما نحن بصدد من مذهب الإمام مكّي بن أبي طالب القيسي.

يرى أغلب المؤرخين أن منطقة بلاد المغرب والأندلس؛ كانتا في أغلب أيامها خارجة ومستقلة عن سلطة الدولة العباسية في بغداد؛ والتي كان مذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي، وكان متولي منصب قاضي القضاة¹ أحد أصحاب أبي حنيفة وهو: أبو يوسف صاحب كتاب (الخراج)، وهذا بعد إنشاء الدولة الأموية في الأندلس بزعامة عبد الرحمن الداخل صقر قريش؛ كما سماه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بعد عجزه عن القضاء عليه بعد سقوط الدولة الأموية في دمشق؛ ومقتل آخر خليفة أموي بمصر وهو مروان بن محمد والملقب بالحمار، وتبّع الأمويين بالتشريد والقتل، إلى درجة أن قبورهم نبشت وأحرقت جثثهم من جديد، وبعد ذلك؛ أنفرد رجل منهم هارباً وناجياً بنفسه؛ وعبر إلى المغرب ثم الأندلس وأسس دولة قوية دامت قروناً، فبدأ الخروج واضحاً عن الخلافة في بغداد، وقد اختلف المؤرخون في المذهب السائد بالمغرب والأندلس قبل

¹ وهذا المنصب بمثابة وزير العدل في عصرنا الحاضر.

الاستقرار على مذهب مالك، فيقال: إن المذهب الحنفي كان منتشراً في القيروان ومذهب الأوزاعي في الأندلس.

ونجد ابن فرحون قد ذكر في كتابه الشهير (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) - أي المذهب المالكي - أن زيداً اللخمي الملقب بشبطين، هو أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس، وقد تلقى العلم عن الإمام مالك مباشرة في المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - وكان من أكبر تلاميذه، وعده في الطبقة الأولى من أصحاب مالك، فقال: "ومن الطبقة الأولى من أصحاب مالك من الأندلس زياد، وهو أبو عبد الله بن عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطين، سمع من مالك الموطأ وله عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف بسماع زياد... وكان زياد أول من أدخل الأندلس موطأ مالك متفقهاً بالسماع عنه ثم تلاه يحيى بن يحيى الليثي، وكان أهل المدينة يسمون زياداً: فقيه الأندلس وكانت له إلى مالك رحلتان، وكان واحد زمانه زهداً وورعاً، وتوفي سنة ثلاث وقيل: أربع وقيل: تسع وتسعين ومائة"¹.

أما صاحب البُغية فذكر أن زياد هذا هو أول من أدخل الأندلس فقه مالك بن أنس، وكانوا قبل ذلك على مذهب الأوزاعي، وقد تلقى العلم مباشرة على الإمام مالك - رحمه الله -، وذكر أن مذهب مالك انتشر بفضل يحيى بن يحيى الليثي، وقد رحل إلى المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - وتلقى العلم مباشرة عن مالك وكان من كبار أصحابه، فقال: "يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس وقيل وسلاس أبو مُجَدِّ الليثي أصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة، تولى بني ليث فينسب إليها، وجده كثير يكنى أبا عيسى وهو الداخل إلى الأندلس، رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع مالك بن أنس وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وعبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله بن وهب وسمع من نافع بن أبي نعيم القارئ ومن القاسم بن عبد الله العمري وتفقه بأكابر أصحاب مالك بن أنس، بعد انتفاعه بمالك وملازمته، وكان مالك يسميه عاقل الأندلس، وكان سبب ذلك فيما روى: أنه كان في مجلس مالك مع جماعة من أصحابه فقال

¹ ابن فرحون: برهان الدين اليعمري، "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، ج1، ص369 بتصرف، وينظر أيضاً ترجمته في: الحميدي: مُجَدِّ بن فتوح الميوقري، "جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس"، ص384

قائل: قد خطر الفيل فخرجوا ولم يخرج، فقال له مالك: ما لك لم تخرج لتنظر الفيل وهو لا يكون في بلادك؟ فقال له: لم أرحل؛ لأبصر الفيل وإنما رحلت لأشاهدك وأتعلم من علمك وهديك، فأعجبه ذلك منه وسماه عاقل الأندلس، وإليه انتهت الرئاسة بالفقه في الأندلس وبه انتشر مذهب مالك وتفقه به جماعة لا يحصون وكان يفتي برأي مالك... وكان يحيى مع إمامته ودينه مكيناً عند الأمراء معظماً وعفيفاً عن الولايات متنزهاً جلت درجته عن القضاء؛ فكان أعلى قدراً من القضاء عند ولاة الأمر هناك لزهده في القضاء وامتناعه منه... وكانت وفاة يحيى بن يحيى في رجب لثمان بقين منه سنة أربع وثلاثين ومائتين وقيل في سنة ثلاث¹.

أما المقرئ في نفع الطيب فذكر في موضعين سبب تمسك أهل المغرب والأندلس بمذهب الإمام مالك، فأشار إلى يحيى بن يحيى الليثي حيث قال: "وانتهت إليه الرياسة بالأندلس، وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار، وتفقه به جماعة لا يحصون عدداً"². وقال في موضع آخر عن سبب انتشار مذهب مالك بالأندلس والمغرب: "واعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي، وأهل الشام منذ أول الفتح، ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل - وهو ثالث الخلفاء بالأندلس من الأمويين - انتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - ، فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعاً، بل والمغرب، وذلك برأي الحكم واختياره، واختلفوا في السبب المقتضي لذلك، فذهب الجمهور إلى أن سببه رحلة علماء الأندلس إلى المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - ، فلما رجعوا إلى الأندلس؛ وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره، فعظموه كما قدمنا ذلك، وقيل: إن الإمام مالكا سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس، فوصف له سيرته، فأعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية، وكابد - أي الإمام مالك - لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والإهانة وغيرها على ما هو مشهور في كتب التاريخ، فقال

¹ ينظر: الضبي: أبو جعفر يحيى، " بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس "، ص 294، و ص 512، بتصرف.

² المقرئ: شهاب الدين التلمساني، " نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت،

ط: 1، 1997، ج 2، ص 10

الإمام مالك - رحمه الله - عنه لذلك المخبر: نسأل الله تعالى أن يزين حرمانا بملككم، أو كلاماً هذا معناه، فسميت المسألة إلى ملك الأندلس، مع ما علم من جلالة مالك ودينه، فحمل الناس على مذهبه، وترك مذهب الأوزاعي، والله تعالى أعلم¹.

وأما العلامة ابن خلدون فيذكر في المقدمة سببين رئيسين لتمسك أهل المغرب والأندلس بمذهب الإمام مالك، وهما السفر إلى المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - وهي القريبة من بلاد العلم في المشرق كدمشق والعراق وغيرها بالنسبة للمغاربة، والسبب الثاني أن أهل المغرب والأندلس كانت الغالب عليهم البداوة، وهي المناسبة لتمسكهم بمذهب مالك على غيره من المذاهب، عكس مصر والمشرق العربي والتي كانت تغلب عليه الحضارة، وهي المناسبة لمذهب الشافعي والحنفي والحنبلي، فقال بهذا الصدد: "وأما مالك - رحمه الله تعالى - فاختصّ بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل؛ لما أنّ رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم؛ ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقترضوا عن الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته. وأيضاً فالبداوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكيّ غضاً عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب. ولما صار مذهب كلّ إمام علماً مخصوصاً عند أهل مذهبه، ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهاد والقياس، فاحتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذاهب إمامهم... وأهل المغرب جميعاً مقلدون لمالك - رحمه الله -"².

¹ المقري: شهاب الدين التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، ج3، ص230

² ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُجَدِّد، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ص568

وكان التعصب لمذهب الإمام مالك في بلاد المغرب والأندلس قد بلغ أوجه على مر العصور التاريخية، فقد جاء في كتاب (التنبيه على مبادئ التوجيه) قوله: "أما وضع الفقه، فإن المغرب والأندلس يُعدّان من البلدان القليلة التي عرفت وحدة المذهب الفقهي؛ فقد وصل إلى المغاربة في بداية أمرهم مذهب الإمام الأوزاعي، ومذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، لكن سرعان ما تخلصوا منهما وتمسكوا بالمذهب المالكي، وآثروه على غيره من المذاهب، وتكونت له في نفوسهم منزلة عظيمة حتى عدّوا من خالفه جديرًا بالعقوبة، فقد جاء في بعض مكاتبات المستنصر ما نصه: "من خالف مذهب مالك بالفتوى وبلغنا خبره أنزلنا به من النكال ما يستحقه، وجعلناه عبرة لغيره. فقد اخترت فوجدت أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب، ولم أر في أصحابه ولا في من تقلد بمذهبه غير معتقد للسنة والجماعة. فليتمسك الناس بهذا، وليُنهوا أشد النهي عن تركه. ففي العمل بمذهبه جميع النجاة"¹، ولعل هذا التصرف ومثله أدى إلى التعصب الممقوت فاكتوى به كثير من العلماء الذين لم يجدوا بُدًا من مواجهته، وأذكر هنا على سبيل المثال موقف ابن حزم الذي واجه هذا الموقف بصلافة وعناد. ومن بين أقواله في هذا الشأن، ما ذكره صاحب نيل الابتهاج حيث قال: "قال ابن حزم: قد وصل أهل الأندلس في تقليد مالك حتى يعرضوا كلامه تعالى وكلام رسوله على مذهب إمامهم، فإن وافقاه قبلوهما وإلا طرحوهما وأخذوا بقول صاحبهم، مع أنه غير معصوم. ولا نعلم بعد الكفر بالله معصية أعظم من هذا"²

ونختم هذه المسألة بما ذكره صاحب (الاستقصا) في سبب انتشار المذهب المالكي في المغرب والأندلس، فهناك الكثير من الكلام الذي يجب أن يقال عنه، فقد أُعدت ملتقيات علمية ورسائل ماجستير ودكتوراه في هذا الشأن، ولكن المقام في هذه الدراسة لا يتسع لذلك، قال

¹ ابن بشير: أبو الطاهر المهدي، "التنبيه على مبادئ التوجيه"، ت: الدكتور مُجّد بلحسان، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1428 هـ - 2007 م، ج 1، ص 39

² التكروري: أحمد بابا التنبكتي، "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، ت: الدكتور عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط: 2، 2000 م، ص 294

السلّابي: "قال عياض في المدارك: ظهر مذهب أبي حنيفة بإفريقية ظهوراً كبيراً إلى قرب أربعمئة سنة، فانقطع منها، ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديماً بمدينة فاس وبالأندلس، وكذا ظهر بالأندلس أيضاً مذهب عبد الرحمن الأوزاعي من أهل الشام، واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبي حنيفة وغيره إلى مذهب الإمام مالك بن أنس الذي هو مذهب السلف من أهل الحجاز، فقال ابن خلكان في ترجمة المعز بن باديس الصنهاجي المتوفى في أواسط المائة الخامسة ما نصه: "كان مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - بإفريقية أظهر المذاهب، فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك - رضي الله عنه - وحسم مادة الخلاف في المذاهب، واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن". قلت: كان المعز هذا وأسلافه من صنهاجة بإفريقية على مذهب الرافضة من الشيعة؛ أخذوه عن خلفائهم العبيديين أيام استيلائهم على المغرب في صدر المائة الرابعة، وحملوا الناس عليه وامتحنوهم وطارت بدعتهم في أقطار المغرب كله، فلما أفضى الأمر إلى المعز بن باديس المذكور قطع دعوة الشيعة من إفريقية ودعا لبني العباس؛ وحمل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وإمام دار الهجرة، هذا والمعروف أن مذهب مالك ظهر أولاً بالأندلس؛ ثم انتقل منها إلى المغرب الأقصى أيام الأدارسة؛ وكذا ظهر بإفريقية ظهوراً بينا قبل وجود المغرب بكثير؛ بل قبل استيلاء صنهاجة والعبيديين على المغرب، وذلك على يد أسد بن الفرات وعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بسحنون وغيرهما من أئمة المغاربة، ثم لما ظهرت دولة الشيعة بإفريقية حاولوا محوه فلم يتيسر لهم ذلك، وكان فقهاء المالكية في ذلك العصر معهم في محنة عظيمة منهم: ابن أبي زيد والقابسي وأبو عمران الفاسي وطبقتهم؛ ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن نصره المعز المذكور جزاه الله خيراً، قالوا: وكان ظهوره بالأندلس على يد الفقيه زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطين فهو أول من أدخله الأندلس؛ وكانوا قبل ذلك يتفقهون على مذهب الأوزاعي إمام أهل الشام لمكان الدولة الأموية منه؛ فلما ظهر مالك - رضي الله عنه - بالمدينة وعظم صيته وانتشرت فتاويه بأقطار الأرض، رحل إليه جماعة من أهل الأندلس والمغرب؛ كان من أمثلهم وأسبقهم شبطين المذكور وقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي

هند وغيرهم أيام هشام بن عبد الرحمن الداخل، فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به ذكره بالأندلس؛ فانتشر يومئذ علمه ورأيه بها، وكان رائد الجماعة في ذلك هو شبطون كما قلنا، وهو أول من أدخل كتاب الموطأ المغرب؛ أتى به مكملًا متنقأً، فأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي، ثم دخل بعد ذلك إلى مالك فقرأه عليه وعاد إلى الأندلس فتمّم ما كان قد بقي من شهرة المذهب المالكي.

قال ابن حزم: مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان؛ مذهب أبي حنيفة؛ فإنه لما ولي الرشيد أبا يوسف خطة القضاء كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، ومذهب مالك عندنا بالأندلس؛ فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم، على أن يحيى لم يل قضاء قطّ ولا أجاب إليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعياً إلى قبول رأيه لديهم.

ورأيت في بعض التآليف في سبب ظهور مذهب مالك بالأندلس والمغرب أن حُجَّاج المغرب والأندلس قدموا على مالك - عليه السلام - بالمدينة فسألهم عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل فقبل له: إنه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله، فقال مالك: ليت الله زين حرماً بمثلته، فنقم عليه بنو العباس لهذه المقالة؛ وكان ذلك سبب توصلهم إلى ضربه في مسألة الإكراه كما هو مشهور، وبلغت مقالته صاحب الأندلس فسُرَّ بها وجمع الناس على مذهبه، فانتشر في أقطار المغرب من يومئذ والله أعلم¹.

وخلاصة القول في المسألة: إنها خلافية كما قال السلاوي، فالأسباب متعددة، ولكن الواقع يشهد بذلك، فمذهب الإمام مالك منتشر في كل دول المغرب العربي كليياً وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والبلاد الإفريقية؛ وكل قوانين الأسرة والحج وغيرها في هذه الدول تنبني عليه، والمشرق العربي يحوي بقية المذاهب الأخرى، فالحنبلي في دول الخليج، والشافعي في مصر والأردن، والحنفي

¹ السلاوي: شهاب الدين الناصري، "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، ج1، ص196

في العراق وبقية العالم الإسلامي، ولكن التعصب المذهبي انتفى في عصرنا الحاضر، وهناك من يأخذ برأي المذهب الذي يوافق في أي مسألة عرضت له.

أما مكّي بن أبي طالب فبعد هذه المقدمة التاريخية من شتى المصادر المتنوعة، فمن الطبيعي أن يكون على مذهب الإمام مالك - رحمه الله -، مع العلم أن الأندلس كانت تربطها علاقة قوية بالمغرب في شتى المجالات، بسبب طبيعة المنطقة وكانت في عصر المرابطين والموحدين ولاية مغربية، وقد عد القاضي عياض في (ترتيب المدارك) مكّي بن أبي طالب؛ من الطبقة الثامنة من أصحاب مالك، وأحد أعيان المالكية، وذكر أن له كتاباً عنوانه (المأثور عن مالك في الأحكام).¹ أما ابن فرحون فقد عدّه من الطبقة الثامنة ممن لم ير مالكاً من أهل الأندلس.² أما صاحب (شجرة النور) فقد صنّفه في الطبقة السابعة، وأشار إلى أن له كتاب (الهداية في الفقه)³، ولكن لم أقف على هذا الكتاب؛ والظاهر أنه لم يصل إلينا.

إلا أن هذا الانتماء للمذهب المالكي، لم يجعل مكّي بن أبي طالب متعصباً له، وسنرى هذا - إن شاء الله - عند تفسيره لآيات الأحكام، فكان كثيراً ما يخالف رأي الإمام مالك؛ هذا ونحن بصدد عالم موسوعي مجتهد، فبطبيعة الحال لا يوافق رأي مذهبه إذا خالف رأيه في مسألة ما.

المطلب الثاني: منزلته عند العلماء

وصف أغلب العلماء المعاصرين لمكّي بن أبي طالب والمطلعين على علمه بالتبحر في العلم، خصوصاً علوم القرآن والقراءات بصفة خاصة، حيث يحتل مكّي بن أبي طالب مكانة مرموقة في هذا العلم ويحسب له ألف حساب، ومؤلفاته الشهيرة في علم القراءات تشهد له بذلك، مع العلم أنه كان متبحراً في جل العلوم، ولذا نجد كثيراً من العلماء يثنون عليه ويصفونه بصفات تدل على رسوخه في العلم؛ ولم يُثن عليه علماء الأندلس فقط، بل اشتهر على مر العصور وفي مختلف الأقطار، فكان غزير العلم واسع الثقافة عميق التفكير مع الابتعاد عن المناصب ومداهنة الحكام في

¹ القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، ج8، ص14

² ابن فرحون: برهان الدين اليعمرى، "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، ج2، ص342

³ مخلوف: مُجَدِّد بن مُجَدِّد، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، ج1، ص160

أي مكان حلّ، وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية في ترجمته، أنه عندما نزل قرطبة لم ينه عليه إلا قاضٍ كان يعرفه، قال القاضي عياض: "ودخل قرطبة أيام المظفر ابن أبي عامر، سنة ثلاث وتسعين، ولا يؤبه به إلى أن تنبه لملكه ابن ذكوان القاضي، فأجلسه في المسجد الجامع، فنشر علمه وعلا ذكره ورحل إليه الناس، ثم ولي الخطبة والصلاة مدة، إلى أن أقعده عنها الخوف"¹. ونستنتج من هذا أن مكّي بن أبي طالب لم يكن من العلماء الذين يتطلعون للجاه والمناصب وكثرة المال وصحبة الحكام، ولم يل مناصب عليّة في جميع الأقطار التي مر بها كالقضاء والحسبة وغيرها، وعند دخوله قرطبة قام بأمر الصلاة والخطبة وتعليم العلم حتى قيام الفتنة بعد سقوط الدولة العامرية فالتمز بيته، إلى أن جاءت دولة بني جهور، فقلده أبو الحزم بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع، وبقي خطيباً إلى أن مات - رحمه الله -.

وكان مكّي - رحمه الله - إمام عصره في القراءات وعلوم القرآن بلا منازع، فقد صنّفه الذهبي في الطبقة العاشرة من القراء الكبار²، وكل كتب القراءات تستشهد بأقواله وترجع له، وأغلب المصادر التي ترجمت له وصفته بالتمكن في علم القراءات، والناظر في مؤلفاته يدرك أن علم القراءات غلب عليه حتى اشتهر به؛ ومع هذا كانت له مشاركة في علوم أخرى كالفقه والأدب والتاريخ، وسأذكر هنا مقتطفات من أقوال العلماء تبين مكانته العلمية وثناءهم عليه وتقديرهم له؛ حيث خلد التاريخ له سيرة عطرة ترددها الأجيال في كل العصور، وتبوأ مكانة علمية مرموقة بين علماء الأمة، وقد نال عدداً من الألقاب والأوصاف التي لا تطلق إلا على العلماء الكبار، فقد وصفه ابن بشكوال بقوله: "كان نفعه الله من أهل التبهر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً لذلك، مجوداً للقراءات السبع، عالماً بمعانيها... ثم جلس للإقراء بجامع قرطبة فانتفع على يديه جماعات، وجودوا القرآن، وعظم اسمه في البلدة وجل فيها قدره... وكان خيراً فاضلاً، متواضعاً، متديناً، مشهوراً بالصلاح وإجابة الدعوة. ومن ذلك ما حكاه عنه أبو عبد الله الطريفي المقرئ قال: كان عندنا بقرطبة رجلٌ فيه بعض الحدة، وكان له على

¹ القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، ج8، ص14

² الذهبي: شمس الدين بن قأئماز، "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، ص220

الشيخ أبي مُجَدِّ مكّي المقرئ تسلّط. كان يدنو منه إذا خطب فيغمزه، ويحصي عليه سقطاته. وكان الشيخ كثيراً ما يتلعثم ويتوقف. فجاء ذلك الرجل في بعض الجُمع وجعل يحدّ النظر إلى الشيخ ويغمزه، فلما خرج و نزل معنا في موضعه الذي كان يقرأ فيه قال لنا: أمّنا على دعائي. ثم رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه فأمنّا. قال: فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم"¹.

ووصفه القاضي عياض في (ترتيب المدارك) بقوله: "كان فقيهاً مقرئاً أديباً متفنناً راوية، وغلب عليه علم القرآن، وكان من الراسخين فيه... وكان رسوخه في علم القرآن وتفننه فيه، قراءات وتفسير ومعانٍ، نحوياً لغوياً فقيهاً راوية. وليّ الشورى وصنف تصانيف جليلة في علوم القرآن، وغير ذلك"².

وقال عنه القفطي: "من أهل التبهر في علوم القرآن والعربية. حسن الفهم، جيد الدين، كثير التأليف في علوم القرآن والعربية... وكان خيراً فاضلاً متواضعاً متديّناً، مشهوراً بالصلاح وإجابة الدعوة"³.

وقال عنه صاحب (شجرة النور): "نزّيل قرطبة الإمام الحافظ النظار الفقيه المشاور والعالم العامل شيخ الصوفية وأهل السنة المقرئ المجاب الدعوة"⁴.

قال الحافظ ابن الجزري: "إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء والمجودين... وكان من أهل التبهر في علوم القرآن والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً مجوداً عالماً بمعاني القراءات"⁵.

¹ ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ص 599، والقصة التي أوردها ابن بشكوال في استجابة الدعوة لمكي بن أبي طالب تدل على أن دعوة المظلوم مستجابة كما قال الرسول - ﷺ -.

² ينظر: القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، ج 8، ص 14

³ ينظر: القفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج 3، ص 315

⁴ ينظر: مخلوف: مُجَدِّ بن مُجَدِّ، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، ج 1، ص 160

⁵ ينظر: ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، ج 2، ص 309

وقال عنه الإمام الذهبي: "إنه صاحب التصانيف وكان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم"¹.

وقال عنه ابن فرحون: "كان فقيهاً مقرئاً أديباً وله رواية وغلب عليه علم القرآن وكان من الراسخين فيه... وعلا ذكره ورحل الناس إليه من كل قطر وولي الشورى والخطبة والصلاة إلى أن قعد عنها زمن الفتنة، وصنف تصانيف كثيرة في علوم القرآن وغير ذلك"².

ووصفه ابن خلكان بقوله: "وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كان حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علم القرآن محسناً لذلك، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها... فانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن، وعظم اسمه في البلد وجل فيها قدره... وكان خيراً فاضلاً متواضعاً متديناً مشهوراً بإجابة الدعاء... وله تصانيف كثيرة نافعة"³.

وهكذا ندرك أن مكّي بن أبي طالب كان صاحب مكانة علمية مرموقة أهلته أن يكون إمام عصره في جل العلوم؛ خصوصاً علوم القرآن والقراءات بصفة خاصة، فهذه العبارات والأوصاف والشهادات تدل بلا شك على المرتبة والمنزلة العلمية التي حظي بها، وتقدير العلماء له، واعترافهم بفضله ومكانته العلمية فيما بينهم، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

¹ ينظر: الذهبي: شمس الدين بن قَائمًا، "سير أعلام النبلاء"، ج13، 232

² ابن فرحون: برهان الدين اليعمري، "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، ج2، ص342

³ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج5، ص275

المبحث الرابع: مصنفات مكّي بن أبي طالب

لقد صنف مكّي بن أبي طالب عدة مصنفات في علوم كثيرة، ولكن أهم مصنفاته كانت في علوم القرآن والتفسير بما فيها القراءات؛ لأنه من القراء الكبار - كما ذكرنا سابقاً -، وكانت أغلب مؤلفاته في القراءات، وقد رجع علماء القراءات الذين جاؤوا بعده لمصنفاته واستفادوا منها ونقلوا الكثير، وعمّر مكّي بن أبي طالب اثنين وثمانين عاماً، كانت حافلة بالتأليف والإبداع، فقد ترك لنا مكتبة ضخمة تناولتها الأجيال عبر العصور وإلى يومنا هذا، فمؤلفاته كلها قيمة تدل على مكانته ورسوخه في العلم، وقد ذكرت لنا كتب التراجم عدة كتب له، وهي ما يزيد على خمسة وثمانين مؤلفاً أغلبها في التفسير وعلوم القرآن والقراءات، قال صاحب البغية: "تأليفه كثيرة مشهورة، رأيت بعض أشياخي قد جمع ذكر أسماء تأليفه في جزء وقال مبلغ تأليفه خمسة وثمانون تأليفاً"¹. وقد وصفه العلماء بأنه مقرئ ومفسر ولغوي ونحوي؛ وكان هذا هو الطابع الذي انعكس على مؤلفاته، وترجع مكّي بن أبي طالب على عرش العلماء في التصنيف، وأغلب تأليفه كان في قرطبة عندما أستقر بها في آخر حياته، وهناك من الكتب ما ألفه في غير قرطبة كالمناطق التي تنقل بها مثل القدس ومكة المكرمة - شرفها الله - ومصر والقيروان.

وسنذكر هذه المؤلفات مرتبة حسب موضوعاتها وغايتها على قدر اجتهادنا، والتي استطعت جمعها من الكتب التي ترجمت له وهي كثيرة جداً، وهذه المؤلفات منها من رأى النور، ونُقِصَ عنه الغبار، وتناولها المحققون بالتحقيق والدراسة والتعليق، وهناك ما قدمت فيه عدة رسائل علمية في الماجستير والدكتوراه بالجامعات العالمية قبل التحقيق وبعده، ومنها ما يزال مخطوطاً وحبيس الخزائن والمكتبات في شتى أنحاء العالم، ومن أراد الدراسة والتحقيق فعليه الاطلاع على فهارس المخطوطات ليتعرف على مكانها وحالتها بالطرق المعروفة في تحقيق المخطوطات.

¹ الضبي: أبو جعفر يحيى، "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"، ص 469

وبعد هذا التمهيدي أشرع في التعريف بمؤلفات مكّي بن أبي طالب على وجه العموم، وأجعل مؤلفاته في علم القراءات في مطلب خاص؛ وأركز على علم القراءات لأنه أخذ حيزاً كبيراً بين المؤلفات وكونه أحد أئمة القراءات.

المطلب الأول: مصنفاته في علوم القرآن

1. كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه: وهو في تفسير القرآن الكريم، وهو موضوع بحثنا وسنتعرض له بشيء من التفصيل في الفصول اللاحقة، وله أسماء مختلفة متقاربة في تسميته بين التطويل والتقصير فقد ورد باسم: (الهداية في التفسير) عند القاضي عياض¹، وورد في معجم الأدباء باسم: (الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير)²، وجاء في إنباه الرواة باسم: (الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه)³، وأتى بتمامه في فهرست ابن خير الإشبيلي هكذا: (كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه)، وقال عنه: إنه في سبعين جزءاً.⁴

أما عن نسخ المخطوطات في التفسير، فقد ذكرها الدكتور أحمد حسن فرحات بشيء من التفصيل في حالتها وعددها والمكتبات الموجودة بها في مختلف أنحاء العالم⁵، وسنذكرها لاحقاً، ونحن نتعامل مع التفسير التي طبعته جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة سنة 2008م، مع العلم أن دراسة الدكتور أحمد حسن فرحات كانت على هذا التفسير وتعامل معه كمخطوط، ولم يكن التفسير قد طبع بعد كما أشرنا سابقاً، وصدرت دراسته سنة 1973م.

2. كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه

3. كتاب غريب القرآن

¹ القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، ج8، ص14

² الحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ج6، ص2713

³ القفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج3، ص315

⁴ ابن خير: أبو بكر محمد الإشبيلي، "فهرسة ابن خير الإشبيلي"، ت: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية - بيروت،

ط:1، 1419هـ/1998م، ص41

⁵ فرحات: أحمد حسن، "مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن"، من ص109 حتى ص111

4. كتاب مشكل إعراب القرآن

5. تلخيص أحكام القرآن

6. تسمية الأحزاب

7. بيان إعجاز القرآن

8. دعاء خاتمة القرآن.

9. شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي

الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

آل عمران: ٧

10. شرح قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ

الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ

وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن

نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ

وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ النساء: ٢٣

11. شرح قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا كَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

﴿١٠٣﴾ المائدة: ١٠٣

12. شرح قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ إِخْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴾

﴿١٠٦﴾ فَإِنَّ عَثْرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا

فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ

لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ

أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ

وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ

أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ

وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

13. شرح قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

﴿١٧٩﴾ الأعراف: ١٧٩

14. شرح قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾

﴿ ٦١ ﴾ الشعراء: ٦١

15. شرح قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿ ٥٦ ﴾ الذاريات:

٥٦

16. المسترضى في قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ ﴿ ٥٦ ﴾ الضحى: ٥

17. كتاب مسألة الذبيح

18. المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره.

19. مشكل المعاني والتفسير.

20. تحميد القرآن وتخليه وتسيحه¹.

المطلب الثاني: مصنفاته في علم القراءات

كان مكي - رحمه الله - إمام عصره في القراءات وعلوم القرآن بلا منازع، فقد صنفه الذهبي في الطبقة العاشرة من القراء الكبار²، وكل كتب القراءات تستشهد بأقواله وترجع له، وأغلب المصادر التي ترجمت له وصفته بالتمكن في علم القراءات، والناظر في مؤلفاته يدرك أن هذا العلم غلب

¹ لمعرفة مصنفات مكي بن أبي طالب ينظر المصادر التالية: القفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج3، ص313، وابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، ج2، ص310، والداوودي: مُجَدِّد بن علي، "طبقات المفسرين"، ج2، ص332، ومخلف: مُجَدِّد بن مُجَدِّد، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، ج1، ص160، وابن خير: أبو بكر مُجَدِّد الإشبيلي، "فهرسة ابن خير الإشبيلي"، ص41، وحاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، مكتبة المثنى - بغداد، 1941م، ج2، ص2041، وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج5، ص276، والقاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، ج8 ص14، والحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ج6، ص2714

² الذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، ص220

عليه حتى اشتهر به؛ فهو مقرئ قبل أن يكون مفسراً، وهو أحد علماء هذا الفن مثل الداني¹ وابن الجزري²، واستطاع مفسرنا مكّي بن أبي طالب أن يقدم خدمة جلييلة لعلم القراءات القرآنية استفاد منها العلماء الذين جاؤوا من بعده وإلى يومنا هذا؛ حيث تعد مؤلفاته مرجعاً مهماً، وتقبّلها العلماء بالقبول، واقبلوا عليها بالشرح والتعليق والتحقيق والدراسة، وساهم مفسرنا - رحمه الله - في حل مشكلات هذا العلم والمسائل الشائكة التي طال الكلام فيها، كالأحرف السبعة والتعليق على القراءات المتواترة والشاذة وقضية القراءات العشرة والسبعة وغير ذلك من المباحث في القراءات، وأتى بفوائد قيمة في علم التجويد، فقد وهب نفسه وجهده لخدمته، وسار في تصنيفه سيراً منظماً دقيقاً مفنناً، ولذلك كانت له اليد الطولى والفضل العظيم في تأصيل وتحرير مسائل هذا العلم، وتوج ذلك كله بتأليف تفسير للقرآن، اهتم فيه اهتماماً بالغاً بتفسير الآيات مستنداً بذلك لعلمه في القراءات بالدرجة الأولى، مع الاستعانة بعلوم التفسير الأخرى كاللغة والشعر والعقيدة والحديث وغيرها، وفيما يلي أهم مؤلفاته في علم القراءات:

1. كتاب التبصرة في القراءات السبع
2. اتفاق القراء
3. اختصار الإدغام الكبير على: (ألف، باء، تاء، ثاء).
4. اختصار الألفات.
5. اختلاف القراء في ياءات الإضافة وفي الزوائد.
6. الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة.

¹ هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويعرف بابن الصيرفي، شيخ شيوخ القراءات على مر العصور، وهو من دانية بالأندلس، كانت ولادته سنة 371 هـ بقرطبة، ووفاته بدانية سنة 444 هـ. الزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ج4، ص206

² هو الإمام أبو الخير شمس الدين ابن الجزري مُجَدُّ بن مُجَدُّ بن مُجَدُّ الدمشقي الإمام في القراءات الحافظ المحدث، وشيخ القراء في زمانه، وصاحب التصانيف المهمة التي منها: (النشر في القراءات العشر) وغيرها، ولد سنة 751 هـ، وتوفي سنة 833 هـ. ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص45

7. الاختلاف بين قالون وابن عامر.
8. الاختلاف بين قالون وابن كثير.
9. الاختلاف بين قالون وأبي عمرو.
10. الاختلاف بين قالون وحمزة.
11. الاختلاف بين قالون وعاصم.
12. الاختلاف بين قالون والكسائي.
13. الاختلاف في الرسم من "هؤلاء" والحجة لكل فريق.
14. الاختلاف في عدد الأعراس.
15. الاختلاف في قوله تعالى: ﴿ تُمْ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣٢
16. الإدغام الكبير.
17. الاستيفاء في قوله: ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ هود: ١٠٧
18. إصلاح ما أغفله ابن مسرة في قراءات شاذة.
19. الإمامة.
20. الانتصاف في الرد على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب "الإمامة".
21. كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة.
22. كتاب انتخاب نظم القرآن.
23. كتاب التنبيه على أصول قراءة نافع بن عبد الرحمن.
24. كتاب المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي.

25. كتاب الإبانة عن معاني القراءات.
26. كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها ومقاييس النحو فيها.
27. تعديل التجزئة بين الأئمة في شهر رمضان في قراءة القرآن في الأشفاع.
28. التذكرة في اختلاف القراء.
29. الحروف المدغمة.
30. كتاب الإدغام.
31. كتاب الوقف في كلا.
32. الموجز في القراءات.
33. الباءات المشددة في القرآن.
34. الوقف.
35. رسالة في تمكين المد.
36. البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة.
37. التبيان في اختلاف قالون وورش.
38. التذكرة في اختلاف القراء السبعة.
39. التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه.
40. دعاء خاتمة القرآن.
41. شرح اختلاف العلماء في الوقوف على قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ﴾
42. شرح الإدغام الكبير في المخارج.
43. شرح الوقف التام.
44. شرح رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم.
45. شرح الرءات على قراءة ورش وغيره.

46. شرح الفرق لحمزة وهشام.

47. شرح معنى الوقف على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ

جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴿يونس: ٦٥

48. شرح وجوه كشف اللبس التي لبس بها الأنطاكي في المد لورش.

49. علل هجاء المصاحف.

50. فرش الحروف المدغمة.

51. الكافي في القراءات.

52. المنتخب في اختصار الحجة للفارسي.

53. منع الوقف على قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْلِفَنَّ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ

يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴿التوبة: ١٠٧

54. الموجز في القراءات.

55. الهداية في الوقف على كلا.

المطلب الثالث: مصنفاته في العلوم الأخرى

1. التذكرة لأصول اللغة العربية ومعرفة العوامل.

2. دخول حروف الجر بعضها مكان بعض.

3. الرياض.

4. اللمع في الإعراب.

5. شرح حاجة وحوائج وأصلها.

6. شرح العارية والعرية.

7. مسائل الإخبار بالذي وبالألف واللام.

8. معاني السنين القحطية والأيام.
9. منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع.
10. المنتقى في الأخبار.
11. الوصول إلى تذكرة كتاب الأصول، لابن السراج في النحو.
12. إسلام الصحابة.
13. بيان الصغائر والكبائر.
14. بيان العمل في الحج من أول الإحرام إلى الزيارة لقبر النبي - ﷺ -.
15. الترغيب في الصيام.
16. الترغيب في النوافل.
17. التهجد في القرآن.
18. الرد على الأئمة فيما يقع في الصلاة من الخطأ واللحن في شهر رمضان وغيره.
19. شرح إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب مالك والحجة في ذلك.
20. فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً.
21. ما أغفله القاضي منذر ووهم فيه في كتاب (الأحكام).
22. المبالغة في الذكر.
23. المدخل إلى علم الفرائض.
24. منتقى الجوهر في الدعاء.
25. الموعظة المنبّهة.
26. الهداية في الفقه.
27. اختلاف العلماء في النفس والروح.
28. تنزيه الملائكة عن الذنوب وتفضيلهم على بني آدم.
29. كتاب الصغائر والكبائر.

30. المناسك

31. المنتقى في الأخبار

32. الإشارة في تعبير الرؤيا

33. مسألة الذبيح.

المطلب الرابع: مصنفاته المطبوعة

1. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لأبي مُجَدِّ

مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن مُجَدِّ بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي

المتوفى: 437هـ، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -

جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008

م، عدد الأجزاء: 13 ، بما فيها مجلد للفهارس.

2. الإبانة عن معاني القراءات، تأليف مكي بن أبي طالب، تحقيق د. عبد الفتاح شلبي، مكتبة

نخضة مصر، وله طبعة أخرى بتحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، نشرته دار المأمون للتراث

في دمشق، الطبعة الأولى سنة 1979م. طبع هذا الكتاب عن دار نخضة مصر للنشر، بتقديم

وتحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دون تاريخ الطبع. وقد اعتمد المحقق على نسخة

وحيدة توجد بدار الكتب المصرية تحت رقم 19164ب. وكتاب (الإبانة)، قيم على صغر

حجمه؛ فقد بين فيه مكي معاني القراءات، وتحدّث عن تفسير الحديث الشريف: "أُنزِلَ الْقُرْآنُ

عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ¹" حديثاً طريفاً، مدعوماً بالأدلة والأسانيد، وذكر ما يجب أن يعتقد في

القراءات مع ما يتصل بذلك من فوائدها، وغرائب معانيها، وجعل كتاب (الإبانة) متصلاً

بكتابه: (الكشف عن وجوه القراءات)، وهو الكتاب الذي ألفه مكي سنة أربع وعشرين

¹ ابن حنبل: أحمد بن مُجَدِّ الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: 1،

1421 هـ - 2001 م، مسند أبي هريرة - ﷺ -، ج 14، ص 120، 8390، وعلق المحقق: إسناده حسن.

وأربعمائة، ونظر فيه إلى كتاب (الحجة لأبي علي الفارسي)، حيث احتج للقراءات السبعة، وكشف عن عللها وحججها.

3. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، للإمام المقرئ أبي مُجّد مكّي بن أبي طالب القيسي، نشره مجمع اللغة العربية في دمشق سنة (1394هـ) في مجلدين بتحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، ومجموع صفحاته 1115 صفحة، ويعتبر هذا الكتاب من أمهات كتب القراءات وعللها وتوجيهها وحججها، وشاهد على علوّ كعبه، ورسوخ قدمه، وتمكنه من علوم القرآن وما يتعلّق به، وطبع الكتاب طبعات عدة؛ لإقبال الباحثين عليه، واهتمام الدارسين به، وهذا الكتاب أحد الأصول في فنّه، وامتاز على غيره بأمر عدّة، ويبحث في أصول اللغة ولهجاتها، ويحتوي على كثير من مذاهب المتقدمين لغويين ونحاة وقراء، وامتاز بمعالجة المواضيع تعليلاً واحتجاجاً.

4. التبصرة في القراءات السبع، للإمام المقرئ أبي مُجّد مكّي بن أبي طالب القيسي، نشرته الدار السلفية في الهند، الطبعة الثانية سنة 1982م. والكتاب يقع في 758 صفحة. وأهمية الكتاب تتضح من اسم الكتاب نفسه وموضوعه، فإنه يحتوي على جميع العلوم التي تتعلق بقراءة القرآن، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع في هذا الفن للتأكد من ضبط الحركات والسكنات ومخارج الحروف والقراءات المختلفة للقرآن.

5. مشكل إعراب القرآن، لأبي مُجّد مكّي بن أبي طالب القيسي، بتحقيق الدكتور ياسين السواس سنة 1974م صدرت عن مجمع اللغة العربية بدمشق، وله طبعة أخرى بتحقيق د. حاتم صالح الضامن، صدرت عن وزارة الإعلام العراقية سنة 1975م.

6. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، لأبي مُجّد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د أحمد حسن فرحات - دار المنارة - الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م.

7. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لأبي مُجَدِّ مكّي بن أبي طالب، تحقيق د أحمد حسن فرحات، طبعة 1973م، دار الكتب العربية دمشق.
8. تمكين المد في آتى وآمن وآدم وشبهه، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م.
9. شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهم في كتاب الله - ﷻ -، لأبي مُجَدِّ مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د أحمد حسن فرحات، دار المأمون للتراث، طبعة 1401 هـ - 1983 م.
10. الباءات المشدّات في القرآن وكلام العرب، لأبي مُجَدِّ مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، مكتبة الخافقين، الطبعة الأولى 1402هـ - 1982م، دمشق.
11. اختصار القول في الوقف على كلا وبلى ونعم، لأبي مُجَدِّ مكّي بن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، مكتبة الخافقين، دمشق.
12. العمدة في غريب القرآن لأبي مُجَدِّ مكّي بن أبي طالب، بتحقيق يوسف عبد الرحمان المرعشلي، طبعة 1981م، وقد صدر عن مؤسسة الرسالة بيروت¹، ويقع في 460 صفحة، وهو مختصر من كتاب: (تفسير المشكل من غريب القرآن) للمؤلف نفسه، هدّبه فيه واختصره، واختار أولى الأقاويل التي رجح صحتها على ما أدّاه إليه اجتهاده - مع طول باعه - وجعله كتيباً صغيراً ليكون زادا لقارئ القرآن يطلعه بسهولة ويسر، ويجد طلبته من الرأي المختار، ويوفر على نفسه عناء البحث والتفتيش.
13. تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار، دراسة وتحقيق: هدى الطويل المرعشلي، طبعة دار النور الإسلامي، وهذا الكتاب مرتب على السور، وقد اعتمد مكّي بن أبي طالب فيه على كتاب ابن قتيبة، ولكنه أوجز عبارة منه.

¹ نبه الدكتور حسن فرحات إلى أن هذا الكتاب لا تصح نسبه لمكي بن أبي طالب لأسباب عديدة، ينظر: فرحات: أحمد حسن، " مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن "، ص7

14. الوقف على كلا وبلى في القرآن، لأبي مُجَدِّ مكي بن طالب القيسي، تحقيق: د. حسين نصار، دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1423هـ - 2003م.

هذه أهم المصنفات التي ألفها مكي بن أبي طالب ووصلنا بعضها ولم يصلنا الكثير منها، لأسباب عديدة معروفة، وكانت حياته خصبة وطويلة وبارك الله له فيها ونفع الناس بها، وقد نسبت له كتب التراجم الكثير من المؤلفات وهي تدل على مكانته السامية بين علماء الأمة، وهذه المؤلفات بعضها موسوعة تشتمل على عدة مجلدات، وبعضها رسائل صغيرة ولكنها مفيدة، وهناك الكثير من مؤلفاته مفقودة، وهناك بعض الكتب المنسوبة لمكي عن طريق الخطأ؛ وقد نبّه إليها الدكتور أحمد حسن فرحات في كتابه (مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن)، مع العلم أن هذه الكتب التي ذكرتها تختلف تسميتها في كتب التراجم التي ترجمت لمكي بن أبي طالب؛ بين التطويل والإيجاز ولكن المعنى واحد، وهو يدل على نسبتها له؛ وأنه ألف في هذا الفن من العلم. وفي ختام مصنفات مكي بن أبي طالب، نذكر أن هذا العالم قد لقي عناية كبيرة من الباحثين والدارسين من طلاب علم أكاديميين ومنتقنين في جل العصور لاسيما عصرنا الحاضر، وكان أكبر مؤلف أهتم بمؤلفاته هو الدكتور أحمد حسن فرحات، بالإضافة إلى أن هناك الكثير من الطلبة الذين قاموا بعمل رسائل علمية (ماجستير ودكتوراه) في الجامعات العالمية؛ وكانت الدراسة تختص بهذه المؤلفات وتحقيقتها ودراستها ونفض الغبار عنها، وهذا ما سنعرفه لاحقاً.

المطلب الخامس: الدراسات السابقة حول تفسير مكي ومصنفاته

قد أشرنا سابقاً إلى أن مكي بن أبي طالب عالم موسوعي وله عدة مؤلفات مخطوطة ومطبوعة خصوصاً في علم التفسير والقراءات، وقد أعتنى العلماء بها منذ القدم، ووجدنا مفسرين كباراً كالقرطبي وابن عطية وأبي حيان يرجعون إلى آرائه في التفسير والقراءات والنحو وغيرها، وكل العلماء الذين جاؤوا بعده استفادوا من هذه المؤلفات خصوصاً في الأندلس والمغرب، ويعتبر مرجعاً عند العلماء والقراء في علوم القرآن وفن التجويد، واشتهر مكي بن أبي طالب القيسي عند كثير من الباحثين بكونه مشتغلاً بالقراءات والنحو أكثر من علم التفسير، حتى جاء الدكتور أحمد

حسن فرحات برسالته للدكتوراه في جامعة الأزهر سنة 1973م. ليدرس جهود مكّي بن أبي طالب في علم التفسير ويخلص إلى أن لمكّي بن أبي طالب تفسيراً كاملاً لكتاب الله - ﷻ -، وهو موجودٌ غير مفقود، وله عدة نسخ موزعة في مكتبات العالم وقد أشرنا إلى هذا سابقاً، إلا أن الدكتور أحمد حسن فرحات اعتمد في بحثه على التنقل وجمع النسخ المخطوطة للتفسير والمنتشرة في مكتبات العالم المختلفة، ولم يكن التفسير قد طبع بعد، وترك الفرصة للباحثين لتحقيق التفسير وإخراجه وطبعه حتى يأخذ مكانه اللائق في المكتبة القرآنية ليستفيد منه المسلمون عموماً، والباحثون على وجه الخصوص، ونبه إلى أهميته بين التفاسير لأن مؤلفه مكّي بن أبي طالب علم من أعلام العلماء النابغين، وكثير من المفسرين الذين جاؤوا بعده استفادوا منه، وهنا تكمن أهمية وقيمة هذا التفسير، ويكشف عن جانب آخر من شخصية هذا العالم الفذ الذي كرس حياته لخدمة كتاب الله - ﷻ - ، قراءة وتجويدا وإعرابا وتفسيرا. وظل التفسير أسيرا حبيسا في خزائن المخطوطات إلى أن قامت جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة بطباعته سنة 2008م بإشراف مجموعة من الباحثين وبجهود مبارك مشكور كما ذكرنا سابقاً، ونحن نتعامل مع هذا التفسير المطبوع لأول مرة ويقع في ثلاثة عشر مجلدا وليس له - في حدود علمي - طبعة أخرى غير هذه الطبعة، لكونه لم يتناول بالدراسة التفصيلية المعمقة بالرغم من أهميته؛ وذلك لأنه لم يطبع من قبل. وسأذكر أهم الدراسات التي تيسر لي الاطلاع عليها حول مكّي بن أبي طالب ومصنفاته المختلفة ولا أقصد الاستقصاء لأن الجامعات الإسلامية متعددة ومنتشرة في شتى أنحاء العالم، ومكّي بن أبي طالب له مؤلفات عديدة ونال شهرة واسعة ولقي عناية كبيرة من طرف العلماء والباحثين في جل العصور لاسيما في عصرنا الحاضر، فقد قام عدة باحثين بعمل رسائل علمية (ماجستير ودكتوراه) مختصة في دراسة مؤلفاته، وكان على رأسهم الدكتور أحمد حسن فرحات حيث أعطى عناية كبيرة لمؤلفاته، وسأذكر أغلب الدراسات والتي جمعتها من مصادر متعددة كالشبكة العنكبوتية، والاطلاع على بعض مصنفات المكتبات بالجامعات العالمية، ولكن أغلب

الرسائل لم نحصل عليها كاملة، وإنما فقط بعض العناوين الموجودة والتي تيسر لي الحصول عليها، ومتأكد أنه هناك دراسات لم أطلع عليها لظروف عدة معروفة.

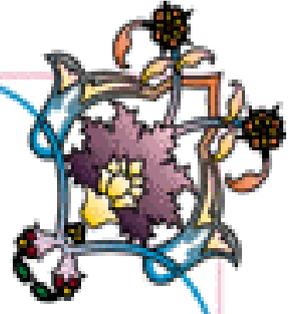
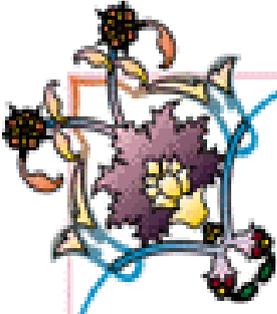
1. مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن، للدكتور أحمد حسن فرحات¹، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الأزهر بمصر سنة 1973م. تكلم فيها الباحث عن الإمام مكّي ومؤلفاته ومنهجه في التفسير وقيّمته بشكل مختصر، وتعامل مع التفسير وهو مخطوط ونبّه الباحثين والعلماء إلى أهميته ومكانته بين التفاسير، بالإضافة إلى تعريفه بمؤلفات مكّي المخطوطة آنذاك في التفسير وعلوم القرآن والعربية، وهذا واضح من مقدمة المؤلف لكتابه حيث طبعه وهو أستاذ بجامعة الكويت، وصدرت الطبعة عن دار عمار بالأردن سنة 1997م، في مؤلف مستقل، وذكر الدكتور أحمد حسن فرحات أنه تلقى عدة صعوبات في دراسته من بينها التضحية بالسفر والمال والوقت لجمع مخطوطات التفسير المنتشرة في مكنتات العالم كالمغرب وتونس والشام والحجاز وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وتركيا، ومنها الكاملة والناقصة، ونبّه إلى أنه وجد صعوبة في فك الرموز والطلاسم وقراءة الأفلام والمصورات المخطوطة بالخط المغربي الصعب القراءة، وبعضها مليء بالتصحيف والتحريف والتآكل كما هو حال بعض المخطوطات الموجودة في بلادنا، لكنّه عمل موفق من الدكتور أحمد حسن فرحات حيث نبّه إلى أن لمكّي بن أبي طالب تفسيراً قيماً لا بد من دراسته وتحقيقه وطباعته، وأن هناك مؤلفات عديدة لمكّي لم تطبع ولم تر النور بعد في علوم القرآن والتفسير والعربية، وكان هو البادئ بها؛ حيث حقق الكثير منها بعد عمله هذا، فجزاه الله عنا وعنه خير الجزاء.
2. مكّي بن أبي طالب وأثره في الدراسات النحوية واللغوية، رسالة دكتوراه للباحث وهبة متولي عمر، جامعة القاهرة كلية دار العلوم، تاريخ المناقشة: 1979م. وهي خاصة بالجانب اللغوي فقط، ويتضح هذا من عنوان الرسالة.

¹ أردت الاتصال به، ولكن لم يتيسر لي ذلك لظروف عدة معروفة.

3. الدرس النحوي في كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي، تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة هدى عبد الفتاح وإشراف الدكتور طاهر سلمان، جامعة طنطا 1993م، مصر. وهي خاصة بكتاب مكي (مشكل إعراب القرآن).
4. جهود الامام مكي في القراءات القرآنية واعراب القرآن للدكتور شرف الدين الراجحي، وهي كعنوانها وصفت كُتب الإمام مكي وعنايتها بالقراءات وإعراب القرآن، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1994م.
5. توجيهات مكي للقراءات القرآنية من وجهة نظر نحوية في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير في اللغة العربية، للباحث منصور الكفاوين وإشراف الأستاذ الدكتور أحمد الجنابي، جامعة مؤتة الأردن، 1995م، وهي خاصة أيضا بالجانب اللغوي فقط.
6. الدرس الصرفي والنحوي عند مكي بن أبي طالب القيسي، رسالة دكتوراه للباحث عبد الله أحمد حمزة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية تاريخ المناقشة: 1998م. وهي خاصة أيضا بالجانب اللغوي.
7. التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب في ضوء علم اللغة المعاصر، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، للباحث علاء الدين الغرايبة وإشراف الدكتور جعفر عبابنة، الجامعة الأردنية، 2003م. وهي خاصة بمخارج الأصوات.
8. الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي، رسالة ماجستير في اللغة العربية للباحث بكر أبي معيلي، وإشراف الدكتور عبد القادر مرعي، وهي خاصة بدراسة كتابيه: (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)، وكتاب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة)، جامعة مؤتة الأردن، 2003م.
9. المعايير اللغوية لمشكل إعراب القرآن الكريم في كتاب مكي بن أبي طالب القيسي "مشكل إعراب القرآن" دراسة صوتية صرفية ونحوية، رسالة ماجستير للباحث: علي أحمد المسعديين،

- وإشراف الدكتور عبد القادر الخليل، جامعة مؤتة الأردن، 2005م. وهي خاصة بكتابه (مشكل إعراب القرآن).
10. قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكّي بن أبي طالب القيسي، رسالة ماجستير للباحث يحي أحمد جلال، وإشراف الدكتور أحمد شكري، الجامعة الأردنية 2006م. وتناول الباحث قضية الترجيح والاختيار في القراءات عموماً، معتمداً على كُتب القراءات عند مكّي وغيره من القراء.
11. ترجيحات مكّي بن أبي طالب القيسي في "تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية" من أول الفاتحة إلى نهاية المائة "جمعاً ودراسة"، رسالة ماجستير مقدمة من الباحثة: إسراء حسن خلف، وإشراف الدكتور صلاح أحمد شلال، بكلية الآداب، الجامعة العراقية، 2013م. وهي خاصة بالترجيحات عند مكّي في تفسير الهداية، ومحددة من سورة الفاتحة إلى نهاية المائة.
12. اختيارات مكّي بن أبي طالب القيسي في كتابه (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)، "دراسة لغوية تحليلية"، رسالة ماجستير للباحث: إسلام حسني، وإشراف الدكتور: فوزي إبراهيم، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013م. وهي خاصة بكتابه (الكشف عن وجوه القراءات).
13. دراسة نحوية لكتاب مشكل إعراب القرآن لمكّي بن أبي طالب، رسالة ماجستير للباحث يحي بشير، وإشراف الدكتور مُجّد عبد الخالق عزيمة، جامعة الإمام مُجّد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، تاريخ المناقشة: 1402هـ، وهي خاصة بكتابه (مشكل إعراب القرآن).
14. منهج مكّي بن أبي طالب في الاختيار والترجيح في التفسير "جمعاً ودراسة"، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث: دخيل بن عبد الله الدخيل، وإشراف الدكتور حسين بدوية، جامعة الإمام مُجّد بن سعود الإسلامية، 1432هـ. وهي خاصة بالاختيار والترجيح.
15. قواعد الترجيح عند الإمام مكّي بن أبي طالب في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، "دراسة تأصيلية تطبيقية"، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحثة: عائشة بنت مُجّد الحمدان،

- وإشراف الدكتور صالح بن ناصر في قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض، 1435هـ. وهي خاصة بترجيح أقواله في الهداية.
16. منهج الإمام مكي بن أبي طالب في الترجمات من خلال تفسيره "الهداية إلى بلوغ النهاية"، رسالة ماجستير للباحث فاخر بن بريكان القرشي، وإشراف الدكتور عبد الرحيم الغامدي، جامعة أم القرى، سنة النشر: 1435هـ، حيث تعرض الباحث إلى قضية الترجيح في التفسير خصوصاً بين الأقوال المختلفة ومركزاً على أقوال مكي في تفسيره وبعض التفاسير المختلفة.
17. اختيارات مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه (الكشف عن أوجه القراءات السبع)، "دراسة موازنة"، رسالة ماجستير للباحث محمد بن ناصر وإشراف الدكتور: جمعة سهل جابر، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، سنة النشر: 1423هـ، وهي خاصة بتوجيه القراءات في كتاب مكي (الكشف عن أوجه القراءات السبع).
18. البحث الصوتي عند مكي بن أبي طالب، رسالة ماجستير، للباحث يحي الجبوري، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق. تاريخ النشر: 1997، وهي خاصة بمخارج الأصوات.
19. مكي بن أبي طالب القيسي ومنهجه في توجيه القراءات القرآنية، رسالة ماجستير للباحث: سعد ربيع وإشراف الدكتور شاهد البوشيخي، كلية الآداب، عين الشق الدار البيضاء، المغرب. وهي خاصة بالقراءات.
- وهذا ما تيسر لي الاطلاع عليه في الدراسات السابقة عن مكي بن أبي طالب ومؤلفاته، وقد أطلعت على بعض هذه الرسائل، واستفدت منها من جوانب في بحثي هذا؛ لكنها ليست دراسة متخصصة في منهج التفسير الذي أقوم بدراسته، فهي دراسات مختلفة ومتنوعة على مكي بن أبي طالب ومؤلفاته، ومنها ما هو متعلق بجوانب من العلوم التي طرقها مكي، ومنها ما هو خاص بمؤلفاته المتعددة إلا رسالة الدكتور أحمد حسن فرحات، وقد ذكرت الفروق سابقاً.



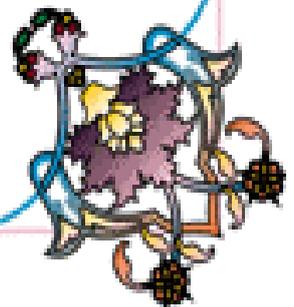
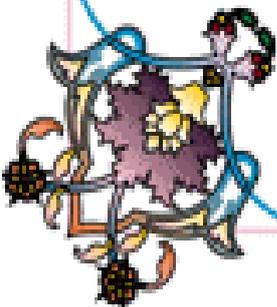
الفصل الأول: مدخل إلى دراسة تفسير الهداية إلى بلوغ

النهاية

المبحث الأول: التعريف بتفسير مكي بن أبي طالب

المبحث الثاني: الدراسة العامة حول التفسير

المبحث الثالث: مصادر مكي في تفسيره



المبحث الأول: التعريف بتفسير مكّي بن أبي طالب

إن تفسير مكّي بن أبي طالب من التفاسير القديمة التي تعود إلى القرن الخامس الهجري، وظل هذا التفسير مخطوطاً وموزعاً في شتى مكتبات العالم، ويرجع الفضل في التنبيه عليه إلى الدكتور أحمد حسن فرحات الذي تعامل مع بعض مخطوطات التفسير في دراسته سنة 1973م، وإلى أن قامت جامعة الشارقة بطبعه سنة 2008م، وبما أن تفسير (الهداية إلى بلوغ النهاية)، هو موضوع بحثنا، فسننظر في هذا المبحث إلى إلقاء الضوء على مخطوطات التفسير، وكيفية طباعته وإخراجه، وإلى الأدلة الكثيرة التي تثبت صحة نسبته إلى مكّي بن أبي طالب.

المطلب الأول: وصف مخطوطات التفسير

إن تفسير مكّي بن أبي طالب ظل سنوات عديدة مخطوطاً، وله عدة مخطوطات؛ منها الكاملة والناقصة وغيرها، وهي منتشرة في أنحاء العالم، ولقد أشار إلى هذا الدكتور أحمد حسن فرحات في مقدمة كتابه (مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن) حيث تعامل مع التفسير وهو لا يزال مخطوطاً، حيث قال: "حينما بدأت البحث في موضوع مكّي بن أبي طالب؛ لم يكن قد طبع من مؤلفات مكّي إلا كتابه الوحيد (الإبانة عن معاني القراءات) بتحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وهذا يدل على أن المفسّر كان مجهولاً إلى حد ما في الأوساط العلمية إلى هذه الفترة"¹، مع العلم إن هذا الكتاب كان قد طبع سنة 1969م، وجل كتبه كانت لا تزال مخطوطة ولم تر النور بعد، وهي منتشرة في جل مكتبات العالم، فألزم الدكتور أحمد فرحات نفسه عناء السفر والبحث عن مخطوطات التفسير، وكان أول سفر له للمغرب الأقصى حيث إنه وجد معظم ضالته في تفسير مكّي وبعض مصنفاته الأخرى، ثم واصل بحثه إلى مدريد حيث حصل على جزء من تفسير سورة البقرة، ثم إلى فرنسا وبريطانيا وتركيا ومصر والحجاز والشام، ووصف هذه الرحلة بقوله: "كانت رحلة علمية مفيدة جمعت فيها معظم تراث مكّي الذي جمعته لنا الأيام، وكان معظمه في التفسير

¹ ينظر: مقدمة الدكتور أحمد حسن فرحات لكتاب مكّي، فرحات: أحمد حسن، "مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن"،

وعلم القرآن والعربية¹، وأول ما يشد انتباه القارئ؛ هو تفنن مكّي بن أبي طالب في اختيار عنوان كتابه، وهذه ملاحظة تنطبق على جل مؤلفاته، فمثلاً تفسيره الذي بين أيدينا سماه (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه)، فهذا العنوان متضمن لما يجول في خاطر المفسر من دراسة؛ فلهذا جاء طويلاً، ثم مسجوعاً غير متكلف فيه، دقيقاً شاملاً لمعنى الكتاب، وكأنه المفتاح له، وهذا يدل على مكانة مكّي بن أبي طالب في اللغة العربية، فكثير من عناوين الكتب نجد لها مسجوعة بليغة متكلفة؛ والمعنى لا يدل على موضوع الكتاب أو المغزى منه.

أما فيما يخص مخطوطات التفسير فقد ذكر الدكتور أحمد حسن فرحات أنه بعد بحثه في مختلف مكتبات العالم، وجد أنها عبارة عن أربع مجلدات تشمل كل القرآن وهي كالتالي:

1. المجلد الأول: وهو عبارة عن ستة نسخ مختلفة الأماكن والأحوال وهي كالتالي:

أ - نسخة المكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم: (4945)، وتبتدئ من تفسير (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وتنتهي بتفسير الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ البقرة: ٨٧١، وهي بدون مقدمة، وبخط مغربي جميل.

ب - توجد بالخزانة العامة بالرباط ثلاث نسخ للمجلد الأول من التفسير، فالنسخة الأولى مسجلة تحت رقم: (814) وتبتدئ من أول سورة الفاتحة إلى الآية (91) من سورة الأنعام، وهي بخط مغربي جميل. والنسخة الثانية مسجلة تحت رقم: (ق217)، وتبتدئ بمقدمة الكتاب وتنتهي ببداية سورة الأعراف، وهي بخط مغربي أيضاً. والنسخة الثالثة مسجلة تحت رقم: (ق603) وهي ليست سليمة وقد أصابها التلف.

¹ ينظر: فرحات: أحمد حسن، "مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن"، من: ص11 وص12 بتصرف.

ج - نسخة الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 1/1315، تبتدىء بسورة الحمد وتنتهي بتفسير قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ آل هـ ران: ٢١١، وهي بخط مغربي جميل، وكثيرة الخروم وبدون مقدمة.

د - نسخة المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم: (10739)، تبتدىء بسورة الفاتحة وتنتهي بآخر سورة النساء.

2 - المجلد الثاني: وهو عبارة عن ثلاث نسخ كلها بالمغرب وهي:

أ - توجد بالخزانة العامة بالرباط نسختان: فالنسخة الأولى مسجلة تحت رقم: (ق58)، وهي تبتدىء بسورة يونس وتنتهي بآخر الكهف، والنسخة الثانية تبتدىء من الآية (74) من سورة الأعراف إلى قصة ذي القرنين في سورة الكهف.

ب - نسخة مكتبة جامعة مكناس مسجلة تحت رقم: (386)، وتبتدىء من سورة النساء وتنتهي بالآية (182) من سورة الأعراف.

3 - المجلد الثالث: توجد منه نسخة واحدة فريدة في الخزانة العامة بالرباط مسجلة تحت رقم: (ك337)، ومكتوبة بخط أندلسي جميل على جلد غزال، وتبتدىء من سورة مريم وتنتهي بآخر سورة الزمر.

4 - المجلد الرابع: وهو عبارة عن أربع نسخ كلها بالمغرب، وهي كالتالي:

أ - نسخة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: (ق218)، وتبتدىء من سورة المؤمنين وتنتهي بسورة الناس بخط مغربي جميل.

ب - توجد بالخزانة الملكية بالرباط نسختان للمجلد الرابع من التفسير، فالنسخة الأولى مسجلة تحت رقم: (9782)، تبتدىء بسورة يس وتنتهي بالناس، وهي بخط مغربي جميل وبها خروق وتلف واضح. والنسخة الثانية مسجلة تحت رقم: (215)، تبتدىء من سورة الواقعة من قوله تعالى:

﴿وَلَحِمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ الواقعة: ١٢، إلى آخر سورة الناس، مكتوبة بخط

مغربي جميل وفيها بعض التلف والخروم أيضا.

ج - نسخة خزنة واد درعة في جنوب المغرب بالصحراء مسجلة تحت رقم: (2832)، وهي بخط أندلسي قديم¹.

هذا ما ذكره الدكتور أحمد حسن فرحات في مقدمة كتابه (مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن) عن جُل مخطوطات التفسير التي تعامل معها، وكان هذا العمل الذي قام به في سنة 1973م. أما جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة والتي طبعت الكتاب سنة 2008م، فعملها يختلف عما قام به الدكتور أحمد حسن فرحات؛ لأسباب عديدة؛ من بينها طول الفترة الزمنية بين التحقيق، فسنة 2008م تختلف عن سنة 1973م، وهذه هيئة علمية فيها كثير من الباحثين بينما الدكتور أحمد حسن فرحات كان لوحده، وهناك أسباب أخرى يطول شرحها، - قد أشرنا لأغلبها سابقاً - ووصفت جامعة الشارقة مخطوطات التفسير حسب رواية المحققين بأنها متنوعة وقد وصلت إلى عشرين نسخة كلها من بلاد المغرب الأقصى، ولم يجتمع التفسير كله في مخطوطة واحدة، واعتمد التحقيق على أربع نسخ ضمت القرآن كله، وجعلتها هي الأصل، وقارنت بينها وبين بقية النسخ؛ وهذا نظرا لكثرة النسخ وطول التفسير، وأهم المخطوطات هي:

النسخة الأولى: وهي نسخة قسم الوثائق بالخرزانة العامة بالرباط رقم: (ق814)، عدد أوراقها 187 ورقة، تبتدئ بمقدمة المؤلف، وتنتهي إلى الآية 91 من سورة الأنعام، وحالتها جيدة خالية من الخروم والرطوبة والتلف، وكتبت بخط مغربي جميل، ومداد بني وأحمر.

النسخة الثانية: وهي نسخة قسم الوثائق بالخرزانة العامة بالرباط أيضاً تحت رقم: (ق24)، وعدد صفحاتها 455 صفحة، ومكتوبة بخط مغربي رديء وبها خرم وطمس، وتبتدئ بأواخر الآية 72 من سورة الأعراف إلى الآية 90 من سورة الكهف.

النسخة الثالثة: وهي نسخة الخزنة الوطنية في الرباط رقم (ك337)، في مجلد واحد، وعدد صفحاتها 402 صفحة، وتبتدئ بسورة مريم وتنتهي بسورة الزمر، مكتوبة على ورق غزال، وهي بخط جميل دقيق، وبحالة جيدة وقليلة الأخطاء والخروم.

¹ ينظر أكثر تفاصيل على هذه النسخ في كتاب الدكتور أحمد حسن فرحات، فرحات: أحمد حسن، "مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن"، من ص 109 حتى ص 113 بتصرف.

النسخة الرابعة: وهي نسخة الخزانة الحسينية الملكية في الرباط تحت رقم: (9782)، وعدد صفحاتها 411 صفحة، وتبتدئ بسورة يس وتنتهي بسورة الناس، ومكتوبة بخط مغربي مقروء، وقليلة الأخطاء¹.

هذه أهم مخطوطات التفسير التي ذكرها الدكتور أحمد حسن فرحات، وأشارت لها جامعة الشارقة في مقدمة تحقيق التفسير، مع العلم أن البون شاسع بين مخطوطات التفسير التي حصل عليها الدكتور أحمد حسن فرحات وتحقيق كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة؛ وهي ما يقارب خمسة وثلاثين سنة، وهي فترة زمنية طويلة؛ حيث صرحت هذه الأخيرة أن بعض الأجزاء قد حصلت على خمس نسخ من المخطوط، بينما البعض الآخر لم تكن له إلا نسختان، واختلط الأمر على المحققين بسبب اعتماد النسخة الأصلية للمخطوطة والمقارنة بينها وبين بقية النسخ الأخرى، وكل المخطوطات التي اعتمد عليها التحقيق كانت من مكاتب المغرب الأقصى، بينما الدكتور أحمد حسن فرحات صرح بأنه وجد مخطوطات للتفسير بالمكتبة الوطنية بمدريد، والمكتبة الوطنية بتونس وتركيا ومصر.

المطلب الثاني: وصف تحقيق التفسير وطريقته

ذكرت جامعة الشارقة في مقدمة التفسير؛ أن أصل الكتاب عبارة عن مجموعة رسائل جامعية في الماجستير لأساتذة باحثين تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد عبد الله بفاس بالمغرب الأقصى، وقد قسم التفسير إلى إثني عشر قسماً بمعدل جزئين إلى ثلاثة أجزاء لكل قسم في رسائل علمية لدرجة الماجستير بالمغرب، وقامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه على النحو التالي:

- 1 - سورة الفاتحة والبقرة تحقيق: زارة صالح.
- 2 - سورة آل عمران والنساء تحقيق: بنصر محمد علي.
- 3 - سورة المائدة والأنعام تحقيق: الحسن بوقسيمي.

¹ ينظر مقدمة تحقيق تفسير الهداية: مكّي، الهداية، م1، ص 61 و62 بتصرف.

- 4 - من سورة الأعراف إلى سورة التوبة، تحقيق: الحسين عاصم.
- 5 - من سورة يونس إلى سورة إبراهيم، تحقيق: محمد عبد الحق حنشي.
- 6 - من سورة الحجر إلى سورة الكهف، تحقيق: مولاي عمر بن حماد.
- 7 - من سورة مريم إلى سورة المؤمنون، تحقيق: أصبان إبراهيم.
- 8 - من سورة النور إلى سورة القصص، تحقيق: عز الدين جوليد.
- 9 - من سورة العنكبوت إلى سورة الصافات، تحقيق: عبد العزيز اليعكوبي.
- 10 - من سورة ص إلى سورة الجاثية، تحقيق: مصطفى رياح.
- 11 - من سورة الأحقاف إلى سورة الصف، تحقيق: مصطفى الصمدي.
- 12 - من سورة الجمعة إلى سورة الناس، تحقيق: فوضيل مصطفى.

وهناك المجلد الثالث عشر وهو للفهارس، وصرح المحققون لأجزاء التفسير المختلفة بأنهم أتفقوا على منهج التحقيق وفق الخطوات التالية:

- 1 - نسخ الأصل المخطوط المعتمد للكتاب مع مراعاة قواعد الرسم الحديثة في الإملاء.
- 2 - مقابلة النسخ الأخرى على الأصل؛ مع الإشارة إلى الفروق في الحواشي واختيار الصواب من النسخ الأخرى عند وجود الخطأ أو التصحيف أو التحريف في الأصل.
- 3 - تقويم النص وتوثيقه؛ بالرجوع إلى مصادر ألفها مكي واعتمدها من تفاسير السابقين، ومصادر نقلت عن مكي، ومصادر لها صلة به.
- 4 - الإشارة إلى انتهاء صفحة المخطوط وابتداء الصفحة الجديدة بخط مائل./
- 5 - ضبط النصوص القرآنية بالحركات برواية ورش وترقيمها حسب الترقيم المعتمد، وحصنها بين الأقواس.
- 6 - تخريج القراءات القرآنية المذكورة من كتب القراءات، ونسبتها إلى أصحابها بالاعتماد على كتب القراءات.
- 7 - تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها ومظاهرها في كتب الصحاح والسنن والمسانيد.

- 8 - تخرّيج الأحكام الفقهية وأقوال الفقهاء من مصادرها في كتب الفقه والأحكام.
 - 9 - تخرّيج الشواهد الشعرية والأمثال مع نسبتها إلى قائلها وذكر مصادرها.
 - 10 - تخرّيج الأقوال النحوية والصرفية واللغوية من مصادرها في الكتب التي ورد ذكرها أو من غيرها مثل إعراب القرآن للنحاس والزجاج والمقتضب للمبرد.
 - 11 - التعريف بالأعلام من الصحابة والتابعين أو القراء والنحاة واللغويين من كتب الطبقات والتراجم والتاريخ.
 - 12 - شرح الألفاظ الغريبة الواردة بالرجوع إلى معاجم اللغة وكتب الغريب والتفسير عند الحاجة.
 - 13 - صناعة الفهارس الفنية والكشافات للكتاب لتيسير الانتفاع بها، وأهم هذه الفهارس: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام، وأخيراً المصادر والمراجع المستخدمة في الكتاب، والفهرست الإجمالي للكتاب¹.
- ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن العمل الذي قام به الباحثون في تحقيق التفسير عملاً جباراً قلما يتوفر لغيره من التفاسير والكتب المحققة، وخصوصاً كونه عمل جماعي قام به مجموعة من الباحثين ولم يقم به باحث واحد، وكانت لجنة أعضاء مجموعة بحوث الكتاب والسنة في جامعة الشارقة والتي تتكون من علماء أجلاء أمثال الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم وغيره؛ قد بذلت هي الأخرى جهداً مميّزاً وأشرفت على مراجعة التحقيق وتدقيقه بالحذف والإضافة وإخراجه للطباعة، وقد رأت هي الأخرى بعض الشروط والضوابط في ذلك، من بينها أن يكون إخراج الكتاب قريب من هدف وغاية مكّي بن أبي طالب في تفسيره بحيث اعتمدت الآيات القرآنية بالرسم العثماني وأن تكون على رواية ورش عن نافع وهي القراءة المعتمدة في عصر المؤلف والأندلس والمغرب العربي؛ وإلى يومنا هذا، وكذلك الإبقاء على ترجيحات المحققين وتعليقاتهم العلمية وذلك تقديراً لجهودهم ومن باب إسناد الفضل لأهله، وأن تكون طباعة التفسير وإخراجه في أبهى حلة².

¹ ينظر مقدمة تحقيق تفسير الهداية: مكّي، الهداية، م1، ص 58

² ينظر كلام الدكتور مصطفى مسلم منسق مجموعة بحوث الكتاب والسنة بجامعة الشارقة في مقدمة التحقيق: المصدر

نفسه، م1، ص4

المطلب الثالث: توثيق نسبة التفسير إلى مؤلفه

لقد تيقن الباحثون والدارسون من نسبة تفسير الهداية إلى مكّي بن أبي طالب بأدلة عديدة لا تدع مجالاً للشك، فلقد أجمعت جل المصادر التي ترجمت له على نسبة التفسير إليه باختلاف في التسمية أحياناً، فمنهم من قال: "الهداية في التفسير"، ومنهم من قال: "وتفسيره الجليل"، ومنهم من أتم التفسير بقوله: "وله البداية والنهاية في تفسير القرآن....."، فقد جاء في معجم الأدباء: "وله تصانيف كثيرة أشهرها الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير"¹. وأشار الداوودي في طبقاته إلى: "أن تفسير الهداية هو لمكّي بن أبي طالب"². وجاء في شجرة النور الزكية: "وصنف التصانيف الكثيرة في علوم القرآن وغيره، منها الإيجاز واللمع في الإعراب والهداية كتاب كبير في التفسير"³. وقال الذهبي: "ومن تأليفه التبصرة في القراءات والكشف عليه وتفسيره الجليل..."⁴، وقال عنه القفطي: "فمن تصانيفه: الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه، سبعون جزءاً"⁵. وقال ابن خير: "كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه سبعون جزءاً، تأليف أبي محمد مكّي بن أبي طالب المقرئ رحمه الله"⁶. فهذه المصادر التي ذكرتها تدل دلالة واضحة على نسبة التفسير له، وهناك مصادر أخرى أضربت عنها حتى لا نخرج عن المقصود. وهناك دليل آخر قوي على نسبة تفسير الهداية إلى مكّي بن أبي طالب؛ وهو رجوع المفسرين الذين جاؤوا بعده إلى تفسيره والاستفادة منه والإشارة إليه، خصوصاً مفسري الأندلس مثل ابن عطية والقرطبي وابن جزّي الكلبي وأبي حيان وغيرهم، قال ابن عطية صاحب (المحرر الوجيز) في مقدمة تفسيره: "وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان - رضي الله عنه - في ذلك، وقد ذكر ذلك مكّي - رحمه الله - في تفسير سورة براءة. وذكر أن ترتيب

¹ الحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ج6، ص2713

² الداوودي: محمد بن أحمد، "طبقات المفسرين"، ج2، ص332

³ مخلوف: محمد بن محمد، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، ج1، ص160

⁴ ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، ج2، ص310

⁵ القفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج3، ص315

⁶ ابن خير: أبو بكر محمد الإشبيلي، "فهرسة ابن خير الإشبيلي"، ص41

الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي - ﷺ -، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة¹. وعلى سبيل المثال لا الحصر عند تفسير ابن عطية قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦) ﴿الْأزْعام: ٦١﴾، قال: "قال بعض الناس القراءة بفتح الياء "من يصرف" أحسن لأنه يناسب ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾، وكان الأولى على القراءة الأخرى "فقد رحم" ليتناسب الفعلان. قال القاضي أبو محمد²: وهذا توجيه لفظي تعلقه خفيف، وأما بالمعنى فالقراءتان واحد، ورجح قوم قراءة ضم الياء لأنها أقل إضماراً، وأشار أبو علي إلى تحسين القراءة بفتح الياء بما ذكرناه، وأما مكّي بن أبي طالب - رحمه الله - فتخبط في كتاب (الهداية) في ترجيح القراءة بفتح الياء، ومثل في احتجاجه بأمثلة فاسدة والله ولي التوفيق³. مع العلم أن ابن عطية جاء بعد عصر مكّي بن أبي طالب ولم يُلاقه؛ لأن مكّي بن أبي طالب كانت وفاته سنة 437هـ، ومولد ابن عطية سنة 481هـ، والمفسران أندلسيان كما هو معلوم، وهذا النقد اللاذع من ابن عطية لمكّي بن أبي طالب غير مقبول، لأن طريقة النقد تكون في الأصل بأسلوب هادئ وبنّاء وبدون تحريج، لأن المجتهد إذا اجتهد وأصاب فله أجران وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر، مع أنهما عالمان جليلان، ولا يمكن الطعن فيهما.

وكذلك نجد الإمام القرطبي ينقل عن مكّي بن أبي طالب في تفسيره، فمثلاً عند تفسيره قوله

تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُو مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ﴾ (١٣) ﴿سبأ: ٣١﴾،

قال في معرض تفسيره لكلمة "تمثيل": "حكى مكّي في الهداية له: أن فرقة تجوز التصوير، وتحتج بهذه الآية. قال ابن عطية: وذلك خطأ، وما أحفظ عن أحد من أئمة العلم من يجوزه. قلت: ما

¹ ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1422 هـ، ج: 1، ص 50

² يقصد نفسه هو: ابن عطية

³ ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ج: 2، ص 274

حكاه مكي ذكره النحاس قبله، قال النحاس: "قال قوم عمل الصور جائز لهذه الآية"¹. والإمام القرطبي متأخر عن مكي وابن عطية، لأن وفاته كانت سنة 671هـ.

ومن المفسرين الأندلسيين أيضاً و الذين نقلوا عن مكي بن أبي طالب ابن جزى الكلبي في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) حيث قال في مقدمة تفسيره ما نصه: "وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي كتاباً في (غريب القرآن وتفسيره). ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب (الهداية في تفسير القرآن). وكتاباً في (غريب القرآن). وكتاباً في (ناسخ القرآن ومنسوخه). وكتاباً في (إعراب القرآن)، إلى غير ذلك من تأليفه. فإنها نحو ثمانين تأليفاً: أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ

أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ ط فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٧﴾ ال قصص: ٧٢ ، قال ابن جزى: " قال إني أريد أن أنكحك إحدى

ابنتي زوجته التي دعتة، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى، واسم التي زوجه صفور، وقيل: صفوريا، ومن لفظ شعيب حَسُنَ أن يُقال في عقود الأنكحة: "أنكحه إياها" أكثر من أن يقال: "أنكحها إياه على أن تأجرني ثماني حجج" أي: أزوجك بنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام، قال مكي: "في هذه الآية خصائص في النكاح، منها أنه لم يعين الزوجة، ولا حد أول الأمد، وجعل المهر إجارة"³.

¹ القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري، "الجامع لأحكام القرآن"، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964م، ج 14 ص 272

² ابن جزى الكلبي: أبو القاسم، محمد الغرناطي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط: 1، 1416هـ، ج 1، ص 20

³ ابن جزى الكلبي: أبو القاسم، محمد الغرناطي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، ج 2، ص 112

ومن المفسرين الذين نقلوا عنه؛ أبو حيان صاحب (البحر المحيط) حيث نقل آراء مكي بن أبي طالب واستفاد منها في تفسيره، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ آل عمران: ١٥٤، قال أبو حيان: "قال مكي: أجمع المفسرون على أن هذه الطائفة هم المنافقون، وقالوا: غشي النعاس أهل الإيمان والإخلاص، فكان سببا لأمنهم وثباتهم، وعرى منه أهل النفاق والشك، فكان سببا لجزعهم وانكشافهم عن مراتبهم في مصافهم¹". وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ سبأ: ١٣، قال: "وحكى مكي في الهداية أن قوماً أجازوا التصوير، وحكاه النحاس عن قوم واحتجوا بقوله: وتمثيل، قاله ابن عطية، وما أحفظ من أئمة العلم من يجوزه²".

ومن خلال هذه النقول التي ذكرناها؛ والإشارة الصريحة إلى تفسير مكي من المفسرين، وخصوصاً أهل الأندلس، تدل دلالة واضحة على نسبه له، وهناك الكثير من المفسرين الذين رجعوا إلى أقوال مكي في تفسيره وناقشوه واستشهدوا بها، وقد أضربنا عنها خوف الإطالة، ونكتفي بالذي ذكرنا.

ومن الأدلة الدامغة في نسبة التفسير له؛ أن الدارس لتفسير (الهداية) يجد مكي بن أبي طالب قد ذكر في مقدمة تفسيره؛ بعد افتتاحه بالبسملة والصلاة على النبي - ﷺ - نسبة الكتاب له، فقال: "قال أبو محمد: هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في

¹ أبو حيان: محمد أثير الدين الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير"، ت: صديقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420 هـ، ج3، ص392

² المرجع نفسه، ج8، ص528

تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره، وتقصيت ذكر ما وصل إليّ من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تألّيفي له. وذكرت المأثور من ذلك عن النبي - ﷺ - ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده¹. وكذلك تصرّحه في المقدمة أيضاً بالاستعانة بتفسير شيخه الأدفوي حيث قال: "جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن"². وقد أشرنا سابقاً أن الأدفوي شيخ مكّي وتلقى عنه مباشرة بالتلمذ له في مصر، ولم تكن بينهما واسطة³. وقوله أيضاً: "وسميت هذا الكتاب: "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". أعني بقولي: بلوغ النهاية: أي إلى ما وصل إليّ من ذلك، لأن علم كتاب الله لا يقدر أحد أن يبلغ إلى نهايته إذ فوق كل ذي علم عليم"⁴. وهذا دليل صريح واعتراف منه بنسبة الكتاب له. وكذلك عند تتبع التفسير نجد مكّي بن أبي طالب يحيل القارئ على كتبه، وقد أشرنا سابقاً أنه كان كثير التأليف، وله ما يزيد عن خمسة وثمانون مؤلفاً أغلبها في التفسير وعلوم القرآن والقراءات واللغة والنحو وغيرها، ومن ذلك، عند تفسيره للآية الرابعة من سورة الفاتحة وهي قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص72

² المصدر نفسه، ج1، ص74

³ الأدفوي: أبو بكر مُجَدِّد بن علي، أخذ النحو عن أبي جعفر النحاس، والقراءة عن أبي غانم المظفر، وكان من أهل الدين والصلاح والأدب والعلم، وكان يبيع الخشب بمصر، صنف الاستغناء في تفسير القرآن، مائة مجلد، ولد سنة 304هـ وتوفي سنة 388هـ. ينظر في تعريف الأدفوي المصادر التالية: الذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "العبر في خبر من غبر"، ت: مُجَدِّد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ج2، ص175، و الذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، ص199، والحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ج6، ص2570، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج3، ص186

⁴ مكّي، الهداية، ينظر: مقدمة المؤلف ج1، ص72 وص74

الفاحة: ٤، قال: "وقد بيّنا كشف وجوه القراءات في كتاب: (الكشف عن وجوه القراءات¹)، فأغنانا ذلك عن الكلام فيها في هذا الكتاب"². وكذلك إحالته على كتابه: (تفسير مشكل الإعراب)³ في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ البقرة: ٢، قال مكي: "وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، الهدى الرشد والبيان. والتقى: اسم جامع لكل خصلة محمودة العاقبة، ومن اتقى الشرك فهو من المتقين، وهو أعظم التقى، وأصله من التوقّي وهو التستر، فكأن التقى يستر على جميع ما يذم عليه. وقد فسرنا إعراب هذا وما شابهه في كتاب (تفسير مشكل الإعراب)، فأخلىنا هذا الكتاب من بسط الإعراب لئلا يطول إلا أن يقع نادر من الإعراب فنذكره على شرطنا المتقدم. فاعلم ذلك"⁴. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ البقرة: ١٠٦، نجده يحيل على كتابه (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه)⁵، حيث قال: "وقيل: معناه تؤخر العمل بها، ونسخه ويبقى لفظه متلوّاً غير معمول به. ولكل واحد من هذه المعاني أمثلة في كتاب الله عز وجل قد بينها في كتاب: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه)"⁶.

¹ الكتاب مطبوع بعنوان: (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)، ت: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: 3، 1404 هـ / 1984 م

² مكي، الهداية، ج1، ص105

³ الكتاب مطبوع متداول، وقام بتحقيقه الدكتور حاتم الضامن، ونشرته مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1405 هـ / 1984 م.

⁴ مكي، الهداية، ج1، ص129

⁵ الكتاب مطبوع متداول، بعنوان: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه)، وهو بتحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات، دار المنارة، ط: 1، 1406 هـ / 1986 م.

⁶ مكي، الهداية، ج1، ص389

وقد نبّه مكّي إلى أن غايته من هذا التفسير؛ ألا يكرر ما قاله في مؤلفاته السابقة حتي يجنب تفسيره هذا الطول والحشو، وأنه يأتي بالزبدة فقط إلا ما دعت الحاجة إلى ذكره وتكراره، فقال في خاتمة تفسيره: "وقد تعمدنا الاختصار في ذلك الإعراب على ما شرطنا لئلا يطول الكتاب وكنا قد ألفنا كتاباً في شرح مشكل الإعراب، فلم نحتج إلى تكريره في هذا الكتاب إلا الشيء اليسير النادر لم يمكن إلا ذكره فذكرناه مختصراً"¹.

ومن الأدلة القوية في نسبة التفسير لمكّي؛ أننا نجد العكس في مؤلفاته المتنوعة يحيل القارئ على تفسيره، فمثلاً في كتابه (مشكل اعراب القرآن) نجده عند إعراب قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَلَّمَهَا

عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ طه: ٥٢، قال في إعرابها: "ما بعد كتاب صفة له من الجملتين، وربّي في موضع نصب بحذف الخافض تقديره: لا يضل الكتاب عن ربّي ولا ينسى، ويجوز أن يكون ربّي في موضع رفع ينفي عنه الضلال والنسيان، وقد بينا هذه الآية في كتاب الهداية بأشبع من هذا"²، وهذا اعتراف شخصي منه بنسبة التفسير له، وكذلك تصريح مُحققي مخطوطات التفسير بوجود اسم مكّي مدوناً على مخطوطات تفسيره، وهناك تشابه وتطابق بين أسلوب مكّي بن أبي طالب في تفسيره ومؤلفاته المختلفة في إيراد الشواهد والتعليق عليها ومناقشتها والترجيح بينها.

ومن خلال هذه الأدلة المتعددة، نستنتج أن نسبة تفسير الهداية إلى مكّي بن أبي طالب لا يعتريه أدنى شك أو ريبة ولا غبار عليه؛ فهو من تأليفه وإنتاجه وإخراجه.

¹ مكّي، الهداية، ج12، ص 8522

² أبو مُجَدِّد: مكّي بن أبي طالب القيسي، "مشكل إعراب القرآن"، ج2، ص464

المبحث الثاني: الدراسة العامة حول التفسير

بما أن مكّي بن أبي طالب له مؤلفات كثيرة غير التفسير، وكان يحيل عليها في تفسيره، فنحاول في هذا المبحث التطرق إلى بعض الإحالات عند مكّي في تفسيره على مؤلفاته المختلفة قبل الشروع في دراسة منهجه في التفسير، ثم نتطرق إلى طريقته العامة في التفسير من خلال عرضه وتفسيره لسور القرآن، ثم نأتي لدراسة مقدمة التفسير، وهي مقدمة مهمة جاء بها مكّي في بداية تفسيره، وعرض من خلالها ملامح منهجه العام في التفسير، ولكل مفسر طريقته في العرض ومنهجه في التأليف، وموقفه من قضايا التفسير المختلفة.

المطلب الأول: علاقة التفسير بمؤلفات مكّي

إن تفسير مكّي بن أبي طالب من التفاسير الكاملة للقرآن الكريم، وقد كرس هذا العالم الجليل حياته لخدمة كتاب الله - ﷻ، قراءة وتجويداً وإعراباً وتفسيراً، ويظن الكثير أنه مختص بعلم القراءات فقط، وله مؤلفات عديدة فيها؛ إلا أن مكّي بن أبي طالب عالم في شتى العلوم كما سنرى لاحقاً؛ إلا أنه طغى عليه علم القراءات، وأصبح يحتل مكانة مرموقة بين علمائه، وله مؤلفات عديدة في هذا الفن وقد ذكرناها سابقاً، غير أنه في تفسيره الهداية لم يتوسع كل التوسع مثل بقية التفاسير المجلدة، بل جاء تفسيراً مختصراً موجزاً غير مُجَلِّ؛ لأن مكّي بن أبي طالب كان يحيل على مؤلفاته لزيادة التفصيل في تفسير الآيات والقضايا المتعلقة بالأحكام والإعراب وغيره، - وقد ذكرنا بعض الأمثلة في مطلب توثيق نسبة التفسير له، ولا نكرها هنا -، وقد صرح مكّي بهذا في تفسيره قائلاً: "واجتهدتُ في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره... وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أرادته"¹، وقال أيضاً: "قدمت في أوله نبذاً من علل النحو وغامضاً من الإعراب، ثم خففت ذكر ذلك فيما بعد لئلا يطول الكتاب، ولأنني قد أفردت كتاباً مختصراً في شرح مشكل الإعراب خاصة"²، ويتضح لنا من كلامه أن التفسير قد جاء مختصراً، ولم يتوسع في الأشياء التي قد بحثها في مؤلفاته، وقد ذكر ذلك وصرح في الإعراب مثلاً أنه قد يحيل القارئ على

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص72

² المصدر نفسه، ج1، ص73

كتابه (شرح مشكل الإعراب)، ونستنتج أنه لم يبحث كل القضايا في تفسيره خصوصاً التي تطرق لها في كتبه السابقة حتى لا يكون هناك تكرار ويطول التفسير، وأنه كان يحيل القارئ على مؤلفاته المختلفة، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ الفاتحة: ٧، قال مكي: "خفض على النعت "للذين" من

قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾، وحسن ذلك لأنه شائع لا يراد به جمع بعينه فصار كالنكرة، فجاز

نعته "بغير"، و"غير" نكرة وإن أضيفت إلى معرفة. ويجوز أن تخفض "غير" على البدل من

الذين. وقد قرئ بالنصب على الحال أو على الاستثناء، وقد شرحت هذا في كتاب: (مشكل

الإعراب) بأشبع من هذا¹. فهو هنا لم يتوسع في أوجه الإعراب في هذه الآية، وإنما أحال على

كتابه (مشكل إعراب القرآن) لأنه قد بحث هذه الآية بحثاً وافياً فيه، وعند تفسير قوله تعالى:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿٧﴾ البقرة: ٧، قال مكي: "قوله: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. تكتب "على" "وإلى"

و"لدى" بالياء دون سائر الحروف مثلها لأنها أخف من الأفعال، وكثر استعمالها، ولأن ألفها

يرجع إلى الياء مع المضمرة دون سائر الحروف فكتبت مع المظهر بالياء لذلك. وتقع "على" بمعنى

الباء، تقول: "اركب على اسم الله" أي باسم الله. وتقع بمعنى "مع" نحو قولك: "جئت على

زيد" أي معه. وتقع بمعنى "من" نحو قوله: ﴿عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾ المطففين: ٢، أي

من الناس. وتقع أيضاً في مواضع حروف آخر قد ذكرناها في كتاب مفرد للحروف². وللعلم فإن

لمكي بن أبي طالب عدة كتب في الحروف منها (دخول حروف الجر بعضها مكان بعض)، وكتاب

(الهداية في الوقف على كلاً)، وكتاب (مسائل الأخبار بالذي وبالالف واللام وغيرها)، وقد أشرنا

إلى معظمها في مبحث مصنفات مكي بن أبي طالب فلتنظر هناك، وعند تفسير قوله تعالى:

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 114

² المصدر نفسه، ج 1، ص 148

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ۚ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ البقرة: ١٧٨، قال مكي في كلام طويل يبين به حكم القصاص في هذه الآية:

"والعبد المؤمن كالحُرِّ، وقالوا: لما لم يكن قوله: ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ بمنع من قتل الأنثى

بالذكر والذكر بالأنثى، كذلك لا يمنع قوله: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ من قتل الحر بالعبد. وهذا

باب واسع يستقصى إن شاء الله في كتاب (الأحكام)¹. ولمكي بن أبي طالب كتابين في

الأحكام: (اختصار أحكام القرآن)؛ وكتاب (المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره)، وهما

من الكتب المفقودة. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ آل عمران: ٧، قال مكي في تبين حكم المحكم والمتشابه: "وقيل: المحكم ما

علم تأويله العلماء، والمتشابه ما لم يعلم تأويله أحد، وقد أفردنا الكلام على هذه الآية في كتاب

مفرد متقصى فيه الاختلاف فيها وموضع الوقف"². وقد أفرد مكي بن أبي طالب كتاباً خاصاً

بتفسير هذه الآية سماه: (شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾

¹ مكي، الهداية، ج1، ص570

² المصدر نفسه، ج2، ص954

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴿آل عمران: ٧﴾، وهو الذي يقصده هنا، - والكتاب مفقود - بحيث لم يتوسع في

تفسيرها وترك الاستقصاء في كتابه الخاص بتفسيرها. وعند تفسيره لآيات المواريث من سورة النساء نجده يفسرها، ثم يشير إلى المسائل الخلافية الواقعة بين الفقهاء في الميراث إلى كتابه (المدخل إلى

علم الفرائض)، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت

واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان

له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة

فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو ديناً وأبناؤكم لأ

تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً

حكيمًا ﴿١١﴾ ﴿النساء: ١١﴾، قال مكي: "والأولاد فيما ذكر الله تعالى هم أولاد الصلب

الذكور والإناث وولد الابن خاصة وإن سفلوا الذكور والإناث، وكذلك ولد ابن الابن إذا نسب

إلى الميت من قبل آباءه والأعلى يجب الأسفل إلا أن يكون الأعلى أنثى، فإن لها ما للبت،

والباقى لمن هو أسفل منهما من ولد الابن إذا كان فيهم ذكر، ولهذا تبين يطول ذكره، وهو

مذكور في كتاب (الفرائض)"¹. وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة هود: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هود: ١٠٧، قال مكي: "يعني: تعميهم في الدنيا قبل

ذلك. وقيل: الاستثناء واقع على مقامهم في قبورهم. وقيل: إن معنى الاستثناء في أهل الجنة

مخصوص في بعضهم، يراد به: قدر بعث من دخل النار من الموحدين إلى أن رحمو، وأخرجوا،

¹ مكي، الهداية، ج2، ص1240، ويحيل مكي بن أبي طالب هنا إلى كتابه: (المدخل إلى علم الفرائض).

وأدخلوا الجنة. وقال ابن زيد¹: المعنى: " ما دامت الأرض أرضاً، والسماء سماء ". وقد أفردنا كتاباً مفرداً لشرح هذه الآية، وذكرنا فيها من أقاويل العلماء بضعة عشر قولاً، وبيننا جواز وقوع " ما " لمن يعقل بياناً شافياً في ذلك الكتاب. وذكرنا في هذا اختصار ما ذكرنا في ذلك الكتاب². وقد أشرنا سابقاً أن لمكي بن أبي طالب كتاباً خاصاً في تفسير هذه الآية عنوانه: (الاستيفاء في قوله تعالى: ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ هود:

(١٠٧)، وهو من الكتب المفقودة. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (١٠١) الصافات: ١٠١. قال مكّي: "أي: حلِيم إذا كبر، وهو إسحاق في قول عكرمة وقتادة. وهو قول ابن مسعود وكعب. وقال أبو هريرة وابن عمر والشعبي وابن جبیر ومجاهد: هو إسماعيل، واختلف في ذلك عن ابن عباس. قال قتادة: لم يثن الله على أحد بالحلم غير إبراهيم وإسحاق. وذكر ابن وهب عن عطاء بن أبي رباح: أن عبد الله بن عباس قال: المهدى إسماعيل. وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود، وقد ذكرنا الاختلاف في الذبيح بحجج كل فريق في كتاب مفرد فلم نعهده هنا لظوله³. ومن المعلوم أن مسألة الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ مسألة خلافية بين العلماء، لأن القرآن الكريم لم يذكر من هو الذبيح؟ ولكن مكّي بن أبي طالب خصص لها كتاب خاص سماه: (مسألة الذبيح)، ولم أعثر عليه والظاهر أنه مفقود، ومكّي بن أبي طالب يرجح في غير موضع من تفسيره بأنه إسماعيل، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ

فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٧١) هود: ٧١، قال مكّي: "وقيل: معنى: ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ ﴾ : أي: ومن ولد إسحاق، لأن ولد الولد:

¹ يقصد به عبد الرحمن بن زيد وهو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولا هم المدني، روى عن أبيه، وهو معدود من الضعفاء، وله: كتاب في التفسير وكتاب في النسخ والمنسوخ، ومات سنة 182هـ. الداوودي: محمد بن علي بن أحمد، "طبقات

المفسرين"، ج1، ص271

² مكّي، الهداية، ج5، ص3470

³ المصدر نفسه، ج9، ص6133

الوراء، وهو قول ابن عباس، والشعبي، وجماعة معهما. وفي هذا دليل على أن: الذبيح إسماعيل، لأنها بشرت بإسحاق، وأنها تعيش حتى يولد له، فغير جائز أن يعلم إبراهيم أنه يعيش حتى يولد له، ثم يؤمر بذبحه، قبل أن يولد له. فلا يجوز أن يؤمر بذبح من أخبر أنه يعيش إلى وقت بعد وقت الذبح بسنين"¹. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ مريم: ٥٤، قال: "المعنى: واقصص عليهم يا محمد، نبأ إسماعيل، إنه كان صادق الوعد، أي: لا يخلف وعده. قال ابن جريج: لم يعد ربه عدة إلا أنجزها. وقيل: إن هذا مما يدل على أنه هو الذبيح، لأنه وعد من نفسه الصبر على الذبح، فصبر حتى فداه الله"².

والراجع في هذه المسألة - والله أعلم - بأن الذبيح هو إسماعيل أبو العرب، لأن اليهود وأهل الكتاب وبعض أهل العلم يقولون بأنه إسحاق، وهناك أدلة قوية من القرآن والسنة على أن الذبيح هو إسماعيل، ولا يمكن التطرق لها هنا حتى لا نخرج عن الموضوع الذي نحن بصددده.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٧﴾﴾ الصافات: ١٠٧، أشار إلى قضية النسخ في تفسير هذه الآية بقوله: "وأجاز بعض العلماء نسخ الشيء قبل فعله، واستدل بأن هذه الآية قد نسخ الله فيها الأمر بالذبح بالفداء له بالكبش قبل فعله. ومثله عندما أمر الله النبي - ﷺ - بفرض خمسين صلاة، ثم ردها إلى خمس"³. ومثله الأمر بالصدقة قبل مناجاة النبي -

¹ مكّي، الهداية، ج5، ص3435

² المصدر نفسه، ج7، ص4553

³ يقصد هنا: حديث فرض خمسين صلاة، وهو حديث طويل ومشهور في حادثة الإسراء، وجرى حوار بين الرسول - ﷺ - وسيدنا موسى - عليه السلام -، وخففت الصلاة من خمسين إلى خمس صلوات، ينظر: البخاري: مُجَدَّب بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، ت: مُجَدَّب زهير، الناشر: دار طوق النجاة، ط:1، 1422هـ، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟ ج1، ص78، ر188.

ﷺ - في سورة المجادلة، ثم نسخه بالترك¹. وقال غيره: لا يجوز في هذا نسخ لأنه بداء²، لو قلت: قم، ثم قلت لا تقم لكان بداء، وذلك لا يجوز على الله جل ذكره بل فعل إبراهيم ما أمر به من أخذ السكين والإضجاع وغير ذلك. وهذا عند الحذاق من العلماء، إنما هو من تأخير البيان. ومن قال: إنه نسخه، وإنما فعل ذلك لأن تأخير البيان لا يجوز عنده، ولو جاز أن يقال: إن هذا منسوخ لجاز في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ البقرة: 67، ثم بيّنها بعد ذلك فيكون البيان ناسخاً لما تقدم، وهذا لم يقله أحد. ويدل على جواز تأخير البيان قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) ﴿القيامة: ١٩. و"ثم" تدل على التراخي. وقد بينا هذا في كتاب (الناسخ والمنسوخ) بأبين من هذا"³. وقد أشرنا سابقاً إلى أن مكّي بن أبي طالب له كتاب مهم في النسخ وهو: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه)، وهذه القضية من النسخ - أي البداء - التي ناقشها مكّي بن أبي طالب سنتطرق لها في موضوعها من هذا البحث إن شاء الله.

وقال مكّي بن أبي طالب في خاتمة تفسيره مبيناً سبب اختصار تفسيره والإحالات المتعددة على مؤلفاته المختلفة بقوله: "وقد تعمدنا الاختصار في ذلك الإعراب على ما شرطنا لئلا يطول الكتاب وكنا قد ألفنا كتاباً في شرح مشكل الإعراب، فلم نحتج إلى تكريره في هذا الكتاب إلا الشيء اليسير النادر لم يمكن إلا ذكره فذكرناه مختصراً"⁴.

¹ يقصد نسخ حكم وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول - ﷺ - التي جاءت في آية سورة المجادلة، وهي قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المجادلة: ١٢، ثم نسخت بالآية: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المجادلة: ١٣، ينظر: أبو جعفر النحاس، "الناسخ والمنسوخ"، ت: محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح - الكويت، ط: 1، 1408، ص 700، بتصرف.

² عرفه النحاس بقوله: وأما البداء فهو ترك ما عزم عليه كقولك: امض إلى فلان اليوم، ثم تقول: لا تمض إليه، فيبدو لك عن القول الأول، وهذا يلحق البشر لنقصانهم وكذا إن قلت: ازرع كذا في هذه السنة ثم قلت: لا تفعل، فهذا البداء فإن قلت: يا فلان ازرع فقد علم أنك تريد مرة واحدة. أبو جعفر النحاس، "الناسخ والمنسوخ"، ص 62.

³ مكّي، الهداية، ج 9، ص 6145

⁴ المصدر نفسه، ج 12، ص 8522

ومن هذه الشواهد التي ذكرناها، نستنتج أن مكّي بن أبي طالب لم يتطرق إلى المسائل والقضايا المختلفة في التفسير كالإعراب والنسخ والقراءات وغيرها - خصوصاً التي بحثها في مؤلفاته المختلفة - بل يشير إليها بإيجاز ويعطي رأيه المختصر فيها دون إخلال، ويحيل القارئ إلى مؤلفاته المختلفة التي بحث فيها هاته المسائل، وعلى العموم فالتفسير ضخم يضاهي التفاسير الكبيرة مثل: تفسير الطبري والقرطبي وغيرهما في حجمه؛ فهو يقع في ثلاثة عشر مجلداً من الحجم الكبير، على ما فيه من هذه الإحالات، وسنتطرق إلى مسائل متعددة في المباحث القادمة - إن شاء الله - ونرى طريقته ومنهجه بالتفصيل في تفسيره، وكيف عالج معظم القضايا والمسائل فيه.

المطلب الثاني: طريقته العامة في التفسير

إن تفسير مكّي بن أبي طالب من التفاسير المهمة التي أنتهج أصحابها منهج أهل السنة والجماعة في تفسير كتاب الله - ﷻ -، فهو تفسير قيم مهم، امتاز بسلامة المنهج والدقة والاستنباط وتحري الصواب في تفسير آيات القرآن الكريم، مع ما أمتاز به من صحة المعتقد والرد على أهل الأهواء والبدع والضلالات، فهو إمام جليل متمكن في جل علوم القرآن واللغة، وتفسيره يحتل مكانة مرموقة بين التفاسير، فقد أستفاد منه كبار المفسرين كابن عطية في (المحرر الوجيز) والقرطبي في (الجامع) وابن جزى الكلبي في (التسهيل لعلوم التنزيل) وأبي حيان في (البحر المحيط) والسمين الحلبي في (الدر المصون) وابن عادل في (اللباب في علوم الكتاب) والطاهر بن عاشور في (التحرير والتنوير) وغيرهم، ومن خلال قراءتي في تفسير (الهداية إلى بلوغ النهاية) لاحظت أنه بدأ ترتيب تفسيره بالطريقة المعهودة عند كثير من المفسرين حيث بدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس، ولا يخرج في أصوله العامة وأركانه الرئيسية عما قرره العلماء المحققون، من ضرورة بيان معاني القرآن بالمأثور، إلى جانب الاهتمام باللغة والنحو وغيرها في تفسير القرآن الكريم وإبداء الرأي، فهذه طريقته المعهودة في تفسيره وهذا هو الأساس الذي لا بد منه على المفسر لكتاب الله - ﷻ -، وظهر لي أنه سار على طريقة معينة محددة حيث بين في مقدمة تفسيره طريقته العامة ومنهجه في

التفسير والغاية من تفسيره¹، فهو دقيق المنهج في حسن الجمع بين الأقوال المختلفة وفي اختيار الراجح منها عند تعارضها وعدم إمكان الجمع بينها، وقد أورد الإمام مكّي بن أبي طالب الآيات القرآنية في تفسيره برواية ورش عن نافع وهي القراءة المعتمدة في بلاد المغرب العربي والأندلس بلد المؤلف، فيفسرها أولاً بهذه الرواية - على العموم - ثم يذكر الخلاف في الروايات الأخرى، عكس بلاد المشرق التي تعتمد رواية حفص عن عاصم فهي الرواية المقروء بها عندهم.

ويلاحظ أنه ربما غلب على المفسر الاهتمام بالجانب اللغوي من نحو وإعراب وبلاغة وكلام العرب؛ وهذا نظراً لتمكّنه في هذه العلوم، وتفسير مكّي بن أبي طالب يعتبر تفسيراً نحويّاً لغويّاً يهتم بالأثر ويُعنى كثيراً بالقراءات؛ بحيث يوظف باعه الطويل في هذا العلم في تبيان القراءات الواردة في الآيات، المتواترة والشاذ منها، ويحيل على مؤلفاته في القراءات، وهذا ما أغفله الدكتور أحمد حسن فرحات في بحثه، وسأفرد مبحثاً خاصاً للقراءات في تفسيره؛ لذلك سأكتفي بذكر أنموذج للاستشهاد فقط، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤، قال مكّي: "وقد روى الزهري أن النبي - ﷺ - قرأ (مالك) بألف. وأبو بكر، وعمر، وعثمان، كذلك قرأوها وبذلك قرأ علي، وابن مسعود، وأبي، ومعاذ بن جبل وطلحة، والزيبر. وبذلك قرأ عاصم والكسائي. وقد بيّنا كشف وجوه القراءات في كتاب: (الكشف عن وجوه القراءات)، فأغنانا ذلك عن الكلام فيها في هذا الكتاب. فأما من قرأ، ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤، فهُم الأكثر من القراء وشاهده إجماعهم على ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ الناس: ٢، بغير ألف"².

ويمكن أن نلخص معالم طريقته في تفسيره الهداية بالنقاط التالية:

1 - يستهل تفسير السورة بالبسملة ويبيّن هل هي مكية أو مدنية؟ ويفرق أحياناً بين الآيات المكية والمدنية في السورة، ولا يتعرض لعد الآيات ولا إلى المناسبات في تفسيره، ويذكر فضلها وسبب

¹ وسنعرّف الشروط التي اشتراطها في مقدمة تفسيره في المطلب القادم إن شاء الله.

² مكّي، الهداية، ج 1، ص 105

التسمية لبعض السور، ويقسم السورة إلى مقاطع ثم إلى آيات ثم الجزء من الآية، ويذكر التفسير والبيان والقراءات، معتمداً على تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وعلماء اللغة بما يزيل اللبس والغموض؛ بلغة سهلة وأسلوب موجز الفهم والدلالة حتي يسهل على القارئ الفهم والحفظ، وهذا مقصده من التفسير، وقد نبه إلى هذا في مقدمته - مما سنعرفه لاحقاً -، وبالنسبة لأسباب النزول فهو من المهتمين بها المعتنين بإيرادها، ويتعمد حذف الأسانيد في تفسيره، وقلما يهتم بذكر الروايات مسندة لأصحابها في أسباب النزول وغيرها وقد صرح بهذا في مقدمته للتفسير، مع العلم أن هناك سوراً لها سبب نزول، وأخرى لم يُذكر لها سبب نزول، وهناك سبب نزول لبعض الآيات في سور القرآن، وأغلب القرآن نزل ابتداءً بدون سبب، ولكنه يجرد من الإسناد، وأحياناً يذكر الشخص الذي نزلت فيه الآية، وهذا الحذف في الأسانيد متعمد من مكّي في تفسيره حتى يسهل فهمه وحفظه - كما سنرى في المطلب القادم -، فهو يقول مثلاً: "روى، ويروى، وفي الحديث، وعن النبي، وقال: - ﷺ -،..."، وهذا ما جعله يقع في الضعيف والموضوع والإسرائيليات في تفسيره إلى جانب الصحيح منها، وسنعرف هذا لاحقاً في مباحث خاصة لذلك، أما الإعراب والتصريف؛ فكثيراً ما يسند الأقوال فيهما إلى علماء اللغة إذا كان بينهم خلاف في التوجيه الإعرابي للآية، وهذا ما سأوضحه في موضعه إن شاء الله، وأذكر هنا مثلاً على ما قلت من تفسير مكّي للاستدلال فقط، فعند تفسيره لسورة النحل، قال مكّي: "سورة النحل مكية، قال ابن عباس: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بين مكة والمدينة، حين رجع النبي - ﷺ - من أحد، وقد قتل حمزة، وقد مُتِلَّ به، فقال النبي - ﷺ - "لَأَمِثْلَن بَثْلَاثِينَ مِنْهُمْ"¹. وقال المسلمون: "لنمثلن بهم". فأنزل الله ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ^ص

وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ النحل: ١٢٦، إلى آخر السورة. ويُقال

لسورة النحل سورة النعم لكثرة ما نبه الله فيها على نعمه، وعدد ما فيها من منته على خلقه. قوله

¹ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الأنصار، ج 35، ص 152، ر 21230، وعلق المحقق: إسناده حسن.

تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل: ١. ومعنى أتى أمر الله: يأتي. ولا يحسبن عند سيئويه في أخبار الناس وما يجري بينهم: فَعَلَ بمعنى يفعل إلا في الشرط. وقيل: إنما أتى بالماضي لأنه أمر سيكون لا بد منه، فأتى فيه بالماضي الذي قد كان في موضع ما سيكون. وقيل: إنما جاء كذلك لأنهم استبعدوا ما وعدهم الله من عذاب، فأتى بالماضي في موضع المستقبل لقربه من الإتيان، ولصدق المخبر به. وقد قال الضحاك: ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: فرائضه وحدوده وأحكامه وقيل: هو وعيد من الله لأهل الشرك على ما تقدم. قال ابن جريج: لما نزلت ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الآية، قال رجل من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله قد أتى فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن. فلما رأوا أنه لا ينزل شيئاً، قالوا: ما نراه ينزل شيئاً، فنزلت الآية: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الأنبياء: ١ الآية. فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضاً. فلما رأوا ألا ينزل شيئاً، قالوا: ما نراه ينزل شيئاً فنزلت ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُمْ﴾ هود: ٨ الآية. وروي عن الضحاك ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ النحل: ١، يعني القرآن: أي أتى بفرائضه، وحدوده وأحكامه، وهو القول الأول عنه.

وقيل: أمر الله نصر النبي - ﷺ - . وقيل هو يوم القيامة. وقال الزجاج: ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ النحل:

١ ، ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم بمنزلة قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾

هود: ٤٠ ، وقوله: ﴿أَتَتْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ يونس: ٢٤ ، ومعناه: أنهم استبطأوا

العذاب فأخبرهم الله بقربه. ويدل على أنه وعيد وتهديد للمشركين قوله بعد: ﴿سُبْحٰنَهُ وَ

وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ النحل: ١. وأمر الله قديم غير محدث وغير مخلوق، بدلالة قوله:

﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ ، فالأمر غير الخلق. وبدلالة قوله: ﴿لِلَّهِ

الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴿٤﴾ الروم: ٤ ، أي: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء،

فهو غير محدث. وأمره صفة له هو كلامه غير مخلوق. وقيل معنى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ النحل:

١ ، أي أتت أشراط الساعة، وما يدل على قرب القيامة. وقيل: هو قيام الساعة. وقيل: هو

جواب لقولهم بمكة: ﴿فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الأنفال: ٣٢، الآية.

قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل: ١، من قرأ: ﴿يُشْرِكُونَ﴾

النحل: ١، بالتاء جعل الاستعجال للمشركين. ومن قرأ بالياء جعل الاستعجال لأصحاب محمد -

ﷺ¹. وهذه طريقته العامة في التفسير تقريباً.

2 - يذكر أقوال أئمة التفسير خصوصاً الإمام الطبري وغيره ويناقشها ويرجح بينها ويبدئ رأيه

المفضل في تفسير الآيات، دون حشو وتطويل بل بإيجاز غير مخل، ويحيل على مؤلفاته الأخرى،

وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً في مصادر مكي إن شاء الله.

3 - يبين الأحكام المستفادة من الآيات ويذكر أقوال الأئمة والفقهاء المختلفة بدون تعصب

لمذهب مالك، لأن المفسر مالكي المذهب، وأحياناً يرجح رأي مالك ويثني عليه في ذكره، لكن

آيات الأحكام أوردتها باختصار خصوصاً في المسائل الفقهية المختلفة التي تحتاج إلى التوسع

والاستنباط والترجيح؛ فتفسيره لم يكن مثل تفسير آيات الأحكام لابن العربي أو المناقشات الطويلة

المشهورة عند مفسري الأندلس كالقرطبي مثلاً، فهو يذكرها دون تفصيل رغم ضلوعه في الفقه

والأصول، وهذا يرجح ما اشترطه في مقدمة كتابه من الإيجاز والاختصار، ويذكر الآراء الفقهية

دون الرد عليها، أو الترجيح بينها، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ

مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 3947

النساء: ٢٩، قال مكي: "ومعنى ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ النساء: ٢٩، هو الخيار فيما تبايعا فيه ما لم يفترقا من مجلسهما الذي تبايعا فيه، وهو قول الشافعي.

وقيل: التراضي هو الرضى بعقد البيع والشراء، فإذا تراضيا فقد تم البيع افترقا أو لم يفترقا، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف ومُحَمَّد¹. وهذه ملامح تفسيره لآيات الأحكام، وستعرض لهذا في مبحث مستقل - إن شاء الله -.

4 - يذكر الناسخ والمنسوخ في الآيات القرآنية، ويهتم بما نسخ حكماً لا لفظاً، وينسب القول

بالنسخ إلى صاحبه؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ البقرة: ١٩٠، قال

مكي: "هذه أول آية نزلت في القتال أمروا أن يقاتلوا من يقاتلهم ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ البقرة: ١٩٠. أي لا تقاتلوا من لم يقاتلكم. وقد نسخ الله ذلك في

براءة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾

التوبة: ٣٦، وبقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ التوبة: ٥. قال ابن زيد.

وقال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز وغيرهم: "الآية محكمة غير منسوخة"². وهذا ما سأوضحه

في موضعه إن شاء الله.

5 - يتعرض مكي لذكر بعض حوادث السيرة أثناء تفسيره خصوصاً الآيات التي تتصل بالسيرة،

وهناك مواضع أطال فيها جداً في ذكر الأحداث وأطنب في الأخبار والقصص، ومن ذلك ما ذكره

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1299

² المصدر نفسه، ج1، ص 634، وينظر الآثار المروية في تحكيم هذه الآية؛ والتي ذكرها الطبري في تفسيره، الطبري: أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000

م، ج3، ص 563

تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ الفتح: ١، حيث ذكر تفاصيل غزوة الحديبية وقصة البيعة وقصة أبي جندل ثم ذكر المعجزات التي حصلت على يد النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلك الغزوة¹. وسنعرف هذا في مبحث خاص لذلك.

6 - الاستعانة بالجوانب اللغوية والنحوية والبلاغية في تفسير القرآن، فيذكر آراء النحاة الكبار كسيبويه والكسائي والفراء والزجاج وغيرهم، وكان استدلاله بالشعر قليلاً في تفسيره، ويعتمد الاختصار والاختيار، وينتقد الأقوال الشاذة والغريبة في اللغة التي تتعارض مع تفسير القرآن الكريم، حيث يقول: "وقال أهل اللغة، وهو شاذ، وهذا بعيد جداً، ولم يجز النحويون..."، ففي

تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ الجاثية: ١٤، قال مكي: "أي: ليجزي الله - ﷻ - في الآخرة هؤلاء الذين يؤذون المؤمنين بما اكتسبوا في الدنيا من

أذى المؤمنين ومن غير ذلك. وروي عن عاصم أنه قرأ ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ الجاثية: ١٤، بنصب قوم والفعل لما لم يسم فاعله. وهذا بعيد جداً لم يجزه سيبويه ولا جميع البصريين. وإنما تقديره عنده: ليجزي الجزاء قوماً. فيقيم المصدر مقام ما لم يسم فاعله ويضمه وينصب الاسم المقصود بالمعنى وهو شاذ في النظر والقياس. ولم يجز النحويون: "شُرِبَ الضربُ زيداً" برفع الضرب ونصب زيد، ولو جاز هذا لجازت هذه القراءة ولكن لا يجيزونه إلا في شعر على بعد².

7 - يلتزم بما شرطه على نفسه في مقدمته للتفسير؛ وأحياناً غير ذلك - كما سنرى في المباحث القادمة إن شاء الله - ويحيل على مؤلفاته الكثيرة في علوم القرآن واللغة، ويتميز منهجه بعدم الاطناب والتفصيل؛ وهذا ما يتفق مع منهجه في الإيجاز والاختصار غير المخل التي اشترطه في مقدمة تفسيره في الغالب.

¹ مكي، الهداية، ج11، ص 6928

² المصدر نفسه، ج10، ص 6777

المطلب الثالث: مع مكّي في مقدمة تفسيره

ابتدأ مكّي بن أبي طالب تفسيره بمقدمة ذكر فيها معالم منهجه وطريقته في التفسير والباعث على تأليفه، وهذه المقدمة بمثابة المفتاح لتفسيره ودليلٌ للسالك فيه، وعلى ضوءها يفهم تفسيره ومقصده فيه، فابتدأ بحمد الله والصلاة على خير الخلق النبي مُحَمَّد - ﷺ - ، والتوكل على الله في عمله هذا، وبدأ في تبيين منهجه مباشرة فقال: "هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره، وتقصيت ذكر ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تألفي له. وذكرت المأثور من ذلك عن النبي - ﷺ - ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أرادته"¹.

ونستنتج من هذا المقطع أنه اجتهد في تلخيصه وبيانه، واعتمد على التفسير بالمأثور عن الرسول - ﷺ - والصحابة والتابعين - رضي الله عنهم -، وأضرب عن ذكر الأسانيد حتى يخف حفظه لمن أراد ذلك. ثم بين بعد ذلك أنه جمع فيه كل علوم القرآن المختصة بالتفسير وما يتعلق بها بقوله: "جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة؛ من تفسير مأثور أو معنى مفسر، أو حكم مبين، أو ناسخ، أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره؛ من قراءة غريبة، أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها"².

وأشار مكّي في مقدمته أنه لا يُطيل في المباحث اللغوية في هذا التفسير؛ كعلل النحو وغيرها والتي خصها بمؤلفات خاصة، وأنه يختصرها ويحيل عليها لئلا يطول التفسير، فقال: "قدمت في أوله نبذاً من علل النحو وغامضاً من الإعراب، ثم خففت ذكر ذلك فيما بعد لئلا يطول الكتاب، ولأنني قد أفردت كتاباً مختصراً في شرح مشكل الإعراب خاصة، ولأن غرضي في هذا الكتاب إنما هو

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص72

² المصدر نفسه، ج1، ص72

تفسير التلاوة، وبيان القصص والأخبار، وكشف مشكل المعاني، وذكر الاختلاف في ذلك، وتبيين الناسخ والمنسوخ وشرح وذكر الأسباب التي نزلت فيها الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً من روايتي، أو ما صح عندي من رواية غيري. وترجمت عن معنى ما أشكل لفظه من أقاويل المتقدمين بلفظي ليقرب ذلك إلى فهم دارسيه، وربما ذكرت ألفاظهم بعينها ما لم يشكل¹ ثم ذكر السبب في تسمية التفسير "بالهداية إلى بلوغ النهاية"، فقال: "وسميت هذا الكتاب: "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". أعني بقولي: بلوغ النهاية: أي إلى ما وصل إلي من ذلك، لأن علم كتاب الله لا يقدر أحد أن يبلغ إلى نهايته إذ فوق كل ذي علم عليم"².

ثم شرع في تبين مصادره من كتب التفسير، فأشار إلى أنه جمع أكثره من كتاب (الاستغناء) لشيخه أبي بكر الأدفوي³ وتفسير ابن جرير الطبري وكتب النحاس والزجاج والفراء وتفسير ابن عباس وابن سلام وغيرها من علوم القرآن والتفسير؛ نحو ما يزيد على ألف كتاب من الكتب المشهورة، فقال: "جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي - رحمه الله - وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نواتجه وغرائبه ومكنون علومه مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري وما تحيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام. ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 73

² المصدر نفسه، ج1، ص 73

³ سبق التعريف به، وتفسيره الاستغناء في علوم القرآن؛ من كتب التفسير، لا من كتب علوم القرآن رغم اسمه، وحسب تنبهي للتفسير وجدته مخطوط غير مطبوع لحد الآن، وتوجد منه مخطوطات كاملة وناقصة في مكتبات مصر وتركيا وتونس، واستفاد الأدفوي من شيخه النحاس في تصنيف هذا التفسير، ونقل عن كتاب المعاني له. وهناك رسالة ماجستير بعنوان الأدفوي مفسراً للباحث: عبد الله بن عبد الغني كحيلان، في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه 1401هـ، ولكنني لم أحصل عليها. ينظر: ملتقى أهل التفسير على شبكة الأنترنت، www.Tafsir.net

القرآن مشهورة مروية¹. وهذه المصادر المتعددة التي جمع منها مكّي بن أبي طالب تفسيره واستعان بها؛ ينفي كلام الدكتور أحمد حسن فرحات في النتيجة التي توصل لها، حيث قال: "ومن كل ما تقدم نرى أن تفسير مكّي يعتبر في جملته تلخيصاً جيداً لتفسير الطبري، لا يخل بجوهره؛ لأنه لم يجذف منه إلا الأسانيد والمكررات"²

ثم شرع في الدعاء لنفسه في خاتمة مقدمته، والاعتذار عن التقصير في التفسير، وبين أنه استغرق مدة طويلة في تنقيحه وإخراجه للناس، وأن يدعُو له بالرحمة والمغفرة كل من استفاد من تفسيره، وأنه يغني القارئ عن بقية التفاسير بقوله: "أسأل الله ذا الفضل والمن ألا يحرمنا أجره، وأن يبارك لنا في ذكره، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه لا إله إلا هو. فواجب على كل ذي دين ومروءة كتّب كتابنا هذا أو قرأه أن يغمض عن زلل كاتب أو وهم ناسخ إن وجده فيه، ويشكر الله على ما يستفيده منه ويسمح في وهم أو غلط إن وقع منا فيه، فالعصمة لا يدهيها أحد بعد الأنبياء - صلوات الله عليهم -. أسأل الله التوفيق لما يُزلف لديه ويقرب منه، وأرغب إليه جل ذكره أن يجعله لوجهه خالصاً، وأن يغفر لمن ترحم علينا ودعا لنا بالمغفرة. فما أخرجت هذا الكتاب وبذلته للناس بعد أن كنت عملته في صدر العمر وجمام الفهم لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفرداً، إلا طمعاً أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، أو يذكرنا بالخير عليه ذاكر، مع ما نرجو من ثواب الله عليه في انتفاع دارسيه واكتفائهم به عن سائر كتب المفسرين، وأهل المعاني، وسائر أكثر علوم كتاب الله تعالى³.

ويتضح من هذه المقدمة، أنه لم يذكر بطريقة مباشرة تاريخ تأليفه للتفسير، ولا المنطقة التي ألف فيها، لأنه كما ذكرنا سابقاً كان كثير الترحال والتنقل بين المشرق والمغرب ولم يستقر بمنطقة معينة إلا بقربطبة في آخر حياته، إلا أنه ذكر أنه استغرق مدة طويلة في تأليفه، وكان يرجع إليه وينقحه بين الحين والآخر وأخذ منه وقتاً أطول، أي فترة الشباب والكهولة، وأشار إلى أنه قام بتأليفه في

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص 75

² فرحات: أحمد حسن، " مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن "، ص 180

³ مكّي، الهداية، ج1، ص 76

صدر عمره ويكون ذلك تقديرا بين سنة 367 هـ وسنة 392 هـ، ولم يخرج للناس إلا بعد التنقيح والدراسة في آخر عمره بعد سنة 424 هـ، وذلك بالاعتماد على الإشارة التي وردت في تفسيره لسورة الفاتحة التي أحال فيها على كتابه (الكشف) الذي ألفه سنة 424 هـ¹، في تبين وجوه القراءات في قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤؛ بقوله: "وقد بيّنا كشف وجوه القراءات في كتاب: (الكشف عن وجوه القراءات)، فأغنانا ذلك عن الكلام فيها في هذا الكتاب"². فهذا يعني أن كتاب الهداية انتهى من تأليفه بعد هذا التاريخ، - والله أعلم - وقد صرح في مقدمته بتعمده حذفه الأسانيد ليخف حفظه على من أراده. وذكر مصادره في التفسير وكتب اللغة، وأنه لا يطيل القول في الناحية الإعرابية خاصة لأنه أفردا بالتأليف، وقد كان يؤكد على هذا المنهج الذي التزم به، ويُدكّر به من حين إلى آخر أثناء تفسيره للآيات القرآنية كما سنرى هذا لاحقا، ومع وضوح منهجه ومقصده من تفسيره في هذه المقدمة؛ إلا أن هذا لا يكون هو المعول عليه في معرفة منهجه، فلا بد من معرفة منهجه الدقيق بدراسة تفسيره والوقوف على آرائه من خلال تفسيره المباشر للآيات القرآنية كما سيأتي إن شاء الله.

¹ ينظر مقدمة تحقيق كتاب الكشف: القيسي: مكّي بن أبي طالب، "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها

وحججها"، ج1، ص4

² مكّي، الهداية، ج1، ص105

المبحث الثالث: مصادر مكي في تفسيره

إن دراسة مصادر التفسير عند المفسر تكشف لنا القواعد الخلفية لتفسيره، وبالمصادر التي أكثر منها المفسر نستطيع الحكم على تفسيره، ومعرفة المنهج العام الذي انتهجه، ولا شك أن مفسرنا مكي بن أبي طالب اعتمد في تفسيره على مصادر كثيرة، فقد أشار في مقدمته إلى أهمها، ويظهر ذلك من خلال كثرة أقوال العلماء في تفسيره، ولكن يؤخذ عليه أنه لم يذكر المصادر التي رجع إليها إلا نادراً، وحتى تفسير الأدفوي الذي ذكره في المقدمة، وأنه أول مصدر رجع له واعتمد عليه في تفسيره، لم يذكره إلا قليلاً، وكان ينسب الأقوال لأصحابها، فيقول: "قال الفراء وذهب الأخفش وقال النحاس..." دون ذكره للكتاب في الغالب، أما فيما يخص مصادر في الفقه، فلم يحدد أي مصدر فقهي انتقى منه، وإنما يذكر آراء الفقهاء كمالك والشافعي وابن القاسم وأشهب وأبي حنيفة والإمام أحمد وغيرهم، وينسب القول لقائله مباشرة، فيقول: "قال مالك، وذهب الشافعي، وقال ابن القاسم..." وغيرها من الألفاظ المبهمة¹، دون ذكره للمصادر المعتمدة في المذاهب الفقهية، وهذه طريقته المعتادة في ذكر الأحكام الفقهية في تفسيره، علماً أن التفسير من التفاسير المتقدمة²، ولهذا قسمت المصادر التي أشار إليها إلى ثلاثة أقسام فقط، وهذا ما سنتطرق له في هذا المبحث إن شاء الله.

المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن

لقد أشرنا سابقاً أن مكي بن أبي طالب قد ذكر في مقدمته أهم التفاسير التي استعان بها في تفسيره وهذا من باب الأمانة العلمية التي يتحلى بها، وكان أهم تفسير رجع إليه واستفاد منه هو تفسير (الاستغناء في علوم القرآن) لشيخه الأدفوي فقال: "جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب

¹ وهذا ما سنتطرق له في المباحث اللاحقة في الفقه - إن شاء الله - علماً أن المذاهب الفقهية كالمالكية والشافعية والحنابلة والأحناف، لها كتب معتمدة في المذهب تستنبط منها الأقوال والأحكام وغيرها.

² فهو من تفاسير القرن الخامس الهجري، ومتقدم على كثير من التفاسير الأندلسية التي جاءت بعده كتفسير ابن عطية والقرطبي وأبي حيان وغيرها.

شيخنا أبي بكر الأدفوي - رحمه الله - وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن¹.

وقد عرّفنا بالأدفوي وتفسيره سابقاً²، ونُدكر هنا بأنه تفسير قيم ضخم، وعلى منهج أهل السنة والجماعة، وقد أثنى كثير من العلماء على الأدفوي وتفسيره - كما سنرى -، وهو من شيوخ مكّي بن أبي طالب الذي تتلمذ له في مصر أثناء إقامته بها، ولكن في حدود علمي أن هذا التفسير مخطوط غير مطبوع لحد الساعة³، ولم يتيسر لي الاطلاع عليه إلا ما كتبه كتب التراجم عنه مثل الذهبي حيث قال عن الأدفوي: "صحب أبا بكر النحاس⁴ ولزمه، وحمل عنه سائر كتبه، وسمع الحديث، وقرأ القرآن برواية ورش، وكان سيد أهل عصره، وكانت له حلقة كبيرة. أخذ عنه طائفة. وله كتاب (تفسير القرآن) في مائة وعشرين مجلدة، ومنه نسخة بمصر"⁵. وقال عنه السيوطي: "وبرع في علوم القرآن، وكان سيد أهل عصره بمصر... له كتاب (التفسير) في مائة وعشرين مجلداً، وسماه كتاب (الاستغناء في علوم القرآن)..."، قال الدايني: انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته في قراءة

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص74

² ينظر: ص119، وص144 من الرسالة.

³ بعد الاطلاع على الشبكة العنكبوتية ومراجعة بعض الفهارس تبين أنه غير مطبوع وهو مخطوط لحد الآن، وربما طبع جزء منه، وستعرض لهذا لاحقاً.

⁴ أبو جعفر أحمد بن مُجّد المرادي النحاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة منها: تفسير القرآن الكريم وكتاب إعراب القرآن وكتاب النسخ والمسنوخ وغيره، وتوفي بمصر سنة338هـ، وقيل: سنة337هـ. ينظر في ترجمته: الزبيدي: مُجّد الأندلسي، "طبقات النحويين واللغويين"، ت: مُجّد أبو الفضل إبراهيم، ط:2، دار المعارف، ص220، والأنباري: عبد الرحمن بن مُجّد، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط:3، 1405 هـ - 1985 م، ص218، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج1، ص136، وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج1، ص100

⁵ الذهبي: شمس الدين بن قأبماز، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:2، 1413 هـ - 1993 م، ج27، ص177

نافع، مع سعة علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وتمكنه من علم العربية، وبصره بالمعاني. له كتاب التفسير في مائة وعشرين مجلداً، وسماه كتاب الاستغناء في علوم القرآن¹.

وقال عنه الداوودي تلميذ جلال الدين السيوطي: "وكان من أهل العلم والصلاح والدين والأدب، وكان يبيع الخشب، وكان سيد أهل عصره بمصر، أخذ عنه جماعة. وله كتاب تفسير القرآن سماه (الاستغناء) في مائة وعشرين مجلداً، صنّفه في اثني عشرة سنة"².

وقال عنه القفطي في وصفه: "وكان سيد أهل عصره في مصره وغير مصره وقرأ عليه الأجلّاء، واعتاد على مجلسه الرؤساء والفضلاء.

وصنف في التفسير كتباً مفيدة، منها كتابه (الاستغناء) وهو أكبر كتاب صنف في التفسير، جمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره"³.

وقال صاحب البلغة: "صنف كتباً مفيدة، منها تفسيره للقرآن العزيز سماه (الاستغناء)، وهو كتاب عظيم. ومن كلام الفاضل، الكتب المنتفع بها ثلاثة: "كتاب الاستغناء، ورسائل إخوان الصفا"⁴، ومعاني الفراء"⁵.

ومن خلال ما ذكرته كتب التراجم عن الأدفوي، نستنتج أنه كان عالماً كبيراً وتفسيره من التفاسير القيمة، وقد أثنى عليه العلماء القدماء كالذهبي وغيره، واختلف العلماء في تسمية هذا الكتاب، بين (الاستغناء في علوم القرآن) و(الاستفتاء في علوم الدين)، والاصح والذي عليه جُل الكتب

¹ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة"، ت: مُجد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط: 1، 1387 هـ - 1967 م، ج1، ص490

² الداوودي: مُجد بن علي بن أحمد، "طبقات المفسرين"، ج2، ص197

³ القفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج3، ص186

⁴ إخوان الصفا هم جماعة سرية باطنية مزجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية، وبالتالي فهي أولى ثمار الحركة الباطنية التي استغلت التشيع والتصوف الفلسفي ستاراً لنشر رسائلها وأفكارها، وكان أول ظهورها في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ولهم رسائل تسمى رسائل إخوان الصفا نحو خمسين رسالة تتضمن جميع أجزاء الفلسفة علمياً وعملياً، وتعتبر برنامج العمل السري الذي يستهدف القضاء على الإسلام ودولته لتأسيس دولتهم التي تضم شتى العقائد الوثنية والمجوسية والإباحية. ينظر: الحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ج3، ص1335، بتصرف

⁵ الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر، "البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة"، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1، 1421هـ - 2000م، ص278

هو (الاستغناء في علوم القرآن)، والكتاب يُعدّ من كتب التفسير، لا من كتب علوم القرآن المصطلح عليها بهذا الاسم؛ رغم اسمه، مع العلم أن هناك من العلماء من صنفه ضمن كتب علوم القرآن كالبرهان للزركشي والإتقان للسيوطي وهو غير ذلك، بدليل ذكره في كتب طبقات المفسرين والتراجم التي أشرنا إليها سابقاً؛ حيث وصفوه بأنه كتاب في التفسير، ورجوع معظم المفسرين إليه والاستفادة منه كمكي بن أبي طالب وأبي حيان في البحر المحيط وغيره، واطلاع الباحثين على مخطوطات التفسير، وهذا ترشيح له بأنه في التفسير لا في علوم القرآن.

أما في العصر الحديث فقد تطرق الدكتور أحمد حسن فرحات إلى الثناء على هذا التفسير في دراسته وقال عنه: "إن هذا الكتاب يعتبر من أوسع ما كُتب في التفسير، حيث بلغت مجلداته مائة وعشرين مجلداً، ولم يزد عليه في عظم التأليف إلا عبد السلام القزويني شيخ المعتزلة ببغداد المتوفى سنة 483هـ، فإنه ألف تفسيراً في ثلاثمائة مجلد، منها سبعة مجلدات في الفاتحة، وقد ألف الأدفوي هذا الكتاب في اثني عشرة سنة، ويبدو أنه فُقد، ولا يوجد منه الآن أية نسخة فيما أعلم من فهارس المخطوطات التي اطلعت عليها"، ثم استدرك الدكتور في الهامش فقال: "وجد من كتاب الاستغناء جزء صغير في المكتبة الوطنية التونسية، كما يوجد نسخة كاملة من الكتاب في تركيا، ويعمل أحد طلابنا في تحقيقه"¹.

والظاهر من كلام الدكتور أحمد حسن فرحات، أن هذا الكتاب قصد مؤلفه إلى أن يستغني القارئ به عن غيره، كما يدل عليه العنوان، وكأنه كان يهدف إلى جمع حصيلة الفهوم والعلوم التي حامت حول كتاب الله - ﷻ -.

وقال الدكتور شوقي ضيف عن الأدفوي: "وكان يروي عن أستاذه النحاس كل تصانيفه في النحو والقرآن، وعني بالتفسير فصنف فيه كتاباً في مائة مجلد سماه (الاستغناء في تفسير القرآن) جمع فيه

¹ فرحات: أحمد حسن، "مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن"، ص171، وبعد البحث وجدت في ملتقى أهل التفسير، أنه قام بتحقيق جزء من التفسير بعض طلاب الدراسات العليا في الأزهر، وتبقت منه أجزاء كثيرة لم تحقق ولم تبحث بعد، - والله أعلم -، وستكلم عن هذا لاحقاً. ينظر: ملتقى أهل التفسير على شبكة الأنترنت، [www. Tafsir. net](http://www.Tafsir.net)

من علوم العربية ما لم يجتمع بغيره، ويظهر أن ضخامة الكتاب حالت من قديم دون الانتفاع به ومعرفة ما نشره فيه الأدفوي من آراء في العربية¹.

وحسب تبعية للتفسير وجدته مخطوطاً غير مطبوع لحد الآن، وتوجد منه مخطوطات كاملة وناقصة في مكتبات مصر وتركيا وتونس، و استفاد الأدفوي من شيخه النحاس في تصنيف هذا التفسير، ونقل عن كتاب المعاني له²، وهناك رسالة ماجستير بعنوان الأدفوي مفسراً، وتحقيق سورة الفاتحة، للباحث: عبد الله بن عبد الغني كحيلان، وإشراف الدكتور أحمد حسن فرحات في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه 1401هـ، والظاهر أن الباحث تعامل مع مخطوط التفسير أو جزء منه كما هو عنوان الرسالة، حيث قال الباحث عن التفسير نقلاً عن الأدفوي في مقدمة تفسيره: "وقد قال في مقدمة كتابه: "هذا كتاب أَلْفناه يجمع ضرباً من علوم القرآن، من بين كلام غريب، ومعنى مستغلق، وإعراب مشكل، وتفسير مروي، وقراءة مأثورة، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وأذكر فيه - إن شاء الله - ما بلغني من اختلاف الناس في القراءات، وعدد الآي، والوقف والتمام، وأبين تصريف الكلمة واشتقاقها - إن علمت ذلك - وما فيه من حذف لاختصار، أو إطالة لإفهام، وما فيه تقديم وتأخير. وإذا مرَّ العامل من عوامل النحو ذكرته مع نظائره في باب أفرد له، وأذكر أين نزلت السورة بمكة أو بالمدينة، على قدر الطاقة، ومبلغ الرواية، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكثيفاً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنياً..."³.

ومن خلال هذه المقدمة التي ذكرها الباحث، نستنتج أن التفسير قيم ونفيس، ويستحق النشر والتحقيق والعناية حتى يستفاد منه، لكون الأدفوي من علماء القرن الرابع الهجري في اللغة

¹ شوقي ضيف: أحمد عبد السلام، "المدارس النحوية"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط:7، ص334

² ينظر: ملتقى أهل التفسير على شبكة الأنترنت، [www. Tafsir. net](http://www.Tafsir.net)

³ ينظر: المصدر نفسه، نقلاً عن رسالة ماجستير لكحيلان: عبد الله بن عبد الغني "الأدفوي مفسراً، وتحقيق سورة الفاتحة" إشراف الدكتور أحمد حسن فرحات، رسالة في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

والتفسير، وعاصر الخلافتين العباسية والفاطمية في مصر، وتلمذ على كبار العلماء كالنحاس، وتخرج على يديه علماء أجلاء كمكي بن أبي طالب والحوفي¹ وغيره.

أما عن نقل مكي بن أبي طالب عن الأدفوي، فهو للأسف الشديد لم يصرح في تفسيره عن مواقع النقل من تفسير الأدفوي رغم ذكره في المقدمة بأنه أول تفسير استعان به، ولم يذكره في تفسيره إلا مرة واحدة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ الأذ عام: ٢٦١، حيث قال مكي: "روى أبو بكر الأدفوي عن أحمد بن إبراهيم عن بكر بن سهل الدمياطي عن أبي الأزهر عبد الصّمد عن ورش أنه اختار من نفسه الفتح في (محيى)"². ومع غياب تفسير الأدفوي إلى الآن عن التحقيق والطباعة، يصعب استقصاء ما نقله مكي بن أبي طالب من تفسيره.

ويمكن أن نعلل عدم ذكر مكي للأدفوي في تفسيره لأسباب منها: ذكره في المقدمة أنه أول تفسير استعان به، وكذلك تلمذه على يديه مباشرة وهو شيخه وقد حفظ عنه، وكذلك اختصاراً لتفسيره حتى لا يتسع؛ وهذا ما كان يسع له كما ذكرنا في دراسة مقدمته حيث حذف الكثير من الأسانيد وصرح بذلك حتى يخف حفظه وفهمه، ولهذا الأسباب وغيرها كان مكي بن أبي طالب ينقل من تفسير الأدفوي نقلاً مباشراً دون الإشارة له أو إلى تفسيره، والله أعلم.

ثم يأتي بعد تفسير الأدفوي؛ تفسير شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في المرتبة الثانية في مصادر مكي بن أبي طالب التي ذكرها في مقدمته بقوله: "مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في

¹ علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي، أصله من قرية من حوف بلبس من الديار المصرية، أخذ عن الأدفوي، وكان نحوياً قارئاً مات في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمئة للهجرة. وله من التصانيف: كتاب الموضح في النحو وكتاب البرهان في تفسير القرآن. ينظر في ترجمته: الحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ج4، ص1644، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج2، ص219، وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج3، ص300، والذهبي: شمس الدين بن قأباز، "سير أعلام النبلاء"، ج13، ص194

² مكي، الهداية، ج3، ص2264

تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري¹، والملاحظ في تفسير مكّي بن أبي طالب أن تفسير ابن جرير الطبري حاضر بقوة، حيث ذكره عدة مرات في كامل تفسيره تقريباً؛ عكس تفسير الأذفوي، والذي لم يُشر إليه إلا مرة واحدة كما ذكرنا سابقاً، وهذا غريب، وهناك أسباب ذكرناها تُمكننا من إيجاد العذر فيها له في ذكره للطبري وعدم ذكره للأذفوي، ومن خلال المقارنة بين تفسير الهداية وابن جرير الطبري، سنوضح الطريقة التي كان مكّي بن أبي طالب ينقل منها في تفسيره، فأحياناً ينقل مباشرة من تفسير الطبري، ويحذف الأسانيد الموجودة في التفسير وهذا ما اشترطه في مقدمة تفسيره من الحذف والاختصار، دون تعليق، أو تبين الرأي الذي رجحه الطبري في تفسيره، ويكتفي بالنقل فقط، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة: ٢٦، قال مكّي: "حكى الطبري أن "يستحيي" بمعنى "يخشى"، كما وقع "يخشى" بمعنى "يستحيي" في قوله: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ الأحزاب: ٣٧. أي وتستحيي من الناس². وبعد الرجوع إلى تفسير الطبري وجدته ذكر عدة أقوال في معنى يستحي، وذكر هذا القول الذي جاء به مكّي ولم يرجحه بدليل سياق كلامه، ومكّي اقتبس فقط هذا القول ولم يعلق عليه، دون إبداء رأي أو ترجيح، قال الطبري: "وأما تأويل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة: ٢٦، فإن بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة: ٢٦، إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً، ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص74

² المصدر نفسه، ج1، ص199

أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ^ص ﴿ الأَحْزَاب: ٣٧ ، ويزعم أن معنى ذلك: وتستحي الناس والله أحقُّ أن تستحيه، فيقول: الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستحياء" ¹.

والظاهر من كلام الطبري أنه لم يرجح هذا الرأي في تفسير هذه الآية الكريمة ولم يرضه بدليل قوله: "بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب"، وكذلك قوله: "ويزعم أن معنى ذلك وتستحي الناس والله أحقُّ أن تستحيه"، وإنما ذكره للاستشهاد والمعرفة فقط، ومكي اقتبس هذا القول بإيجاز من تفسير الطبري دون تعليق.

وأحيانا يذكر رأي الطبري في التفسير مع حذفه للأسانيد، لأن الطبري في تفسيره يذكر رأيه في الآية ثم يعقب عليها بقوله: "ذكر من قال ذلك"، ثم يذكر الروايات منسوبة لأصحابها عن السلف وهذه طريقته في التفسير، مع العلم أنه يستعمل لفظ التأويل بقوله: "القول في تأويل قوله تعالى"، ويقصد به التفسير، ومكي يذكر رأي الطبري كونه منقولاً عن السلف ويتعمد حذف الأسانيد، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا

بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠، قال مكي: "قال الطبري: المعنى: ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحق، كما لو لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها أول مرة، أي: قبل ذلك. والهاء عنده تعود على التقليب، وفيما تقدّم من الأقوال، تعود على الهدى، أو على الإيمان، وقد قيل: على الرسول، وقيل: على القرآن. وقيل: على الله جل ذكره" ²، وعند الرجوع إلى تفسير الطبري وجدته أشار إلى الخلاف في تفسير هذه الآية، وذكر آراء السلف بأسانيدها، ثم رجح رأيه أخيراً في تفسيرها، فقال الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ

¹ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج1، ص402

² مكي، الهداية، ج3، ص2151

وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠، قال أبو جعفر¹: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: لو أننا جئناهم بآية كما سألوها، ما آمنوا، كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة، لأن الله حال بينهم وبين ذلك: ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿١١٠﴾ الآية، قال: لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تثبت قلوبهم على شيء، ووردت عن كل أمر. حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠، قال: تمنعهم من ذلك، كما فعلنا بهم أول مرة. وقرأ: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠. حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠، قال: نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة. وقال آخرون: معنى ذلك: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو رُدُّوا من الآخرة إلى الدنيا فلا يؤمنون، كما فعلنا بهم ذلك، فلم يؤمنوا في الدنيا. قالوا: وذلك نظير قوله ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ﴿٢٨﴾ الأنعام: ٢٨. ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه. قال: ولا ينبئك مثل خبير: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً

¹ أي الإمام الطبري.

فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ الزمر: ٥٦ - ٥٨، يقول: من المهتمدين. فأخبر الله

سبحانه أنهم لو رُدُّوا إلى الدنيا، لما استقاموا على الهدى، وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا

عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ الأنعام: ٢٨، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهمْ

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠، قال: لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم

وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله - جل ثناؤه -، أخبر

عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها: أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم

ويعصرها كيف شاء، وأن ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد، وأن قوله: ﴿كَمَا لَمْ

يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠، دليل على محذوف من الكلام، وأن قوله: "كما"

تشبيه ما بعده بشيء قبله. وإذا كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب

أفئدتهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التي

سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرة

قبل ذلك. وإذا كان ذلك تأويله، كانت "الهاء" من قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ

مَرَّةٍ ﴿١١٠﴾ الأنعام: ١١٠، كناية ذكر "التقليب"¹.

وأحيانا ينتقد رأي الطبري، خصوصاً عندما يتعلق الأمر باللغة؛ لتمكن مكي في ذلك، فمثلاً عند

تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ البقرة:

١٩٨، قال مكي: "معناه: وما كنتم من قبل الهدى إلا من الضالين، "فإن" بمعنى "ما" واللام

¹ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج12، ص46

بمعنى " إلا ". وقد قيل: إِنَّ " إن " بمعنى " قد " ذكره الطبري، وليس بجيد في اللغة¹. وكذلك نجده يرد على الإمام الطبري في اعتبار "ثم" بمعنى "هناك"، وهي في تقديره للعطف في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ءَأَلَّكَنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِء تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ يونس: ٥١، قال مكي: "قال الطبري: "ثم" بمعنى "هناك" إذا وقع العذاب بكم آمنتم بالله - ﷻ .. وليست عنده، "ثم" التي للعطف وهو غلط منه. وإنما التي تكون بمعنى "هناك" هي المفتوحة الثاء بمنزلة قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرَ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الإنسان: ٢٠. والتقدير عند غيره أنها "ثم" التي للعطف. وفي الكلام حذف. والتقدير: أأمنون إذا نزل بكم العذاب، فتؤمنون ثم يقال لكم: الآن آمنتم، وقد كنتم تريدون استعجاله، وحلوله بكم، فلما عاينتم حلوله آمنتم حين لا ينفعكم الإيمان، وهو مثل قوله: ﴿ فَمَا رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَحَدَهُو وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِء مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا ﷻ غافر: ٨٤ - ٨٥: أي: لم ينفعهم الإيمان عند معاينة العذاب. كذلك سنة الله - ﷻ - في الكافرين لا يقلهم من كفرهم عند معاينتهم العذاب². ورد أيضا رأي الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ النساء: ١٥٦، قال مكي: "قال الطبري: هذا غلط لأن الذين أخذتهم الصاعقة قوم موسى - ﷻ -، والذين رموا مريم بالبهتان بعدهم بدهر طويل، فهؤلاء غير هؤلاء. والذي قال الطبري لا يلزم، لأن اليهود قد تأخروا، وهم الذين طالبوا عيسى - ﷻ - بالصاعقة، وإن لم تأخذهم بأعيانهم، فقد أخذت آباءهم. فالمراد آباؤهم على ما مضى في البقرة وفي غيرها لأنهم راضون بما كان عليه آباؤهم من الكفر فلهم من الحكم ما لآبائهم إذ هم على مذهبهم³".

¹ مكي، الهداية، ج1، ص666

² المصدر نفسه، ج5، ص3280

³ المصدر نفسه، ج2، ص1516

ونجد تأثر مكي بن أبي طالب بتفسير الإمام الطبري ظاهر في تفسيره، حيث رجح رأيه وأيده في بعض المواقف، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ التوبة: ٤، قال مكي: "وفي ذلك نزل: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾﴾ التوبة: ٢٨، فلما نزل ذلك وجد المسلمون في أنفسهم مما قطع عنهم من الأطعمة والتجارات التي كان المشركون يقدمون بها، فأنزل الله - ﷻ -: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ التوبة: ٢٨، الآية، ثم أحل في الآية التي تتبعها الجزية¹، ولم تكن قبل ذلك، جعلها الله عوضاً مما يفوتهم من تجارتهم مع المشركين. وهو اختيار الطبري، ومما يدل على صحة ما اختار الطبري من أنه أمر الله - ﷻ -، نبيه - ﷺ -، أن يتم لمن عاهده أربعة أشهر، فما دن أربعة أشهر، ومن كان عهده أكثر أتم له عهده، إلا أن يكون نقض عهده قبل انقضاء المدة، فأما الذين لم ينقضوا ولا تظاهروا عليه، فإن الله - ﷻ -، أمر نبيه، - ﷺ -، بإتمام العهد لهم، وأمره أن يؤخر الذين نقضوا العهد أربعة أشهر، وإن كان عهدهم أكثر مدة². وكذلك موافقته لرأي الطبري في تفسير قصة سيدنا إبراهيم - ﷺ -، في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ الذاريات: ٢٨، قال مكي: "أي: عليم إذا كبر. قال مجاهد: هو إسماعيل، وقال غيره هو إسحاق.

¹ قصدة الآية: ﴿فَلْتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

التوبة: ٢٩

² مكي، الهداية، ج4، ص 2920، والكلام فيه استطراد من المفسر.

ومذهب الطبري. وهو الصواب - إن شاء الله - أنها: سارة الحرة، وأم إسماعيل إنما كانت أمة اسمها هاجر. ويدل على أنه إسحاق قوله في موضع آخر ﴿فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ﴾ هود: ٧١، فهذا نص ظاهر لا يحتاج إلى تأويل¹. وكلام المفسر - رحمه الله - فيه تناقض في معرفة الغلام الذي بشر به سيدنا إبراهيم - عليه السلام -، وبالرجوع إلى بعض التفاسير وجدت أن أبا حيان رجح أن يكون الغلام هو إسحاق بن سارة، وقال بأنه مذهب الجمهور².

وأحياناً يذكر رأي الطبري مباشرة دون ذكره وبالرجوع إلى تفسير الطبري نستنتج أنها عبارته نقلها مكي في تفسيره مع حذف الأسانيد ودون الإشارة له، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الكهف: ١٠٣، قال مكي في تبين معنى الأخسرين: "قال: علي بن أبي طالب - عليه السلام -، عني بها الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال: الضحاك هم القسيسون والرهبان. وقيل هم اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا مُجَدِّدًا وأما النصارى فكذبوا وكفروا بالجنة. وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب. ونزل في الحرورية³ ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ البقرة: ٢٧ الآية. وعن علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال: هم كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق فأشركوا برهم وابتدعوا في دينهم، الذين يجتهدون في الباطل ويحسبون أنهم على حق، ويجتهدون في الضلالة ويحسبون أنهم على هدى فضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وعن علي بن أبي طالب - عليه السلام -: أنهم الخوارج أهل حرور. وقال: سعيد: هم الخوارج⁴.

¹ مكي، الهداية، ج11، ص 7093

² أبو حيان: مُجَدِّد بن يوسف الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير"، ج9، ص 554

³ يقصد بهم الخوارج الذين خرجوا عن الإمام علي في معركة صفين الشهيرة، وحروراء منطقة بالعراق التجاؤوا إليها، وسموا بها.

⁴ مكي، الهداية، ج6، ص 4479

وبعد الرجوع إلى تفسير الإمام ابن جرير الطبري، وجدته ذكر كل هذه الأقوال بأسانيدھا، ونقلھا مكي بن أبي طالب دون الإشارة إلى تفسيره¹.

وعلى العموم فإن تفسير ابن جرير الطبري حاضر بقوة في تفسير الهداية لمكي، وقد ذكره عدة مرات بألفاظ مثل قوله: "وحكى الطبري، واختار الطبري، والاختيار عند الطبري، وإلى هذا المعنى ذهب الطبري، وهو قول الطبري، وقال الطبري: والتقدير عند الطبري..." إلا أن مكي كان في أغلب الأحيان يذكر رأيه باختصار ويحذف الأسانيد مكتفياً بذكر القول منسوباً للصحابي أو التابعي ولا يعلق عليه، رغم قوته ودلالته ولا يلتفت له أو ينقده إلا نادراً، وإن كان تفسير الطبري أكثر من تفسير مكي في الروايات والأخبار والآثار؛ واستفاد منه مكي في هذه الناحية، إلا أن تفسير مكي كان أكثر من تفسير الطبري في اللغة والنحو والقراءات - كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله - ولتمكن مكي في هذه العلوم واستفادته من العلماء الذين جاؤوا بعد عصر الإمام الطبري على مر العصور، وهذا موقف مكي بن أبي طالب من تفسير إمام المفسرين ابن جرير الطبري الذي جعله مصدراً من مصادره الأساسية في تفسيره وتأثر به، مع العلم أن تفسيره من أجل كتب التفسير بالمأثور وأعظمها، ويعتبر أول كتاب متكامل في التفسير وصل إلينا، وهو كما قال العلماء "أبو التفسير والمفسرين"، وما من مفسر إلا ورجع لتفسيره واستفاد منه.

ومن المصادر الأساسية في تفسير مكي بن أبي طالب؛ تفسير الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، فهو حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد رجع إليه عدة مرات وصرح في مقدمته باعتماده في تفسيره حيث قال: "مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام"². وقد تسائل الدكتور أحمد حسن فرحات حول هذا التفسير المنسوب للصحابي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -، وقصد مكي من الاعتماد عليه في تفسيره، ومن المعروف أن الصحابي مفسر

¹ ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج18، ص126، وقارن بين كلامه، وكلام مكي في الهداية، مكي، الهداية، ج6، ص4479

² مكي، الهداية، ج1، ص74

كبير، وله طرق كثيرة مروية عنه في التفسير بعدة روايات صحيحة ومكذوبة¹ ومستوعبة في كتب التفسير بالمأثور كالطبري وتفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور وغيرها، والسؤال المطروح، هل اعتمد مكّي على هذه الروايات المنسوبة لهذا الصحابي، أم أن هناك تفسيراً خاصاً جمع أقوال هذا الصحابي في التفسير وكان موجوداً في عهد المفسر ولم يصل إلينا؟ وبعد البحث وجدت أن الصحابي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - له كتابان في التفسير؛ وبالطبع منسوبان له، الأول وهو (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) للفيروز آبادي صاحب (القاموس المحيط)، حيث جمع تفسير الصحابي، ورتبه على ترتيب المصحف، من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وطبع هذا التفسير عدة مرات، وظن الناس إنه تفسير ابن عباس حقيقة، ولكن العلماء طعنوا في هذا التفسير المنسوب للصحابي عبد الله بن عباس، وهو مكذوب مردود باطل لا تصح نسبته له، لأن الفيروز آبادي جمعه من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وتسمى (سلسلة الكذب) لأن محمد بن السائب الكلبي ليس ثقة ومنتهم بالوضع والكذب، ولما مرض يوماً قال لأصحابه: "كل شيء حدثكم عن أبي صالح فهو كذب"، ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه من هو أشد منه ضعفاً وهو محمد بن مروان السدي الصغير وهو كذاب وضاع، وبالتالي هذه السلسلة التي جمعها الفيروز آبادي لا تصح نسبتها للصحابي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ، ولا يستأنس بها في التفسير، وفيها تناقض ظاهر في الأقوال، وأما الكتاب الثاني، فهو: تفسير ابن عباس، المسمى: (صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في التفسير)، وهذا تفسير صحيح روي ونقل بأصح الطرق عن ابن عباس وهي طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن مجاهد عن ابن عباس، وأثنى عليها العلماء السابقون والمحدثون، وقد نقل منها جل

¹ ينظر: الخالدي: صلاح عبد الفتاح، "تعريف الدارسين بمنهج المفسرين"، دار القلم دمشق، ط: 3، 2008م، ص 249، بتصرف.

المفسرين مثل الطبري وابن أبي حاتم والسيوطي وغيرهم، وفقدت الصحيفة منذ فترة طويلة ولا تزال في عداد المفقودات.¹

ولكن حذف مكّي بن أبي طالب للأسانيد يجعلنا في حيرة من تفسير ابن عباس الذي نقل منه الكثير في تفسيره! أو على الأقل ما هي الطريقة التي اعتمد عليها في النقل؟ لأن الصحابي له خمس طرق مشهورة عنه في الحديث مع الاختلاف بينها في القوة والضعف، وله التفسيران المرويان عنه، والتي أشرنا إليها، وهل كان هناك في عصره تفسير للصحابي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ولكنه لم يصل لنا؟ والراجح أنه كان ينقل من تفسير مروى عن ابن عباس - والله أعلم - لأنه ذكره في مقدمته لكتب التفسير التي استعان بها مثل الأذفوي والطبري... كما ذكرنا سابقاً، وكذلك تصريحه في تفسيره بقوله: "قال ابن عباس، وقاله ابن عباس. وتفسير ابن عباس، وروى عن ابن عباس..."

وسنضرب بعض الأمثلة التي تبين ذلك، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ﴾^٦ الفاتحة: ٦، قال مكّي: "والصراط المستقيم: كتاب الله. وهو مروى عن النبي -

صلوات الله عليه - . وقال ابن عباس: " هو الطريق إلى الله - رَبِّكَ - ". وعن جماعة من الصحابة أنه

الإسلام"²، وكذلك قوله: "اختلف في اشتقاق آدم؛ فقال فيه ابن عباس: " سمي آدم لأنه خلق

من أديم الأرض"³. وعند تفسير العهد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنْأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

البقرة: ١٢٤، قال مكّي: "قال ابن عباس: " عهدي: نبوتي"⁴.

¹ يمكن مراجعة كلام الذهبي: مُجَدِّدِ حَسِينِ، " التفسير والمفسرون "، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ج1، ص62، وكلام الدكتور صلاح في تعريف الدارسين، ينظر: الخالدي: صلاح عبد الفتاح، " تعريف الدارسين بمنهج المفسرين "، ص252، بتصرف.

² مكّي، الهداية، ج1، ص110

³ المصدر نفسه، ج1، ص226

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص428

ومن الأدلة على نقله من تفسير ابن عباس أنني وجدت عالماً أندلسياً آخر صرح بنقله من تفسير ابن عباس في مؤلفه، مثل مكّي بن أبي طالب، وهو: أبو المجد عقيل بن عطية الأندلسي¹ حيث قال في كتابه (تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبي والمآل) في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ﴿١٠﴾ الانشقاق: ١٠، "إن هذه الآيات نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد وفي أخيه الأسود بن عبد الأسد فأبو سلمة هو الذي يعطى كتابه بيمينه وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة، وأخوه الأسود كان كافراً، وهو الذي يأخذ كتابه وراء ظهره، ثم هي عامة في أمثالهما من المؤمنين والكفار. وهكذا في تفسير ابن عباس أن الآيات نزلت في أبي سلمة والأسود"². وقال أيضاً في موضع آخر: "وكل ما تقدم نقلنا جملته من تفسير ابن سلام، وتفسير ابن عباس، ومعاني القرآن للفراء، والزجاج، والنحاس، ومن الهداية لمكّي، والتحصيل للمهدوي، وعند بعضهم في ذلك ما ليس عند الآخرين"³.

وهذا ما يرجح أنه كان هناك تفسير مستقل خاص بالصحابي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - غير ما رواه الرواة، - والله أعلم بذلك -.

ومن التفاسير الأساسية التي اعتمد عليها مكّي بن أبي طالب في تفسيره وأشار لها في مقدمته؛

¹ أبو طالب وأبو المجد القضاعي، الأندلسي، الطرطوشي، ثم المراكشي، كان فقيهاً متصرفاً في فنون من العلم، وله تأليف: منها تحرير المقال في الموازنة بين الأعمال وشرح المقامات الحريية وشرح الموطأ، توفي سنة 608 هـ. ينظر في ترجمته: ابن فرحون: برهان الدين اليعمري، "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، ج2، ص135، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، ج43، ص299، ومخولوف: مُجَدُّ بن مُجَدُّ، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، ج1، ص247

² المراكشي: أبو طالب وأبو المجد عقيل، "تحرير المقال في موازنة الأعمال"، ت: مصطفى باحو، دار الإمام مالك، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 1427 هـ - 2006 م، ج1، ص149

³ المصدر نفسه، ج1، ص38

تفسير ابن سلام¹ حيث قال: "وما تحيرته من كتب النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن السلام"²، والمفسر هذا أصله من الكوفة بالعراق ونشأ بالبصرة، ولكنه استقر بالقيروان في تونس وأنجب أولاده وألف معظم كتبه وتفسيره هناك، وهو من الداخلين إلى المنطقة، وكانت وفاته بمصر، وكان عالماً فاضلاً وقيل: "إنه ما سمع شيئاً قط إلا حفظه حتى أنه كان إذا مر بمن يتغنى من أهل الملاهي يسد أذنيه لئلا يسمعه فيحفظه. وكان ثقة ثباتاً، ذا علم بالكتاب والسنة، وأقبل عليه العلماء والطلاب للاستفادة من علمه وذاع صيته بسبب تلاميذه ومريديه وكتبه التي ألفها، إلى أن قره السلطان إبراهيم بن الأغلب وجعله من خواصه"³، وهذا ما يقرر استقراره بالمنطقة، قال الداني: "وقال أبو العرب في طبقات القيروان: كان مفسراً وكان له قدر ومصنفات كثيرة في فنون العلم وكان من الحفاظ ومن خيار خلق الله"⁴. له: تفسير القرآن ويعرف باسمه (تفسير يحيى بن سلام)، وهو تفسير بالآثار على طريقة المتقدمين وربما كان أقدم ما لدينا من نوعه، وكان فيما سلف معروفًا شائعاً كثيراً إلى القرن الخامس للهجرة. قال أبو عمرو الداني: "وليس لأحد من المتقدمين مثله"⁵. ثم قل تداوله بظهور التفاسير المطولة المحشوة بمسائل النحو والبلاغة، ومن المعلوم أن جل العلماء وكتب التراجم ترجح تفسير الإمام ابن جرير الطبري بأنه أقدم تفسير وصل لنا من حيث الأقدمية والمنهج الذي اتبعه في تفسيره، وقد أشرنا إلى هذا

¹ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي البصري ثم الإفريقي ولد سنة 124هـ: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، ولد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونسب إليها، ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها، وحج في آخر عمره، فتوفي في عودته من الحج، بمصر، من كتبه: تفسير القرآن وله مصنفات كثيرة في فنون العلم، توفي سنة 200هـ. ينظر في ترجمته: أبو العرب: مُجَدِّد الإفريقي، "طبقات علماء إفريقية، وتونس"، ص 37، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، ج 5، ص 222، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "سير أعلام النبلاء"، ج 8، ص 120، وابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، ج 2، ص 373

² مكِّي، الهداية، ج 1، ص 74

³ طرهوني: مُجَدِّد بن رزق، "التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا"، ج 1، ص 488

⁴ ابن حجر: أبو الفضل أحمد العسقلاني، "لسان الميزان"، ت: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط: 2، 1390هـ / 1971م، ج 6، ص 261

⁵ ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، ج 2، ص 373

سابقاً، لكنني وجدت أن بعض العلماء من يرجح تفسير يحيى بن سلام بأنه أقدم من تفسير الإمام الطبري، منهم الشيخ مُحَمَّدُ الفاضل بن عاشور حيث صرح بأن (تفسير يحيى بن سلام) أقدم تفسير وصل لنا، فقال: "إذا اعتبرنا يحيى بن سلام مؤسس طريقة التفسير الأثري النظري في القرن الثاني، - وإنه كذلك - فإن مُحَمَّدُ بن جرير الطبري هو ربيب تلك الطريقة وثمره ذلك الغراس"¹. وقد سبقه إلى هذا التقرير أبو عمر الداني بقوله: "ويقال: إنه أدرك من التابعين نحوًا من عشرين رجلاً وسمع منهم وروى عنهم، نزل المغرب وسكن أفريقية دهرا وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن وليس لأحد من المتقدمين مثله وكتابه الجامع، وكان ثقة ثبتا ذا علم بالكتاب والسنة ومعرفة اللغة والعربية صاحب سنة"²، وقد رد الدكتور مُحَمَّدُ بن رزق طرهوني في كتابه (التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا) على الدكتور الفاضل بن عاشور بقوله: "وفي الجانب المقابل نلاحظ مبالغة واضحة من الفاضل ابن عاشور حيث إن اتفاق الطبري مع ابن سلام في اعتماد الرواية في التفسير لا يعني أن المتأخر منهما مدين بهذا المنهج للمتقدم، كيف وقد كان هذا هو المنهج السائد في تلك الفترة على جميع التصانيف سواء التفاسير أم كتب العقيدة أم الأجزاء الفقهية؟! بل إن تفسير الطبري متفرد عن تفسير ابن سلام بأمور عدة تثبت تفرده بمنهجه؛ وأهمها تدخله بالترجيح والنقد في الروايات التفسيرية والقراءات، وكذا اهتمامه الكبير باللغويات والاستشهاد بالشعر وغير ذلك"³. ومن المعلوم أن تفسير ابن سلام تفسير قيم بدليل رجوع أكثر العلماء إليه والاستشهاد بآرائه وأقواله في التفسير كمفسرنا مكّي بن أبي طالب وغيره، وكذلك تظهر قيمة تفسير ابن سلام

¹ ابن عاشور: مُحَمَّدُ الفاضل، "التفسير ورجاله"، مجمع البحوث الإسلامية الأزهر مصر، 1970م، ص 31

² ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، "غاية النهاية في طبقات القراء"، ج2، ص373

³ طرهوني: مُحَمَّدُ بن رزق، "التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا"، ج2، ص508

بدراسة العلماء له واختصاره، وقد بلغنا مختصران للتفسير وهما: (مختصر ابن زنين)¹، و(مختصر هود بن محكم الهواري الإباضي)²، أما (مختصر أبي المطرف القنازعي)³ فلم يصل إلينا، وبعد البحث على تفسير ابن سلام وجدته قد طبع ولكن ليس كاملاً مثل تفسير الطبري، لأن مخطوطة التفسير ناقصة أصلاً وتحتوي على ثلث القرآن تقريباً وهذا ما يرجح أن تفسير الطبري هو المعتمد في الأفضلية على تفسير ابن سلام، لأنه تفسير كامل وصل إلينا، وقد حققت الدكتورة هند شلبي (تفسير ابن سلام) وهو يشمل السور من النحل إلى الصافات، وقدمت دراسة موجزة عن هذا الكتاب ومخطوطاته ورواياته ومختصراته والصعوبات التي واجهتها في التحقيق، كما ذكرت مميزات التفسير، وصدرت الدراسة عن دار الكتب العلمية ببيروت سنة 2004م، وقد نشرت ستة أجزاء

¹ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله الأندلسي، المالكي المعروف بابن أبي زنين، نزيل قرطبة وشيخها ومفتيها، وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد، ومن كتبه (اختصار المدونة) ليس لأحد مثله، ولد سنة 324هـ وتوفي سنة 399هـ، له مختصر على تفسير ابن سلام إسمه: (تفسير القرآن العزيز) وقام بتحقيقه: أبو عبد الله عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، وطبع سنة 2002م بدار الفاروق بمصر، وقام بتحقيقه أيضاً الدكتور عبد السلام الكونني تحت عنوان: (مختصر تفسير يحيى بن سلام لابن أبي زنين). ينظر في تعريف ابن زنين المصادر التالية: ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ص 459، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "العبر في خبر من غير"، ج 2، ص 196، والحَمِيدِي: محمد الميوقري، "جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس"، ص 57، والقاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، ج 7، ص 186

² هود بن محكم الأوراسي الهواري: مفسر، فقيه إباضي، من أقدم مفسري كتاب الله في المغرب الأوسط، نشأ وتعلم بتبهرت، وكان والده قاضيها، من آثاره (تفسير القرآن الكريم) خاص بالإباضية، منه نسخ مخطوطة بالعطوف. ينظر: عادل: نويهض، "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط: 2، 1400 هـ - 1980 م، ص 338، وهذا التفسير مختصر من تفسير الإمام يحيى بن سلام، وقد حقق تفسير الهواري الباحث الجزائري: الحاج بن سعيد شريفني، ونشرته له دار الغرب - بيروت - لبنان. سنة 1410هـ. 1990 م، في أربع مجلدات.

³ عبد الرحمن بن مروان المعروف: بالقنازعي من أهل قرطبة، يكنى: أبا المطرف. وكان عالماً عاملاً وفقهياً حافظاً متيقظاً ديناً، واختصر تفسير ابن سلام في القرآن، وكان له بصر بالأعراب واللغة، والآداب، توفي سنة 413هـ. ينظر في تعريف القنازعي المصادر التالية: ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، ص 311 والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "العبر في خبر من غير"، ج 2، ص 224، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، ج 28، ص 323، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "سير أعلام النبلاء"، ج 17، ص 344

من (تفسير يحيى بن سلام البصري) في الجزائر بتحقيق عدة باحثين، ولم ينشر التفسير كله، إلا أن بعض الدارسين يعتمد على المختصرين اللذين وصلا لنا كاملين وهما: مختصر ابن زنين؛ ومختصر هود بن محكم الهواري، إلا أن المؤلفين قد تصرفا في تفسير بن اسلام بالحذف والإضافة والنقد، خصوصاً المفسر هود بن محكم الهواري لأنه إباحي، وتفسيره من تفاسير الإباضية، ومن المعلوم أن مكي بن أبي طالب من القيروان، فلا شك أنه تأثر بتفسير ابن سلام واستفاد منه وجعله مصدراً من مصادر تفسيره، وفيما يلي نذكر بعض النقول التي أشار إليها مكي في تفسيره من (تفسير

ابن سلام): فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَهُ ۗ بَلْ لَهُ مَا

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ ﴿١١٦﴾ البقرة: ١١٦، قال مكي: "وأصل

القنوت في اللغة الطاعة، والقنوت القيام الطويل. وقال الحسن: " يعني اليهود والنصارى ومشركي العرب؛ كل له قائم بالشهادة بأنه عبد له ". قال يحيى: " إنما خص الحسن اليهود والنصارى ومشركي العرب، لأنهم هم الذين كانوا بحضرة النبي - ﷺ - يومئذ "، وقال في آية أخرى:

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ الزخرف: ٨٧. من

تفسير ابن سلام¹.

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ البقرة: ٢٦٩،

قال مكي: "قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ البقرة: ٢٦٩. أي لا

يتذكر ولا يتعظ بهذه الآيات إلا أولوا العقول وهم المؤمنون. قاله ابن سلام². وكذلك عند تفسير

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَحْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا

¹ مكي، الهداية، ج1، ص414

² المصدر نفسه، ج1، ص897

يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ يس: ٦٧، قال مكي: "وقال ابن سلام: هذا كله في القيامة، قال إذا كان يوم القيامة مد الصراط، ونادى مناد ليقم مُحَمَّدٌ - ﷺ - وأمته، فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه فيتجاوزوا الصراط فإذا صاروا عليها، طمس الله أعين فجارهم، فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه، قال: ثم ينادي مناد ليقم عيسى وأمته فيقومون فيتبعونه برهم وفاجرهم فيكون سبيلهم تلك السبيل، وكذلك سائر الأنبياء"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

الحديد: ١٥، قال مكي: "قال ابن سلام وذلك أنهم يعطون الإيمان يوم القيامة فلا يقبل منهم"².

وقد ذكر مكي بن أبي طالب في تفسيره عدة مرات ابن سلام، ومن المعلوم أن هذا الاسم اشتهر به كثير من الصحابة والتابعين والعلماء، وقد وقع الدكتور أحمد حسن فرحات في لبس في دراسته ولم يتضح له من المقصود بابن سلام هل هو المفسر صاحب التفسير الذي ينقل منه أو غير ذلك؟ وبالمقارنة بين التفسير الناقص والملخصين: ابن زمنين وهود الهواري، اتضح لي المقصود من كلام مكي بن أبي طالب، - والله أعلم -.

ومن التفاسير التي رجع لها مكي في تفسيره تفسير ابن كيسان حيث تردد هذا الاسم كثيرا في تفسيره، واستشهد مكي بأقواله في التفسير دون ذكر الكنية أو اسم الكتاب، وقد اشتهر بهذا الاسم ثلاثة من العلماء كلهم لهم تفسير؛ من بينهم التابعي المشهور صاحب مدرسة التفسير بمكة

¹ مكي، الهداية، ج9، ص 6064

² المصدر نفسه، ج11، ص 7320

طاووس بن كيسان¹، وكذلك عبد الرحمان بن كيسان المعتزلي²، وأيضاً مُجَدُّ أبو الحسن المعروف بابن كيسان³، وكلهم من المتقدمين مما يصعب تحديد التفسير الذي كان ينقل منه مكّي بن أبي طالب، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، قال مكّي: "والقول الثالث: حكاه أيضاً ابن كيسان؛ وهو أن "إيا" اسم مبهم يكتن به عن المنصوب وزيدت إليه الكاف والهاء والياء في: "إياك وإياه وإياي". ليعلم المخاطب من الغائب من المخبر عن نفسه ولا موضع للكاف والهاء والياء من الإعراب، فهي كالكاف في "ذلك" وأرأيتك زيدا ما صنع". ذكر معنى جميع ذلك ابن كيسان في كتابه في تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه⁴.

¹ طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن، شيخ أهل اليمن ومفتيهم، تابعي، من أكابر الحديثين، أصله من الفرس، ولد ونشأ باليمن، وكان كثير الحج فاتفق موته بمكة، سمع من كبار الصحابة مثل عبد الله ابن عباس وعائشة وأبو هريرة - رضي الله عنهم - وغيرهم، وأدرك أكثر من خمسين صحابياً، ولد سنة 33هـ وتوفي سنة 106هـ. ينظر في ترجمته: ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ت: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط: 1، 1406 هـ - 1986 م، ج 2، ص 40، والذهبي: شمس الدين بن قايماز، "سير أعلام النبلاء"، ج 5، ص 49، والأذنهوي: أحمد بن مُجَدُّ، "طبقات المفسرين"، ت: سليمان بن صالح الحزري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط: 1، 1417هـ- 1997م، ص 12، والزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ج 3، ص 224

² عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول ذكره عبد الجبار الهمداني في طبقاتهم وقال كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم وله تفسير عجيب توفي في حدود سنة نحو 225 هـ، ينظر في ترجمته: ابن حجر: أبو الفضل العسقلاني، "لسان الميزان"، ج 3، ص 427، والداوودي: مُجَدُّ بن علي بن أحمد، "طبقات المفسرين"، ج 1، ص 274، والصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك، "الوفاي بالوفيات"، ج 10، ص 169، والزركلي: خير الدين بن محمود، "الأعلام"، ج 3، ص 323

³ مُجَدُّ بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان: من العلماء بالنحو واللغة، مفسر، من أهل بغداد، أخذ عن المبرد وثعلب، فحفظ المذهبين البصري والكوفي، قال ياقوت: "لكنه إلى مذهب البصرين أميل". وقال ابن الأنباري: "خلط المذهين فلم يضبط منهما شيئاً". قيل في وفاته سنة 299هـ وقيل سنة 320 هـ، والأول أشهر. ينظر في ترجمته: الزبيدي: مُجَدُّ الأندلسي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص 153 والأنباري: عبد الرحمن بن مُجَدُّ، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ص 178 والحموي: شهاب الدين ياقوت، "معجم الأدباء"، ج 5، ص 2306، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج 3، ص 57

⁴ مكّي، الهداية، ج 1، ص 107

ومن التفاسير التي رجع لها مكي (تفسير الدمياطي)¹ حيث استشهد به في تفسير قوله تعالى:

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ النور: ٣٥، قال مكي: "ذكره الدمياطي في

تفسيره وهو أن قوله ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ النور: ٣٥، أي مثل نور مُحَمَّد - ﷺ - إذ كان مستودعا

في صلب عبد المطلب كمشكاة يعني كوة غير نافذة على لغة الحبش"². ومن المصادر التفسيرية

أيضاً والتي استقى منها مكي تفسيره تفسير الجعفي³ حيث رجع إليه في تفسير قوله تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا

﴿٥٩﴾ مريم: ٥٩، قال مكي: "وقد ذكر الجعفي في تفسيره عن مُحَمَّد بن كعب القرظي أنه قال: هم

ناس يظهرون في آخر الزمان من قبل المغرب، وهم شر من يملك، وذكر اسمهم"⁴. واستشهد أيضا

بتفسير الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ﴿١٣﴾ الفجر:

١٣، حيث قال: "فقوله: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ﴿١٣﴾، واقع على أنواع من العذاب عذب الله بها

¹ بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع، الهاشمي بالولاء، أبو مُحَمَّد الدمياطي: محدث، مفسر، من أهل دمياط، ضعفه النسائي وغيره. له تفسير القرآن. قال في الشذرات: ولما قدم القدس جمعوا له ألف دينار حتى روى لهم التفسير، وتوفي في سنة 289هـ. ينظر في ترجمته: ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ج3، ص374، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "سير أعلام النبلاء" ج10، ص457، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، ت: علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط:1، 1382 هـ - 1963 م، ج1، ص345، والداوودي: مُحَمَّد بن علي بن أحمد، "طبقات المفسرين"، ج1، ص120

² مكي، الهداية، ج8، ص5109

³ هو عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان بن اخنس بن خنيس الجعفي البخاري الحافظ المعروف بالمسندى، سمي بذلك لأنه كان يطلب المسندات ويرغب عن المرسلات، وقال الحاكم: سمي المسندى لأنه أول من جمع مسند الصحابة بما وراء النهر، توفي في حدود سنة 229هـ، ينظر في ترجمته: الذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، ج5، ص608، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "العبر في خبر من غبر"، ج1، ص318، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "سير أعلام النبلاء"، ج9، ص57، والزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ج4، ص117

⁴ مكي، الهداية، ج7، ص4561، وهذه التفاسير الأخيرة التي ذكرتها لم أحصل عليها والظاهر أنها مفقودة في عصرنا - والله أعلم -

هذه الأمم المذكورة في الدنيا فأهلكهم بها. وكذا حكى الماوردي: ﴿سَوَّطَ عَذَابٍ﴾ ﴿١٣﴾ أي: خلط عذاب لأنه أنواع¹.

هذه أهم التفاسير التي رجع إليها مكّي بن أبي طالب وجعلها مصادر في تفسيره واعتمد عليها، وقد بدأت في هذا البحث بالتفاسير التي أشار لها في مقدمته، ونستطيع أن نقول إنها مصادر أساسية جمع منها تفسيره، وكذلك بالتأمل في تفسيره ومراعاة التفاسير الأخرى التي رجع إليها وذكرها في تفسيره؛ وهي مصادر ثانوية انتقى منها وتخير واستعمل جهده في التفسير، وأضاف ما فتح الله عليه، ولم يقتصر على النقل فقط لأنه عالم متمكن وشخصيته بارزة في تفسيره، وكذلك لا ادعي الحصر في ذكر كل أقواله من التفاسير التي انتقى منها تفسيره حيث صرح في مقدمته بأنه انتخبه من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية، وكان غرضه أن يغني القارئ به عن سائر كتب المفسرين²، ولا يمكن اعتبار تفسير مكّي بن أبي طالب بأي حال من الأحوال تلخيص لتفسير الطبري كما ذهب إلى ذلك الدكتور أحمد حسن فرحات في دراسته³، لأن مكّي بن أبي طالب انتقى تفسيره من عدة تفاسير كما ذكرنا سابقاً. ولتمكن مكّي بن أبي طالب في عدة علوم واحتلاله مكانة مرموقة بين علماء عصره، وتفسيره من التفاسير الضخمة النافعة والتي اعتمد عليها علماء التفسير بعده كابن عطية والقرطبي وأبي حيان وابن جزري الكلبي وابن عرفة وابن عجيبة الفاسي والزركشي وغيرهم.

المطلب الثاني: مصادره من كتب السنة والسيرة النبوية

إن السنة النبوية مصدر أساسي لأي مفسر في تفسيره؛ لأن لا أحد من البشر أعلم بكتاب الله من رسوله - ﷺ - الذي أنزل عليه، ومعرفة المفسر لتفسير الرسول - ﷺ - أمر ضروري حتى لا يفسر الآيات التي ورد فيها تفسير من رسول الله - ﷺ - بخلاف ذلك، وهو وحي من الله - ﷻ -

¹ مكّي، الهداية، ج12، ص 8247، و ينظر: الماوردي: أبو الحسن علي، "النكت والعيون"، ت: السيد ابن عبد المقصود،

دار الكتب العلمية - بيروت، ج6، ص270

² ينظر: مقدمة الهداية، المصدر نفسه، ج1، ص76

³ ينظر: فرحات: أحمد حسن، "مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن"، ص578

وجب على المسلمين أتباعه والأخذ به، والسيرة النبوية جزء من السنة النبوية، وأفردها العلماء بمصنفات خاصة وفصولها عن السنة لأهميتها، والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تتحدث عن الغزوات التي خاضها الرسول - ﷺ - والصحابة - رضوان الله عليهم - ضد الأعداء؛ بإيجاز وإجمال كما سنرى في هذه الدراسة، واهتم المفسرون بالسيرة النبوية اهتماماً بالغاً، ومفسرنا مكي بن أبي طالب جمع بين التفسير بالمأثور والرأي، ويعد تفسيره من التفاسير المزدوجة فهو لم يكن بالمأثور فقط ولا بالرأي فقط، فقد استعان بالأحاديث النبوية وكتب السيرة في تفسير آيات القرآن المتعلقة بذلك؛ خصوصاً الآيات التي ورد تفسير من الرسول - ﷺ - في بيان معانيها، وأسباب النزول وفضائل السور وقصص الأنبياء والآيات التي نزلت في غزوات الرسول - ﷺ -؛ كغزوة بدر وأحد وغيرها، ونجد مكي بن أبي طالب يحذف الأسانيد في تفسيره كما اشترط هذا في مقدمته، مما يصعب تحديد الروايات الصحيحة والأحاديث المروية الثابتة عن الرسول - ﷺ -، مما جعله يقع في الروايات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة في تفسيره، وسأعرض لذلك بالتفصيل في مبحث مستقل إن شاء الله.

أما كتب الحديث والسنة؛ فهي قليلة جداً في تفسيره وتكاد تنعدم، وغالبا ما ينسب قول الرسول - ﷺ - إلى الصحابة أو التابعين وتابعيهم فقط، وقد ورد قول واحد من (موطأ مالك) في تفسيره في معرض حديثه عن اختلاف العلماء في سجود القرآن، فقال: "قال مالك في الموطأ من رواية ابن القاسم: أجمع الناس على أن عزائم سجود القرآن إحدى عشر سجدة ليس في المفصل منها شيء. يعني بقوله أجمع الناس: أهل المدينة"¹.

ومن المعلوم أن من مصادر السيرة النبوية الصحابة - رضوان الله عليهم -، فقد عاشوا مع الرسول - ﷺ - وشهدوا غزواته وعرفوا عن قرب سيرته وآدابه وأخلاقه وعاشوا جُل الأحداث معه وشاركوه فيها وشاهدوا التنزيل، ثم التابعين من بعدهم وتابعي التابعين، وتفسير مكي مليء بأقوال الصحابة كعبد الله بن

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5399، وينظر: الأصبحي: مالك بن أنس، "موطأ الإمام مالك"، ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، ط:1، 1425 هـ - 2004 م، كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، ج2، ص 289، ر703، وعلق المحقق: أخرجه أبو مصعب الزهري.

عباس وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر... والتابعين كإبن جريج والسدي والضحاك وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن وهب وسعيد بن جبير والزهري... ومعظم الصحابة والتابعين الذين اشتهروا برواية السيرة النبوية، ومن خلال اطلاعي وجدت مكّي قد استشهد بأقوالهم وكان معظمها بدون أسانيد كعادته في تفسيره، وبما أن التفسير متقدم، فقد جمع الروايات التفسيرية في السيرة دون الرجوع إلى الكتب المؤلفة في السيرة بعد عصره، وسأذكر بعض النماذج من ذلك: فعن قتال الملائكة في غزوة بدر، قال مكّي: "وقال ابن عباس: حدثني رجل من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصدنا في جبل يشرف على بدر، ونحن مشرکان ننتظر الواقعة على من تكون. قال: فبينما نحن على الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حممة الخيل¹، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم² قال: أما ابن عمي فأكشف قناع قلبه فمات مكانه، أما أنا فكدت أهلك، وتماسكت³... وقال ابن عباس: لم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر وإنما كانوا في غيره من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون⁴...

¹ صوت الفرس إذا طلب علفه، وهو دون الصهيل. ينظر: ابن منظور: مُجَدِّد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، دار صادر - بيروت، ط:3، 1414 هـ، ج12، ص 161

² اسم فرس جبريل - عليه السلام، وقيل حيزوم اسم فرس من خيل الملائكة، المصدر نفسه، ج12، ص133

³ ينظر القصة بزيادة يسيرة في سيرة ابن هشام، ابن هشام: عبد الملك الحميري، "السيرة النبوية لابن هشام"، ت: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط:2، 1375هـ - 1955 م، ج1، ص633، وهذا الأثر غير موجود في كتب السنة بهذا اللفظ والصيغة وإنما هناك حديث يختلف عنه بهذا المعنى، ينظر: مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، ت: مُجَدِّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإياحة الغنائم، ج3، ص 1383، 1763

⁴ ينظر: الهيثمي: أبو الحسن نور الدين، "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م، كتاب المغازي والسير، باب غزوة بدر، ج6، ص83، ر9985، وعلق المحقق: رواه الطبراني، وفيه عمار بن أبي مالك الجنبي ضعفه الأزدي.

وحكى ابن عباس عن أبي رافع¹ أنه قال: كنت أسلمت مع العباس بمكة، وكان العباس يكتم إسلامه، وكان قد خرج مع القوم وكنت أجلس في حجرة زمزم أنحت القداح²، فوصل إلينا خبر أهل بدر وما نزل بهم، فسرنا، فدخل أبو لهب يجر رجله حتى جلس على طنب الحجرة³، ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب: هلم يا ابن أخي فعندك الخبر، فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال له: أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء، والله إن كان إلا أن لقيناهم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا، ويأسروننا كيف شاءوا! لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق⁴ بين السماء والأرض، وما تلين شيئاً⁵، وما يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة. ثم قلت: تلك الملائكة⁶. قال ابن عباس: عباس: "أسر أبو اليسر كعب بن عمرو العباس⁷ وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله - ﷺ -: كيف أسرت العباس؟ فقال: يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك، ولا بعده هيأته كذا وكذا، فقال رسول الله - ﷺ -: لقد أعانك عليه والله ملك

¹ هو إبراهيم أبو رافع مولى رسول الله - ﷺ -، اسمه إبراهيم، وقيل: هرمز، وقيل أسلم، وكان قبطياً، وكان للعباس - ﷺ -، فوهبه للنبي - ﷺ -، وكان إسلامه بمكة وشهد أحداً والخندق، ولما بشر النبي بإسلام العباس أعتقه، وزوجه مولاته سلمى، وتوفي سنة 40هـ، ينظر في ترجمته: الجزري: عز الدين ابن الأثير، "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، ت: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1415هـ - 1994م، ج1، ص56، وابن حجر: أبو الفضل أحمد العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة"، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1415هـ، ج1، ص173

² أي ينجر الحجارة في حجرة زمزم.

³ أي طرفها.

⁴ البلق: البيض والسود، أي خيل بيضاء وسوداء، ينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج10، ص25

⁵ أي: ما تبقى شيئاً.

⁶ والأثر طويل جدا في كتب السيرة والسنة، وقد جاء به مكي مختصراً، ينظر: الهيتمي: أبو الحسن نور الدين، "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، كتاب المغازي والسير، باب ما جاء في الأسرى، ج6، ص89، ر10014، وعلق المحقق: رواه الطبراني والزار، وفي إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله وثقه أبو حاتم، وغيره، وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. وينظر: ابن هشام: عبد الملك الحميري، "السيرة النبوية لابن هشام"، ج1، ص647

⁷ أي العباس عم الرسول - ﷺ - الذي أسر في غزوة بدر.

كريم¹ . وفي حادثة الإسراء استشهد بحديث أنس بن مالك، قال مكّي: "قال أنس بن مالك: " فرضت الصلاة على النبي - ﷺ - ليلة الإسراء خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمسا تخفيفا من الله، ثم نودي يا مُحَمَّد: إنه لا يبدل القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين² . وفي غزوة الأحزاب استشهد بقول أبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر - ﷺ - دون إسناد، فقال: "قال أبو سعيد الخدري: " قلنا يوم الخندق يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر³ فهل من شيء نقوله، قال: قال: قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. قال: فضرب الله وجوه أعدائه بالريح، وهزمهم الله بالريح⁴ . هذه بعض النماذج من أقوال الصحابة في السيرة والتي أوردها مكّي بن أبي طالب في تفسيره دون إسناد، أما أقوال التابعين وتابعيهم فهي كثيرة ولا تحصى في تفسير مكّي خصوصاً الذين اشتهروا برواية السيرة النبوية، وسأذكر بعض النماذج من تفسيره: فعند حديثه عن غزوة أحد قال مكّي: "قال ابن جريج: كان المسلمون يسألون الله أن يريهم مثل يوم بدر، فيقاتلون ويلتمسون فيه الشهادة، فابتلوا بيوم أحد، فخالف الرماة، فقتل من المسلمين، واتخذهم الله شهداء، فبلغهم أملمهم الذي كانوا قد أملوا وسألوا⁵ . وذكر تفاصيل قصة غزوة أحد بطولها برواية السدي بقوله: "قال السدي: " لما برز رسول الله - ﷺ - إليهم يوم أحد بعد صلاة الجمعة يوم الجمعة، أمر الرماة فقاموا في أصل الجبل في وجوه خيل المشركين. وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد

¹ مكّي، الهداية، ج2، ص1118، بتصريف، وينظر: ابن حنبل: أحمد بن مُجَد الشيباني، " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند عبد الله بن عباس - ﷺ -، ج5، ص334، ر3310، وعلق المحقق: حسن، وهذا إسناد ضعيف لإجماع راويه عن عكرمة.

² المصدر نفسه، ج1، ص398، وينظر: المصدر نفسه، مسند أنس بن مالك - ﷺ -، ج20، ص86، ر12641، وعلق المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

³ أي: كادت تخرج من البدن، وتنشق من شدة الخوف. ينظر: ابن منظور: مُجَد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج4، ص216

⁴ مكّي، الهداية، ج9، ص5791، وينظر: ابن حنبل: أحمد بن مُجَد الشيباني، " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند أبي سعيد الخدري - ﷺ -، ج17، ص27، ر10996، وعلق المحقق: إسناده ضعيف.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص1136، ولم نحصل لتخريج هذا الأثر في كتب السنة والسيرة، ولا أدري المفسر ممن أخذه؟

هزمناهم، فإننا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم، وأمر عليهم عبد الله بن جبير أبا خوات¹، ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزموهم وحمل - ﷺ - وأصحابه فهزموهم وهزموا أبا سفيان². وعند ذكره سبب نزول الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ آل عمران: ١٤٤، قال مكي: "وقال الضحاك: نادى مناد يوم أحد: ألا إن مجدا قد قتل فارجعوا إلى دينكم الأول فأنزل الله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﷻ آل عمران: ١٤٤، الآية"³. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ﷻ الأحزاب: ٩، قال مكي: "قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقي تنصري رسول الله - ﷺ -، فقالت الشمال: إن الحرة لا تسري بالليل. قال: فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا"⁴. قال مجاهد: أرسلت على الأحزاب يوم الخندق ريح

¹ خوات بن جبير: خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس، صحابي يكنى أبا عبد الله، وقيل: صالح. وتوفي بالمدينة سنة 40هـ. ينظر في ترجمته: الجزري: عز الدين ابن الأثير، "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، ج2، ص 189، وابن حجر: أبو الفضل العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة"، ج2، ص 291

² ينظر: القصة بطولها في تفسير مكي: مكي، الهداية، ج2، ص 1141، والحديث رواه الطبري في تفسيره عن السدي، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج7، ص 254

³ المصدر نفسه، ج2، ص 1143، و ينظر نفس الأثر عند الطبري عن الضحاك في تفسيره، المصدر نفسه، ج7، ص 257

⁴ ريح تهب من مطلع الشمس فهي ريح شرقية ويقابلها الدبور وهي تهب من المغرب، ينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج1، ص 771، وينظر: الهيثمي: أبو الحسن نور الدين، "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، كتاب المغازي والسير، باب نصره بالريح والريح، ج6، ص 66، ر 9936، وعلق المحقق: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

حتى كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم¹ حتى أظعنتمهم². قال قتادة: ﴿وَجُنُودًا لَّمَّ تَرَوْهَا﴾ الأحزاب: ٩، يعني: الملائكة، قال: نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله - ﷺ - شهرا، فخندق رسول الله حوله وحول أصحابه خارج المدينة، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعصرة³ رسول الله⁴. وفي حديثه عن مقتل أبي جهل في غزوة بدر استشهد برواية ابن وهب حيث قال: "وروى ابن وهب: أن عبد الرحمن بن عوف قال: بينا أنا يوم بدر في الصف إذا غلام عن يميني وآخر عن يساري، فغمزني أحدهما سرا من الآخر، فقال: يا عم، فقلت: ما تشاء، قال: أين أبو جهل؟ قال: قلت: فاعل ماذا؟ قال: عاهدت الله لئن رأيتك لأضربنه بسيفي هذا؛ إنه بلغني أنه يسب رسول الله - ﷺ -، قال عبد الرحمن بن عوف: ثم غمزني الآخر سرا، فقال: يا عم، أين أبو جهل؟ قال: قلت: فاعل ماذا؟ قال: عاهدت الله لئن رأيتك لأضربنه بسيفي هذا. قلت: بأبي أنتما وأمي، وأشرت لهما إليه، فبلغني أنه قتلتهما، وهما: ابنا عفراء، وقطعا يده ورجله قبل أن يقتلتهما"⁵. واستشهد برأي سعيد بن جبير في قصة النجاشي ملك الحبشة في نزول قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَالْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ ذَلِكَ بَأْتٍ مِنْهُمْ قَبْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا

¹ الفسطاط: بيت من شعر، ينظر: ابن منظور: مُجَدِّدُ بَنِ مَكْرَمِ الْإِفْرِيْقِي، "لسان العرب"، ج7، ص371

² جاء في اللسان: ظعن يظعن ظعنا وظعنا، بالتحريك، وظعوننا: ذهب وسار. ينظر: المصدر نفسه، ج13، ص271، وينظر الأثر في تفسير الطبري: أبو جعفر مُجَدِّدُ بَنِ جَرِير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج20، ص216

³ العصرة لها معاني متعددة من بينها الموضع، أي موضع رسول الله - ﷺ - في الغزوة، ينظر: ابن منظور: مُجَدِّدُ بَنِ مَكْرَمِ الْإِفْرِيْقِي، "لسان العرب"، ج4، ص581

⁴ رواه الطبري في تفسيره بالفاظ تختلف قليلاً عن مكِّي، ينظر: أبو جعفر مُجَدِّدُ بَنِ جَرِير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج20، ص216

⁵ مكِّي، الهداية، ج4، ص2772، والحديث رواه البخاري، ينظر: البخاري: مُجَدِّدُ بَنِ إِسْمَاعِيل، "صحيح البخاري"، كتاب الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب، ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس، وحكم الإمام فيه، ج2، ص363،

يَمْتَكِبُونَ ﴿٨٢﴾ المائدة: ٨٢، بقوله: "وهذه الآية والتي بعدها نزلت في نفر من نصارى الحبشة لما سمعوا القرآن أسلموا." وقيل: إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا". قال سعيد بن جبير: بعث النجاشي وفدا إلى النبي - ﷺ -، فقرأ عليهم القرآن فأسلموا، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم¹. وفي حادثة نزول الوحي على الرسول - ﷺ - استشهد برواية الزهري، فقال: "روى الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحي: الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان بجراء² يتحنث³ فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق فأتاه، فقال: يا مُحَمَّد، أنت رسول الله. قال رسول الله: فجتوت⁴ لركبتي وأنا قائم ثم رجعت يرجف فؤادي، ثم دخلت - يريد على خديجة - فقلت: زملوني، حتى ذهب عني الروع ثم أتاني فقال: يا مُحَمَّد، أنت رسول الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك فقال: يا مُحَمَّد، أنا جبرائيل، وأنت رسول الله، ثم قال: اقرأ. قلت: ما أقرأ؟ فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد، ثم قال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ العلق: ١، فقرأت، فأتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي، وأخبرتكم خبري، فقالت: أبشر، فوالله لا يحزنك الله أبدا. والله إنك لتصل

¹ مكِّي، الهداية، ج3، ص 1829 ورواه الطبري في تفسيره عن سعيد بن جبير بنفس اللفظ، وكان مكِّي ينقل منه نقلاً مباشراً، ينظر تفسير الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج10، ص505

² جبل بمكة معروف، فيه غار ويذكر ويؤنث. ينظر: ابن منظور: مُحَمَّد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج14، ص174

³ أي: يتعبد الليالي ذوات العدد، ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص138

⁴ أي خفت وفزعت، ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص127

الرحم، وتصديق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل¹، وتقري الضيف، وتصبر على نوائب الحق².

فهذه بعض النماذج من أقوال التابعين وتابعي التابعين في تفسير مكي؛ والتي أستشهد بها في ذكره لسيرة الرسول - ﷺ - النيرة العطرة مع حذفه للأسانيد، أما كتب السيرة التي رجع إليها مكي وكانت قد ألفت قبل عصره فهي (سيرة ابن اسحاق) والمفقودة في عصرنا الحاضر، فقد استشهد بأقوال ابن اسحاق المروية عنه بكثرة، وتردد اسمه عدة مرات في تفسيره، ولم يحدده، مع العلم أن اسم ابن اسحاق اشتهر به عدة علماء، وابن اسحاق حسب كتب التراجم ذكر في سيرته أخبار الخليفة منذ آدم - ﷺ - حتى وفاة النبي - ﷺ - وطعن فيها عدة علماء³، ومن المعلوم أن سيرة ابن اسحاق قد هذبها ابن هشام الذي جاء بعده؛ وتعد سيرته من أحسن الكتب المؤلفة في السيرة، والكتاب متوفر وموجود واستفاد منه عدة علماء ألفوا في السيرة النبوية من بعده⁴. ونجد مكي بن أبي طالب استشهد برواية ابن اسحاق في معظم قصص الأنبياء، ففي قصة آدم وإبليس

¹ الكُلُّ أصله الثقل، ويدخل في حمل الكُلِّ الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، ينظر: ابن منظور: مُجَدِّد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج 11، ص 592

² مكي، الهداية، ج 12، ص 8351، والحديث أيضا رواه الطبري في تفسيره عن الزهري، ينظر: الطبري: أبو جعفر مُجَدِّد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج 24، ص 520

³ وكان ابن إسحق قد جمع كتابه للخليفة المهدي العباسي، بأمر أبي جعفر المنصور، لكن مروياته لا ترقى إلى درجة الصحيح بل الحسن، - بشرط أن يصرح بالتحديث لأنه مدلس - وكتابه في (السيرة النبوية) مفقود، إلا أن ابن هشام قام بتهديب ذلك الكتاب، محافظاً على النصوص التي أوردها ابن إسحاق، فذكر فيه أخبار الخليفة منذ آدم - ﷺ - حتى وفاة النبي - ﷺ -، فأسقط منها ابن هشام ما كان قبل إسماعيل - ﷺ - وما لا يخص آباء النبي - ﷺ - من أخبار أبناء إسماعيل - ﷺ -، وما ليس للرسول الله - ﷺ - فيه ذكر، ولا نزل به قرآن، وترك أشعاراً ذكرها ابن إسحاق، لم ير أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء: بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء الناس ذكره، وبعض لم يقر له البكائي بروايته، والبكائي: هو شيخ ابن هشام الذي يروي عنه سيرة ابن إسحاق. ينظر مقدمة التحقيق لسيرة ابن هشام، بتصرف: ابن هشام: عبد الملك الحميري، "السيرة النبوية لابن هشام"، ج 1، ص 3

⁴ كتاب (السيرة النبوية لابن هشام)، هو تنقيح وتهذيب، وتصويب لكتاب (المغازي) لابن إسحاق، حيث حذف ابن هشام كثيراً من الإسرائيليات والأشعار المنتحلة، وأضاف معلومات في اللغة والأنساب... ومعظم المؤلفات بعده أخذت منه، والحق أن الصورة التي تعطيها مغازيه عن حياة الرسول - ﷺ - تقترب إلى حد كبير مما أورده كتب الحديث الصحيحة، مما يعطي سيرته توثيقاً كبيراً ويقع الكتاب في أربعة أجزاء، يبدأ في ذكر نسب الرسول - ﷺ -، وينتهي بمراثية حسان بن ثابت في الرسول - ﷺ -..

قال مكّي: "وقال ابن إسحاق: " لما دخل إليهما إبليس بكى وناح عليهما كيذا منه، فقالا له: ما بيكيك؟ فقال: أبكي عليكما تموتان، وتفارقان ما أنتما فيه، فوقع ذلك في أنفسهما، ثم وسوس إليهما وحلف لهما فأكلا منها "، قال: وذهب آدم - ﷺ - في الجنة هاربا لما أكل، فقال له ربه: يا آدم أمني تفر؟ قال: لا يا رب، ولكن حياء منك. قال الله: يا آدم: إنه أوتيت من قبل حواء. قال: أي رب. قال الله: فإن لها عليّ أن أدميها في كل شهر مرة، وأن أجعلها سفينة وأن أجعلها تحمل كرها وتضع كرها ¹. وفي قصة النبي عيسى - ﷺ - قال مكّي: "قال ابن إسحاق: لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرا، أدخلته أمه الكتاب، فلا يذهب المؤدب يعلمه شيئا إلا بادره عيسى - ﷺ - قبل أن يعلمه إياه، فيقول المؤدب ألا تعجبون لابن هذه الأرملة، أذهب أعلمه شيئا إلا وجدته أعلم به مني ². وفي قصة يوسف - ﷺ - قال مكّي: "قال ابن إسحاق: بلغني أنه لما

كلموه بهذا الكرم، فقالوا: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ ﴿٨٨﴾

يوسف: ٨٨، غلبته نفسه، فرفض دمه باكياً، ثم باح لهم بالذي كان يكتهم، فقال لهم: ﴿ هَلْ

عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ يوسف: ٨٩: أي

جاهلون بعاقبة ما تفعلون ³.

أما فيما يخص سيرة الرسول - ﷺ - فاستشهد مكّي بن أبي طالب بعدة أقوال لابن إسحاق،

ففي ذكره لغزوة بدر، قال مكّي: "قال ابن إسحاق: خرجوا مع النبي - ﷺ -، يريدون العير

طمعا بالغنيمة، فلما عرفوا أن قريشا قد سارت إليهم، كرهوا ذلك، وكأنهم يساقون إلى الموت؛

لأنهم لم يخرجوا للقتال. فالذي عني بهذا هم المؤمنون، فأنزل الله - ﷻ -، ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص240، والأثر رواه الإمام الطبري في تفسيره بروايتين عن ابن إسحاق ومرة عن ابن زيد، ينظر:

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج1، ص529.

² المصدر نفسه، ج2، ص1020، و ينظر الأثر في تفسير الطبري بنفس اللفظ، المصدر نفسه، ج6، ص433

³ المصدر نفسه، ص3628، و ينظر الأثر في تفسير الطبري برواية ابن إسحاق، المصدر نفسه، ج16، ص243

رَبِّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٦﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي

الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ الأنفال: ٥ -

٦، "١. وأثناء حديثه على غزوة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ الأحزاب: ٩، ذكر قول ابن اسحاق في ذلك

فقال: "قال ابن إسحاق: كانت الجنود قريشا وغطفان وبني قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله

عليهم مع الريح: الملائكة، وكانت الريح مع قوتها شديدة البد²، وكان في ذلك أعظم آية النبي -

ﷺ - "٣. وحدد مكّي بن أبي طالب تاريخ وقعة غزوة الأحزاب مستدلا بقول ابن اسحاق بقوله:

"وقال ابن إسحاق: فكانت وقعة الخندق وهي الأحزاب في شوال سنة خمس"٤. مع العلم أنها

مسألة خلافية بين العلماء ولكن الراجح ما ذهب إليه مكّي بن أبي طالب أنها في سنة خمسة

للهجرة، قال الدكتور ضياء العمري: "وقد جرت غزوة الأحزاب في شوال سنة خمس، وهو قول

جمهور العلماء ومنهم ابن إسحق والواقدي ومن تابعهم، ونقل عن الزهري ومالك بن أنس وموسى

بن عقبة أنها سنة أربع، ولا اختلاف بين القولين في الحقيقة، لأن القائلين أنها سنة أربع كانوا

يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول،

فتكون غزوة بدر عندهم في السنة الأولى وأحد في الثانية والخندق في الرابعة، وهو مخالف لما عليه

¹ مكّي، الهداية، ج4، ص 2737، و ينظر الأثر في تفسير الطبري أيضا عن ابن إسحاق، أبو جعفر مُجَدِّد بن جرير، " جامع

البيان في تأويل القرآن"، ج13، ص 392

² البد: له معاني متعددة في اللغة، من بينها القوة والفراق، ينظر: ابن منظور: مُجَدِّد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج3،

ص81

³ مكّي، الهداية، ج9، ص 5793، وقد روى الطبري هذا الأثر عن ابن إسحاق بأكثر تفصيل من هذا وزيادة، بينما مكّي

أورده مختصرا جدا، ينظر: الطبري: أبو جعفر مُجَدِّد بن جرير، " جامع البيان في تأويل القرآن"، ج8، ص 469

⁴ المصدر نفسه، ج9، ص 5794، و ينظر: ابن هشام: عبد الملك الحميري، " السيرة النبوية لابن هشام"، ج2، ص

214، وهو نفسه التاريخ الذي ذكره مكّي للغزوة.

الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة. فإذا لا اختلاف بين المؤرخين في أن الخندق في السنة الخامسة¹.

أما ابن هشام، فلم يذكر كثيراً في تفسير مكي مثل ابن اسحاق، ولم أجد في تفسيره إلا قولاً واحداً له في ذكر مكي لسيرة الرسول - ﷺ -، وهذا ما يرجح أنه كان ينقل أكثر من سيرة ابن اسحاق وكأن الكتاب متوفر لديه، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴾^{٤٣}

طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ الدخان: ٤٣ - ٤٤، قال مكي: " وذكر ابن هشام أن أبا جهل لما

سمع قول الله - جل ذكره - ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴾^{٤٣} طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ الدخان:

٤٣ - ٤٤ ، قال: يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟، قالوا: لا. قال: هي عجوة يثرب بالزبد. والعجوة صنف من التمر طيب².

ولابد أن نشير إلى أن مكي بن أبي طالب قد أهتم كثيراً بقصص السيرة، وقد وردت مطولة في تفسيره، فكل الآيات الخاصة بالرسول - ﷺ - وغزواته ووقائعه وسيرته مع أصحابه واليهود وغيرهم وما ورد فيها أسباب نزول؛ قد أتى بها مكي مفصلة في تفسيره، وقد ذكرنا عدة أمثلة في ذلك، أما فيما يخص الحديث النبوي فقد استشهد به مكي كثيراً في تفسيره، ومعظمه خالٍ من الإسناد كما اشترط هذا في مقدمته مما جعله يقع في الضعيف والموضوع والروايات الإسرائيلية الباطلة، ولم يذكر أي كتاب من كتب الحديث المعتمدة كالبخاري ومسلم وغيرها، وهذا ما سنتطرق إليه في موضوعه إن شاء الله.

¹ العمري: أكرم ضياء، "السيرة النبوية الصحيحة"، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 6، 1415 هـ - 1994 م، ج2، ص418

² مكي، الهداية، ج10، ص6752، وينظر: الأثر في سيرة ابن هشام بنفس اللفظ الذي جاء به مكي في تفسيره، ابن هشام: عبد الملك الحميري، "السيرة النبوية لابن هشام"، ج1، ص362، أما الطبري في تفسيره فخرجه بدون هذا اللفظ عن محمد بن سعد العوفي وليس ابن هشام، ولكن المعنى نفسه في قول أبي جهل، ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج17، ص484

المطلب الثالث: مصادره من كتب اللغة والنحو

يُعدُّ تفسير مكي بن أبي طالب من التفاسير اللغوية المهمة لتمكّنه في علوم اللغة، فهو مثل تفسير الزمخشري وأبي حيان وغيرهم من التفاسير اللغوية، وخلال دراستي له وجدته حافلاً بالقضايا اللغوية، ولم يكتفِ مكي بالنقل والاقْتباس فقط؛ بل كان يورد الأقوال ويناقش الأدلة ويستنبط ويرجح في معظم الأحيان، فهو ذو ملكة ودراية لغوية قوية، ومؤلفاته في اللغة والتي ذكرناها سابقاً شاهدة على هذا (كمشكل إعراب القرآن) و(اللمع في الإعراب) و(التذكرة لأصول اللغة العربية ومعرفة العوامل) وغيرها، وقد استفاد العلماء الذين جاؤوا بعده من آرائه في اللغة، وأفاض مكي بن أبي طالب في ذكر أقوال اللغويين وتأثر بهم كثيراً في تفسيره؛ مثل سيبويه¹ والخليل² والكسائي³

¹ هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر؛ وسيبويه لقب له، ومعناه بالفارسية "رائحة التفاح". ويقال: إن أمه كانت ترقصه وهو صغير به، توفي سنة 180 هـ، ينظر في ترجمته: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج2، ص244، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "سير أعلام النبلاء" ج8، ص351، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج2، ص346، والأنباري: عبد الرحمن بن مُجَدِّد، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ص54

² الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليمحمدي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها، وهو أستاذ سيبويه النحويّ وله كتاب العين، توفي سنة 170 هـ، ينظر في ترجمته: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج2، ص244، والزركلي: خير الدين بن محمود، "الأعلام"، ج2، ص314، والذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز، "سير أعلام النبلاء"، ج7، ص429، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج1، ص376

³ علي بن حمزة أبو الحسن الأسدّي المعروف بالكسائيّ النحويّ، فارسي الأصل، سئل عن تلقيه بالكسائيّ فقال: (لأنّي أحرمت في كساء)، وقيل في السبب غير هذا، نشأ بالكوفة وتعلم النحو على كبر، وذلك لأنه حادث قوماً من الهباريين لحنوه فأنف من التخطئة، وقام من فوره وطفق يتعلم النحو، فأخذ عن معاذ الهراء ما عنده ثم توجه لتقاء البصرة فتلقى عن عيسى، وكان الكسائيّ إماماً في فنون عديدة: النحو والعربية وأيام الناس، وقرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرات، واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع. ينظر في ترجمته: الزبيدي: مُجَدِّد بن الحسن الأندلسي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص127، والأنباري: عبد الرحمن بن مُجَدِّد، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ص58، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج2، ص256، وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج3، ص256

والفراء¹ وغيرهم، وقد نص على بعضها في مقدمة تفسيره حيث قال: "وما تحيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج... ومن كتاب الفراء"²، ونبدأ بالكتب التي ذكرها في مقدمته حيث ذكر أبا جعفر النحاس ومن المعلوم أنه شيخ شيخه الأدفوي صاحب التفسير الذي نقل منه في تفسيره، ففي صدد حديثه عن اشتقاق كلمة آدم ذكر أقوال اللغويين من بينها النحاس، فقال: "وذكر النحاس أنه أفعل من أديم الأرض وأدمتها، وهو ظاهر وجهها، ومنه سمي الإدام لأنه وجه الطعام وأعلاه والعرب تسمي الجلد الظاهر أدمة، والباطن بشرة"³. وكان ينتقد آرائه أحيانا ولا يوافقها، ففي تفسيره لآية الربا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الزَّيْتُ ءَأَمْنُوا لَا

تَأْكُلُوا الرِّبْوَأَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ آل

عمران: ١٣٠، قال مكي: "أضعافا: حال من الربا. قال النحاس: هو مصدر، وهو غلط منه، وهذا نهي من الله - ﷻ - للمؤمنين أن يأكلوا الربا بعد إسلامهم"⁴. وفي تفسير معنى سلسيل في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾﴾ الإنسان: ١٨، قال مكي: "قال النحاس: هي فعيل من السلاسة. وهذا غلط، لأنه كان يجب أن يقال: سلسيل، ولا يكون فيه "باء"⁵. مع العلم أن مكي بن أبي طالب قد استشهد بأقوال النحاس في عدة مواضع من تفسيره، وجعله

¹ وهو أبو زكريا يحيى بن زياد، مولى بني أسد، لقب بالفراء لأنه: كان يفري الكلام. ولد بالكوفة من أصل فارسي، وتلقى عن الكسائي وغيره، وتبحر في علوم متنوعة، فكان فذاً في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها والطب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه: "الفراء أمير المؤمنين في النحو"، ولازم المأمون وكتب له كتاب (الحدود في النحو)، وهو الذي قال: "أموت وفي نفسي شيء من حتى لأنها ترفع وتنصب وتخفض". ينظر في ترجمته: الزبيدي: محمد بن الحسن الأندلسي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص 131، والأنباري: عبد الرحمن بن محمد، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ص 81، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج 4، ص 7، والزركلي: خير الدين، "الأعلام"، ج 4، ص 277

² مكي، الهداية، ج 1، ص 74

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 266

⁴ المصدر نفسه، ج 2، ص 1126

⁵ المصدر نفسه، ج 12، ص 7930

مصدراً من مصادر تفسيره كما قال في مقدمته، وكان يتعقبه أحياناً، ولكن الغالب أنه كان يذكر رأيه في المسائل اللغوية دون تعليق، أو ذكر لكتبه التي ينقل منها، وهو لغوي مشهور وله عدة كتب في اللغة من بينها (الناسخ والمنسوخ) و(إعراب القرآن) و(معاني القرآن) وكتاب (اختلاف الكوفيين والبصريين) وكتاب (الكافي في النحو) وغيرها، وإنما يقول: "قال النحاس، وهو اختيار النحاس..."، ونأتي إلى المصدر الثاني من كتب اللغة التي ذكرها في مقدمته وهو أبو إسحاق

الزجاج¹، فعند حديثه عن سبب ضم نحن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ البقرة: ١١، استشهد برأي الزجاج فقال: " وقال

الزجاج: " لما كانت الواو من علامات الجماعة واحتيج إلى حركة النون من " نحن " لسكونها وسكون ما قبلها، حركت بما يشبه الواو وما هو منها، وهي الضمة. ولهذا ضموا واو الجمع إذا

احتاجوا إلى حركتها في نحو قوله: ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ البقرة: ١٦، "٢. وعند

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

البقرة: ٥٣، بين معنى كلمة الفرقان واستشهد بقوله، فقال: " وقال الزجاج: " الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره بغير لفظه للتأكيد، وسمي فرقانا لأنه فرق بين الحق والباطل "٣. وأحياناً ينتقد رأي

الزجاج ولا يوافق، فمثلاً عند بيانه لقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي

¹ هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، كان من أكابر أهل العربية، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة، وصنف مصنفات كثيرة؛ منها كتاب (المعاني في القرآن)، وكتاب (الفرق بين المؤنث والمذكر)، وكتاب (فعلت وأفعلت)، و(الرد على ثعلب في الفصح)؛ إلى غير ذلك، ولقب بالزجاج؛ لأنه كان في حدائته يخرط الزجاج فُنسب إليه وهو من تلاميذ المبرد، ينظر في ترجمته: الزبيدي: مُجَّد بن الحسن الأندلسي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص111، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج1، ص194، والأنباري: عبد الرحمن بن مُجَّد، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ص183، وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان "، ج1، ص49

² مكّي، الهداية، ج1، ص159

³ المصدر نفسه، ج1، ص269

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ البقرة: ٢١، قال مكي: "أي تتقون ما نهاكم الله عنه. وقيل: معناه لعلكم تتقون "الذي جعل". "فالذي" في موضع نصب بـ "تتقون". و "لعل" مردودة إلى المخاطبين. والمعنى اعبدوه واتقوه على رجائكم وطمعكم. وحكى الزجاج: أن "لعل" بمعنى "كي" في هذا الموضع، وهو بعيد¹.

وعند توجيه الكاف الواردة في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ البقرة: ١٥١، قال مكي: "تقديره: ولعلكم تهتدون اهتداء مثل إرسالنا إليكم رسولا منكم تاليا عليكم الكتاب ومطهرا لكم من الذنوب ومعلما لكم ما لم تكونوا تعلمون. فكل ما بعد "رسول" نعوت له مكررة. وقال الزجاج: "الكاف متعلقة بما بعدها، أي: فاذكروني كما أرسلت فيكم رسولا منكم". وهذا قول مردود لأن الأمر إذا كان له جواب لم يتعلق به ما قبله لاشتغاله بجوابه؛ تقول: "كما أحسنت إليك فأكرمني". فتكون الكاف من "كما" متعلقة بـ "أكرمني" إذ لا جواب له. فإن قلت: "كما أحسنت إليك فأكرمني أكرمك"، لم تتعلق الكاف من "كما" بـ "أكرمني" بأن له جوابا، ولكن تتعلق بشيء آخر أو بمضمر². ونكتفي بذكر أقوال الزجاج في تفسير مكي، فقد استشهد به كثيرا في تفسيره، وكانت أقواله غالبا ما يذكرها دون تعليق أو رد عليه ولم يذكر كتبه التي رجع إليها، (كإعراب القرآن) و(الاشتقاق) و(المثلث في اللغة) و(معاني القرآن) وغيرها، ومن الكتب التي استشهد بها في تفسيره وذكرها في مقدمته كتاب الفراء، فقد رجع إليه في تفسيره كثيرا واستشهد بأقواله كالنحاس والزجاج، فعند شرحه لمعنى كلمة أضاء في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ البقرة:

¹ مكي، الهداية، ج1، 184

² المصدر نفسه، ج1، ص511

٢٠، قال مكي: "وفي "أضاء" لغتان: ضاء وأضاء بمعنى حكاهما الفراء"¹. وفي تبين معنى خليفة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠، قال مكي: "والهاء في "خليفة" للمبالغة. وقيل: دخلت لأنه بمعنى داهية في المدح والذم، بمعنى بهيمة. قاله الفراء"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الشعراء: ٢٢، قال مكي: "وقال الفراء: في الكلام حذف والتقدير: هي لعمرى نعمة إذ مننت علي فلم تستعبدني، واستعبدت بني إسرائيل"³، وأحيانا ينتقد رأيه ولا يوافق، فعند تفسير قوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْكُوفِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ الفرقان: ٣٦، قال مكي: "وقال الفراء: المأمور بالذهاب في المعنى موسى وحده، بمنزلة قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ الكهف: ٦١، والناسي يوشع وحده. وبمنزلة ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الرحمن: ٢٢، وإنما يخرجان من الملح. وهذا قول مردود لأنه قد كرر في كثير من الآيات إرسال هارون مع موسى إلى فرعون، فلا يحتاج فيه إلى هذا المجاز"⁴. وفي قصة موسى أيضا في تبين معنى الجناح في قوله تعالى: ﴿جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ القصص: ٣٢، قال مكي: "وقال الفراء: الجناح هنا: العصا، وهذا قول شاذ، وحكى أهل اللغة أن الجناح من أسفل العضد إلى آخر الإبط، وربما قيل لليد: جناح"⁵. وفي قصة قارون في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ

¹ مكي، الهداية، ج1، ص182

² المصدر نفسه، ج1، ص215

³ المصدر نفسه، ج8، ص5287

⁴ المصدر نفسه، ج8، ص5219

⁵ المصدر نفسه، ج8، ص5530

يَقُولُونَ وَيَكَاَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاَنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ القصص: ٨٢ ، فبين معنى "وي" واستشهد بقول الفراء ورده، فقال: "وحكى الفراء: أن أصلها "ويلك" ثم حذفت اللام، فيكون الوقف. "ويك"، وهذا بعيد عند كل النحويين، لأن القوم لم يخاطبوا أبداً، ويلزم على قوله أن تكون أن مكسورة إذ لا شيء يفتحها مع أن حذف اللام من "ويلك" غير معروف. وقدره بعض من يقول بقول الفراء "ويلك" أعلم أنه وهو بعيد لما ذكرنا، ولأن العرب لا تعلم العلم مضمراً¹. وإلى هنا نكون قد ذكرنا الكتب التي رجع إليها مكي في تفسيره حسب ما ذكره في مقدمته وهي كتب النحاس والزجاج والفراء، أما كتب اللغة الأخرى فهي أيضاً حاضرة بقوة في تفسيره فقد استشهد برأي معظم اللغويين كأبي عبيدة² والكسائي والخليل بن أحمد وسيبويه وقطرب³ وغيرهم، وكان كعاته يذكر أقوالهم فقط دون ذكر الكتاب أو المصدر الذي نقل منه، وسنضرب بعض الأمثلة فقط؛ لأننا سنخصص مبحثاً خاصاً باللغة في دراستنا لاحقاً، ففي صدد حديثه عن معنى "الباء" في "بسم الله" استشهد برأي أبي عبيدة فقال: "قال أبو عبيدة: "معنى

¹ مكي، الهداية، ج8، ص5582

² أبو عبيدة معمر بن المثنى، التميمي بالولاء، البصري النحوي العلامة؛ قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. له كتب كثيرة منها (مجاز القرآن الكريم) وكتاب (غريب القرآن) وكتاب (معاني القرآن) ... وتوفي سنة 209هـ. ينظر في ترجمته: الزبيدي: مُجَدُّ الأندلسي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص175، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج3، ص276، والأنباري: عبد الرحمن بن مُجَدِّ ، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ص84، وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ج5، ص235

³ هو مُجَدِّ بن المستنير، يعرف بقطرب، أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وهو من تلاميذ سيبويه، وقطرب دوية تبكر في السعي طلباً للرزق، قال ابن منظور: (القطرب: دوية كانت في الجاهلية، يزعمون أنها ليس لها قرار البتة؛ وقيل: لا تستريح نهارها سعيًا... وقطرب: لقب مُجَدِّ بن المستنير النحوي، وكان يبكر إلى سيبويه، فيفتح سيبويه بابه فيجده هنالك، فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل، فلعب قطرباً لذلك، ينظر في ترجمته: ابن منظور: مُجَدِّ بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج1، ص683، والزبيدي: مُجَدِّ بن الحسن الأندلسي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص99، والقفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ج3، ص213، والأنباري: عبد الرحمن بن مُجَدِّ ، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، ص76

باسم الله: بالله¹. وفي تبين معنى "أذاعوه" في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ
 الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ النساء: ٨٣، قال مكي: "ومعنى (أذاعوا به) وأذاعوه سواء، قاله
 الكسائي"². وفي حديثه عن جمع اسم إبراهيم وإسماعيل استشهد برأي سيبويه والخليل فقال: "
 وجمع " إبراهيم وإسماعيل " عند سيبويه والخليل: " براهيم " و " سماعيل "³. وفي حديثه عن
 اشتقاق كلمة آدم استشهد برأي قطرب فقال: "اختلف في اشتقاق آدم؛ فقال فيه ابن عباس: "
 سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ". وقال قطرب: " آدم أفعل من الأدمة ". وقيل هو أفعل من
 " أدمت بين الشئين " أي خلطتهما. وقال الطبري: " هو فعل ماض رباعي سمي به الشخص ".
 وقال قطرب: " من قال هو من أديم الأرض، يلزمه صرفه لأنه فاعل "⁴.

هكذا استفاد مكي من أقوال اللغويين والنحاة ونقل منهم واختصر وتبنى أقوال البعض ورد ما يراه
 غير مناسب في نظره، فكانت كتب اللغة بمختلف فروعها من نحو وصرف وبلاغة مصدراً من
 مصادره كما ذكر ذلك في مقدمته، ومن خلال دراستي له تبين لي أنه يذكر العالم بدون ذكر كتابه
 فيقول: "قال سيبويه، وقال الكسائي، وذهب قطرب، وهو رأي سيبويه،... وهذا هو الغالب في
 تفسيره من نقله للمصادر ولا يهتم بذكرها، وكان علماء اللغة الأكثر ظهوراً في تفسيره الذين
 ذكرتهم سابقاً، فقد ترددوا أكثر في الهداية وقد يوافقهم الرأي أو يخطئهم أو يرد عليهم، أو يذكر
 الرأي دون تعليق، وكان يميل إلى ذكر الخلافات النحوية ويوازن بينها في مواضع كثيرة من تفسيره،
 وينتصر لقاعدة نحوية أو لغوية، ويؤيد في الغالب أهل البصرة من النحويين ويرد على الكوفيين؛ مع
 الاحتفاظ لنفسه بحق الرد وإبداء الرأي؛ مما يراه مخالفاً في ذلك من القواعد المخالفة لرأيه، فهو عالم
 لغوي كبير وله مؤلفات قيمة في اللغة كما ذكرنا سابقاً، ونكتفي بهذه المصادر التي ذكرتها في
 تفسيره، ولا ندعي الحصر في ذكر كل الآراء والمصادر التي استعان بها في تفسيره لحجم التفسير

¹ مكي، الهداية، ج1، ص92

² المصدر نفسه، ج2، ص1401

³ المصدر نفسه، ج1، ص460

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص226

ومكانة مكي اللغوية. ولا يستطيع الباحث استيعاب كل المصادر التي انتقى منها تفسيره ورجع إليها؛ مع العلم أنه لم يذكر الكتب إلا قليلاً، وغالبا ما يذكر العالم مباشرة دون أدنى إشارة إلى كتابه، وكان يحيل في تفسيره على مؤلفاته المختلفة في اللغة، - وقد أشرنا إلى هذا سابقاً - حتى لا يثقله بهذه المباحث التي بحثها في كتبه السابقة.

الفصل الثاني: منهج مكي في التفسير بالمأثور وما يتعلق به

المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور

المبحث الثاني: منهج المفسر في القراءات

المبحث الثالث: منهج المفسر في قضايا علوم القرآن

الفصل الثاني: منهج مكي في التفسير بالمأثور وما يتعلق به

المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور

من المعلوم أن أحسن طرق التفسير عند السلف هي أربع طرق والتي سنتطرق لها في هذا المبحث من منهج مكي بن أبي طالب في تفسيره، وهي طريق تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، وهذا ما يصطاح عليه عند العلماء؛ التفسير بالمأثور أو بالنقل، ونذكر الروايات الإسرائيلية لأنها متعلقة بالتفسير بالمأثور، وأغلبها مروى عن الصحابة والتابعين، وقد أخذ مكي بهذه الطريقة والتزم بها في تفسيره، وهذا ما سنراه في دراستنا هذه.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

إن تفسير القرآن بالقرآن هو المسلك الأول للمفسر الذي يفسر القرآن على مذهب أهل السنة والجماعة، وهو أعلى مراتب التفسير، فالله - ﷻ - هو الذي أنزل القرآن، وهو أعلم بمراده فيه، وهذا النوع من التفسير يأخذ أشكالاً متعددة، فما ورد عاماً في آيات خصص في آيات أخرى، وما ورد مطلقاً في آيات جاء مقيداً في مواضع أخرى، وما جاء مجماً في آيات أخرى، وما جاء مبهماً في مكان وضح في مكان آخر، وهكذا فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد أدرك مكي هذا النوع من التفسير وأخذ به في تفسيره، وصرح في مقدمته بذلك، حيث قال: "هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره،... جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة؛ من تفسير مأثور أو معنى مفسر، أو حكم مبين، أو ناسخ، أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله - جل ذكره -¹؛ وبهذا نستطيع أن نقول: إنه كان من أكثر المفسرين استخداماً له، وسنوضح منهجه في هذا النوع من التفسير بما يلي:

1 - تفسير المجمل بحمله على المبين: وقد استعان به مكي في تفسيره؛ حيث بين ما أجمل في آية من القرآن بآية أخرى بينت ذلك، فعند توضيحه لم سميت سورة الفاتحة بأمر القرآن؟ قال مكي: "وقيل: إنما سميت الحمد أم القرآن لتضمنها معاني القرآن مجماً، لأن فيها الثناء على الله - جل ذكره -، والإقرار له بالربوبية وذكر يوم القيامة، والإقرار له بالعبادة، وأن المعونة من عنده، والقدرة له. وفيها الدعاء والرغبة إليه في الهداية إلى الإسلام والثبات عليه. وفيها ذكر النبيين الذين أنعم الله

¹ مكي، الهداية، ج1، ص72، بتصرف.

عليهم بالهداية والإسلام. وفيها ذكر من غضب الله عليهم وهم اليهود، وذكر من ضل عن الدين وهم النصارى، وفيها من مفهوم الإشارة إلى أمور الديانة والقدرة والتذلل والخضوع لله والتسليم لأمره، والرجوع إليه ما يكثر ذكره ويطول شرحه. وكتاب الله كله إنما نزل، في هذه المعاني التي ذكرنا أنها موجودة في الحمد. لكن ذلك في الحمد مشار إليه مجمل يفهمه من وفقه الله وشرح له صدره، وهو كله مشروح مبين مكرر مبسوط في سائر القرآن، فالحمد لله أصل مجمل وباقي القرآن مفسر لما أجمل في الحمد، فهي على هذا المعنى أم القرآن، أي أصله¹. وعند تفسير قوله تعالى:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الفاتحة: ٧، قال مكي: "صراط بدل من الأول. والذين

أنعم عليهم هم الأنبياء - صلوات الله عليهم - والصديقون والصالحون بدلالة قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾

النساء: ٦٩. وقيل: هم أصحاب النبي - ﷺ -، قاله الحسن. وقيل: هم المؤمنون من بني إسرائيل

الذين لم يغيروا ولا بدلوا، بدليل قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٤٠. فلذلك قال هنا: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الفاتحة: ٧².

وعند حديثه عن قصة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّ

وَبَشِّرُوهُ بِعُلْمٍ عَلَيْهِ﴾ ﴿٢٨﴾ الذاريات: ٢٨، قال مكي: "أي: عليم إذا كبر. قال مجاهد: هو

إسماعيل، وقال غيره هو إسحاق. ومذهب الطبري: وهو الصواب إن شاء الله أنهما: سارة الحرة، وأم

إسماعيل إنما كانت أمة اسمها هاجر. ويدل على أنه إسحاق قوله في موضع آخر ﴿فَبَشِّرْنَاهَا

بِإِسْحَاقَ﴾ هود: ٧١، فهذا نص ظاهر لا يحتاج إلى تأويل³.

2 - الدلالة بالآيات القرآنية على سياق النص القرآني: كان مكي يراعي في تفسيره سياق النص

القرآني، ولا يخرج عن معناه إلا بدليل يقتضي ذلك، ويرجح في تفسيره معنى الآيات بدليل النص

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 80

² المصدر نفسه، ج 1، ص 112

³ المصدر نفسه، ج 11، ص 7093، وينظر: تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج 22، ص 425، وهو نفس رأي مكي بن أبي طالب.

القرآني، فعند تفسير قوله تعالى في خطاب بني إسرائيل: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَيْرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ البقرة: ٨٣ - ٨٤، قال مكي: "قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ ﴾

البقرة: ٨٣. قال ابن عباس: "أعرضوا عما جاء به محمد - ﷺ - من الفروض إلا قليلاً منهم" ¹. وهو خطاب لمن بحضرة رسول الله - ﷺ - . وقيل: هو إخبار عن أسلافهم، فمعناه: ثم تولى أسلافكم إلا قليلاً منهم، وأنتم الآن معرضون خطاب لمن بالحضرة أي: وأنتم مثل أولئك الذين تولوا من أسلافكم. ودل على هذا التأويل ما بعده من ذكر سفك الدماء أنه إخبار عن أسلافهم ومخاطبة لمن بالحضرة، ولم يسفك من بالحضرة الدماء، ولا أخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، إنما ذلك فعل أسلافهم، فكون الكلام كله على سياق واحد أولى وأحسن" ². وعند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٣) البقرة: ٢٣، قال مكي: "أي إن كنتم أيها الناس في شك من القرآن أنه ليس من عند الله فأتوا بسورة من مثل القرآن. وقيل: من مثل محمد - ﷺ - في صدقه وأمانته. وقال ابن كيسان: "معناه أنهم زعموا أن محمداً شاعر وأنه ساحر، فقيل: إيتوا بسورة من مفتر أو من شاعر أو من ساحر. وقيل: معنى: "من مثله" من مثل التوراة والإنجيل. والاختيار عند الطبري أن يكون معناه من مثل القرآن في بيانه، دليله قوله تعالى

في موضع آخر: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ يونس: ٣٨. ولا يحسن هنا إلا مثل القرآن.

فحمل الآيتين على معنى واحد أولى. ولم يعن بقوله: "من مثله" إذا جعلت الهاء للقرآن في التأليف والمعاني لأنه لا مثل للقرآن إنما عني "من مثله" في البيان لأن الله أنزله بلسان عربي مبين. فقيل لهم: كلامكم فيه البيان، وهذا القرآن فيه البيان فأتوا من كلامكم بسورة مثل القرآن في البيان، فأما التأليف والمعاني والرصف، فهي معان، باين القرآن فيها المخلوقات، فلا مثل له في

¹ هذا الأثر المروي عن الصحابي عبد الله بن عباس، ذكره الطبري في تفسيره بأوضح من هذا، ومكي ذكره باختصار شديد، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج2، ص 298

² مكي، الهداية، ج1، ص334

ذلك، يضاف إليه فاعلمه¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٨٥) النساء: ٨٥، قال مكي: "قوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ النساء: ٨٥ الآية. المعنى: من يشفع لأخيه شفاعة حسنة يكن له نصيب منها في الآخرة، أي: حظ ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ النساء: ٨٥ أي: إثم منها في الآخرة. وقال مجاهد: هو شفاعة الناس بعضهم لبعض، وقاله الحسن وابن زيد وغيرهم. وقال الطبري: " المعنى: من يشفع وترا لأصحابك يا محمد في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها: حظا في الآخرة، ومن يشفع وترا لكافرين يكن له كفل منها أي: وزر وإثم في الآخرة. وإنما اختار ذلك لأنه في سياق الآية التي حض الله - ﷻ - النبي - ﷺ - على القتال فيها²، وحضه على أن يحرض المؤمنين على القتال معه، فصارت هذه الآية وعدا لمن أجاب تحريض رسول الله - ﷺ - على القتال، وكان ذلك أشبه عنده من شفاعة الناس بعضهم لبعض إذ لم يجر له ذكر قبل ولا بعد"³.

3 - البيان على الحذف والاختصار: كان مكي يستشهد بمعنى آية من القرآن بمصطلح الحذف؛ حيث يُبين أن شيئاً من الكلام محذوف أو مختصر، ويضرب مثلاً لذلك بآية من القرآن، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٨٩، قال مكي: "جواب " لما " محذوف، كأنه قال: كفروا، أو نحوه، كما قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ

¹ مكي، الهداية، ج1، ص191، وينظر: تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج1، ص374، وهو نفس الرأي الذي ذكره مكي هنا.

² يقصد مكي الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (٨٤) النساء: ٨٤

³ مكي، الهداية، ج2، ص1403، ويمكن مراجعة نفس الكلام عند الطبري بأكثر من هذا، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج8، ص581

لَيْسَتُوا وُجُوهَكُمْ ﴿ الإسراء: ٧. أي: خليناكم وإياهم، فحذف، ومثله قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ يس: ٤٥، أي: أعرضوا، ثم حذف جميعه لعلم السامع، وهو كثير في القرآن. والكتاب هنا؛ القرآن، أي: يصدق التوراة والإنجيل¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ الأنعام: ٧٦: قال مكي في تبين قول النبي إبراهيم - ﷺ - : " وقال أبو إسحاق: لم يقل ذلك على اعتقاد منه بدلالة قوله: ﴿ وَأُحِبُّنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥، وبقوله: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ الصافات: ٨٤، أي: سليم من الشرك. وأما المعنى: هذا ربي على قولكم: لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر، ومثله قوله: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ النحل: ٢٧ (النحل: 27، القصص: 62، 74، فصلت: 47) المعنى: أين شركائي على قولكم؟ ويجوز أن يكون المعنى: قال: هذا ربي أي: قال: تقولون: " هذا ربي "، ثم حذف القول، كما قال: ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ الرعد: ٢٤، أي: يقولون: سلام عليكم². وفي تفسيره للحجة التي أتى بها إبراهيم على قومه، قال مكي: " قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ الأنعام: ٨٣ الآية. (تلك): إشارة قول إبراهيم لقومه: ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الأنعام: ٨١. وقيل: إنهم قالوا له: إنا نخاف أن تخبلك آهتنا لسبك لها، فقال لهم: أفلا تخافون أنتم منها - إذ سويتم بين الصغير والكبير منها، والذكر والأنثى - أن تخبلكم، ثم قال لهم: أمن يعبد إلهًا واحدًا يضر وينفع أحق بالأمن، " أم " من يعبد آلهة كثيرة لا تضر ولا تنفع؟، فهذه حجته التي آتاه الله على قومه ولقنه إياها. وفي الكلام حذف والمعنى: وتلك حجتنا آتيناه إبراہیم علی قومہ، فرفعنا درجته عليهم: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ

¹ مكي، الهداية، ج1، ص345

² المصدر نفسه، ج3، ص2084

نَشَاءُ ﴿٤٨﴾ الأنعام: ٨٣، وهذا كله تنبيه لمحمد في الحجّة على أمته، وتنبيه له على التأسّي بمن قبله من الأنبياء¹. وعند تفسيره لقصة موسى - ﷺ -، قال مكي: "ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ ﴿٤٩﴾ طه: ٤٩. هذا كلام فيه حذف واختصار. والتقدير: فأتياه فقالا له ما أمرهما به ربهما. فقال لهما فرعون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ ﴿٤٩﴾ طه: ٤٩، اكتفى بخطاب موسى من خطاب أخيه من آخر الكلام. وقد خاطبهما جميعاً قبل ذلك في قوله: "ربكما" وإنما جاز ذلك لأن الخطاب إنما يكون من واحد، فرد الخطاب إلى واحد مثله. وقريب منه ﴿نَسِيًا حَوْتَهُمَا﴾ الكهف: ٦١، ولم ينسه إلا فتى موسى وحده. دل على ذلك قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحَوْتَ﴾ الكهف: ٦٣². ونكتفي بهذه النماذج من تفسير مكي فهي كثيرة في تفسيره.

4 - التقديم والتأخير: استعمل مكي بن أبي طالب تفسير القرآن بالقرآن فيما يخص التقديم والتأخير بين آيات القرآن، فعند حديثه على أن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة، قال مكي: "وهذا مما يدل على أن **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**" ليس بآية من الحمد، إذ لو كانت آية كما يقول المخالف لكنا قد أتينا بآيتين متجاورتين متكررتين بمعنى، وهذا لا يوجد في كتاب الله - جل ذكره - إلا بفصول تفصل بين الأولى والثانية، أو بكلام يعترض بين الأولى والثانية. فإن قيل: قد فصل في هذا ب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الفاتحة: ٢. فالجواب إن ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣﴾ في الحمد مؤخر يراد به التقديم، وإنما تقديره: "الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين"، فلا فاصل بين "الرحمن الرحيم" الأول والثاني. فإن كان ذلك كذلك، دل على أن التسمية ليست بآية من الحمد إذ لا نظير لها في كتاب الله - جل ذكره -، وإنما حكمنا على أن المراد "بالرحمن الرحيم" في "الحمد" التقديم، لأن قوله: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ الفاتحة: ٤، مثل قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ في المعنى، لأن معناه أنه إخبار من الله أنه يملك يوم الدين، و ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ هو إخبار من الله أنه يملك العالمين

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 2090

² المصدر نفسه، ج7، ص 4648

فاتصال الملك بالملك أولى في الحكمة ومجاورة صفته بالرحمة صفته بالحمد والثناء أولى. فكل واحد مرتبط إلى نظيره في المعنى فدل على أن ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^٣ في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ متصل به، يراد به التقديم. و﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾^٤ متصل ب﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٥ إذ هو نظيره في المعنى، وذلك أبلغ في الحكمة. والتقديم والتأخير كثير في القرآن¹. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٤، قال مكي: "وفي لفظ الاستفهام تقديم وتأخير، وذلك أنهم إنما وبخوا وغدّلوا على الانقلاب على العقبين، فهم لم ينكروا موت محمد - ﷺ - فيقع عليه لفظ الاستفهام الذي يدل على التوبيخ، ولا أنكر عليهم ذلك، إنما أنكر عليهم انقلابهم، فحق الاستفهام الذي للتوبيخ أن يقع على ما أنكر عليهم وهو انقلابهم، ومثله ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^{٣٤} الأنبياء: ٣٤، لم يستفهم عن الموت وإنما استفهم عن خلودهم بعد موت محمد - ﷺ -، أيكون أم لا؟ فحق الاستفهام أن يقع عليهم، فيكون: أفهم الخالدون إن متّ؟ وكذلك هذا حقه. أنتقلون على أعقابكم إن مات محمد أو قُتل؟ ففيه اتساع معروف في كلام العرب مشهور قد علم معناه. والأصل في ذلك أن كل استفهام دخل على حرف الجزاء، فالاستفهام في غير موضعه وحقه، وموضعه أن يكون قبل جواب الشرط داخلا على الجواب، فهذا تقديره حيث وقع². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الروم: ٢٣، قال مكي: "أي: ومن حججه وأدلته على توحيده وقدرته على إحياء الموتى، أنه يقدر الساعات والأوقات، ويخالف بين الليل والنهار، فجعل النهار تبتغون فيه الرزق والمعاش، وجعل الليل سكنا لتسكنوا فيه وتناموا. وقيل: في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله بالنهار، وحذف حرف الجر من النهار لاتصاله بالليل وعطفه عليه. والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة. ومثله في التقديم

¹ مكي، الهداية، ج1، ص103

² المصدر نفسه، ج2، ص1140

والتأخير قوله: ﴿وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ القصص: ٧٣¹.

5 - تفسير القراءات بعضها ببعض: من المعلوم أن القراءات القرآنية بنوعها المتواترة والشاذة يفسر بعضها بعضاً، وقد استعان مكي بها في تفسيره، وهو عالم له باع طويل في القراءات قبل أن يكون مفسراً، وله مؤلفات قيمة في علم القراءات، - وقد أشرنا لها سابقاً -، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠، قال مكي:

"وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠. أي بتكذيبهم الرسل. وقيل: بتكذيبهم محمداً - ﷺ -. وهذا التفسير يدل على صحة قراءة من قرأ "يكدَّبون" بالتشديد²، ويدل على قوة التشديد أن الكذب لا يوجب العذاب الأليم، إنما يوجهه التكذيب. وأيضا فإنه تعالى أخبر عنهم بالشك في أول الكلام، ومن شك في شيء فقد كذب به، فالتكذيب أولى بأخر الآية على هذا القول. ومما استدل به من قرأه "يكدَّبون" بالتخفيف؛ أن الله - جل ذكره - أخبر أنهم يقولون: "آمنا" وقال: "وما هم بمؤمنين". فأخبر عنهم بالكذب في قولهم: "آمنا". وتوعدهم عليه بالعذاب الأليم، وهو من الكذب أولى من أن يكون من التكذيب إذ لم يتقدم في صدر الآية إلا الإخبار عنهم بالكذب، لا بالتكذيب. والقراءتان قويتان متداخلتان حسنتان لأن المرض الشك ومن شك في شيء فقد كذب به"³. وفي توضيح قراءة "ننسها" في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ

مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ البقرة: ١٠٦، قال مكي: قوله: "أو ننسها". من ضم النون الأولى وكسر السين⁴، فمعناه: نتركها لا نبدلها. وهو مروى عن ابن

¹ مكي، الهداية، ج9، ص 5678

² "يكدَّبون"، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وباقي العشرة بفتح الياء، وسكون الكاف، وكسر الذال مخففة "يكدَّبون" ينظر: محسن: مُجَّد سالم، "الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر"، دار الجيل - بيروت، ط: 1، 1417 هـ - 1997 م، ج2، ص20

³ مكي، الهداية، ج1، ص155

⁴ "ننسها" بضم النون، وكسر السين من غير همز، وهي قراءة عاصم، وهمزة، والكسائي، وخلف العاشر، ونافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو "ننساها" بفتح النون الأولى، والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهمزة، ينظر: محسن: مُجَّد سالم، "الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر"، ج2، ص49

عباس على معنى: نأمرك بتركها¹. ويلزم على هذا المعنى فتح النون ليصح معنى الترك إذ هو غير معروف في اللغة: أنسيت الشيء تركته، إنما يقال: "نسيت"، كما قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ التوبة: ٦٧، أي: تركوه فتركهم. وهذا إنما يصح على قراءة من قرأ "ننساها" بالفتح². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ البقرة: ٢٧٢، قال مكي: "هذا مثل: ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة: ١١٩، على قراءة من رفع³، أي ليس عليك سوى البلاغ المبين، ولست عليهم بمسيطر. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ البقرة: ٢٧٢، أي يوفقه للهداية⁴. ونكتفي بهذه الأمثلة من القراءات والاستشهاد لها بالقرآن الكريم في تفسير مكي، لأننا سنخصص مبحثاً خاصاً لها لاحقاً، إن شاء الله.

6 - ذكر المعاني المختلفة لمفردة معينة: وهذا ما نلاحظه في تفسيره لمعنى هدى، حيث قال: "و" هدى " يكون بمعنى: "أرشد"، نحو قوله: ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ص: ٢٢، أي أرشدنا. ويكون بمعنى "بين" كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ فصلت: ١٧، أي بينا لهم الصواب من الخطأ، فاستحبوا الخطأ. ويكون بمعنى "أهم" كقوله: ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠، أي أهم الذكر من الحيوان إلى إتيان الأنتى. وقيل: معناه أهم المصلحة ويكون هدى بمعنى "وفق" كما قال "﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨، أي لا يوفقهم⁵. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَإِرْنَا

¹ ينظر الأثر المروي عن ابن عباس في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"،

ج2، ص 476

² مكي، الهداية، ج1، ص 386

³ قرأ نافع ويعقوب "ولا تَسْأَلُ" بفتح التاء وسكون اللام جزماً، وقرأ الباقون بضمّ التاء ورفع اللام "تَسْأَلُ"، ينظر: محيسن: محمد

سالم، "الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر"، ج2، ص 52

⁴ مكي، الهداية، ج1، ص 900

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص 109

مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ البقرة: ١٢٨، بينا المعاني المختلفة لكلمة "أمة" فقال: "والأمة هنا عني بها الجماعة. وتكون الأمة الإمام كقوله في إبراهيم - ﷺ - ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ النحل: ١٢٠، أي: إماما يقتدى به. وتكون الأمة السنين كقوله: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ هود: ٨، أي: إلى سنين. وتكون الأمة الملة كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ الزخرف: ٢٢. أي: على ملة ودين. وقيل: الأمة هنا مُجَّد وأُمَّته - ﷺ - "١". وعند تفسيره لمعنى كتب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٧٨، قال مكي: "معناه: فرض عليكم القصاص في قتلاكم. ف " كتب " بمعنى " فرض "، ومنه قوله: ﴿فَمَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ النساء: ٧٧، أي: فرضته. وقيل: كتب ذلك في اللوح المحفوظ. ويكون " كتب " بمعنى " قضى ". من قوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ التوبة: ٥١، أي: قضى علينا. ويكون " كتب " بمعنى " جعل كقوله: ﴿أُولَٰئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾ المجادلة: ٢٢. وكقوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: ٥٣. وقوله ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٥٦. ويكون " كتب " بمعنى " أمر " كقوله: ﴿يَلْقَوهُمْ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ المائدة: ٢١. والمعنى: فرض عليكم أن تقتصوا ممن قتل أولياءكم إن شئتم ذلك، وليس القصاص بفرض عليهم، إنما هو مباح لهم، وإن شاء الولي عفا وإن شاء أخذ الدية"٢. وفي توضيح معنى الطائر في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ الأنعام: ٣٨، قال مكي: ومعنى: ﴿يَطِيرُ

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 444

² المصدر نفسه، ج 1، ص 566

﴿بِجَنَاحِيهِ﴾ الأنعام: ٣٨ - وقد علم أنه لا يطير إلا بهما - : أن هذا كلام جرى على عادة العرب في لغاتها في التأكيد فخطبوا بما يعلمون أنه مستعمل عند العرب، تقول العرب: " مشيت إليه برجلي " و " كلمته بفمي " فوكد الطيران بقوله: بجناحيه على ذلك. وقيل: لما كانت العرب تستعمل لفظ "الطيران" في غير الطائر، فتقول لمن ترسله في حاجة: " طر في حاجتي "، تريد " أسرع ". ويقولون: " كاد الفرس يطير " إذا أسرع في جريه، فيعبرون بالطيران عما ليس له جناحان، ففرق بذكر الجناحين بين المعنيين. ويكون "الطائر" عمل الإنسان اللازم له من خير وشر، ويكون " الطائر " من السعد والنحس، كقوله: ﴿ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ النمل: ٤٧، فبين في الآية أنه الطائر الذي يطير بجناحيه، لا غير¹.

7 - الاستدلال بالقرآن على مسألة لغوية: وهذا كثير في تفسير مكي بن أبي طالب، فقد استشهد بالقرآن على إثبات قضية لغوية سواء كانت نحوية أو صرفية أو بلاغية، وهذا ما نلاحظه في تبينه معنى الأمر في قوله تعالى في قصة موسى - ﷺ - : ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ الأعراف: ١١٥ ، قال مكي: " وقوله: ﴿ إِنَّمَا أَنْ تُلْقَى ﴾. إذا كان في الكلام مع " إما " معنى الأمر، فلا بد من دخول " أن " بعدها، وتقديره: اختر أن تلقى، كقولك للرجل: " إما أن تمضي وإما أن تقعد ". فإن كان الكلام خبرا ليس فيه معنى الأمر، لم يجز دخول " أن " البتة، كقوله تعالى: ﴿ وَعَاخِرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة: ١٠٦، وكذلك ما كان في معنى الجزاء، وهي مكسورة في كل ذلك. و " أن " عند الكسائي في موضع نصب². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ﴾ التوبة: ٤٠، بين معنى جعل، فقال مكي: " و"جعل" في هذا الموضع بمعنى: " صير " ويلزم المعتزلة أن يجعلوها بمعنى " خلق " وهم لا يفعلون ذلك. لأنهم يقولون: كفر الكافر ليس بخلق الله - ﷻ -، ثم يقولون في قوه: ﴿ إِنَّا

¹ مكي، الهداية، ج3، ص2015

² المصدر نفسه، ج4، ص2490

جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴿ الزخرف: ٣، معناه: خلقناه، فيجعلون " جعل " بمعنى: " خلق " في هذا الموضع، ويمتنعون منه في هذا الموضع الآخر. و" جعل " يكون: بمعنى " صير ". وبمعنى: " سمى ". وبمعنى " خلق ". فإذا كانت بمعنى: " صير " تعدت إلى مفعولين وكذلك إذا كانت بمعنى: " سمى " كقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ وإذا كانت بمعنى: " خلق " تعدت إلى مفعول واحد، كقوله: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ الأنعام: ١، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ المؤمنون: ٥٠، هي بمعنى: " صير " تعدت إلى مفعولين وهما: " ابن " و " آية " ¹. وعند تبين الألف الزائدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا وَضَعُوا خِلْدَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ التوبة: ٤٧، قال مكي: " أي: وأسرعوا بركائبهم للسير فيكم. و " الإيضاع ": ضرب من الإسراع في الخيل والإبل. كتبت: " ولأوضعوا " بألف زائدة. كذلك: ﴿ أَوْ لَا أَذْبَحْتَهُ ﴾ النمل: ٢١، وكذلك: ﴿ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ ﴿ ٦٨ ﴾ الصافات: ٦٨، والعلة في ذلك: أن الفتحة كانت تكتب قبل العربي الفاء، فكتبت هذه الحروف على ذلك الأصل، جعلوا للفتحة صورة فزادوا الألف التي بعد اللام، والألف الثانية هي صورة الهمزة ². وفي قصة موسى والخضر - عليهما السلام - وضح معنى التكرار البليغ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ ٧٢ ﴾ الكهف: ٧٢، قال مكي: " أي: لا تقدر أن تصبر على ما ترى من أحوالي وأفعالي التي لم تحط بها خيراً. وإنما كرر المخاطبة الخضر في المرة الثانية لموسى - ﷺ - لأن الإنسان إذا أذنب ثانية كان اللوم عليه أكد من ذنبه أولاً. فلما أنكر موسى على الخضر خرقة السفينة وبخه الخضر توبيخاً لطيفاً إذ لم يتقدم لموسى ذنب. فقال: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ ٧٢ ﴾ الكهف: ٧٢، فاعتذر موسى بأنه نسي الشرط الذي اشترط عليه الخضر. فلما عاد موسى إلى الإنكار في قتل الغلام زاد الخضر في توبيخه لعوده لبعض ما اشترط عليه فكرر

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 3007

² المصدر نفسه، ج4، ص 3019

الخطاب ليكون أبلغ في التوبيخ فقال: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٥) ﴿ الكهف: ٧٥، فكرر المخاطبة في الثاني لعودة العلة¹. ونكتفي بهذه النماذج التي ذكرناها من تفسير مكي وهي كثيرة جدا في تفسيره لتمكنه في العربية، ومؤلفاته اللغوية والتي ذكرناها سابقاً شاهدة عليه.

8 - الاستدلال بالقرآن على مسألة فقهية: نجد مكي بن أبي طالب يستشهد بالقرآن على قضايا فقهية في تفسيره، ويعزز بالقرآن ما ذهب له أئمة الفقهاء في ذلك، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ البقرة: ١٠٢، فوضح حكم الساحر عند الإمام مالك، فقال: "يريد به علماء اليهود. فإيجاب العلم لعلماء اليهود ونفيه هو عن الذين يتعلمونه للتفريق. وقتل الساحر عند مالك واجب بهذه الآية إذا سحر بنفسه لأنه كفر لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ البقرة: ١٠٢². والكافر إذا ستر كفره قتل إلا أن يأتي قبل أن يعرف به، فيخبر بما كان ستر، فإن توبته تقبل. ومثله الزنديق عند مالك يقتل إذا قدر عليه ولا يستتاب. فإن أظهره قبل أن يظهر عليه استتيب، فإن تاب وإلا قتل. وهو والزنديق سواء. والزنديق هو الذي يُظهر الإسلام ويُسر الكفر، فلا تقبل توبته لأننا لا ندرى ما في ضميره، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ غافر: ٨٥. فلا تنفع الساحر، والزنديق توبتهما إذا ظفر بهما، وتنفعهما إذا أتيا قبل أن يقدر عليهما، كما كان هؤلاء تنفعهم توبتهم قبل إتيان العذاب، ولا ينفعهم ذلك عند رؤية العذاب. وهو قول عثمان بن عفان، وابن عمر، وحفصة، وجماعة من الصحابة والتابعين. ولا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك، ولكن يعاقب إلا أن يقتل بسحره فيقتل أو يحدث حدثا فيؤخذ منه بقدر ذلك³. وفي توضيح حكم غسل المرفقين في الوضوء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 4432

² ينظر: الذخيرة للقراي، القراي: شهاب الدين المالكي، "الذخيرة"، ت: مُجَدُّ بو خبزة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1، 1994 م، ج12، ص 32

³ مكي، الهداية، ج1، ص382، وينظر: الذخيرة، القراي: شهاب الدين المالكي، "الذخيرة"، ج12، ص 36

أَلْمَرَّافِقِ ﴿ المائدة: ٦، قال مكي: "وقوله: ﴿إِلَى الْمَرَّافِقِ﴾: روى أشهب عن مالك أنه قال: الغسل إليهما ولا يدخلان في الغسل، وروى غير أشهب عنه أن غسلهما واجب مثل الكعبين اللذين أجمع على غسلهما، وهو قول عطاء والشافعي¹. وأصل إلى - في اللغة - الانتهاء، كقوله: ﴿ثُمَّ اتَّمَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ البقرة: ١٨٧، فالليل آخر الصوم غير داخل في الصوم، وكذلك المرفقان غير داخلين في الوضوء. ومن أدخل المرفقين في الغسل، فإنما هو على أن يجعل " إلى " بمعنى "مع" كما قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ النساء: ٢، أي: " مع "، وكما قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ٥٢، (آل عمران: 52، الصف: 14)، أي: مع الله، هذا قول بعض أهل اللغة. ومنع ذلك المبرد وغيره من النحويين لأن اليد - عند العرب - حدها إلى الكتف فلو كانت " إلى " بمعنى " مع " وجب غسل اليد كلها إلى الكتف، لأنه آخرها، و " إلى " عنده على بابها، قال المبرد: إذا كان ما بعد "إلى" مما قبلها، فما بعدها داخل فيما قبلها كآية الوضوء، وإذا كان بعدها مخالفا لما قبلها، فالثاني غير داخل فيما دخل فيه الأول، كقوله ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ البقرة: ١٨٧، فلو قلت " بعث هذا الفدان إلى هذه الدار "، لم تدخل الدار في البيع، لأن الدار مخالفة للفدان، ولو قلت " بعث هذا الثوب من هذا الطرف إلى هذا الطرف "، دخل الطرف الثاني في البيع، كذلك لما كانت المرفقان من جنس اليد، دخلتا في الغسل مع اليد، فإذا كان الحد من جنس المحدود دخل معه، وإذا كان من غير جنسه لم يدخل معه، هذا التفسير قول المبرد، وهو حسن جيد، ولذلك يقول الموثقون: " اشترى الدار بحدودها "، فالحدود داخله في البيع"². وعند تفسير قوله تعالى في الأشهر الحرم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

¹ ينظر: الذخيرة، القراني: شهاب الدين المالكي، "الذخيرة"، ج1، ص 255، وكذلك: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، "الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني"، ت: الشيخ علي بن محمد معوض - الشيخ عادل

أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419 هـ - 1999 م، ج1، ص 112

² مكي، الهداية، ج3، ص 1624

فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴿ التوبة: ٣٦، قال مكي: "وليس قوله: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾، إذا جعلناه الأربعة الأشهر بمبيح لنا أن نظلم أنفسنا في غير الأربعة الأشهر، ولو كان ذلك كذلك لكان قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ الإسرائ: ٣١، دليلاً على إباحة قتلهم إذا لم يخشوا إملاقاً، وكان قوله: ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ البقرة: ١٦٤، دليلاً على أنها لا تجري بما يضر الناس، وهي تجري بما ينفع وما يضر. وأصل هذا: أن كل نهي إنما يوجب الامتناع عما نهي عنه دون غيره، وكل أمر فهو نافع لأضداده فإذا قلت: "قم"، فقد أمرته بترك أضداد القيام من القعود والاضطجاع، وإذا قلت: "لا تقم"، فلم تنهه عن الاضطجاع ولا عن الاتكاء ولا عن شيء من أضداده، فاعلمه. فالنهي عن الشيء لا يكون نهيًا عن أضداد ذلك الشيء والأمر بالشيء أمر عن أضداد ذلك الشيء على مبين، فافهمه. وقال قتادة، وغيره: "فيهن" في الأربعة الحرم، جعل الذنب فيهن أعظم منه في غيرهن. وأكثر ما تستعمل العرب "الهاء" و"النون" فيما دون العشرة، و"الهاء" و"الألف" في ما جاوز العشرة. فالظلم في جميعها لا يجوز، ولكن هو فيها أعظم وزراً لشرفها، فلذلك خصها بالذكر، تعالى، وهذا كقوله: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ البقرة: ٢٣٨، أفردتها بعد أن ذكرها مجملة لشرفها، وليس إفرادها بالمحافظة يدل على ترك المحافظة فيما سواها، فكذا هذا"¹.

9 - الاستدلال بالقرآن على النسخ أو التحكيم: استشهد مكي بن أبي طالب على النسخ الواقع في بعض آيات القرآن، وبين الآيات المنسوخة أو المحكمة والتي ظاهرها النسخ، ولم يتوسع في ذلك لأنه ألف كتاباً خاصاً بالنسخ وهو: كتابه (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه)، وأحال عليه في تفسيره، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ البقرة: ١٩٠، قال مكي: "أي لا تقاتلوا من لم يقاتلكم. وقد نسخ الله ذلك في براءة بقوله: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2985

كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً ﴿ التوبة: ٣٦، وبقوله: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥. قاله ابن زيد. وقال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز وغيرهم:

" الآية محكمة غير منسوخة ¹. ومن ذلك أيضا تفسيره لآية القتال في قوله تعالى: ﴿ أَنْفِرُوا

خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴿ التوبة: ٤١، بين الخلاف بأنها منسوخة أو محكمة،

ورجح التحكيم، فقال مكي: "وقد قيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ

الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ التوبة: ١٢٢. وقل: هي محكمة. أمر الله أصحاب النبي -

عليه السلام - بالخروج معه على كل حال ². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ

فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ الشورى: ٤١، قال مكي: "أي: ومن انتصر ممن ظلمه

من بعد ظلمه إياه، فلا سبيل للمنتصر منه على المنتصر بعقوبة ولا أذى، لأنهم انتصروا بحق وجب

لهم على من تعدى عليهم. وقال قتادة: فيما يكون بين الناس من القصاص، فأما لو ظلمك رجل

لم يحل لك أن تظلمه. وقال الحسن: هذا في الرجل يلقيك فتلقيه، ويسبك فتسبه، ما لم يكن حدا،

أو كلمة لا تصلح.

وقال ابن زيد: عنى بذلك، الانتصار من أهل الشرك. وقال: هو منسوخ. - يريد نسخ بالأمر

بالجهد - قال: ونزل في أهل الإسلام ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ فصلت: ٣٤. والقول الأول هو أن الآية محكمة

غير منسوخة. عنى بها كل منتصر ممن ظلمه وعليه أكثر العلماء، لأن النسخ لا يحكم عليه إلا

بدليل قاطع أو إجماع أو نص من سنة ³، ونلاحظ هنا أيضا ترجيح مكي لتحكيم الآية بدل

نسخها، وستعرض للنسخ في موضعه من البحث إن شاء الله.

¹ مكي، الهداية، ج1، ص634، والآثار المروية في تحكيم هذه الآية، سبق تخرجها، ينظر: ص134 من الرسالة.

² المصدر نفسه، ج4، ص3009

³ المصدر نفسه، ج10، ص6608

10 - الاستدلال بالقرآن على صحة ما ذهب إليه من قول أو ما جاء به من رأي: ذكر مكي عدة أقوال وآراء في تفسيره واستشهد لها بالقرآن مؤيداً ما ذهب إليه هو أو غيره من العلماء في تفسير الآيات، ففي توضيح معنى "الآية" المقصودة في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ﴿٧﴾ قال مكي: "المعنى: أن الله - ﷻ - أخبرنا أن المشركين يقولون هلا أنزل على محمد آية، تدل على نبوته، وهي قوله: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ هود: ١٢¹. وكذلك تبينه لمعنى الهدى في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ﴿٧﴾ الرعد: ٧، بقوله: "أي: ولكل أمة هاد، يهديهم؛ إما إلى هدى، وإما إلى ضلال، دليله قوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ الأنبياء: ٧٣، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ القصص: ٤١². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ الإسراء: ٥٨، قال مكي: "المعنى: وما من أهل قرية إلا سيهلكون قبل يوم القيامة إما بعذاب أو بموت. وقيل معناه وإن من قرية مفسدة أو ظالمة إلا نحن مهلكوها. وهو قول حسن دليله قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ القصص: ٥٩، وله في القرآن نظائر"³.

11 - الاستدلال بالقرآن على العام والخاص: استدلال مكي في تفسيره على الألفاظ الواردة في القرآن الكريم بلفظ عام وتخصيصها بآيات أخرى وردت بلفظ خاص، والعكس صحيح؛ حيث جاءت آيات خاصة ولكنها أفادت العموم، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة: ١٤٣، قال مكي: "أي: تشهدون للأنبيا الذين أخبر الله بخبرهم محمدًا - ﷺ - . فهو عام معناه الخصوص، إذ لم يطلع الله - ﷻ - نبيه - ﷺ - على جميع

¹ مكي، الهداية، ج5، ص 3677

² المصدر نفسه، ج5، ص 3678

³ المصدر نفسه، ج6، ص 4229

النبين وأخبارهم بدلالة قوله: ﴿ مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ

عَلَيْكَ ﴾ غافر: ٧٨، فإنما تشهد أمة محمد - ﷺ - على الأمم الذين أخبر الله نبيه بهم وبكفرهم وجحودهم دون من لم يطلع الله نبيه على خبرهم من أمم الأنبياء - صلوات الله عليهم - الذين لم يطلع الله نبيه عنهم، ولا أخبره بهم. فأمة محمد - ﷺ - تشهد للأنبياء الذين أخبر الله بهم النبي - ﷺ - على أممها أنها قد بلغت ما أرسلت به إلى الأمم¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي

يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ النساء: ١٥، قال مكي: "وقال مجاهد: ﴿ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ

عام لكل ثيب وبكر من النساء ﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعْزُبَا ﴾ النساء: ١٦ عام لكل من زنى من الرجال خاصة ثيبا كان أو بكرا، وهو مروى عن ابن عباس. واختاره النحاس وغيره، لأنه قال: ﴿ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ ﴾ النساء: ١٥، ولم يقل منكم، وقال ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعْزُبَا ﴾ النساء: ١٦، أي يأتين الفاحشة منكم يريد الرجال بعد ذكر النساء، ثم نسخت الآيتان بالحدود². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ إبراهيم: ٣٤، قال مكي: "أي:

وأعطاكم مع ما تقدم من ذكر إنعامه عليكم: ﴿ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾، أي: من كل سؤالكم، قاله الفراء. وقال الأخفش: " من كل ما سألتموه شيئا، وحذف شيئا لدلالة لفظ التبعية عليه، ولدلالة " ما " التي أضيف إليها " كل " لأنها بمعنى شيء. وقيل: هذا لفظ عام، ويراد به الخصوص، كما يقال: فلان يعلم كل شيء، وأتاني كل إنسان: يريد البعض، ومثله

¹ مكي، الهداية، ج1، ص479

² المصدر نفسه، ج2، ص1251، وينظر: الأثر في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، " جامع البيان في

تأويل القرآن"، ج8، ص74

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٤٤¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي

جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الزمر: ٣، قال مكي:

"واختار الطبري أن يحمل على العموم، فيكون معنى: والذي جاء بالصدق كل من دعا إلى توحيد الله - ﷻ - والعمل بطاعته، ويكون الصدق: القرآن والتوحيد والشرائع، والمصدق: المؤمنون والأنبياء وغيرهم من جميع من صدق به. ودل على هذا العموم ما قبله من العموم في قوله:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ الزمر:

٣٢، فهذا عام في جميع المكذبين بالقرآن والتوحيد والشرائع، وفي جميع الكاذبين على الله - ﷻ - .
فكذلك يجب أن يكون التصديق عقيبه عاما في جميع المصدقين والصادقين فيترتب الشيء وضده على نظام واحد لأن الذين كانوا عند بعث النبي - ﷺ - قوم مكذبون لما أتاهم به كاذبون على الله - ﷻ - ، ثم أعقبهم ممن آمن قوم مصدقون بما أتى به النبي - ﷺ - . صادقون في قولهم².

وهذه أهم النماذج التي ذكرها مكي بن أبي طالب في تفسيره، من تفسير القرآن بالقرآن، وهي كثيرة لا تحصى في تفسيره، وتبين لنا مدى اعتماده على هذا النوع من التفسير، لأن الله - ﷻ - أعلم بمراده في كتابه المنزل إلينا، والقرآن وحدة متكاملة مترابطة، بعضه يتم بعضه الآخر.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة

بعد أن استعرضنا في المطلب السابق منهج مكي بن أبي طالب في تفسير القرآن بالقرآن ، نقدم في هذا المطلب منهج مكي بن أبي طالب في تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، التي تعد المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور بعد القرآن الكريم، وهي شارحة وموضحة له بدليل قوله تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

النحل: ٤٤، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ

بِمَا أَرَادَكَ اللَّهُ﴾ النساء: ١٠٥، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا

¹ مكي، الهداية، ج5، ص3820

² المصدر نفسه، ج10، ص6341، وينظر: تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج21، ص289

لِتَبَيَّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ النحل: ٦٤ ، وغير ذلك من الآيات التي توضح بيان الرسول - ﷺ - للقرآن الكريم، وقال - ﷺ -: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"¹، والآثار لا تحصى في طاعة الرسول - ﷺ - وملازمة أحكامه، والسنة تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن، بالإضافة إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريع، وقد اختلف العلماء في المقدار الذي فسره الرسول - ﷺ - من آيات القرآن، وهل يتناول هذا التفسير جميع آيات القرآن أم القليل منه²، ولا أنوي ذكر هذا الخلاف لطوله، وإنما الرجوع في المسألة أن الرسول - ﷺ - فسر وبين الكثير من آيات القرآن الكريم، ولولا بيانه ما استطاعت الأمة أن تفهم الكثير من أحكام القرآن كالصلاة والزكاة والحج ونحوها، ولأهمية تفسير الرسول - ﷺ - فقد أكد العلماء على ضرورة تقديم الصحيح منه على ما سواه، فلا قول لأحد مع قوله - ﷺ -، قال الطبري: "فإن اتبع الخبر عن رسول الله - ﷺ - أولى بنا من غيره"³. وقال ابن العربي؛ بعد ذكر الخلاف في المراد بالسبع المثاني: "وبعد هذا فالسبع المثاني كثير، والكل محتمل، والنص قاطع بالمراد، قاطع بمن أراد التكليف والعناد، وبعد تفسير النبي - ﷺ - فلا تفسير. وليس للمتعرض إلى غيره إلا النكير. وقد كان يمكن لولا تفسير النبي - ﷺ - أن أحرر في ذلك مقالاً وجيزاً، وأسبك من سنام المعارف إبريزاً، إلا أن الجوهر الأعلى من عند النبي - ﷺ - أولى وأعلى"⁴.

أما فيما يخص استشهاد مكي بن أبي طالب بالسنة في تفسيره، فقد ذكرنا سابقاً أنه جعلها أحد مصادره في التفسير واعتمادها نظراً لما لها من أهمية في تفسير القرآن، ولما اشتملت عليه من إيضاح وتفسير وبيان لآيات التنزيل، فقد سار مكي على اعتبارها المصدر الثاني للتفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن؛ كما هي طريقة السلف في التفسير، ورجح بها الكثير من الآراء حيث قال: "وذكرت المأثور من ذلك عن النبي - ﷺ - ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من

¹ حديث طويل وهذا جزء منه، ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الشاميين، ج28، ص410، 17174 وعلق المحقق: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

² الخالدي: صلاح عبد الفتاح، "تعريف الدارسين بمنهج المفسرين"، ص191، بتصرف.

³ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج4، ص547.

⁴ ابن العربي: محمد بن عبد الله الأشبيلي المالكي، "أحكام القرآن"، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،

رواية غيري"¹. وقال في موضع آخر: "والحديث المروي عن النبي - ﷺ - أولى بالاتباع"²، مع العلم أن مكي بن أبي طالب لم يكن محدثاً، ولكنه كان واسع المعرفة كثير التأليف في العلوم المختلفة ومتميزاً في التفسير والقراءات في المقام الأول، ومؤلفاته التي ذكرناها سابقاً شاهدة على هذا، وكانت طريقته غالباً خالية من الإسناد كما اشترط هذا في مقدمته بقوله: "وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراد"³. مما يصعب تحديد الأحاديث المروية الثابتة عن الرسول - ﷺ - في تفسيره، وجعله يقع في الضعيف والموضوع منها؛ إلى جانب الصحيح، وأحياناً يكتفي بذكر الرسول - ﷺ - أو الصحابي راوي الحديث أو التابعين وتابعيهم فقط، ونلخص منهجه في الاستشهاد بالحديث في تفسير القرآن بالنقاط التالية:

1 - إذا كان الحديث مشهوراً أو صحيحاً يشير إلى ذلك: وهذا نادرٌ في تفسيره، ولم يورده إلا قليلاً، فعند حديثه على البسملة؛ وأنها ليست بآية من الفاتحة، قال مكي: "وليست "بسم الله الرحمن الرحيم" بآية من الحمد عند أهل المدينة، وأهل العراق. ويدل على ذلك الخبر الثابت الذي لا مدفع لأحد فيه أن أنساً قال: "صليت خلف النبي - ﷺ - وخلف أبي بكر وخلف عمر، فكلهم يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين"⁴. ومن الخبر الصحيح أن عائشة - رضي الله عنها - وأنساً قالوا: "كان النبي - ﷺ - يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين"⁵. وزاد فيه أنس: - "وأبو بكر وعمر وعثمان"، يعني في خلافتهم⁶. وقال جبير عن

¹ مكي، الهداية، ج1، ص72

² المصدر نفسه، ج9، ص5622

³ المصدر نفسه، ج1، ص72

⁴ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند أنس بن مالك، ج19، ص137، ر12084 وعلق المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والحديث جاء به مكي بالمعنى فقط.

⁵ المصدر نفسه، مسند الصديقة عائشة، ج40، ص32، ر24030، وعلق المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم، والحديث طويل وجاء به مكي مختصراً جداً.

⁶ ينظر: مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، ج1، ص299، ر399.

أنس: "صليت خلف النبي - ﷺ - وأبي بكر وعمر وعثمان، فما سمعت أحدا منهم يقرأ في صلاته (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)"¹.

وجاء من الخبر الثابت الصحيح أن النبي - ﷺ - قال لأبي بن كعب: "أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَةً مَا أُنزِلَ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا؟" قُلْتُ: بَلَى. "قَالَ: "فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ لَا أَخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا" ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي حَتَّى بَلَغَ قُرْبَ الْبَابِ، قَالَ: فَذَكَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، السُّورَةُ الَّتِي قُلْتَ لِي؟ قَالَ: "فَكَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا قُمْتَ تُصَلِّي؟" فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، قَالَ: "هَي، هَي، هَي، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْ بَعْدُ"².

وعند توضيحه لمكان نزول سورة الفاتحة قال مكي: "سورة الحمد مكية في قول ابن عباس. وقيل: بل هي مدنية. وهو قول مجاهد. واستدل من قال: إنها مكية، أن بمكة فرضت الصلوات بإجماع، ومحال أن تفرض الصلوات، ولا ينزل ما هو تمامها وبه قوامها. وهي سورة الحمد، لقول النبي - ﷺ - من الخبر الثابت: "كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأَمِّ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ". قالها ثلاثا. والخدج النقص"³.

ومن ذلك أيضاً عند ذكره لحديث الإفك حيث بين أنه مشهور، ولم يذكره، فقال: "وحديث الإفك طويل مشهور في أكثر الكتب فتركته لطوله واشتهاره"⁴.

ومن ذلك أيضاً: عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿٥٦﴾

المدثر: ٥٦، قال مكي: "وروى أنس" أن النبي - ﷺ - سئل عن هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ

¹ ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق، "صحيح ابن خزيمة"، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 2، سنة 1412 هـ - 1992 م، كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن أنساً إنما أراد بقوله: "لم أسمع أحدا منهم يقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)". ج 1، ص 278، ر 495، وعلق المحقق: إسناده صحيح.

² مكي، الهداية، ج 1، ص 85، و ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الأنصار، حديث أبي هريرة الدوسي، عن أبي بن كعب، ج 35، ص 20، ر 21095 وعلق المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 77، و ينظر: المصدر نفسه، مسند أبي هريرة - ﷺ -، ج 16، ص 5، ر 9898، وعلق المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 5044، وحديث الإفك مشهور، ينظر: المصدر نفسه، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة، ج 42، ص 404، ر 25623، وعلق المحقق: إسناده صحيح.

التَّقْوَىٰ وَاهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ المدثر: ٥٦، فقال: " إن الله يقول: أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي شريك. وأنا أهل المغفرة لمن لم يجعل معي شريكا ". وهذا الحديث خير من الدنيا وما فيها، وهو من رواية ابن عباس، حديث صحيح¹.

2 - يذكر الحديث الصحيح منسوباً للرسول - ﷺ - دون الإشارة لذلك: وكأنَّ مكي بن أبي طالب ينتقي الحديث الصحيح ويستشهد به دون غيره من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة خالياً من الإسناد أو التنبيه على صحته وثبوته عن الرسول - ﷺ - ، ومن ذلك عند حديثه عن السبع المثاني، قال مكي: "وعن النبي - ﷺ - أنه قال لأبي بن كعب: إنها السبع المثاني والقرآن العظيم". فهي على هذا الحديث السبع المثاني وهي القرآن العظيم، أي هي أصله على ما ذكرنا². وكذلك عند تفسيره لقصة آدم الواردة في سورة البقرة، قال مكي: "وعن النبي - ﷺ - أنه قال: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ "³. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تَطِعَهُ

وَأَسْجُدَ وَاقْتَرِبَ ﴿١٩﴾ العلق: ١٩، قال مكي في الدعاء: " وفي الحديث: أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان ساجداً، فأكثرنا من الدعاء في السجود، فقم⁴ أن يستجاب لكم⁵.

3 - يشير أحيانا إلى الحديث الضعيف: يستدل مكي بن أبي طالب بالحديث وينبه على ضعفه وهذا قليل في تفسيره، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ

¹ مكي، الهداية، ج12، ص7854، وهذا الحديث ضعيف، والغرابة في قول مكي أنه حديث صحيح! ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، ج21، ص178، ر13349، وعلق المحقق: إسناده ضعيف لضعف سهيل بن أبي حمز.

² مكي، الهداية، ج1، ص81، والحديث سبق تخريجه، ينظر: ص206 من الرسالة.

³ المصدر نفسه، ج1، ص241، و ينظر: البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم، في ولايته القضاء أو قبل ذلك، للخصم، ج9، ص70، ر7171

⁴ أي: حريٌّ وخلقٍ وجديران يستجاب لكم، ينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج13، ص347، وابن الأثير: مجد الدين، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية -

بيروت، 1399هـ - 1979م، ج4، ص111

⁵ مكي، الهداية، ج12، ص8362، ينظر: مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج1، ص350، ر482، وذكره مسلم بلفظ قريب مما ذكره مكي هنا، والمعنى واحد.

خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ البقرة: ١٥٨، بين مكي حكم السعي بين الصفا المروءة، وأنه واجب بنص الآية وأقوال العلماء وفعل الرسول - ﷺ - الثابت الصحيح، وضعف حديث أنس بن مالك - ﷺ - المفيد الإباحة والقراءات الشاذة في ذلك، فقال: "والطواف بين الصفا والمروة عند مالك والشافعي فرض، فمن نسي ذلك رجع وسعى، وإن بعد، فإن كان قد أصاب النساء، فعليه عمرة وهدى مع تمام سعيه إذا رجع. ومذهب الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف أن يجزيه دم إن نسي السعي بينهما، ولا عودة عليه إلا أن يشاء ذلك. وقال عطاء: " هو تطوع ولا شيء عليه إذا نسي ذلك ". واحتج بأن في قراءة ابن عباس: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما". وكذلك هي في مصحف ابن مسعود¹. وكذلك روي عن أنس بن مالك أنه قال: " هو تطوع"². وروي ذلك عن مجاهد³.

والعمل على القول الأول لإجماع المصاحف المعمول عليها، المجتمع على ما فيها من إسقاط " لا " منها كلها. وإيجابها عن ابن عباس أشهر وأوضح. والإسناد عن أنس ضعيف. وجميع من قرأ على مجاهد من الأئمة المشهورين لم ينقل عنه إلا بغير " لا ". وقد روى جابر عن النبي - ﷺ - أنه: " لما دنا من الصفا في حجته قال: " إن الصفا والمروة من شعائر الله، أبدأ بما بدأ الله به "، فبدأ بالصفا فرقى عليه ""⁴. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلْيَوْمَ أَحْلَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلُّ لَهُمْ ﴾ المائدة: ٥، بين مكي أن ذبائح أهل الكتاب مختلف فيها، وبين أن ذبيحة الجوسي حرام، وضعف الحديث المروي عن الرسول - ﷺ - في ذلك، فقال: "ومذهب الشعبي وعطاء وغيرهما أنه تؤكل ذبائحهم وإن سموا عليها غير اسم الله، وهذا عندهم ناسخ لقوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الأنعام:

¹ هذه القراءة ذكرها الطبري في تفسيره وهي قراءة ابن عباس وأبي بن كعب وابن مسعود - ﷺ - وهي خلاف المصحف كما قال مكي؛ وبالتالي شاذة وليست صحيحة، وأنكرها الطبري، وقال: "لو قرأ اليوم بما قارئ كان مستحقاً للعقوبة، لزيادته في كتاب الله ما ليس فيه". ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج3، ص 244

² رواه الطبري في تفسيره، ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 242

³ رواه الطبري في تفسيره، ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 242

⁴ مكي، الهداية، ج1، ص 525، والحديث طويل جدا ويصف فيه جابر - ﷺ - كيفية حج الرسول - ﷺ - كما رآه، وهذا جزء منه، ينظر: مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، كتاب الحج، باب حجة النبي - ﷺ -، ج2، ص

١٢١، ويروى ذلك عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت. ومن العلماء من قال: هذا استثناء وليس بناسخ لما في الأنعام، تؤكل ذبائح أهل الكتاب وإن ذكر عليها اسم المسيح. ومذهب عائشة - رضي الله عنها - وعلي بن أبي طالب وابن عمر أنه لا تؤكل ذبيحة الكتّابي إذا لم يسم عليها. وكان مالك يكره ذلك ولم يجرمه. وأما إن ذكر عليه اسم المسيح فلا تؤكل عند مالك. وكره مالك ذبائح أهل الكتاب لكنائسهم ولم يجرمه. فأما ذبيحة المجوسي فلا تؤكل. وذبيحة نصارى تغلب لا تؤكل¹. وقال ابن عباس: تؤكل ذبائحهم، وهم بمنزلة غيرهم، وقال بذلك غيره من الفقهاء. وقال علي بن أبي طالب: لا تؤكل ذبائحهم، وبه قال الشافعي: فأما الحديث الذي يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في المجوس: "سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ" فإنه غير متصل الإسناد²، وأيضاً فإن الحديث إنما جرى على سبب الجزية لا غير، وقوله "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" يدل على أنهم ليسوا منهم³. وعند تفسير قصة موسى في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه: ١٢، قال مكّي: "قال كعب: "كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلعهما، وأراد الله أن يمسه القدس"، وكذلك قال عكرمة وقتادة. وكذلك روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "كانت على موسى يوم كلمه الله جبة صوف، وكساء صوف، وسراويل صوف، ونعلاه من جلد حمار غير ذكي"⁴."

¹ هذا الأثر ذكره الطبري في تفسيره وهو مروى عن علي، وعلق عليه بقوله: وهذه الأخبار عن عليّ - رضوان الله عليه -، إنما تدل على أنه كان ينهى عن ذبائح نصارى بني تغلب، من أجل أنهم ليسوا على النصرانية، لتركهم تحليل ما تحلل النصارى، وتحريم ما تحرم، غير الخمر. ومن كان منتحلاً ملّة هو غير متمسك منها بشيء فهو إلى البراءة منها أقرب منه إلى اللحاق بها وبأهلها، فلذلك نهى عليّ عن أكل ذبائح نصارى بني تغلب، لا من أجل أنهم ليسوا من بني إسرائيل. ينظر: الطبري: أبو جعفر مجّد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج9، ص576

² الأصبحي: مالك بن أنس، "موطأ الإمام مالك"، كتاب الزكاة، ج2، ص395، ر968، وعلق المحقق: قال الجوهري: "هذا حديث مرسل"، وهو وارد في أخذ الجزية من المجوس ومعاملتهم فيها مثل أهل الكتاب، وذكره مالك في موضوع أحكام أخذ الجزية، وهو كما قال مكّي.

³ مكّي، الهداية، ج3، ص1608

⁴ رواه الطبري في تفسيره وضعفه بقوله: ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال: ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: "يوم كلم الله موسى، كانت عليه جبة صوف وكساء صوف، وسراويل صوف، ونعلان من جلد حمار غير مذكى" صحيحاً لم نعهده إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه. ينظر: الطبري:

أبو جعفر مجّد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج18، ص279

وقال الحسن: كانتا من جلد بقر، ولكن الله تعالى أراد أن يباشر بقدميه بركة الأرض. وكان قد قدس الوادي مرتين. وكذلك قال ابن جريج. وهذا القول اختيار الطبري، لأن الحديث لم يصح عن النبي - ﷺ - - أنهما من جلد حمار غير ذكي" ¹.

4 - يستدل بالحديث الشريف على إثبات حكمٍ أو بيانٍ لمعنى أو تأييد رأيه أو رأي غيره: ومن ذلك عند ذكره لفضل سورة البقرة قال مكي: "روى عن النبي - ﷺ - أنه قال: "أعطيت البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة." ².

وروي عنه أنه قال: "تحيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان" ³. والغياية والغمامة واحد. فبهذا الحديث وأمثاله، استجاز الناس أن يقولوا: سورة البقرة وسورة كذا" ⁴. وعنده

تفسيره لمعنى المعقبات في قوله تعالى: ﴿لَهُوَ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الرعد: ١١، ذكر رأي النحاس واستشهد له بالحديث النبوي،

فقال: "واختار النحاس القول الأول، وهو أن يكون "المعقبات": "الملائكة" على ما تقدم ذكره،

واحتج فيه بما رواه أبو هريرة من حديث مالك بن أنس - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قال: "لله ملائكة

يتعاقبون فيكم بالليل والنهار"، الحديث ⁵. وعند شرحه لمعنى "أمرنا" في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا

¹ مكي، الهداية، ج7، ص 4618

² الهيثمي: أبو الحسن نور الدين، "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، كتاب العلم، باب في العمل بالكتاب والسنة، ج1، ص 169، 782، وعلق المحقق: رواه الطبراني في الكبير، وفي رواية له أيضا: "فما اشتبه عليكم منه فاسألوا عنه أهل العلم بخبركم". وله إسنادان: في أحدهما عبد الله بن أبي حميد، وقد أجمعوا على ضعفه، وفي الآخر عمران القطان، ذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه الباقون.

³ مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، ج1، ص 553، 804، واللفظ يختلف قليلاً عن مكي.

⁴ مكي، الهداية، ج1، ص 117

⁵ المصدر نفسه، ج5، ص 3692، وينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكترين من الصحابة، مسند أبي هريرة - ﷺ -، ج12، ص 460، 7491، والحديث ذكر مكي منه جزء فقط، وعلق المحقق: حديث صحيح.

﴿١٦﴾ الإسرائ: ١٦، ذكر رأي الكسائي واستشهد له بالحديث، فقال: "وعن قتادة: أن معنى "أمرنا" أكثرنا. وقال الكسائي: يجوز أن يكون "أمرنا" من الإمارة، كالمشددة، وأنكر أن يكون بمعنى "أكثرنا". قال: ولا يقال: "أمرنا" بمعنى "أكثرنا" إلا بالمد. وقد حكى أبو زيد وأبو عبيد "أمرنا" مقصوراً، بمعنى أكثرنا. ويقوي هذا التأويل الذي رده الكسائي أن الحديث: "خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة"¹. فالسكة المأبورة النخل المصلح. والمهرة المأمورة الكثيرة التاج. وهي من أمر"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتْرُكُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾ مُحَمَّد: ٣٥، وضح كلمة "يتركم" واستشهد لها بحديث الرسول - ﷺ -، فقال: "معناه: ولن يظلمكم الله، فينقصكم أجور أعمالكم، يقال وترت الرجل: إذا قتلت له قتيلاً، أو أخذت له مالاً غصباً. قال الفراء: هو مشتق من الوتر: وهو الذحل. وقيل: هو مشتق من الوتر وهو الفرد، فيكون المعنى ولن يفردهم بغير ثواب أعمالكم. ومنه حديث النبي - ﷺ -: "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"³ "أي أفرد منهما، وقيل معناه: كأنما نقص أهله وماله"⁴. وعند توضيح معنى "أذنت" في قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ ﴿٢﴾ الانشقاق: ٢، قال مكي: "أي: وسمعت السماء في تصديعها وتشققها لربها فأطاعت له. والعرب تقول: إذنت إلى هذا الأمر آذن، بمعنى: استمعت. ومنه الحديث عن النبي - ﷺ - أنه قال: "ما أذن الله لشيء كأذنه لني يتغنى بالقرآن"⁵ يعني: ما استمع الله لشيء كاستماعه لني يتغنى بالقرآن"⁶. ونكتفي بهذه الشواهد من تفسير مكي وهي كثيرة فيه.

¹ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكين، ج 25، ص 173، ر 15845، وعلق المحقق: إسناده ضعيف.

² مكي، الهداية، ج 6، ص 4166

³ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، ج 10، ص 57، ر 5780، وعلق المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁴ مكي، الهداية، ج 11، ص 6920

⁵ البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب التوحيد، باب قول النبي - ﷺ -: "الماهر بالقرآن مع الكرام البررة". البررة". ج 6، ص 191، ر 5023

⁶ مكي، الهداية، ج 12، ص 8150

5 - بيان المجمل من القرآن بالسنة النبوية: هناك آيات من القرآن جاءت مجملة وبين الرسول - ﷺ - ذلك، ومن الأمثلة على ذلك في تفسير مكي: تفسيره لمعنى "الإسلام" الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ١٩، فقال: "ومعنى الإسلام: شهادة أن لا آله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله. وأصل الإسلام: الخشوع والانقياد. وروى ابن عمر عن النبي - ﷺ - أنه قال: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان ¹. وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ البقرة: ٤٣، بين مكي معنى الإقامة والصلوات المفروضة علينا بقوله: "إقامة الصلاة هو أدائها بفروضها لوقتها وهي الخمس الصلوات المفروضة.

قال أنس بن مالك: " فرضت الصلاة على النبي - ﷺ - ليلة الإسراء خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمساً تخفيفاً من الله، ثم نودي يا محمد: إنه لا يبدل القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين ². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء: ٢٩، قال مكي: "أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، وهو معنى قول النبي - ﷺ - " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ³.

6 - توضيح المبهم من القرآن: وضح الرسول - ﷺ - كثيراً من الإبهام في القرآن مثل تعيين الأشخاص والأماكن وبعض الأعمال وشرح بعض الألفاظ وتعيين أشجار وصلاة بعينها من الصلوات، إلى غير ذلك مما ورد في القرآن بلفظ مبهم، وقد ذكر مكي هذا في تفسيره مستعيناً بتفسير الرسول - ﷺ - لذلك، ومن أمثلته: عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧، بين مكي الأشخاص المقصودين في الآية،

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 978، و ينظر: البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الإيمان، باب قول النبي - ﷺ -: "بني الإسلام على خمس"، ج1، ص11، ر8

² المصدر نفسه، ج1، ص 398، و ينظر: المصدر نفسه، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤، ج9، ص 149، ر7517، والحديث طويل جداً، وجاء به مكي هنا مختصراً.

³ المصدر نفسه، ج2، ص 1300، و ينظر: المصدر نفسه، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ج1، ص 35، ر121

مستعيناً بتفسير الرسول - ﷺ - فقال: "وهذا دعاء أمر الله - ﷻ - رسول - ﷺ - والمؤمنين أن يدعوا به وألا يكونوا مثل المغضوب عليهم - وهم اليهود -، ولا مثل الضالين - وهم النصارى -، ولا على صراطهم"¹. وفي تحديد مكان الكوثر الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر: ١، استشهد مكي بحديث أنس بن مالك، فقال: "وعن أنس بن مالك أنه قال: لما أسري برسول الله - ﷺ - مضى به جبريل - عليه السلام - في السماء الثانية فإذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد فذهب ليشم تراه فإذا هو مسك. قال: يا جبريل، ما هذا النهر؟ قال: الكوثر الذي خبأ لك ربك"². وفي قصة لوط عند قوله تعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ العنكبوت: ٢٩، وضع مكي العمل الذي كان يقوم به قومه مستعيناً بتفسير الرسول - ﷺ - لذلك رجحه على غيره من الأقوال، فقال: "وروت أم هانئ أنها سألت النبي - ﷺ - عن قوله تعالى ذكره: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ العنكبوت: ٢٩، قال: "كانوا يخدفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فهو المنكر الذي كانوا يأتون"³، وقاله عكرمة والسدي، وقال مجاهد: المنكر هنا أنهم كانوا يجامع بعضهم بعضاً في المجالس. وهو قول قتادة وابن زيد. والحديث المروي عن النبي - ﷺ - أولى بالاتباع"⁴. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ الفتح: ٢٦، بين مكي معنى كلمة "التقوى" مستدلاً بالحديث المروي عن الرسول - ﷺ - فقال: "أي: وألزم الله المؤمنين قول لا إله إلا الله، وكانوا أحق بها من المشركين، وكانوا هم أهلها. قال علي بن أبي طالب وابن عباس: كلمة التقوى لا إله إلا

¹ مكي، الهداية، ج1، ص113، ومكي يقصد هنا حديث الرسول - ﷺ - الذي فسر به: إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين النصارى، ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الكوفيين، ج32، ص124، ر19381، والحديث طويل جداً، وعلق المحقق: بعضه صحيح.

² المصدر نفسه، ج12، ص8468، والحديث سبق تحريجه، ينظر: ص168 من الرسالة.

³ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند النساء، ج44، ص459، ر26891، وعلق المحقق: إسناده ضعيف لضعف أبي صالح مولى أم هانئ واسمه باذام، ويقال: باذان.

⁴ مكي، الهداية، ج9، ص5621

وقال: "بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح، لا يستطيعونهما"¹.
 وقال: "لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوها ولو حبوا"². ففضل العتمة والصبح على سائر الصلوات، ثم فضل الصبح على العتمة، فدل على أنها أفضل الصلوات، فهي الوسطى... وقد بينا أن صلاة الصبح أفضل الصلوات فهي هي بغير شك"³. وهناك آيات أخرى وأمثلة كثيرة في الاستشهاد بأقوال الرسول - ﷺ - في تفسير القرآن ذكرها مكّي في تفسيره، ونكتفي بهذا خوف الإطالة.

7 - تقييد المطلق من القرآن: هناك أحكام جاءت في القرآن مطلقة، وقيدتها السنة، وقد ذكرها مكّي في تفسيره، ومنها: آية الوصية التي وردت مطلقة في قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ النساء: ١١، وقيدتها السنة بالثلث، بين مكّي ذلك؛ حيث قال: "وكل هذا قبل الوصية بالثلث، وتحديدتها من النبي - ﷺ -".⁴

8 - تخصيص العام: هناك ألفاظ وردت في القرآن بصيغة عامة وخصصتها السنة وقد ذكرها مكّي في تفسيره مستدلاً لها بأحاديث الرسول - ﷺ - الواردة في ذلك، ومن أمثلته ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزِيرِ﴾ المائدة: ٣، قال مكّي: "وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزِيرِ﴾ المائدة: ٣، مخصوص، لأن الدم الذي هو غير مسفوح - كالكبد وما أشبهه - حلال، "وأحل النبي - ﷺ - أكل الحيتان والجراد والميتة"⁵،

¹ أخرجه مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلاً. ينظر: العراقي: أبو الفضل عبد الرحيم، "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار"، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط: 1، 1426 هـ - 2005 م، ص 173
² البخاري: مُجَدِّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، "صحيح البخاري"، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، ج 1، ص 126، ر 615
³ مكّي، الهداية، ج 1، ص 803، بتصرف، ومن المعلوم أنها مسألة خلافية عويصة بين العلماء، وليس فيها رأي راجح في تحديد المقصود بالصلاة الوسطى في هذه الآية.

⁴ المصدر نفسه، ج 2، ص 1235، والحديث لم يذكره مكّي، وإنما أشار له فقط، وهو قول الرسول - ﷺ -: "الثلث، والثلث كثير"، ينظر: البخاري: مُجَدِّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، "صحيح البخاري"، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث، ج 4، ص 3، ر 2743
⁵ وهو يقصد حديث الرسول - ﷺ -: "أحلّت لكم ميتتان ودمان، فأما الميتتان، فالحوت والجراد، وأما الدمان، فالكبد والطحال"، ينظر: ابن ماجه: أبو عبد الله القزويني، "سنن ابن ماجه"، ت: مُجَدِّدُ فُؤَادِ عَبْدِ الْبَاقِي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون طبعة، كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، والجراد، ج 2، ص 1102، ر 3314، وعلق عليه مُجَدِّدُ فُؤَادِ عَبْدِ الْبَاقِي فقال: في الزوائد في إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

فالدّم خصصه قوله في " الأنعام " ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ الأنعام: ١٤٥، والميتة خصصتها السنة¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٨، بين مكي أنه لا يجوز القطع في حد السرقة فيما قيمته ثلاث دراهم أو ربع دينار كما نهت السنة لذلك، فقال: " ومعنى الآية: من سرق من رجل أو امرأة فاقطعوا أيديهما. وعنى بذلك سارق ثلاثة دراهم، أو ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار، أو ثلاثة دراهم فصاعداً، هكذا بينته السنة². وكذلك بين أن في سرقة الفواكه لا قطع بدليل السنة، فقال: " ويقطع عند مالك في الفواكه إذا كان فيها قيمة ما تقطع عليه اليد. وقيل: لا قطع في ذلك. وروي عن النبي - ﷺ - أنه قال: " لا قطع في ثمر ولا كثر " " والكثرة: الجمار³. وكذلك تخصيص الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢، قال مكي: " ومعنى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ الأنعام: ٨٢، أي: لم يخلطوه بشرك، ولما نزلت هذه الآية، اشتد ذلك على أصحاب النبي، فقال لهم النبي: ليس الأمر كما تظنون، هو كما قال لقمان: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣⁴.

9 . الاستدلال بالسنة النبوية على النسخ: استدلل مكي بن أبي طالب على النسخ الوارد في بعض آيات القرآن بالسنة النبوية الشريفة، ولم يتوسع في ذلك لأنه ألف كتاباً خاصاً بالنسخ في

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1584

² المصدر نفسه، ج3، ص 1697، و ينظر: البخاري: مُجَدِّد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الحدود، وما يجذر من الحدود، باب قول الله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ المائدة: ٣٨، وفي كم يقطع؟، ج8، ص160، 6789

³ المصدر نفسه، ج3، ص 1702، و ينظر: ابن حنبل: أحمد بن مُجَدِّد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكيين، ج25، ص 103، ر15408، وعلق المحقق: حديث صحيح، والجمار: الشحمة التي تكون في رأس النخلة يكشط عنها اللب، فتؤكل، ينظر: ابن منظور: مُجَدِّد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج1، ص 259

⁴ مكي، الهداية، ج3، ص 2089، و ينظر الحديث في: البخاري: مُجَدِّد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، ج9، ص 18، ر6937

الأحكام الفقهية؛ وأحال عليه في تفسيره وهو كتابه: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه)، وقد أشرنا له سابقاً، ونذكر بعض الأمثلة من تفسيره على ذلك، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ

عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ البقرة: ١٨٠، بين مكي أن هذه الآية مختلف في

حكمها ونسخها، وهل هي منسوخة بالقرآن أو السنة؟ فقال: "معناه: فرض عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً - أي: مالا - للوالدين والأقربين، كان الله - ﷻ - قد فرض علينا أن نوصي عند الموت للوالدين والأقربين، ثم نسخ ذلك بآيات الميراث في النساء. وقيل: هي محكمة واجبة لمن لا يرث من الوالدين والأقربين. وهو اختيار الطبري. وروي عن الضحاك أنه قال: " من مات ولم يوص لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية ". وقال الحسن: " إذا أوصى الرجل لغير ذي قرابته بثلثه فلهم ثلث الثلث وباقي الثلث لقرابته ". وقاله طاوس. وكونها منسوخة قول ابن عباس وقتادة. وعن قتادة والحسن أنه " إنما نسخ منها الوالدان، وبقي الأقربون الذين لا يرثون بالوصية لهم فرض ". وقال ابن زيد: " نسخ الله ذلك كله، وفرض الفرائض ". وهو قول ابن عمر وعكرمة ومجاهد والسدي. واختلفوا في نسخها فقال أكثرهم: " نسختها آيات النساء في الموارث. وقال بعضهم: " نسخها قول النبي - ﷺ -: " لا وصية لوارث ""¹.

وكذلك استدلاله بنسخ السنة للقرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ الأنعام: ١٤١، وبين أن هذه الآية

مختلف فيها؛ فقيل: إنها محكمة وقيل إنها منسوخة، فقال: " وهذا كله يدل على أن الآية منسوخة، إذ ليس أحد منهم أوجب ظاهر نص الآية. ومن قال: إنها محكمة، وإنها في شيء غير الزكاة،

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 576، و ينظر: ابن ماجه: أبو عبد الله القزويني، " سنن ابن ماجه"، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، ج4، ص18، ر2713، وعلق المحقق: حديث صحيح.

احتج بحديث رواه الخدري عن النبي - ﷺ - أنه فسره فقال: " ما سقط عن السنبل ¹ وهذا الحديث، لو صح لكان منسوخاً بالإجماع، لأنه قد أجمع على أنه لا فرض في المال سوى الزكاة. فأما من قال بالندب فهو جائز، إلا أن قائله غير معروف ². وكذلك عند حديثه على تحريم زواج المتعة بيّن أن الآية التي يستشهد بها الشيعة على زواج المتعة ³ أنها منسوخة بالسنة، وبين أقوال السلف والعلماء فيها، فقال: " قوله: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

فَرِيضَةً ﴾ النساء: ٢٤: يقول: فالشيء الذي استمتعتم به من النساء فأعطوهن أجورهن أي صدقاتهم فريضة معلومة، وقال ابن عباس: معناها إذا نكح الرجل المرأة مرة واحدة فقد وجب الصداق، فالمعنى فأى شيء استمتعتم به، وإن قل فآتوهن أجورهن أي صدقاتهن والاستمتاع النكاح، وقاله: الحسن ومجاهد. وقال السدي: وغير الاستمتاع هنا أن يتزوجها إلى أجل مسمى بإذن وليها، ويشهد شاهدين، فإذا تم الأجل أمر أن يدفع إليها ما شرط لها، وليس له عليها سبيل وتعتد، ولا ميراث بينهما.

وسئل ابن عباس عن متعة النساء فقال: أما تقرؤون "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى" فقليل له لو قرأناها هكذا لكان الأمر على ذلك. فقال: فإنها كذلك. وفي قراءة أبي زيادة: إلى أجل مسمى، وكذلك ابن جبير. وقالت عائشة - رضي الله عنها - كانت المتعة حلالاً، ثم نسخ الله ذلك بالقرآن، وروي ذلك عن ابن عباس وهو قول ابن المسيب والقاسم وسالم وعروة. قال ابن عباس: نسخها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ الطلاق: ١. وقال ابن المسيب:

نسخت المتعة بآية الميراث يعني: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ النساء: ١٢، لأن المتعة كانت لا ميراث بها. وروي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت حرم الله المتعة بقوله

¹ هذا الحديث لم أجده في كتب الحديث وإنما جاء به ابن كثير في تفسيره وعلق المحقق في الحاشية بأنه ضعيف جداً، وجاء به النحاس في كتابه الناسخ حيث قال: حدثنا أبو علي الحسن ابن غليب، قال: حدثنا عمران بن أبي عمران، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - فذكره. وعلق عليه مكي أيضاً بالضعف. ينظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، " تفسير القرآن العظيم"، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999م، ج3، ص 349 و ينظر أيضاً: النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد، " الناسخ والمنسوخ"، ص 427

² مكي، الهداية، ج3، ص 2215

³ وذلك أن نكاح المتعة محرم عند أهل السنة إجماعاً، ومباح عند الشيعة؛ بل كاد أن يكون شعاراً لهم حتى في عصرنا الحاضر، وشذت الشيعة على جميع الفرق الإسلامية في إباحتها هذا النوع من الزواج.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿٥﴾ المؤمنون: ٥ ، (المؤمنون: 5 والمعارض: 29). وكانت المتعة أن يتزوج الرجل المرأة إلى أجل معلوم، وشرط ألا طلاق بينهما، ولا ميراث ولا عدة. وقال أبو عبيدة: نسخت المتعة بالقرآن والسنة لأن النبي - ﷺ - حرم المتعة يوم الفتح وغيره¹. وهذه الأمثلة من تفسير مكي جاءت على سبيل الإشارة فقط، لأن مكي بن أبي طالب متضلّع في مجال الفقه والأحكام وله مؤلفات في ذلك، والأمثلة في تفسيره أكثر من أن تحصى، ونكتفي بالذي ذكر.

10 - الاستشهاد بالسنة في تأييد أحكام القرآن: من المعلوم أن عدة أحكام جاء بها القرآن وأكدتها السنة، ونجد مكي بن أبي طالب في تفسيره يذكر الأحاديث الواردة في تأكيد بعض آيات الأحكام، ومن ذلك عند تفسير الآية المحرمة للخمر والناسخة لما قبلها من الآيات الواردة فيه، بين قول الرسول - ﷺ - في تحريمها؛ فقال: "قوله ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ المائدة: ٩٠: الهاء تعود على "الرجس". وقيل: تعود على "الخمر". وقيل: المعنى: فاجتنبوا هذا الفعل. وقيل: المعنى: فاجتنبوا ما ذكر. وذكر ابن المنكدر أن النبي - ﷺ - قال: "من شرب الخمر ثم لم يسكر، أعرض الله عنه أربعين ليلة، وإن أسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أربعين ليلة، فإن مات فيها، مات كعابد الأوثان، وكان حقاً على الله أن يسقيه يوم القيامة من طينة الخبال. قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار: القيح والدم"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ﴿البقرة: ٢٣٠﴾، بين الحديث المؤكد لهذه الآية؛ فقال: "يريد الوطاء بالعقد الصحيح لقوله - ﷺ -: "حتى تذوق العسيلة"³ ومعنى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ﴿البقرة: ٢٣٠﴾،

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1284، ينظر: البخاري: مُجَّد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب النكاح، باب نهي رسول الله - ﷺ - عن نكاح المتعة آخرًا، ج7، ص 12، ر 5115

² المصدر نفسه، ج3، ص 1863، و ينظر: مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، ج3، ص 1587، ر 2002

³ ابن حنبل: أحمد بن مُجَّد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر - ﷺ -، ج9، ص 406، ر 5571، وعلق المحقق: حديث صحيح لغيره.

أي من بعد الثالثة، ولذلك بنيت " بعد " للحذف والذي بعدها"¹. وكذلك في تفسير قوله تعالى:

﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ النساء: ١٢٣، قال مكي: "وروي أن هذه الآية لما نزلت قال أبو بكر الصديق

- ﷺ -: " يا رسول الله: وإن لمجزون بأعمالنا؟ قال رسول الله - ﷺ -: " أما المؤمن فيجزى بها في الدنيا، وأما الكافر فيجزى بها يوم القيامة"². وعند تفسيره آية القتل العمد وضح قول الرسول

- ﷺ -: في ذلك، فقال: وقوله: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ

جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا

عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ النساء: ٩٣. روى أبو هريرة: أن النبي - ﷺ - قال: " والله للدنيا وما فيها

أهون على الله من قتل مسلم بغير حق"³. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ

رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ الضحى: ١١، قال مكي: "وفي الحديث: " إن الله يحب أن يرى أثر

نعمته على عبده"⁴.

11 . الاستعانة بالسنة في أسباب النزول: من المقرر عند العلماء أن القرآن نزل على قسمين:

القسم الأول نزل ابتداء، وهو معظم القرآن، والقسم الثاني نزل بسبب حادثة وقعت أو سؤال وجه للرسول - ﷺ - خلال مدة نزول الوحي، وقد خصص العلماء كتباً خاصة بأسباب النزول، ولا يستغني أي مفسر من أهل السنة والجماعة على أسباب النزول، ومكي بن أبي طالب أستعان بالسنة في تفسير الكثير من آيات القرآن، لأن معرفة السبب تورث العلم بالمسبب، وتساعد في

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 771

² المصدر نفسه، ج2، ص1476، و ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الخلفاء الراشدين، مسند أبي بكر الصديق - ﷺ -، ج1، ص 203، 23، وعلق المحقق: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

³ المصدر نفسه، ج2، ص 1427، و ينظر: ابن ماجه: أبو عبد الله يزيد القزويني، " سنن ابن ماجه"، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، ج2، ص 874، 2619، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده صحيح ورجاله موثقون.

⁴ المصدر نفسه، ج12، ص 8328، و ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص - ﷺ -، ج11، ص 312، 6708، وعلق المحقق: إسناده حسن.

فهم تفسير الكثير من آيات القرآن، ولا نستطرد في هذا، لأننا سنخصص مطلباً خاصاً لذلك، ونذكر هنا فقط كيف استعان مكي بالسنة في تفسير القرآن على سبيل الإشارة لأنها متعلقة بهذا المطلب، فعند حديثه عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ آل عمران: ١٨٨، قال مكي: "ونزلت الآية في قول أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في رجال تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفرحوا لمقعدهم خلاف رسول الله، ثم إذا قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبلوا يعتذرون إليه، ويحلفون أنهم لا يتخلفون عنه بعد ذلك، ﴿وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ آل عمران: ١٨٨¹. وفي سبب تحريم الخمر قال مكي: "ويقال: إن عمر ذكر لرسول الله مكرهه عاقبة الخمر، فأنزل الله تحريمها.

وروي أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت الآية في "البقرة": ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ البقرة: ٢١٩، الآية، فقرئت على عمر فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت التي في "النساء": ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ النساء: ٤٣ الآية، فكان النبي يقول إذا حضرت الصلاة: فلا يقربن الصلاة سكران، ودعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت التي في "المائدة": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ﴾ المائدة: ٩٠، الآية إلى ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿٩١﴾ المائدة: ٩١، فقال عمر: انتهينا، انتهينا². وقيل: نزلت بسبب سعد بن أبي

¹ مكي، الهداية، ج 2، ص 1199، و ينظر: البخاري: مُجَدِّدٌ بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب التفسير، باب ﴿لَا

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ آل عمران: ١٨٨، ج 6، ص 40، ر 4567

² ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه

، ج 1، ص 443، ر 376 وعلق المحقق: إسناده صحيح.

وقاص لآحي رجلا على شراب فضربه بلحيي جمل ففزر أنفه فنزل ذلك¹. وكذلك ذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ النور: ٣، حيث قال: "هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين استأذنوا النبي - ﷺ - في نكاح نسوة من أهل الشرك معروفات، كن يكرين أنفسهن للزنا، فأنزل الله تعالى تحريمهن على المؤمنين فقال: الزاني من المؤمنين لا يتزوج امرأة من أولئك البغايا، فإن تزوجها فإنما يتزوج زانية أو مشركة لأنهن كن مشركات، والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلا زان من المؤمنين أو مشرك مثلها². ﴿وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾، أي حرم الله نكاحهن على المؤمنين. قال ابن عمر: استأذن رجل من المؤمنين النبي - ﷺ - في امرأة يقال لها: أم مهزول كانت تسافح وتشتري له أن تنفق عليه فنزلت الآية³. قال مجاهد: وقتادة، والزهري: نزلت الآية في نساء معلوم منهن الزنا في الجاهلية، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فالآية على هذا القول مخصوصة محكمة في نساء بأعيانهن⁴.

وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ الحجرات: ١، قال مكي: "نزلت في سبب كلام دار بين أبي بكر وعمر - ﷺ - وذلك أن وفدا من بني تميم قدموا على النبي - ﷺ -، فقال له أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال له أبو بكر: ما أردت إلا

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1864، و ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص - ﷺ - ج3، ص 137ر1567، وعلق المحقق: إسناده حسن من أجل سماك بن حرب وهو من رجال مسلم، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

² رواه الطبري، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج19، ص 96

³ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص - ﷺ - ج11، ص 16، ر6480، وعلق المحقق: حسن، وهذا إسناد ضعيف لجهالة الحضرمي.

⁴ مكي، الهداية، ج8، ص 5029

خلافي، فقال له عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت هذه الآية في ذلك" ¹.

12 - الاستشهاد بالسنة في بيان أحكام لم ترد في القرآن: استقلت السنة ببيان أحكام جديدة

لم يأت بها القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَأْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧ ﴾ الحشر: ٧، ومكي بن أبي طالب ذكر

بعض الأحكام التي جاءت بها السنة وهي غير واردة في القرآن أثناء تفسيره، ومن ذلك ذكره بأن

النبي - ﷺ - حرم إحصاء الإبل والبقر والغنم والخيول، فقال: "قال ابن عمر: نهي النبي - ﷺ - عن

إحصاء الإبل والبقر والغنم والخيول" ². ونبه في تفسيره الى أن الرسول - ﷺ - قد حرم لحوم الحمر

الأهلية، وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ³. وكذلك نهي الزاني غير المحصن،

فقال: "وثبت عن النبي - ﷺ -: نفي البكر، والزاني بعد جلد مائة، وكذلك فعل أبو بكر،

وعمر، وعثمان، وعلي ⁴. والرجم على الزاني المحصن وهو عمل الرسول" ⁵. وفي تحريم النساء في

الزواج ذكر قول الرسول - ﷺ -، فقال: "ونهي النبي - ﷺ - أن تنكح المرأة على عمتها أو

خالتها" ⁶، وقال: "يحرّم من الرضاع ما يحرم من النسب" فإذا أرضعت المرأة غلاماً لم يتزوج شيئاً

¹ مكي، الهداية، ج11، ص 6986، و ينظر: البخاري: مُجَدِّدٌ بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب التفسير، باب ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الحجرات: ٢، ج6، ص 137، ر4845

² المصدر نفسه، ج3، ص 2227، و ينظر: ابن حنبل: أحمد بن مُجَدِّدِ الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر - ﷺ -، ج8، ص 388، ر4769، وعلق المحقق: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن نافع مولى ابن عمر، وبقية رجاله ثقات من رجال الشبخين. وقد روي مرفوعاً وموقوفاً، وموقوفه هو الصحيح.

³ المصدر نفسه، ج3، ص2224، و ينظر: البخاري: مُجَدِّدٌ بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الذباج والصيد، باب لحوم الحمر الأنسية، ج7، ص 95، ر5527

⁴ المصدر نفسه، ج8، ص 5024، وهو يقصد حديث الرسول - ﷺ -: خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة، ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة، والرجم"، ينظر: ابن حنبل: أحمد بن مُجَدِّدِ الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكيين، ج25، ص 251، ر15910، وعلق المحقق: حديث صحيح

⁵ المصدر نفسه، ج3، ص 1723، وهو يقصد قصة ماعز والغامدية وغيرها، ينظر: البخاري: مُجَدِّدٌ بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الحدود، وما يحذر من الحدود، باب الاعتراف بالزنا، ج8، ص 167، ر6824

⁶ ينظر: البخاري: مُجَدِّدٌ بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، ج7، ص 12، ر5108

من أولادها إلا ما ولدت قبل الرضاع لا بعده، وجائز أن يتزوج إخوته من أولاد المرأة إن شاءوا. وكذلك إن أرضعته جارية لم يحل له أن يتزوج أحدا من أولادها، ولأخواتها أن يتزوجن أولاد المرأة المرضعة إن شاءوا¹. وفي الطلاق بين حكم السنة، فقال: "وروى مالك أن ابن عمر " طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر عن ذلك رسول الله - ﷺ - فقال له: مره يراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق من قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء " فهذا طلاق السنة، يطلقها في طهر لم يسمها فيه طلقة، ويدعها تمضي في عدتها، فإن بدا له أن يرتجعها ارتجعها شاءت أم أبت قبل أن تمضي عدتها، فإن لم يرتجعها حتى مضت عدتها حلت للأزواج غيره وملكت نفسها، وصار حطاباً من الحطاب².

وفي ختام هذه النماذج التي قدمتها في استشهاد مكي بن أبي طالب بالسنة في تفسيره الهداية، ودراستي له، نستنتج أنه كان يذكر حديث الرسول - ﷺ - خالياً من الإسناد كعادته، وبعبارات متعددة فمثلاً يذكر: "وفي الحديث، وفي السنة، وجاءت السنة، وبينت السنة، ومن السنة، وكذلك لفظ روي، وروي، مثل: روي عن الرسول - ﷺ -، وروي في الحديث، وهو مروى عن النبي - ﷺ -". وأحياناً يذكر الحديث مباشرة منسوباً للصحابي مثل: "روى ابن عباس، وروي عن عائشة، وروي أبو هريرة، وروي عن أنس بن مالك، وروي أبو موسى الأشعري...". وقد ترددت كثيراً هذه الألفاظ في تفسيره، وجمع بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ولم يحكم عليها إلا نادراً، وهذه طريقته العامة في الاستشهاد بالسنة.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

بعدما استعرضنا منهج مكي بن أبي طالب في تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، نأتي الآن إلى قول الصحابي وهو النوع الثالث من التفسير بالمأثور، وإذا صح؛ فإنه مقدم على غيره، بعد تفسير القرآن بالقرآن والسنة، لأن الصحابة - ﷺ - أعلم الناس بمعاني القرآن وأدراهم بمعاني اللغة، وقد صحبوا رسول الله - ﷺ -، وعرفوا أحواله، وشهدوا تنزيل القرآن، قال ابن تيمية: "وحيث إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1277، و ينظر: البخاري: مُجَدِّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، "صحيح البخاري"، كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم، ج3، ص 170، ر 2645

² المصدر نفسه، ج12، ص 7523، و ينظر: المصدر نفسه، كتاب الطلاق، باب ﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ﴾ البقرة: ٢٢٨، ج6، ص 155، ر 4908

بذلك لما شاهده من القرآن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح¹. وفي حجية أقوال الصحابة - ﷺ - تفصيل، ولكن لا يسعنا المقام لبسطه، ولكن الراجح في المسألة؛ أن العلماء اتفقوا على حجية قول الصحابي إذا كان مرفوعاً، وليس للرأي فيه حجة، أما إذا كان للرأي والاجتهاد فيه مجال فهو موقوف على الصحابي إذا لم يرفعه للرسول - ﷺ -، ولكن يجب الأخذ به أيضاً على القول الراجح لأنه ممكن سماعه من الرسول - ﷺ -، ولم يصرح بذلك، ورأيهم أصوب لأنهم عاشوا التنزيل، والقرآن نزل بلغتهم، وما لهم من العدالة التامة، واحتمال وجود الخطأ منهم أقل من غيرهم، واجتهادهم أقرب للحق والصواب.²

ونظراً لمكانة التفسير عند الصحابة، فقد رجع مكي للاستعانة بأرائهم في التفسير، وصرح في مقدمته بالأخذ من أقوالهم فقال: "واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره، وتقصيته ذكر ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي"³، وصرح بأخذه المباشر من تفسير ابن عباس الصحابي المشهور بالتفسير، فقال: "وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس"⁴، وخلال دراستي لتفسير مكي وجدته قد أكثر من آراء الصحابة - ﷺ -، في تفسيره، وهي لا تحصى في رجوعه لها، ويحرص على ذكر أكبر عدد من الأقوال المروية عنهم في تفسير كل آية إذا كان ذلك ممكناً، وذلك إذا لم يجد تفسيراً للآية في القرآن والسنة، رجع إلى أقوال الصحابة؛ فيورد عند كل آية مجموعة من الأقوال المروية عنهم في تفسيرها، سواء كانت متوافقة أو مختلفة، ولا يناقشها ولا يرجح بينها ولا يذكر قوتها أو ضعفها إلا نادراً، وكان محل استشهاده في الغالب على بيان معنى لغوي أو عقائدي أو بيان حكم فقهي أو سبب النزول أو ذكر قراءة، واستشهد أيضاً بأقوالهم في القصص والأخبار وغيرها، والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره، ومن ذلك رجوعه عدة مرات لتفسير الصحابي عبد الله ابن عباس - ﷺ - كما ذكرنا سابقاً في مصادره في تفسيره ولا داعي لذكرها، ونعطي بعض الأمثلة من تفسيره على بقية آراء بعض الصحابة والتي رجع لها مكي

¹ ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس، "مجموع الفتاوى"، ت: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج13، ص364

² ينظر أقوال العلماء في تفسير الصحابي في التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي، الذهبي: محمد حسين، "التفسير

والمفسرون"، ج1، ص72

³ مكي، الهداية، ج1، ص72

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص74

واستشهد بها في تفسيره وهي كثيرة لا تحصى، ومن ذلك رجوعه إلى آراء الصحابي عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، في التفريق بين القرآن المكي والمدني، وذلك في صدد حديثه عن التفريق بين قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ﴾، و ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أورد الرواية عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في ذلك، فقال: "قال ابن مسعود: "كل شيء في القرآن، ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ﴾ فهو مكي، وكل شيء في القرآن: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدني"¹. وفي مسألة العقيدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥، أورد رواية عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - في تفسيره لهذه الآية فقال: "قال ابن مسعود: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من مات يجعل لله نداً، أدخله الله النار"، وأنا أقول: "من مات لا يجعل لله نداً، أدخله الله الجنة"². وعند حديثه عن حكم الحج والعمرة، قال مكي: "وقال ابن مسعود: "الحج فريضة، والعمرة تطوع"³. وفي تفسير معنى "الأمّة" استشهد مكي بأقوال الصحابي أبي بن كعب - رضي الله عنه - في تفسيرها، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ البقرة: ٢١٣، "وقيل: معناه: كان آدم وحواء - عليهما السلام - أمة واحدة في الطاعة. وسيما بالجماعة لأنهما أصل لها. وقال أبي بن كعب: "معناه كان جميع الخلق أمة واحدة إذا استخرجهم من صلب آدم وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف: ١٧٢. فأقروا كلهم فكانوا كلهم أمة واحدة مسلمين، ثم اختلفوا إذ ظهروا إلى الدنيا فبعث الله النبيين مبشرين من أقام على عهده بالجنة. ومنذرين من خالف ما عهده إليه بالنار"⁴. وعند تفسير قوله

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 182، وينظر الأثر في تخريج الكشاف، الزيلعي: جمال الدين أبو محمد، "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"، ت: عبد الله بن عبد الرحمن، دار ابن خزيمة - الرياض، ط: 1، 1414هـ، ج1، ص50، وعلق عليه: رواه الحاكم في مستدركه.

² المصدر نفسه، ج1، ص 536، و ينظر: البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، ج2، ص 71، ر1238

³ المصدر نفسه، ج1، ص 647، ورواه الطبري في تفسيره، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج3، ص14

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 696، وينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الأنصار، ج35، ص 155، ر21232، وعلق المحقق: أثر ضعيف

تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ﴿١٧﴾ مريم: ١٧، بين معنى الروح في هذه الآية مستعينا بتفسير أبي بن كعب - رضي الله عنه -، وعلق عليه، فقال: "قال أبي بن كعب: "كان روح عيسى بن مريم من الأرواح التي أخذ الله تعالى ذكره عليها الميثاق، فأرسل ذلك الروح إلى مريم، فدخل من فيها، فحملت بعيسى - عليه السلام -". والله أعلم بذلك كله"¹. وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ﴿١﴾ التكاثر: ١، أورد حديثنا لأبي بن كعب - رضي الله عنه - في حب المال، فقال: "وقال أبي بن كعب: كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن "لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من يشاء، حتى نزلت هذه السورة: ﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ﴿١﴾ إلى آخرها"². وكذلك أستشهد مكي بأقوال الصحابي علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في تفسيره، ومن ذلك استشهاده في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتِكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ آل عمران: ١٦٥، بقول الإمام علي فقال: "وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "إن جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا محمد، إن الله قد كره ما فعل قومك في أخذهم الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين: إما أن يقدموا، فتضرب أعناقهم، أو يأخذوا منهم الفدية على أن يقتل من المؤمنين مثل عدة من أخذت الفدية منه من المشركين، فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك، فقالوا: يا رسول الله عشائرتنا وإخواننا، لا، بل نأخذ منهم الفدية فنتقوى بها على عدونا، ويستشهدوا منا بعدتهم، فليس في ذلك ما نكره فأخذوا الفدية، وقتل منهم سبعون يوم أحد، فذلك قوله ﴿ قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ "أي: باختياركم، ورضاكم، وفي ذلك نزلت"³. وكذلك عند توضيحه لمعنى الزيادة في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾

¹ مكي، الهداية، ج7، ص 4509، والأثر رواه الطبري في تفسيره، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج9، ص 421

² المصدر نفسه، ج12، ص 8417، و ينظر: البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، ج8، ص 92، ر 6437

³ المصدر نفسه، ج2، ص 1168، والأثر رواه الطبري في تفسيره، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج7، ص 376

وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾ يونس: ٢٦، قال مكي: "وقال علي بن أبي طالب - عليه السلام -: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب"¹. وفي قصة ذي القرنين، بين من يكون هذا الشخص؟ وذكر قول علي بن أبي طالب - عليه السلام - في تعريفه، فقال: "قال: علي بن أبي طالب - عليه السلام -: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه. ونصح الله - وعجل - فنصحه، ضرب على قرنه الأيسر فمات. فبعثه الله، ثم ضرب على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله، وفيكم مثله"². فهؤلاء الذين ذكرتهم كانوا من المكثرين من الصحابة في رواية التفسير؛ وهذا لا يعني أن غيرهم من الصحابة لم تكن لهم آراء في التفسير، وقد جاءت روايات كثيرة في التفسير للسيدة عائشة وأبي هريرة وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن ثابت وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - وغيرهم كثير، على اختلاف بينهم في القلة والكثرة، ونضرب بعض الأمثلة على ذلك من تفسير مكي حتى لا نطيل في هذا المبحث لأن أقوال الصحابة كثيرة جداً كما هو معلوم، فأتثناء حديث مكي عن حكم صلاة المسافر أورد قولاً لعائشة - رضي الله عنها -، فقال: "وروى ابن شهاب عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "إن الصلاة أول ما فرضت، إنما فرضت ركعتين، ثم أتم الله صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر على حالها". قال ابن شهاب: فقلت لعروة: فما حمل عائشة على أن تصلي في السفر أربع ركعات؟ فقال عروة: تأولت عائشة في ذلك ما تأول عثمان بن عفان في إتمام الصلاة بمنى"³. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠، استشهد بقول: أبي هريرة - رضي الله عنه -، فقال: "قال أبو هريرة في معناها: خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعماقهم حتى يدخلوا في الإسلام"⁴. وفي وصفه للميزان يوم القيامة استشهد بقول سلمان الفارسي - رضي الله عنه - فقال: "قال سلمان الفارسي: يوضع الميزان يوم القيامة، ولو وضع في كفته السموات والأرض لوسعتها، فتقول

¹ مكي، الهداية، ج5، ص 3253، والأثر رواه الطبري في تفسيره، ينظر: المصدر نفسه، ج15، ص69

² المصدر نفسه، ج6، ص 4447، و ينظر الأثر في تفسير الطبري: المصدر نفسه، ج18، ص 93

³ المصدر نفسه، ج1، ص 495، وينظر الأثر في البخاري، البخاري: مُجَدِّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، "صحيح البخاري"، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ج2، ص 44، ر 1090

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص 1094، و ينظر الأثر في البخاري، المصدر نفسه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠، ج6، ص 37، ر 4557

الملائكة: ربنا ما هذا؟ فيقول تعالى: أذن به لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك¹. وعند ذكره سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَعَامَنَ وَأَسْتَكْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ الأحقاف: ١٠، أتى بقول سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه، فقال: "عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: " ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ الأنبياء: ١٠٤، جاء بقول عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - في معنى السجل، دون رد أو تعليق، فقال: "ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ أي: لا يجزئهم الفرع الأكبر يوم نطوي السماء كطوي السجل، والسجل في قول عبد الله بن عمر ملك اسمه السجل قاله السدي. والمعنى: نطوي السماء كما يطوي هذا الملك الكتاب"³. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الأنبياء: ٢٠، جاء بأثر مروى عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - في الأخبار دون تعليق أو بيان صحته أو ضعفه، فقال: "وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: " إن الله جزأ الخلق عشرة أجزاء، فجعل الملائكة تسعة أجزاء، وسائر الخلق جزء. وجزأ الملائكة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزأ لرسالته. وجزأ سائر الخلق عشرة أجزاء فجعل الجن تسعة أجزاء، وسائر بني آدم جزءاً. وجزأ بني آدم عشرة أجزاء، فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء، وسائر بني آدم جزءاً ". وعنه أيضاً أنه قال: " الملائكة عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2286، و ينظر الأثر في تخريج الإحياء، العراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم، "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار"، ج1، ص 264 وعلق عليه: أخرجه الحاكم من حديث سلمان رفعه.

² المصدر نفسه، ج11، ص 6820، وينظر: البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبد الله بن سلام - صلى الله عليه وسلم، ج8، ص 18، ر 3601

³ المصدر نفسه، ج7، ص 4823، ورواه الطبري في تفسيره، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج18، ص 543

الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءاً واحداً لرسالته ولما شاء من أمره¹. وفي تحديد الصلاة الوسطى استشهد بمجموعة أقوال للصحابة، ورجح أنها صلاة الصبح، فقال: "قال ابن عباس وأبو هريرة وابن عمر وأبو سعيد الخدري وعائشة وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وغيرهم: "الوسطى صلاة العصر" وروي ذلك عن النبي - ﷺ -².

وقال زيد بن ثابت وابن أبي ذئب: "هي الظهر". وروي ذلك عن ابن عمر³. وروي أن النبي - ﷺ - كان يصلي في الهجرة والناس في هاجرتهم، فلا يجتمع إليه أحد، فتكلم في ذلك فأنزل الله: ﴿وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَى﴾ البقرة: 238، يريد الظهر⁴. وقال قبيصة بن ذؤيب: "هي المغرب لكونها بين الليل والنهار"⁵.

وقال جابر بن عبد الله وعطاء وعكرمة: "هي الصبح لكونها أيضاً بين الليل والنهار". ولقوله: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ البقرة: 238. والقنوت إنما يكون في الصبح. وهو أيضاً مروى عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وهو قول الربيع وعبد الله بن شداد بن الهاد، وروي ذلك عن مجاهد، وهو قول مالك. وهو قول أبي أمامة الباهلي وزيد بن أسلم وعبد الله بن عمر⁶. وقد تظاهرت الأخبار عن النبي - ﷺ - أنها العصر"⁷.

وفي مجال القراءة استشهد بقراءة عبد الله ابن عباس وعبد الله ابن مسعود - ﷺ -، في تبين حكم السعي، ورجح رأيه وضعف القراءة المروية عن الصحابة - ﷺ - في حكم السعي، فقال: "والطواف بين الصفا والمروة عند مالك والشافعي فرض، فمن نسي ذلك رجع وسعى، وإن بعد، فإن كان قد أصاب النساء، فعليه عمرة وهدى مع تمام سعيه إذا رجع. ومذهب الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف أن يجزيه دم إن نسي السعي بينهما، ولا عودة عليه إلا أن يشاء ذلك. وقال عطاء: "هو تطوع

¹ مكّي، الهداية، ج7، ص 4742، رواه الطبري في تفسيره، ينظر: "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج18، ص 424

² الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص214 من الرسالة.

³ ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تنمة مسند الأنصار، ج36، ص 126، 21792، وعلق المحقق: إسناده ضعيف لانقطاعه.

⁴ رواه الطبري، ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج5، ص 199

⁵ رواه الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص 214

⁶ رواه الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص 215، وهي أقوال كثيرة ومختلفة في تحديد الصلاة الوسطى أوردها الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، ورجح أنها صلاة العصر، والله أعلم.

⁷ مكّي، الهداية، ج1، ص 800

ولا شيء عليه إذا نسي ذلك ". واحتج بأن في قراءة ابن عباس: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما". وكذلك هي في مصحف ابن مسعود. وكذلك روي عن أنس بن مالك أنه قال: " هو تطوع ". وروي ذلك عن مجاهد. والعمل على القول الأول لإجماع المصاحف المعمول عليها، المجتمع على ما فيها من إسقاط " لا " منها كلها. وإيجابها عن ابن عباس أشهر وأوضح. والإسناد عن أنس ضعيف. وجميع من قرأ على مجاهد من الأئمة المشهورين لم ينقل عنه إلا بغير " لا " ¹.
 وخلاصة القول: إن مكي بن أبي طالب أكثر من أقوال الصحابة - ﷺ - في تفسيره وكانت خالية من الإسناد كعادته، وكما اشترط هذا في مقدمته، وكان غالبها في توضيح معنى أو شرح لفظ أو بيان حكم فقهي، أو ذكر قراءة معينة خاصة ببعض الصحابة كعبد الله بن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب - ﷺ - وغيرهم، وهي في الغالب قراءات شاذة يستعان بها في التفسير، وكذلك استشهد بأقوالهم في أسباب النزول وسرد الأخبار والقصص كما سنرى في المباحث اللاحقة - إن شاء الله -، واهتم أيضا بتفسير الصحابي عبد الله بن عباس - ﷺ - بالدرجة الأولى، لأنه ترجمان القرآن وله روايات متعددة في التفسير وقد أشرنا لها سابقاً، وتردد اسمه كثيراً في تفسيره، ونكتفي بهذا القدر من سرد الاستشهاد بأقوال الصحابة - ﷺ - في تفسير مكي لكثرتها وتعددتها حتى لا نطيل فيها.

المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين

بعد تعرضنا في المطلب السابق للتفسير بأقوال الصحابة - ﷺ -، ننتقل في هذا المطلب إلى التفسير بأقوال التابعين - ﷺ -، وهم الذين عاصروا الصحابة وأخذوا عنهم، وقد اختلف العلماء في حكم الرجوع لأقوال التابعي في التفسير عند عدم وجود التفسير بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة - ﷺ -، فمنهم من ذهب إلى عدم الأخذ بأقوالهم مطلقاً، لأن التابعي ليس مثل الصحابي، فلم يعاشروا التنزيل ولم يسمعوا من الرسول - ﷺ -، وعدلتهم غير منصوص عليها كعدالة الصحابي، ونقل عن أبي حنيفة أنه قال: " ما جاء عن رسول الله - ﷺ - فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال " ². ومنهم من ذهب إلى أن قول التابعي حجة في التفسير ويؤخذ به، وهناك شروط وأحكام لأقوالهم، وهي مسألة خلافية لا يسعني المقام لبسطها هنا، ولكن أقول أن تفسير التابعي حجة، وهو الراجح - إن شاء الله -؛ لأن كبار المفسرين

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 526، والأثر سبق تحريجه، ينظر: ص208 من الرسالة.

² ينظر: الذهبي: مُجَدِّدُ حَسِينِ، " التفسير والمفسرون "، ج1، ص96

مثل ابن جرير الطبري وابن كثير ومفسرنا مكي - كما سنرى - أخذوا بأقوالهم في التفسير هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنهم عاشوا في أحسن القرون حيث قال رسول الله - ﷺ -: " خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانُهُمْ، وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَاتُهُمْ " ¹. وكذلك كانوا مصاحبين لأصحاب الرسول - ﷺ -. وينقلون عنهم ما رووه عنه، وكانت تركيبتهم من الصحابة أنفسهم، وعاشوا في فترة كانت الدولة الإسلامية لم يدخلها التبديل والتحرير بعد، ومن خلال دراستي لتفسير مكي بن أبي طالب وجدته أكثر من تفسير التابعين، وترددت أسماءهم في تفسيره، خصوصاً الكبار منهم أمثال: مجاهد بن جبر، وقتادة بن دعامة السدوسي، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة مولى ابن عباس، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وعطاء الخرساني، ومسروق الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية، وأبو مالك - ﷺ - وغيرهم كثير، ونظراً لمكانة تفسير التابعي، فقد استشهد مكي بن أبي طالب بأقوالهم إذا لم يكن هناك تفسير من القرآن أو السنة أو قول للصحابي، وكانت أقوالهم عارية من الإسناد كعادته، وكانت مثل أقوال الصحابة يأتي بها لبيان معنى أو ذكر قراءة أو بيان حكم فقهي، أو سبب نزول أو سرد أخبار وقصص أو لتدعيم رأيه في التفسير بأقوالهم مع أقوال الصحابة - ﷺ -. وسأذكر أمثلة توضيحية من تفسيره لما قلته، ومن ذلك عند تفسيره لمعنى "أوابين" في قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ غَفُورًا ﴾ ﴿٢٥﴾ الإسراء: ٢٥، أورد عدد من الأقوال للصحابة والتابعين - ﷺ - في بيانها، ثم رجح الرأي اللغوي لها، فقال: ﴿ فَإِنَّهُ وَكَانَ لِلأَوَابِينَ غَفُورًا ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: للثوابين بعد الهفوة "غفوراً" أي: ساتراً لذنوبهم إذا تابوا منها. قال ابن جبيرة في قوله: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ الإسراء: ٢٥. هي المبادرة: تكون من الرجل إلى أبويه بذلك إلا الخير. وقال ابن عباس: " للأوابين " المسبحين. وقيل: هم المحسنون المطيعون. روي ذلك عن ابن عباس أيضاً. وقال قتادة: هم المطيعون، أهل الصلاة. وقال ابن المنكدر: هم المصلون بين المغرب والعشاء. وقال عون العقيلي هم الذين يصلون صلاة الضحى. وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب ثم

¹ مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، كتاب فضائل الصحابة - ﷺ -.، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ج4، ص 1964، ر2534

يذنب ثم يتوب. وقال ابن جبير: هم الراجعون إلى الخير. وقال مجاهد: هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء فيتوبون منها. وأصل "آب إلى كذا"، "رجع إليه" فكأنهم الراجعون من معصية الله - ﷻ - إلى طاعته. ومن "آب الرجل من سفره"، أي: "رجع". و"أواب" فعال من "آب". و"الأوبة" "الرجعة منه"¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ

لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ المائدة: ٣٢، بين حكم قراءة الحسن في الآية ووجهها، واستشهد بقول ابن عباس ومجاهد في ذكر الحكم الفقهي للآية، فقال: "قرأ الحسن: "أو فساداً" بالنصب، على معنى: أو "تحمل فساداً"، ويجوز أن يكون مصدرًا على معنى: "أو أفسد فساداً". و قراءة الجماعة بالخفض على معنى: "أو بغير فساد في الأرض".

ومعنى الآية: من أجل هذا القتل كتبنا - أي: حكمنا - على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا ظلما - لم تقتل نفساً - أو قتلها بغير فساد كان منها في الأرض، وفسادها: إخافة السبل. وقوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢. قال ابن عباس: معناه من قتل نبيا أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أعان نبياً أو إماماً عدلاً فنصره من القتل، فكأنما أحيا الناس جميعاً. وقيل المعنى: من قتل نفسا بغير ذنب فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها - أي: ترك قتلها مخافة الله، فكأنما أحيا الناس جميعاً. وقيل المعنى: فكأنما قتل الناس عند المقتول، ومن استنقذ نفساً من هلكة فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ. وقيل: المعنى: أن صاحب القتل يصلى النار، فهو بمنزلة من قتل الناس جميعاً، ومن سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعاً. وقال مجاهد: معناه أنه يصير إلى جهنم بقتل نفس كما يصير إليها بقتل جميع الناس. وقيل: المعنى أن من قتل نفساً، يجب عليه من

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 4182، و ينظر هذه الآثار كلها في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج17، ص 423

القصاص والقود كما يجب على من قتل الناس جميعاً، قال ذلك ابن زيد عن أبيه. وقيل: معنى "من أحيائها": من عفا عمن يجب عليه القصاص، فهو مثل من عفا عن جميع الناس لو وجب له عليهم قصاص. قال ابن زيد أيضاً: "من أحيائها": من عفا عنها، أعطاه الله من الأجر مثل لو عفا عن الناس جميعاً. وعن مجاهد: من أحيائها من غرق أو حرق أو هلكت. قال الحسن: وأعظم إحيائها: إحيائها من كفرها وضلالتها. وقيل: المعنى يعذب - كما يعذب قاتل الناس جميعاً - من قتل نفساً، ويؤجر من أحيأ نفساً - أي: استنقذها - كما يؤجر من أحيأ الناس جميعاً. وقيل: المعنى هو: في الجرأة على الله والإقدام على خلافه كمن قتل الناس جميعاً، تشبيهاً لا تحقيقاً، لأن عامل السيئة لا يجزي إلا بمثلها. وقوله: "فكأنما أحيأ الناس" هذا يعطى من الأجر مثل ما يعطى من أحيأ الناس جميعاً، لأن الحسنات تضاعف ولا تضاعف السيئات، فهذه حقيقة والأول على التشبيه لا على الحقيقة"¹.

وعند ذكره الخلاف في نزول سورة الفاتحة، هل هي مكية أو مدنية استشهد بقول عبد الله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء، ورجح نزولها بمكة، فقال: "سورة الحمد مكية في قول ابن عباس. وقيل: بل هي مدنية. وهو قول مجاهد. واستدل من قال: إنها مكية، أن بمكة فرضت الصلوات بإجماع، ومحال أن تفرض الصلوات، ولا ينزل ما هو تمامها وبه قوامها. وهي سورة الحمد، لقول النبي - ﷺ - من الخبر الثابت: "كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ"². قالها ثلاثاً. والخدج النقص. فغير جائز أن تفرض علينا الصلوات، ولا ينزل ما يزيل عنها النقص. ويدل على ذلك أيضاً ما ذكر أهل التاريخ في حديث طويل لخديجة زوج النبي - ﷺ - مع ورقة بن نوفل أن جبريل - ﷺ - قال للنبي - ﷺ - أول ما خاطبه بالوحي: "قل:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، ثم قال له: قل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ الفاتحة: ٢، حتى انتهى إلى آخرها، ثم قال له: قل "آمين". فقالها النبي - ﷺ - -"³. فهذا يدل

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1688 و ينظر هذا الخلاف وأقوال السلف وغيرها في تفسير هذه الآية عند الطبري، الطبري:

أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج10، ص 232

² الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص 206 من الرسالة.

³ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ينظر: ابن أبي شيبة: أبو بكر العبسي، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1، 1409، كتاب صلاة التطوع والإمامة وأبواب متفرقة، ما ذكروا في آمين، ومن كان يقولها، ج2، ص 187، ر7961

على نزولها بمكة. وهو قول سعيد بن جبير أيضا وعطاء¹. وفي تفسير معنى البعل في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(١٢٥) الصافات: ١٢٥، أورد أقوال التابعين - رضي الله عنه - في معنى "البعل"، فقال مكي: "والبعل: الرب لغة أهل اليمن مشهورة، قاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي"². وعند تبين "حكم العقيدة" أورد قول الحسن البصري - رضي الله عنه -، ولم يرجحه فقال: "وقال الحسن البصري: العقيدة واجبة، وهي عند مالك وأكثر العلماء مثل الضحية، مندوب إليها"³. وفي ذكر أخبار لقمان الحكيم أورد قول سعيد بن المسيب وغيره من التابعين - رضي الله عنه - وكلها أقوال متضاربة، ولم يعلق عليها، فقال: "قال مجاهد: كان لقمان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً. وروي عنه أنه كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضياً على بني إسرائيل. وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان أسوداً من سودان مصر. وقال ابن عباس: كان عبداً حبشياً. وروي أنه كان في وقت داود. وعن عكرمة أنه قال: كان نبياً. قال مجاهد: الحكمة التي أوتي لقمان: الفقه والعقل، والإصابة في القول في غير نبوة. وقال قتادة: الحكمة التي أوتي: الفقه في الإسلام. قال قتادة: لم يكن نبياً ولم يوح إليه. وعن مجاهد: أن الحكمة التي أوتي: القرآن"⁴. ونكتفي بذكر آراء التابعين في تفسير مكي، ونستطيع أن نقول: إنها أكثر من غيرها في تفسيره، وكانت هذه الأقوال غير معزوة النقل، وقد أكثر منها مكي بشكل كبير، وكان يذكرها إلى جانب أقوال الصحابة والفقهاء كمالك والشافعي وغيرهم، والمفسرين كابن جرير الطبري وغيرهم، وفي نظري كان لا يرجح بها، بدليل أنه يذكر أقوالاً مختلفة متضاربة لهم، ولا يعلق عليها أدنى تعليق - كما أشرنا في الأمثلة السابقة - وكأنها أقوال محتمة في التفسير، ويوردها استئناساً بها واستشهاداً لها في التفسير لا على سبيل الجزم والقبول، مما يرجح التأكيد على مسألة الخلاف في حجية قول التابعي في التفسير، هل هو حجة أم لا؟ وهذا ما لمستته في تفسير مكي؛ من ذكر أقوالهم دون تعليق، وهذا النقل عن التابعين يعتبر من التفسير بالمأثور لأنهم تتلمذوا للصحابة - رضي الله عنهم -، وتقدموا في الزمن، وأنهم أقرب إلى زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غيرهم، والله أعلم.

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 78

² المصدر نفسه، ج 9، ص 6150

³ المصدر نفسه، ج 9، ص 4879

⁴ المصدر نفسه، ج 9، ص 5719، وينظر هذه الآثار عن التابعين وغيرهم في معرفة لقمان الحكيم في تفسير الطبري، ولم

يرجح من يكون؟ ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج 20، ص 136

المطلب الخامس: تفسير القرآن بالإسرائيليات وموقفه منها

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، وهي نسبة لبني إسرائيل، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، وإسرائيل هو النبي يعقوب - عليه السلام -، وبنو إسرائيل هم أبنائه ومن تناسلوا منه فيما بعد¹. مع ملاحظة أن لفظ الإسرائيليات لا يطلق فقط على ما نسب لليهود، وإنما يشمل كل الأخبار المروية عن اليهود والنصارى، وإنما تغليب الجانب اليهودي على النصراني فقط، قال الدكتور الذهبي: "لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أننا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمّل، فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية. وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ "الإسرائيليات"، من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذى اشتهر أمره فكثرت النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجاً. كان لليهود ثقافة دينية، وكان للنصارى ثقافة دينية كذلك، وكلتا الثقافتين كان لها أثر في التفسير إلى حد ما"². ومبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير ظهر في عهد الصحابة - رضي الله عنهم -، وذلك لاتفاق القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل والقصص والأخبار المشتركة، مع فارق الإيجاز في القرآن والإطناب في التوراة والإنجيل، وقد أسلم كثير من الصحابة - رضي الله عنهم -، وكانوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيره، ثم انتشر النقل في عصر التابعين والعصور اللاحقة، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب إلى الإسلام، وظهر جماعة من المفسرين أكثر الحشو والنقل من الروايات الإسرائيلية دون دقة وتمحيص، فوقعوا في المنكرات والغريب والأوهام مما لا يتصوره النقل والعقل، من الطعن في الأنبياء والتناقض في الأخبار والخرافات وغيرها، لأن هذه الكتب المقدسة - التوراة والإنجيل - قد دخلها التحريف والتبديل، وهذا ما كان له أثر سيء في التفسير فيما بعد، وأفقدت كتب التفسير قيمتها الحقيقية، ودخل الشك في كثير من الأخبار والقصص المروية عنها، وتفنن أعداء الإسلام في ذلك. وظهر علماء طعنوا في هذه الروايات، وجعلوا لها ضوابط وشروط حتى تقبل في التفسير، ومنهم من رأى عدم الاستشهاد بها مطلقاً، ونحن لا نريد أن نتوسع في هذا المبحث الطويل العريض، فقد

¹ ينظر: الذهبي: محمد حسين، "الإسرائيليات في التفسير والحديث"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 4، 1990م، ص 13

² الذهبي: محمد حسين، "التفسير والمفسرون"، ج 1، ص 121

أفرد لها العلماء كتباً خاصة به¹، وإنما بقدر ما يهمننا ما نقله مكي بن أبي طالب في تفسيره، فنجده - رحمه الله -، قد انساق وراء الروايات الإسرائيلية وأكثر منها في تفسيره، دون أدنى إشارة إلى ضعفها وبطلانها والرد عليها، وإنما ينسبها فقط لقائلها، وسنعطي بعض النماذج على ذلك في تفسيره وهي كثيرة جداً:

1. قصة هاروت وماروت: ففي هذه القصة، أورد مكي - رحمه الله - روايات إسرائيلية متعددة في تفسيرها عن ابن عباس وقتادة والزهري، ولم يعلق أدنى تعليق على بطلانها أو ردها، فقال: "قال ابن عباس: " كان سبب محنة سليمان - عليه السلام - أن أهل امرأة له يقال لها "جرادة" اختصموا إليه مع خصماء لهم فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل "جرادة" فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً. وكان سليمان - عليه السلام - إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يقضي حاجة أعطى خاتمه لجرادة، فلما أراد الله منه ما أراد جاء الشيطان يوماً في صورة سليمان إلى جرادة فقال: ها هي الخاتم. فأخذه فلبسه فدانت له الشياطين والجن والإنس. فلما جاءها سليمان يطلب الخاتم، قالت له: كذبت لست سليمان فعرف سليمان أنه ابتلي، فعند ذلك كتبت الشياطين سحراً ودفنوه تحت الكرسي، وأخرجوه بعد موته، فضل الناس به، وتبرأ كثير منهم من سليمان - عليه السلام -".² فهذه الرواية من الإسرائيليات، وإن كانت منسوبة للصحابي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -، ونحن نعلم أن كثير من الروايات مكذوبة على هذا الصحابي ومنسوبة إليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أنها تتنافى مع عصمة الأنبياء - عليهم السلام -، وأتى مكي برواية ثانية في تفسير هذه القصة فقال: "وقال قتادة والزهري عن عبد الله: " كانا ملكين أهبنا إلى الأرض للحكم بين الناس فحاكمت إليهما امرأة فحافا، فأتيا ينهضان إلى السماء فلم يقدر، وخيّرنا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما ألا يعلما أحدا حتى يقولوا: ﴿إِنَّمَا

نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾ البقرة: ١٠٢".³ وروى أيضاً رواية أخرى فقال: "وروي عن ابن عباس في قصة الملكين: " أن الله تعالى أطلع الملائكة على أعمال بني آدم، فقالوا: يا رب

¹ مثل: الدكتور الذهبي في كتابه: (الإسرائيليات في التفسير والحديث)، وأبو شهبة في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)، ورمزي نعاغة في كتابه (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير) وغيرهم.

² مكي، الهداية، ج1، ص370

³ المصدر نفسه، ج1، ص372

هؤلاء بنو آدم الذي خلقته بيدك، وأسجدت له ملائكتك، وعلمته أسماء كل شيء يعملون بالخطايا. فقال الرب لهم: أما إنكم لو كنتم مكانهم لعلتم مثل أعمالهم. قالوا: سبحانك، ما كان ينبغي لنا. قال: فأمرنا أن يختاروا ملكين ليهبنا إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت فأهبنا إلى الأرض وأحل لهما كل شيء إلا الشرك والسرقه والزنا وشرب الخمر، وقتل النفس. قال: فما أشهرها حتى عرض لهما بامرأة، قد قسم لها بنصف الحسن، فلما أبصراها تعرضا لها، قالت: لا، إلا أن تشركا بالله شيئا، وتشربا الخمر وتقتلا النفس، وتسجدا لهذا الصنم. قالوا: ما كنا لنشرك بالله شيئا. فقال أحدهما للآخر: ارجع إليها. فقالت: لا، إلا أن تشربا الخمر، فشربا حتى ثملا، ودخل عليهما سائل فقتلاه. فلما وقعا فيما وقعا من الشر، أفرج الله للملائكة السماء لينظروا إليهما فقالوا: سبحانك أنت أعلم. فأوحى الله تعالى إلى سليمان بن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا¹.

وهذه القصة وإن كانت منقولة عن التابعين كما قال مكي - رحمه الله -، ولكنها تتنافى مع عصمة الملائكة وهم كما وصفهم الله عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والله أعلم بصحتها، وقد ردها أغلب المفسرين منهم ابن كثير في تفسيره وغيره². وهنا يتبين لنا إكثار مكي بن أبي طالب من الروايات الإسرائيلية في تفسيره، حيث ذكر في هذه القصة - كما رأينا - عدة روايات ولم ينبه على صحتها أو بطلانها.

2 - قصة يوسف: أورد مكي روايات متعددة عن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ كَذَلِكَ لِصَّرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يوسف: ٢٤، وكلها من الإسرائيليات ولا أساس لها من الصحة، وكان كعادته لم يعلق عليها، ولم يبين وجه الصواب في تفسيرها، ومن ذلك قوله: "قال السدي: قالت له: يا يوسف ما أحسن عينيك!، قال: هي أول ما يسيل إلى الأرض من جسدي. قال: فلم تزل به حتى أطعمته، فهمت به، وهم بها، فدخل البيت وغلقت الأبواب، وذهب ليحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب،" قائما في

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 374

² ينظر تفسير القصة عند ابن كثير وتعليقه على هذه الروايات الإسرائيلية الشنيعة، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم"، ج1، ص32

البيت " قد عض على إصبعه يقول: يا يوسف توقعها، فإنما مثلك ما لم توقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق. ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات وقع في الأرض، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. ومثلك إذا لم توقعها مثل الثور الصعب، لا يعمل عليه. ومثلك إذا واقعتها مثل الثور حين يموت، فيدخل النمل في أصول قرونه، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله وذهب، ليخرج يشند، فأدركته، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه، فخرقته حتى أخرجته منه، وسقط، وطرحه يوسف، واشتد نحو الباب"¹. وقال مكي في روايات أخرى: "وقيل: رآه جبريل، - ﷺ -، قائلاً له: يا يوسف جعل الرحمن اسمك في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء!. لئن واقعت الخطيئة، ليمحونك من ديوان النبوة. وقال ابن أبي مليكة عن ابن عباس: نودي: أيا يوسف أتزني! فتكون مثل الطير الذي تنف ريشه، وذهب يطير فلم يستطع. وقيل: ركضه جبريل - ﷺ -، بعد النداء ركضة في ظهره، فلم تبق فيه شهوة إلا خرجت. فوثب واستبقا الباب، وتطايرت مسامير الباب، فلم تقدر أن تغلقه عليه. فتعلقت به، فقدت قميصه من دبر. وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: همَّ يوسف أن يحل التكه، فقامت إلى صنم مكلل بالدرر، والياقوت، فسترته بثوب أبيض، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على هذه الصورة. فقال: أتستحين من صنم لا يعقل، ولا يسمع، ولا يأكل، ولا يشرب، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت، والله لا تنالها مني أبداً. وقيل: رأى في جدار البيت مكتوباً:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) ﷻ الإسرائ: ٣٢"².

وكل هذه الروايات التي ذكرها مكي تتنافى مع عصمة الأنبياء - ﷺ -، وهي مختلقة مكذوبة، والغريب في الأمر أن مكي بن أبي طالب - رحمه الله - مع جلاله قدره ورسوخه في العلم، ساق هذه الروايات وكأنها حقيقة، بدليل قوله بعد سياق هذه الروايات: "وقال أهل العلم: إنما ابتلى الله أنبياءه بالخطايا، ليكونوا على وجل وإشفاق، ولا يتكلوا على سعة عفو الله - ﷻ -". وقيل: بل ابتلاهم بذلك، ليعرفهم موضع نعمته عليهم، بصفحة عن ذنوبهم"³، والله أعلم بذلك.

¹ مكي، الهداية، ج5، ص 3538

² المصدر نفسه، ج5، ص 3541

³ المصدر نفسه، ج5، ص 3543

والقرآن الكريم أشار وأكد على براءة يوسف وعصمته من الفاحشة، بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ يوسف: ٣٣، وكذلك الشاهد من أهلها في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ٢٦، وإن كان قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ٢٧، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ ٢٨ يوسف: ٢٦ - ٢٨، وظاهر الآيات في القصة تنزهه - ﷺ - عن فعل الفاحشة، وأنها لا تليق بمقام الأنبياء والمرسلين - ﷺ -، والله أعلم.

وخلاصة القول في الروايات الإسرائيلية، أن مكي بن أبي طالب أكثر منها في تفسيره، وكانت غالبية عليه دون إسناد كعاداته، ولم يعرض عن ذكرها، ولولا خوف الإطالة لذكرت نماذج كثيرة منها، وتعرض لها في شتى الأخبار والقصص وغيرها، وكانت منقولة عن الصحابة والتابعين - ﷺ - في تفسيره، وهذا لا يدل على صحتها بدليل الروايات الضعيفة والموضوعة والمختلقة في ذلك، ويذكر روايات متعددة للقصة الواحدة - كما ذكرنا سابقاً - وكان يسردها دون التصدي لها، وأحياناً يذكر أقوالاً تدل على موافقته لها، وكان الأحرى به - رحمه الله - أن يبين زيفها وبطلانها ويحذر منها، وأن لا يكثر النقل في تفسيره منها دون تعقيب عليها، كما فعل بعض المفسرين أمثال ابن كثير وغيره، وهذا يُعد من المآخذ على تفسيره.

المبحث الثاني: منهج المفسر في القراءات

إن علم القراءات من أجل العلوم المهمة التي يجب على المفسر معرفتها، لما لها من أهمية في بيان أوجه متعددة لتفسير آيات القرآن الكريم، ومفسرنا مكي بن أبي طالب أشتهر بهذا العلم، وله باع طويل في معرفته، واشتهر بالقراءات أكثر من التفسير، فهو مثل الداني وابن الجزري وغيرهم من علماء القراءات وله مؤلفات متعددة، وكنت أنوي تخصيص فصل كامل للقراءات في تفسيره إلا أنني وجدت رسائل جامعية وأبحاثاً متعددة على مؤلفاته المختلفة في القراءات، وعلى القراءات في تفسيره الهداية، وشخصيته بين القراء، وكان يحيل في تفسيره على مؤلفاته في القراءات، فاكتمت بهذا المبحث، حيث أستعرض منهجه في القراءات القرآنية وتوجيهه لها من خلال مطالب متعددة.

المطلب الأول: القراءات في تفسير مكي

تعتبر القراءات من العلوم المهمة في التفسير بكل أنواعها، سواءً كانت سبعة أم عشرية أم شاذة، وهذا لما لها من دور في فهم المعاني، وتقريب التفسير، ولقد اهتم بها العلماء منذ القدم، فألفوا فيها الكتب واعتنوا بها، خدمة للقرآن الكريم والتفسير.

ولعلم القراءات تعريفات عديدة، أحسنها تعريف ابن الجزري: "هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً لناقله".¹

وموضوع هذا العلم هو كلمات القرآن، من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها، وتكون مستمدة من الرواية الصحيحة والمتواترة عند علماء القراءات، والمتصلة بالرسول - ﷺ -، وهذا بالنسبة للقراءة الصحيحة أما الشاذة فتختلف عن القراءة الصحيحة ولها ضوابط مفصلة في علم القراءات، وأفردها كثير من العلماء بمؤلفات خاصة مثل: (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لابن جني وغيره. والقرآن واحد، ولكن القراءات تختلف، لأن القرآن نزل على سبعة أحرف، وتلقاه الصحابة عن الرسول - ﷺ - بهذا الاختلاف، ثم انتشر القراء من الصحابة - ﷺ - في شتى الأقطار الإسلامية بعد الفتوحات، وأصبح لكل جهة قراءة خاصة بها؛ كقراءة أهل العراق وأهل الشام تبعاً للصحابي الذي حل بها، كعبد الله بن مسعود في العراق، وأبي الدرداء في الشام، وغيرهم، وأخذها التابعون عن الصحابة بهذا الاختلاف، وهكذا إلى أن وصل الأمر إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا بالقراءات، وانقطعوا لها ينشرونها ويضبطونها، وهكذا ظهر علم القراءات.

¹ الجزري: أبو الخير، "منجد المقرئين ومرشد الطالبين"، دار الكتب العلمية بيروت، ط:1، 1420هـ - 1999م، ص9

وقد اشترط العلماء ثلاثة شروط للقراءة الصحيحة:

1- صحة السند.

2- موافقة الرسم العثماني

3- موافقتها لوجه من وجوه اللغة العربية.

وقد جمع هذه الشروط ابن الجزري بقوله:¹

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوٍ وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا: هُوَ الْقُرْآنُ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ
وَحَيْثُمَا يَجْتَلَى رُكْنٌ، أَثْبِتَ شُدُودَهُ لَوْ أَنَّ فِي السَّبْعَةِ

وكلما اختلف شرط من هذه الشروط تصبح القراءة شاذة، وهذا هو الفرق بين القراءة الصحيحة والشاذة.

والقراءة الشاذة لا تعتبر قرآناً، وإن كانت صحيحة في نفسها، ولا تجوز قراءتها في الصلاة، ولا التعبد بتلاوتها، ولكن يجوز تعلمها والاستعانة بها في التفسير واللغة والإعراب وتوجيه القراءة الصحيحة²، وتساعدنا في فهم معنى الأحرف السبعة، وكذلك استنباط الأحكام الفقهية، وهي حجة عند الأصوليين في استنباط الحكم الشرعي³. وعندما تختلف القراءات ينتج عنه اختلاف في المعنى، فلذلك يعتني بعض المفسرين بتوجيه القراءات الصحيحة والشاذة حتى يسهل عليه استنباط الأحكام اللغوية والفقهية والتفسيرية، لأنه عندما تختلف القراءات، ينتج عن هذا الاختلاف اختلاف معنى الآية، ويعتبر توجيه القراءات فناً من الفنون، قال الزركشي: "وهو فن جليل، وبه تعرف جلاله المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتباً، منها كتاب (الحجة) لأبي علي الفارسي، وكتاب (الكشف) لمكي، وكتاب (الهداية) للمهدوي، وكل منها قد اشتمل على فوائد، وقد صنفوا أيضاً في توجيه القراءات الشاذة، ومن أحسنها كتاب (المحتسب) لابن جني، وكتاب

¹ ابن الجزري: أبو الخير محمد، "طيبة النشر في القراءات العشر"، ت: محمد تميم الزغي، دار الهدى، جدة، ط:1، 1414 هـ - 1994 م ص32.

² مثل قراءة عبد الله بن مسعود "أو يكون لك بيت من ذهب"، بدل القراءة الصحيحة، ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ﴾ الإسراء: ٩٣، حيث فهم العلماء معنى الزخرف: "الذهب" بهذه القراءة الشاذة، وغيره كثير.

³ ينظر: مفلح: أحمد القضاة وآخرون، "مقدمات في علم القراءات"، دار عمار، عمان، ط:1، 2001م، ص 75، بتصرف.

أبي البقاء، وغيرهما. وهذا التوجيه لا يسقط القراءة المتواترة مع أختها إلا إذا كانت القراءة شاذة فترجح المتواترة على الشاذة، وقال الكواشي: " أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء؛ وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى وهذا غير مرضي، لأن كليهما متواترة"¹. ونكتفي بهذا التعريف في علم القراءات حتى لا نطيل، وهناك كتب متخصصة في التعريف به ونشأته ودراسات شاملة لكل ما يحيط به، وهي كثيرة لا تحصى في القراءات الصحيحة والشاذة.

والناظر في تفسير مكي يجده قد اهتم ببعض المصطلحات الخاصة بعلم القراءات، وذكر ما يخص هذا العلم أثناء تفسيره كالأحرف السبعة وجمع عثمان - رضي الله عنه - وكتابة المصحف، وغيرها من المسائل المرتبطة به، بالإضافة إلى اهتمامه بمختلف القراءات الصحيحة والشاذة، وضمّن تفسيره كثيراً من توجيهاتها، والسبب يعود لتمكّنه في هذا العلم، وله مؤلفات كثيرة فيه، حتى عرف بأنه مقرئ قبل أن يكون مفسر، ولما للقراءات من قيمة كبيرة في معرفة تفسير القرآن. واعتمد مكي في تفسيره على رواية ورش عن نافع، وهي التي كانت منتشرة في المغرب العربي والأندلس وإلى يومنا هذا، وجاء في مقدمة التحقيق لجامعة الشارقة: "وحرصاً من مجموعة الكتاب والسنة على إخراج الكتاب أقرب ما يكون إلى غاية المؤلف وهدفه - رحمه الله ورضي عنه - فقد حرصنا أن تكون الآيات القرآنية بالرسم العثماني وعلى رواية ورش عن نافع، حيث اعتمدها المؤلف"². ، وسنرى طريقته العامة في إيراد القراءات في تفسيره في المطالب القادمة إن شاء الله.

المطلب الثاني: تطرقه لمسائل خاصة بعلم القراءات

لقد أشرنا سابقاً إلى لمحة موجزة عن نشأة علم القراءات، والمراحل التي مرّ بها، ومدى اهتمام مكي بها في تفسيره (الهداية)، ونحاول في هذا المطلب التطرق لبعض قضايا هذا العلم؛ حيث أوردتها مكي في تفسيره ووقف عندها كثيراً، ومن ذلك الأحرف السبعة وجمع القرآن في عهد عثمان وكتابة المصحف، والوقف وغيرها، ونحاول تسليط الضوء عليها كما أشار لها مكي في تفسيره، وهي تختص بعلم القراءات، ومن الطبيعي أن يتعرض لها فيه تفسيره؛ لأن له اليد الطولى في هذا العلم وعُرف به، وعقد أبواباً في تفسيره لذلك؛ حيث لاحظت أن مكي بن أبي طالب يتوقف عن

¹ الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين، " البرهان في علوم القرآن"، ت: مُجّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط:1، 1376 هـ - 1957 م، ج 2 ص 157.

² مكي، الهداية، ج 1، ص 3

التفسير ويقول: "هذا باب بيان كذا"، ويشرح ويعلل ثم يعود للتفسير من جديد، مما يدل على اهتمامه البالغ وتضلعه في هذا العلم، رغم المؤلفات المتنوعة له فيه¹، ونورد بعض الأمثلة على ذلك:

1 - مسألة خطوط المصاحف واختلافها فيما بينها: عقد مكي في تفسيره باباً خاصاً لهذه المسألة، وتوقف عن التفسير فقال: "وهذا باب في خطوط المصاحف في الحروف التي اختلف فيها القراء، من ذلك: قوله في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ البقرة: ١١٦، هي في مصاحف أهل الشام بغير " واو "، وفي سائر المصاحف بـ: " الواو ". وفيها: ﴿ وَوَصَّى ﴾ البقرة: ١٣٢، هي في مصاحف المدينة والشام بـ: " ألف " وفي سائر المصاحف بـ: " الواو " بغير ألف. وفي آل عمران: ﴿ وَسَارِعُوا ﴾ آل عمران: ١٣٣، في مصاحف أهل المدينة، وأهل الشام بغير " واو "، وفي سائر المصاحف بـ " الواو ". وفي آل عمران أيضاً: ﴿ جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ ﴾ آل عمران: ١٨٤، بزيادة " باء " في " والزبر"، وفي سائر المصاحف بغير " باء " في " والزبر"، وكلهم حذفها من " وبالكتب ". وقد قرأ هشام بن عمار: " وبالكتب " بالباء، ولا أصل لهذه "الباء" في مصاحف أهل الشام ولا غيرهم. وفي النساء: ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ النساء: ٦٦، بألف في مصاحف أهل الشام، وبغير " ألف " في سائر المصاحف. وفي المائة في مصحف أهل مكة والمدينة والشام: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ المائة: ٥٣، بغير " واو "، وفي سائر المصاحف بالواو. وفي المائة أيضاً: ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ ﴾ المائة: ٥٤، بـ: " دالين "، وفي مصاحف المدينة والشام، وفي باقي المصاحف بـ: " دال " واحدة. وفي سورة الأعراف، في مصاحف أهل الشام: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ ﴾ الأعراف: ٤٣، بغير " واو "، وفي سائر المصاحف: "وما" بـ: " الواو ". وفيها: في قصة صالح: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ ﴾ الأعراف: ٧٥، بزيادة " واو"، في مصاحف الشام، وفي سائر المصاحف: "قال" بغير " واو ". وفي براءة ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ التوبة: ٨٩، بزيادة " من " في مصاحف مكة، وفي سائر المصاحف،

¹ ينظر مؤلفات مكي التي ذكرناها في المبحث الرابع: مصنفات مكي بن أبي طالب، ص 79

بغير " من ". وفيها: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا ﴾ التوبة: ١٠٧، بغير " واو "، في مصحف أهل الشام، وأهل المدينة، وفي سائر المصاحف: " والذين"، بزيادة " واو ". وفي سورة بني إسرائيل ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ الإسراء: ٩٣، ب: " ألف"، في مصاحف أهل مكة والشام، وفي سائر المصاحف: " قل"، بغير ألف. ¹. ونكتفي بهذا، فالباب طويل جداً، وفصل فيه مكّي جميع الاختلافات الواقعة في المصاحف التي بعث بها عثمان للأمصار، مع العلم أن مكياً قد تنقل كثيراً واشتهر بالترحال في جميع الأمصار مثل مكة والمدينة والشام ومصر والمغرب والأندلس كما ذكرنا في ترجمته ².

2 . مسألة سبب اختلاف القراء واختلاف المصاحف: عقد مكّي باباً لمعرفة سبب اختلاف المصاحف والقراء، ووقف عنده كثيراً، فقال: " وهذا باب آخر نذكر فيه سبب اختلاف القراء واختلاف هذه المصاحف: فكان سبب هذا الاختلاف، أن النبي - ﷺ -، قال: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ" ³، فكان من قرأ عليه من أصحابه بأي حرف قرأ تركه، ودل على ذلك حديث عمر مع هشام بن حكيم، إذ سمعه عمر يقرأ القرآن على غير ما قرأ هو على النبي - ﷺ -، فلما توجهها إلى النبي - ﷺ -، وتحاكما لديه، أجاز قراءة كل واحد منهما، وقال: " هكذا أنزل" ⁴. وكان اختلافها في أحرف من سورة الفرقان. فدل على أنه - ﷺ -، كان يترك كل واحد يقرأ على لغته، فإذا صح أنه كان يقرأ كل واحد على لغته، وصح عنه - ﷺ -، أنه كان يرسل أصحابه إلى البلدان، يعلمونهم القرآن والفقّه في الدين، وأنه وجه معاذ بن جبل إلى اليمن، وكان قد خلفه قبل ذلك، وأبا موسى الأشعري بمكة حين توجه إلى حنين لحر هوازن ليعلمنا من كان بها القرآن والعلم وبعث إلى الطائف مثل ذلك عثمان بن أبي العاص الثقفي. ثم توفي النبي - ﷺ -، وفتحت البلدان، فمضى على سيرته وزياره: أبو بكر وعمر؛ فوجه عمر ابن مسعود إلى الكوفة معلماً لهم، ووجه أبا موسى إلى البصرة مثل ذلك. وكان بالشام معاذ بن جبل، وأبو الدرداء. وكان بالمدينة جماعة من أصحاب النبي - ﷺ -، من أهل حفظ القرآن منهم: أبي بن كعب، وزيد بن

¹ مكّي، الهداية، ج4، ص 3112

² ينظر: ص18 من الرسالة، ومن أراد التعمق، فيرجع إلى تفسير الهداية لمكّي، ومؤلفاته المختلفة في علم القراءات.

³ البخاري: مُجَدِّد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ج6، ص

184، ر4992

⁴ المصدر نفسه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ج6، ص 184، ر4992

ثابت، فكان كل واحد يقرئ في موضعه بحرف من السبعة التي أمر الله - ﷻ -، بها نبيه - ﷺ - . فلما انتشر ذلك في البلدان، وتعلم الناس، وسافروا من كل بلد وتلاقوا في الغزوات، واجتمعوا في الموسم، قرأ كل قوم كما علموا، فأنكر بعضهم على بعض، الزيادة والنقص، والرفع والنصب، وكذب بعضهم بعضاً، وعظم الأمر فيهم، وذلك في أيام عثمان.¹ ونكتفي بهذا من تفسير مكّي، وخلاصة هذا الباب أنه تطرق فيه إلى قضية جمع القرآن في عهد الرسول - ﷺ - وأبي بكر وعثمان بالتفصيل، وكيف اصطلح عثمان على حرف قريش، وحرقت بقية المصاحف، والخلاف الذي حصل بين الصحابة - ﷺ - في ذلك، وبعث عثمان المصاحف إلى الأمصار مع الخلاف في عددها، هل هي أربعة أم سبعة وأنها كانت بغير نقط وشكل ثم عدلت فيما بعد وأصبحت بالنقط والشكل، وتعرض لمسألة الزيادة والنقص في المصاحف، وكيف هي في عصره الذي عاش فيه؛ بالنقط والشكل واختلاف الشكل بالأحمر على الحروف وغيرها. وأعطى رأيه في مسائل الخلاف كلها فيما يخص كتابة المصحف والزيادة والنقص واختلاف القراء وغير ذلك، ورأيه سديد؛ لأنه عالم بالقراءة مثل ابن الجزري والدايني وغيرهم، فرأيه أولى من غيره، ثم رجع للتفسير وواصل مسيرته مع تفسير القرآن.

3. مسألة الأحرف السبعة: من المعلوم أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن مسألة خلافية بين العلماء في معرفتها، لأنه ليس هناك نص من الرسول - ﷺ - أو الصحابة الكرام في المراد بها، ومكّي بن أبي طالب تعرض لها في تفسيره، ورجح رأيه في معرفة المقصود من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، فقال: ومعنى قول النبي - ﷺ -: " أنزل القرآن على سبعة أحرف"²، أي: على سبع لغات متفرقة في القرآن، لأن كل حرف من القرآن يقرأ على سبع لغات. قال الشيخ أبو بكر - ﷺ -: "وجه هذه الزيادة والنقص في المصاحف، أنها كتبت على قراءة من كان وجهه إلى كل بلد من الصحابة، ويدل على ذلك أن القراء يسندون قراءتهم إلى إمام مصرهم من الصحابة، وقد كانت هذه الحروف يقرأ بها على عهد رسول الله - ﷺ - وتنقص، ولولا ذلك ما أثبتت في بعض المصاحف وحذفت من بعض ولا يجوز أن يتوهم أنها وهم من الكاتب؛ لأن الله قد حفظه، ويدل على ذلك أن علياً لما صارت إليه الخلافة لم يغير منها شيئاً بل استحسّن فعل عثمان، وقد كانوا يكرهون النقط في المصاحف خوف الزيادة، فكيف يزيدون

¹ مكّي، الهداية، ج4، ص 3125

² الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص98 من الرسالة.

الحروف وتجاوز عليهم الزيادة. وكره النخعي الفصل بين السور، والتعشير، بالحمرة". وقال يحيى بن كثير: "كان القرآن مجرداً، فأول ما أحدث فيه العجم: نقط التاء والثاء، فلم ينكره أحد، ثم أحدثوا نقطا على منتهى الآية، ثم أحدثوا التعشير، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم". وقال قتادة: وددت أن الأيدي قطعت في هذه النقط. فليس يجوز على هذا الاحتياط أن تقع هذه الحروف إلا بنص ومعرفة، ولم تقع على وهم من الكاتب. وقد ذكر أبو بكر عن بعض العلماء أنه قال: إن أصحاب رسول الله - ﷺ -، لما جمعوا القرآن ونسخوه من عند حفصة في نسخ، عمدوا إلى كل حرف سمعوا رسول الله - ﷺ - قرأه على وجهين، فأثبتوا في مصاحف وجهها، وفي مصاحف وجهها آخر. ليحصل الوجهان للمسلمين، ولا يسقط عنهم وجه قراءته، فحصل على هذا الاختلاف في المصاحف على هذا الوجه، وهو داخل في السبعة، وهذا إن شاء الله هو الحق والصواب"¹.

4 - مسألة الوقف: وظف الإمام مكّي بن أبي طالب باعه الطويل في علم القراءات حيث بين أثناء تفسيره للقرآن بعض أوجه الوقف في القراءات وهو مما يختص بهذا العلم، ومن ذلك، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ البقرة: ٢٢، بين بالتفصيل خمسة أوجه للوقف على كلمة السماء في الآية فقال: "وفي الوقف على السماء المنصوبة خمسة أوجه:

- أولها: أن تقف على همزة ساكنة بعد مدة.
- والثاني: أن تروم حركة الهمزة وتمد.
- والثالث: أن تجعل الهمزة بين بين، وتروم الحركة وتمد.
- والرابع: أن تبدل من الهمزة أيضا ثم تحذفها لسكونها وسكون الألف التي قبلها ولا تمد.
- والخامس: أن تبدل أيضا وتحذف وتمد لتدل المدة على الأصل لأن الحذف عارض. وفي الوقف على بناء المنصوب أوجه:
- " بناء " بهمزة مفتوحة بعدها ألف، وقبلها ألف، فتمد قبل الهمزة مدا مشبعا، وبعدها مدا ممكنا، وعليه أكثر القراء.
- والثاني: أن تجعل الهمزة بين بين، وتمد. وهو مذهب حمزة في الوقف.

¹ مكّي، الهداية، ج4، ص 3133

- والثالث: أن تحذف الهمزة، وتحذف الألف لالتقاء ألفين، ولا تمد، فيصير بلفظ المقصور لغة للعرب، لم يقرأ به أحد.

- والرابع: أن تحذف الهمزة والألف على ما ذكرنا، وتمد لتدل على أن أصله المد.

- والخامس: أن تبدل من الهمزة ياء، فنقول " بنايا " لغة للعرب لم يقرأ بها أحد حكى عن العرب: " اشتريت مايا "، يريدون ماء يشبهونه بـ " خطايا ". وقد كان أصل خطايا، منقول من خطائي، ثم أبدلوا من الهمزة ياء.

وقد قال ابن كيسان: " لا يكتب هذا المثال إلا بألفين، وإن شئت بثلاث ألفات وهو الأصل

فيها. وكتب في المصاحف بألف واحدة اختصاراً¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَلِّ

بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ البقرة: ٢١١، وضح مكي طريقة كتابة كلمة "نعمة" في

القرآن مرة بالتاء ومرة بالهاء، وأحصى جميع الآيات الواردة في القرآن بذلك، ووضح الفرق بينهما،

وطريقة الوقف في القراءة، فقال: كتبوا في المصحف ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢١١، هاهنا

بالهاء، وكذلك في سائر القرآن إلا أحد عشر موضعاً كتبت بالتاء:

في البقرة: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٢٣١.

وفي آل عمران ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ آل عمران: ١٠٣.

وفي المائدة: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ١١.

وفي إبراهيم: ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ إبراهيم: ٢٨.

وفيها: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ إبراهيم: ٣٤.

وفي النحل: ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ النحل: ٧٢.

وفيها: ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ النحل: ٨٣.

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 187

وفيها ﴿ وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ النحل: ١١٤.

وفي لقمان: ﴿ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ لقمان: ٣١.

وفي فاطر: ﴿ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فاطر: ٣.

وفي: والطور: ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ الطور: ٢٩.

والأصل في جميعها التاء، ولكن من موقف بالهاء فإنما ذلك للفرق بين الأفعال والأسماء نحو " قامت " و " شجرة ". وقال سيبويه: فعل ذلك للفرق بين التاء الأصلية والملحقة والزائدة في " العنت " و " ألفت "، و " عفريت "، و " ملكوت " و " شجرة ". وهذه هي التاء الزائدة. ولغة طيء الوقف بالتاء. وقال الفراء: " من وقف بالتاء، أراد الوصل، ومن قف بالهاء أراد الوقف الصحيح ". وأنكر ذلك ابن كيسان وغيره. وكل ما كتب منه بالتاء، فمذهب المدنين الوقف بالتاء على ما في المصحف. ومذهب أبي عمرو والكسائي وخلف وابن كيسان الوقف بالهاء على الأصل المشهور وقد قال ابن كيسان: " من وقف بالتاء فإنما نوى أصلها لأن أصلها التاء " ¹.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران: ١١٩، وضح مكي طريقة الوقف الصحيح وخط رسم المصحف في ذلك فقال: " قال الأخفش والفراء وابن كيسان: الوقف بالتاء على " ذات " وهو خط المصحف، لأن التاء كأنها متوسطة. ومذهب الكسائي والجرمي أن تقف بالهاء، وهو اختيار أبي غانم، لأن هذا تأنيث الأسماء " ².

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿ الزمر: ١٧ - ١٨، بين مكي أقوال العلماء في الوقف على كلمة عباد، وكيف هي في رسم المصحف، فقال: روى أبو عبد الرحمن وأبو حمدون عن اليزيدي " عبادي " بياء مفتوحة في الوصل، وبغير ياء في الوقف اتباعاً للخط، وحكى ذلك أيضاً ابن واصل عن اليزيدي، وكذلك حكى إبراهيم بن اليزيدي وابن سعدان كلاهما عن اليزيدي. ولم يذكر ابن سعدان الوقف ولا

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 693

² المصدر نفسه، ج 3، ص 1628

إبراهيم. وأنكر أبو عبد الرحمن الوقف بغير ياء، وقال: لا بد من الوقف بالياء لتحركها. وقد روى الشموني عن الأعمش عن أبي بكر "عبادي" بياء مفتوحة¹.

وكذلك أنكر مكي الوقف على كلمة "عشيا"، في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ غافر: ٤٦ - ٤٧، فقال: "وأجاز أبو حاتم الوقف على "وعشيا"، وهو بعيد، لأن "ويوم تقوم الساعة" منصوب بيعرضون، أي: يعرضون على النار في الدنيا، يوم تقوم الساعة. ومن نصبه "بأدخلوا" حسن أن يقف على "وعشيا" وهو حسن. "والعذاب" وقف إن نصبت "وإذ يتحاجون" على معنى: واذكر إذ يتحاجون. وعليه التفسير وهو حسن جيد. وإن نصبته على العطف على ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ﴾ غافر: ١٨، لم تقف دونه، وهو بعيد لبعدهما. وقد قال به قوم².

5. مسألة الاختلاف في الحركات والمد والقصر والهمز وغيرها: تعرض مكي لهذه المسألة في تفسيره ووضح الإشكال في ذلك فقال: "فأما اختلافهم في الحركات والمد والقصر والهمز وشبهه من إبدال حرف مكان آخر بصورته، فإن السبب في ذلك أن المصاحف التي وجهت إلى الأمصار لم تضبط ولا نقطت، وإنما كانت حروفاً أشخاصاً. فلما خلت الحروف من النقط والضبط صارت الناء التي هي غير منقوطة محتملة لأن تكون: ياء أو باء أو تاء، واشتركت الصور في الحروف. ألا ترى أنك لو كتبت "لم يقم"، ولم تنقط الحرف الأول جاز أن يكون تاء، وباء، ونونا، فقرأ أهل كل مصر على ما كانوا تعلموا من إمامهم الصحابي قبل إتيان المصاحف إليهم، فقرأ أهل البصرة على ما كان علمهم أبو موسى الأشعري، وأهل الكوفة على ما علمهم علي، وابن مسعود، وأهل الحرمين على ما تعلموا من أبي وزيد، وأهل الشام على ما تعلموا من معاذ بن جبل وأبي الدرداء، ووافقوا بقرائهم خط المصحف الذي وجه إليهم، فقرأ هؤلاء بنصب وهؤلاء برفع، وهؤلاء بهمز،

¹ مكي، الهداية، ج10، ص 6319

² المصدر نفسه، ج10، ص 6443

وهؤلاء بياء، وهؤلاء بتاء والصور واحدة، كل قوم قرأوا على ما كانوا تعلموا قبل وصول المصحف إليهم، فوافقوا بقراءتهم المصحف الذي وجه إليهم من زيادة أو نقص. فهذا سبب الاختلاف"¹.

6 - تعرضه لبعض الشبهات التي أثرت حول علم القراءات: من المعلوم أن أعداء الإسلام حاولوا منذ زمن طويل الطعن في القرآن، وقالوا أنه تعرض للتبديل والتغيير والتحريف بعد وفاة الرسول - ﷺ - وأثاروا شبهات كثيرة في ذلك، ونجد مكي بن أبي طالب في تفسيره قد رد على بعضها، ومن ذلك في مسألة ترتيب السور، فعند حديثه عن عدم كتابة البسملة في سورة براءة، قال مكي: "وسورة براءة" من آخر ما نزل بالمدينة، ولذلك قل المنسوخ فيها. ويدل على ذلك أن ابن عباس قال لعثمان - رضي الله عنه -: ما حملكم على أن عمدتم إلى "الأنفال" وهي من المثاني، وإلى "براءة" وهي من المئين ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال: كان رسول الله - ﷺ -، تنزل عليه السور ذوات العدد، فإذا نزلت عليه الآية قال: "اجعلوها في سورة كذا وكذا"، وكانت "الأنفال" من أول ما نزل بالمدينة، وكانت "براءة" من آخر ما نزل، وكانت قصتها تشبه قصتها، ولم يبين لنا رسول الله - ﷺ -، في ذلك شيئاً، فلذلك فرق بينهما ولم يكتب بينهما سطر "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". وروي أن عثمان قال: ظننت أنها منها. وكانتا تدعيان في زمن رسول الله - ﷺ -: القريبتين، فلذلك جعلتهما في السبع الطوال"². ففي قول عثمان هذا: دليل على أن تأليف القرآن عن الله - ﷻ - وعن رسول الله - ﷺ - كان، ويدل على أن ترتيب السورة على ما في المصحف إنما كان على اجتهاد من عثمان وأصحابه، ألا ترى إلى قول ابن عباس له: ما حملكم على كذا وكذا؟ يدل على أنهم هم رتبوا السورة، وأن تأليف السور إلى تمام كل سورة كان على تعليم النبي - ﷺ - إياهم ذلك. وقد صح أن أبي بن كعب، وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، وأبا زيد عم أنس، كانوا قد جمعوا القرآن على عهد النبي - ﷺ -... فهذا يدل على أنه كان مؤلفاً؛ لأن هؤلاء لم يحفظوه إلا وهو مؤلف مرتب عن النبي - ﷺ - عن جبريل - عليه السلام -.. وقال أبي بن كعب: آخر ما نزل "براءة" وكان رسول الله - ﷺ - يأمر في أول كل سورة ب: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، ولم يأمر في سورة "براءة" بشيء،

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 3134

² ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، ج1، ص 460، 399، وعلق المحقق: إسناده ضعيف ومثته منكر.

فلذلك ضمت إلى سورة " الأنفال "، وكانت أولى بها لشبهها بها¹. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أعطيت السبع الطوال مكان التوراة وأعطيت المثين مكان الزبور، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وفضلت بالمفصل "².

فهذا الترتيب يدل على أن التأليف كان معروفاً عند رسول الله - ﷺ - وبذلك أتى لفظه، - ﷺ -³. وكذلك تعرضه لشبهة أن القرآن كان قد تفرق بعد وفاة الرسول - ﷺ - وضاع منه الكثير ثم أصطلح عثمان مع الصحابة - ﷺ - على تأليفه فرد هذه الشبهة، فقال: "معنى: ما روي: أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يجمع القرآن، وأنه ضم إليه جماعة، أنه إنما أمر بجمعه في المصحف ليرسل به إلى الأمصار، لا أنه كان غير مؤلف ثم ألفه، هذا ما لا يجوز، لأن تأليفه من المعجز، لا يكون إلا عن الله - ﷻ -. وقد قيل: إنما أمر بجمعه على حرف واحد؛ لأنهم كانوا قد وقع بينهم الخلاف لاختلاف اللغات السبعة التي بها نزل القرآن، فأراد عثمان أن يختار حرفاً واحداً، هو أفصحها ليثبتته في المصحف، وإنما خص عثمان زيد بن ثابت لجمعه دون غيره ممن هو أفضل منه؛ لأنه كان يكتب الوحي للنبي ﷺ. واختلف في الحرف الذي كتب عليه المصحف فقيل: حرف زيد بن ثابت. وقيل: حرف أبي بن كعب؛ لأن قراءته كانت على آخر عرضة عرضها النبي على جبريل - ﷺ -. وعلى الأول أكثر الرواة. ومعنى: حرف زيد، أي: روايته وطريقته "⁴.

وكذلك أثبت قضية تواتر القرآن وذكر أنه مروى عن الرسول والصحابة والتابعين والقراء فيما بعد، فقال: "قال الحسين بن علي الجعفي: فقراءة عبد الله هي قراءة الكوفيين؛ لأن عمر - ﷺ -، بعث به إلى الكوفة ليعلمهم، فأخذت عنه قراءته قبل أن يجمع الناس عثمان على حرف واحد، ثم لم تزل في أصحابه ينقلها الناس عنهم. وأصحابه منهم: علقمة، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، وزر ابن حبيش، وأبو وائل، وأبو عمرو الشيباني وعبيدة، وغيرهم. فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد، كان أول من قرأ به بالكوفة أبو عبد الرحمن السلمي: عبد الله بن حبيب، فأقرأ بجامع الكوفة أربعين سنة، إلى أن توفي - رحمه الله - في إمارة الحجاج. وقد أخذ القرآن عن

¹ هذا الأثر من مكي لم أقف له على تخريج، والله أعلم من أين جاء به.

² ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الشاميين، ج 28، ص 188، ر 16982، وعلق المحقق: إسناده حسن.

³ مكي، الهداية، ج 4، ص 2909

⁴ المصدر نفسه، ج 4، ص 2910

عثمان، وعن علي، وعن ابن مسعود، وزيد، وأبي. وكان قد قرأ على علي، وقرأ عليه علي، وهو يمسك المصحف. وأقرأ هو الحسن والحسين. فلما مات أبو عبد الرحمن خلفه عاصم. وكان عاصم أخذ عن أبي عبد الرحمن، وعرض على زر. وكان زر قد قرأ على ابن مسعود. ثم انتهت قراءة ابن مسعود إلى الأعمش. وقرأ حمزة على الأعمش بالكوفة، وقرأ أيضاً حمزة على ابن أبي ليلى، وعلى حمران بن أعين، وقرأ حمران على عبيد الله بن نضيلة، وقرأ عبيد الله على علقمة. وقرأ علقمة على ابن مسعود، وقرأ ابن مسعود على النبي - ﷺ -. وقرأ أيضاً حمران على أبي الأسود وقرأ أبو الأسود على علي¹.

وكذلك رده لمن أتهم المصحف بالغلط وأن الكتاب قد أخطأوا في كتابته، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ النساء: ١٦٢، قال مكي: "وقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ هم من أهل الكتاب أيضاً. قال أبان بن عثمان: هو غلط من الكاتب يعني كونه بالياء وإنما حقه الرفع بالواو وهي قراءة ابن مسعود.

وقالت عائشة - رضي الله عنها - لعروة إذ سأها عن اختلاف الإعراب في ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ وفي ﴿وَالصَّابِغُونَ﴾ المائة: ٦٩، في المائة وفي ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾ طه: ٦٣، في طه، يا ابن أخي، هذا عمل الكتاب غلطوا في الكتاب. وفي قراءة عبد الله " والمقيمون " بالرفع. وقال عثمان - رضي الله عنه - أرى فيه لحناً، وستقيمه العرب بألستها²، يريد المصحف، وهذه الأحاديث مطعون فيها عند العلماء لصحة جواز المصحف على لغة العرب. وإذا كان للشيء وجه لم يجوز أن يحمل على الغلط، وقد ذكرنا أن كونه بالياء له وجوه سائغة في لغة العرب، ويدل على أنه ليس بخطأ من الكاتب إن في مصحف أبي " والمقيمين " أيضاً فلو كان الرفع الصواب لم تجتمع المصاحف على تركه³.

7 - حرصه على صحة القراءة الموافقة لمصحف عثمان - رضي الله عنه -: تعرضنا سابقاً لشروط القراءة الصحيحة، وقلنا أن العلماء حددوا لها ثلاثة شروط؛ من بينها موافقة الرسم العثماني، ويقصد بهذا

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2914

² ينظر: المتقي الهندي: علاء الدين، "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، ت: بكرى حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: 5، 1401هـ/1981م، ج2، ص587، ر4786، والأثر بدون تخريج، ولم أجده في غيره.

³ مكي، الهداية، ج2، ص 1530

أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف التي كتبها عثمان - رضي الله عنه - وبعث بها إلى الأمصار الإسلامية، مع الخلاف في عددها، قيل أربعة وقيل سبعة؟ ومكي بن أبي طالب أكد على هذا في تفسيره، ورد بعض القراءات غير الموافقة للمصحف العثماني، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾¹ يونس: ٢٤، وضح القراءة الشاذة والصحيحة في الآية، ورجح الصحيحة على الشاذة لمخالفتها المصحف، فقال: "وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن يقرأ في قراءة أبي: "كأن لم تغن بالأمس"، "وما أهلكتناها إلا بذنوب أهلها"، "كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون". ولا يحسن أن يقرأ أحد بهذه القراءة، لأنها مخالفة لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون"¹.

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾² الأحزاب: ٦، رجع القراءة الصحيحة، ورفض القراءة الشاذة المخالفة للمصحف، فقال: "وحكى قتادة والحسن: بأنه كان يقرأ في بعض القراءات: " من أنفسهم وهو أب لهم"، ولا ينبغي أن يقرأ بذلك الآن لمخالفته المصحف والإجماع"². وكذلك عند قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾³ يس: ٢٩، رد قراءة عبد الله بن مسعود الشاذة لمخالفتها المصحف رغم أنها صحيحة المعنى من ناحية اللغة، فقال: "وفي حرف ابن مسعود: " إن كانت إلا زقية واحدة " بالرفع. (وزقية) في موضع صحيحة. والمعروف في اللغة: زقا يزقو زقوة: إذا صاح، ولا يقرأ به لأنه مخالف لخط المصحف"³.

المطلب الثالث: نسبة القراءة إلى من قرأ بها

كان مكي بن أبي طالب في تفسيره ينسب القراءة إلى قارئها، وهذا هو الطابع الغالب في تفسيره، ولكن وجدته أحيانا يذكر القراءة ولا ينسبها لأحد، وهو قليل في تفسيره، لأنه مقرئ قبل أن يكون مفسراً، وهذا ما يميز تفسير مكي عن بعض التفاسير، وأحيانا ينسب القراءة إلى أهل بلد ما، وسنعطي أمثلة على ذلك؛ حتى يتضح لنا ما ذكرناه.

¹ مكي، الهداية، ج5، ص 3250

² المصدر نفسه، ج9، ص 5786

³ المصدر نفسه، ج9، ص 6026

1 . نسبة القراءة لقائلها: وهذا هو الطابع العام في تفسير مكي، فكان دائما ينسب القراءة لقائلها، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ البقرة: ٨٨، بيّن معنى كلمة غلف، ووضح من قرأ بخلافها مع نسبتها للقراء، فقال: قوله: "قلوبنا غلف". هو جمع أغلف كأنها في غلاف وغطاء. يقال: " سيف أغلف إذا كان في غلافه ".

وقال قتادة: " معناه قلوبنا لا تفقه ". وقال ابن عباس وغيره: " معناه: قلوبنا في غطاء وغلاف فليس نفهم ما تقول كما قال: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ ﴾ فصلت: ٥. ويجوز أن يكون "غلف" جمع " غلاف"، لكن أسكن تخفيفا. ومعناه: قلوبنا أوعية للعلم لا تحتاج إلى علم مُجَدِّ - ﷺ .. وعلى ذلك قراءة من قرأ بضم اللام، وهي قراءة الأعرج وابن محيصن ورويت عن أبي عمرو وابن عباس¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ

مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ التوبة: ٥٧ - ٥٨، بين مكي القراءات المختلفة للآية القرآنية فقال: "وقرأ عيسى بن عمر، والأعمش: " أو مدخلا " بتشديد " الدال " و " الخاء"، والأصل فيه: متدخل على وزن: متفعل، ومعناه: دخول بعد دخول. وقرأ الحسن، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن: "مدخلا" من دخل. وحكى أبو إسحاق: "مدخلا" بالضم، من أدخل. وفي حرف أبي: " مدخلا " بتخفيف "الدال " وتشديد " الخاء ". ثم أخبر نبيه - ﷺ - أن من المنافقين من يلزمه في الصدقات، أي: يعيبه بها، ويطعن عليه فيها. يقال: " لمزه يلزمه، ويلزمه "، لغتان. والضم: قراءة الأعرج، وقد رواها شبل عن ابن كثير².

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرِكُمْ عَلَيْهِمْ عُمَّةً تُرْمِ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ يونس: ٧١، قال مكي: "وروى الأصمعي عن نافع: " فاجمعوا " موصولة الألف من: جمع، وهي قراءة الجحدري. وهما لغتان: جمع وأجمع. وقرأ

¹ مكي، الهداية، ج1، ص343

² المصدر نفسه، ج4، ص3034

الحسن، وابن أبي إسحاق، وعيسى ويعقوب: فأجمعوا أمركم وشركاؤكم بالرفع، عطفاً على المضمر في " أجمعوا ": وحسن ذلك لما حال بينهما بالمفعول، فقام مقام التوكيد. وقيل: إن " الشركاء " رفع بالابتداء، والخبر محذوف. أي: وشركاؤكم ليجمعوا أمرهم، والشركاء هنا: الأصنام، وهي لا تصنع شيئاً. إلا أن يكون المعنى على التوبيخ لهم، كما قال لهم إبراهيم: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَاءُ لَهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ الأنبياء: ٦٣. ومن نصب " الشركاء " حمله على المعنى، أي: وادعوا شركاءكم، ولا يعطف على الأمر بتغيير المعنى. يقال: أجمعت الأمر وعلى الأمر: عزمت عليه. فلا معنى لعطف الشركاء على هذا المعنى، فلا بد من إضمار فعل¹.

2 - ذكر القراءة فقط دون نسبتها للقراء: وأحياناً يذكر مكي القراءة ولا ينسبها إلى أحد مما يصعب على القارئ معرفتها وهي قليلة في تفسيره، ومن ذلك، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ نُسِقَطِ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَسَفًا ﴾ الإسراء: ٩٢، قال مكي: "أي: قطعاً. لأنه جمع كسفة وهي القطعة. ومن قرأ بإسكان السين أراد قطعة واحدة. ويحتمل أن يكون مسكناً من الفتح فيكون معناه مثل معنى قراءة من فتح السين"². ونلاحظ هنا أنه ذكر قراءتين ولم ينسبها لأحد، وكذلك عند تفسير قوله تعالى في سورة النور: ﴿ أَلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ ﴾ النور: ٣٥، أورد مكي قراءات مختلفة دون أن ينسبها لأحد، فقال: "ومعنى قراءة من قرأ "دري" بالتشديد وضم الدال أنه نسبه إلى الدر ومعناه: أن فضل هذا الكوكب في النور على سائر الكواكب كفضل الدر على سائر الحب، ومن قرأ "درئ" بكسر الدال والمد والهمز جعله من إندرأ الحريق إذا اندفع.

وحكى الأخفش سعيد: درأ الكوكب بضوئه إذا امتد ضوءه وعلا. وقيل: هو فاعل من درأت لأن معناه يدفع ويرجم به الشياطين. وأنكر أبو عبيدة هذه القراءة إن كانت من درأت إذا دفعت وضعفها لأن الكواكب كلها تندفع فلا فضل لأحدهما على الآخر فلا فائدة في وصفه له بالاندفاع لأنها كلها تندفع.

¹ مكي، الهداية، ج5، ص 3299

² المصدر نفسه، ج6، ص 4287

فأما قراءة من قرأ بضم الدال والمد والهمز، فقد أنكرها جماعة، إذ ليس في الكلام. فعيل، وقد جوزها أبو عبيدة وقال: هو فعول مثل سيوح، وأصله دروء وأبدلوا من الواو ياء كما قالوا: عتي. وأنكر هذا القول على أبي عبيدة لأنه لا يشبع عتي إن كان جمع عات، فالبديل فيه لازم لأن الجمع باب تغيير الواو لا يكون طرفا في الأسماء وقبلها ضمة، فاعتلاله لازم، فإن كان عتيا مصدرا فيجب قلب الواو لأنها ظرف في فعول وليست الواو في دري إذا جعل أصله دروي ظرفا فلا يشتبهان، ووجه هذه القراءة، عند بعض النحويين أنه فعيل كمريق، على أن مريقا أعجمي، فلا يجب أن يحتج به. والكوكب الذي شبه بالزجاجة، هو الزهرة قال الضحاك.

ومن قرأ "يوقد" على "تفعل" جعله فعلا ماضيا خبرا عن المصباح. وقيل، خبرا عن الكوكب.

ومن قرأ بالياء، على "يفعل" جعله فعلا مستقبلا لم يسم فاعله راجعا إلى المصباح.

ومن قرأ بالتاء على "تفعل" جعله فعلا لم يسم فاعله مستقبلا أيضا راجعا على الزجاجة لأنها أقرب إليه، فلما كان الاتقاد فيها جاز أن توصف هي به لعلم السامعين بالمعنى، كما قالوا: ليل نائم، وسر كاتم، وقد نام ليلك، كقوله: ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ إبراهيم: ١٨، فوصف اليوم بالعصوف والعصوف للريح، لكن لما كان الريح في اليوم جعل وصفا لليوم لعلم السامعين بالمعنى وهو كثير في كلام العرب¹.

3 - نسبة القراءة لبلد أو مكان ما: عند ذكره للقراءات وجدته ينسبها إلى أهل بلد أو مكان ما،

دون ذكره الرواية أو من قرأ بها، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ

أَبْصَرَ هُمْ ﴾ البقرة: ٢٠، بين أوجه القراءات في كلمة يخطف، فقال: "وحكى الفراء إسكان

الخاء، والتشديد عن بعض أهل المدينة. كأنه أدغم التاء في الطاء، وترك الخاء على سكونها في " يخطف "، وهو بعيد، لأنه جمع بين ساكنين ليس أحدهما حرف لين². وكذلك عند تفسير قوله

تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ ﴾ النحل: ١١٦، قال مكي:

"وقرأ بعض أهل الشام: " الكذب " بضم الكاف والذل والباء، نعتاً للألسنة، جمع كذوب، مثل:

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5105

² المصدر نفسه، ج1، ص181

شكور، وشكر" ¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ

كَثِيرٌ﴾ آل عمران: ١٤٦، قال مكي: "قال الخليل: من قرأ كآين بهمزة بعد ألف وهي قراءة أهل مكة فإنما قدم الياء قبل الهمزة ثم جعلها ألفا وسكنت الياء الثانية لأنها بعد همزة مكسورة. وأما من قرأ وكأي فإنها عند الخليل أي: دخلت عليه كاف التشبيه فصار في الكلام معنى كم، فيجب على قوله أن تقف بغير نون في قراءة الجماعة كما تقف على "أي": وهو مذهب سيوييه وكذلك حكى عن أبي عمرو، والكسائي، وروي عنهما الوقف على النون.

فمن وقف بالنون في هذه القراءة، فإنما ذلك لأنه اتبع السواد وهو في المصحف بالنون على قراءة من قدم الألف قبل الهمزة وهي قراءة ابن كثير ومن قرأ: "قتل": فالمعنى عند عكرمة أن القتل إخبار عما فعل بالأنبياء - ﷺ -، وأنهم قتلوا فيما مضى، وأن من كان معهم لم يضعف بعده ولا تضعف. ثم أخبر عن قولهم بعد نبيهم - ﷺ - وثباتهم على دينهم، فيكون التمام على هذا قتل وفيه بعد لأن ما بعده من صفة نبي ويكون معنى الآية: أن الله ويخ بذلك أصحاب النبي الذين ضعفوا يوم أحد حين قيل: قتل محمد! فأخبرهم أن كثيرا من الأنبياء قتلوا فلم يضعف من كان معهم ليتأسوا بهم.

وقيل: المعنى أن الله - ﷻ - أخبر أنه قد قتل مع الأنبياء - ﷺ - ريبون كثير "فما وهن من بقي ولا ضعف ولا ذل، فيتأسى المسلمون بهذا، فلا يضعفون لما أصاب أصحابهم من القتل يوم أحد، فلا يكون التمام على هذا قتل لأن "الريبون" مرفوع بقتل، والأول أحسن لأن كعب بن مالك قال: أول من عرف رسول الله - ﷺ - يوم أحد أنه لم يقتل: أنا، رأيت عينيه تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي هذا رسول الله - ﷺ - فأومأ إلي النبي - ﷺ - أن: اسكت. وكان قد صاح الشيطان يوم أحد قتل محمد فانهزم المسلمون إلا قليلا منهم، فأنزل الله - ﷻ -: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ

قَاتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ﴾ أي: كثير من الأنبياء قتلوا فلم يضعف من كان بعده ولا ذل، فكيف اردتم أيها المؤمنون أن تضعفوا حين سمعتم الشناعة بأن محمدًا - ﷺ - قد قتل، فتأسوا أيها المؤمنون بمن كان قبلكم من أصحاب الأنبياء - صلوات الله عليهم -، الربيين. وعلى تأويل اختار

¹ مكي، الهداية، ج6، ص4107

قوم من العلماء قراءة من قرأ قتل لأنهم عوقبوا على ضعف بعضهم لما سمعوا لقتل النبي - صلى الله عليه وسلم -.

ومن قرأ قاتل حمله على معنى أنهم وهنوا لقتل أصحابهم وجراحهم، فأنزل الله - ﷻ - عليهم يعلمهم أن كثيرا من الأنبياء قاتل مع أصحابه وأتباعه، فلم يضعفوا لما أصابهم من قتل وجراح فتأسوا بهم.

واختار بعض أهل اللغة قاتل لأنه أبلغ في المدح من قتل لأن الله تعالى إذا مدح من قاتل كان من قتل أدخل في المدح لأنه لم يقتل إلا بعد القتال، فالقاتل والمقتول ممدوحان في قراءة من قرأ قاتل وهو إذا مدح من قتل فليس من قاتل، ولم يقتل بالممدوح، فقاتل أبلغ في المدح للجميع. " والربيون " الذين يعبدون الرب نسبوا إليه لعبادتهم إياه وإقرارهم له، وهو معنى مروى عن الحسن وغيره. واحدهم ربي منسوب إلى الرب ولكن كسرت الراء اتباعا للكسرة التي بعدها كما قالوا: نسي وعصي فكسروا الأول للاتباع، وقيل: الربانيون الجماعات. وقيل: هم العلماء الألوفا¹.

المطلب الرابع: توجيه القراءات وأسبابه عند مكي

من خلال دراستي للقراءات في تفسير مكي، وجدت أغلبها كان موجهاً، أي لم يذكر القراءة هكذا فقط وإنما يوجهها في الاستشهاد بالتفسير وزيادة المعنى، وكان أكثر ما يستعملها في تبين قواعد اللغة من نحو وصرف وغيره، وأحيانا يستعملها في استنباط الأحكام الفقهية وبعض مباحث علوم القرآن كالنسخ وأسباب النزول وغيرها، ونادراً ما يتركها بدون توجيه، ويصرح أحيانا أنه يقبل قراءة دون أخرى، وسنعطي أمثلة على ذلك في تفسيره وهي كثيرة، ومنها:

1 . طريقة توجيه القراءات: اعتنى مكي بن أبي طالب بتوجيه القراءات، وأحيانا يتوسع في ذلك

ويذكر مختلف الأقوال والاتجاهات، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ البقرة:

٦، ذكر عشرة أوجه في هذه القراءة، فقال: وقوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ فيه عشرة أوجه.

- الأول: تحقيق الهمزة الأولى، وتخفيف الثانية بين الهمزة والألف. وهي لغة قريش وكنانة، وهي قراءة ورش عن نافع وابن كثير.

- والثاني تحقيق الأولى وبدل الثانية بألف، وهو مروى عن ورش وفيه ضعف.

- والثالث: تحقيق الهمزيين وهي قراءة أهل الكوفة، وابن ذكوان عن ابن عامر.

¹ مكي، الهداية، ج2، ص1147

- والرابع: حذف الهمزة الأولى وتحقيق الثانية. وهو مروى عن الزهري، وهي قراءة ابن محيصن، وذلك لأن " أم " تدل على الألف المحذوفة.
- والخامس: تحقيقهما جميعاً وإدخال ألف بينهما. وبذلك قرأ ابن أبي إسحاق.
- والسادس: تحقيق الأولى، وتخفيف الثانية بين الهمزة والألف، وإدخال ألف بينهما. وبذلك قرأ أبو عمرو، وقالون، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وهشام بن عمار عن ابن عامر.
- والسابع: ذكره أبو حاتم قال: " يجوز أن تدخل بينهما أيضاً، وتحذف الثانية "، فيصير لفظ هذا الوجه كلفظ الوجه الثاني المذكور.
- والثامن: ذكره الأخفش قال: " يجوز أن تخفف الأولى منهما وتحقق الثانية "، ولم يقرأ بهذا أحد، وهو بعيد ضعيف لأن الاستثقال لا يقع في أول الكلام، ولأن الهمزة المخففة بين بين، لا يبتدأ بها إلا أن تريد أن تصل الهمزة بما قبلها وتلقي حركتها على الميم الساكنة قبلها، فهو قياس، وليس عليه عمل.
- والتاسع: ذكره أبو حاتم أيضاً قال: " يجوز أن تُخفف الهمزتين " . وهو بعيد، ولم يقرأ به أحد، وله قياس إذا وصلت كلامك، فتلقي حركة الأولى على الميم الساكنة قبلها، وتخفف الثانية بين بين، وهو بعيد جداً.
- والعاشر: ذكره الأخفش أيضاً؛ قال: " يجوز أن تبدل من الأولى هاء، فتقول: " هانذرتهم " . ولم يقرأ به أحد ومخالف للخط، وقياسه في العربية جيد. ويجوز مع بدل الأولى " بهاء " أن تحقق الثانية وأن تخففها، وتدخل بين الهمزة والهاء ألفاً، وأن تحقق الثانية وتدخل بينهما ألفاً، فتبلغ الوجوه إلى أربعة عشر وجهاً¹.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^٩ البقرة: ٩ ، بين اختلاف القراء في كلمة يخادعون، ووجه قراءتهم، فقال: " واختار جماعة من العلماء: " وما يَخْدَعُونَ " - بفتح الياء وسكون الخاء - من غير ألف، وهي قراءة ابن عامر وأهل الكوفة، وإنما اختاروا ذلك لأن الله جل ذكره أخبر عنهم أولاً أنهم " يخادعون الله ". ولفظ قوله: " وما يخدعون إلا أنفسهم "، نفي ذلك، فيصير في ظاهر اللفظ قد أوجب شيئاً ثم نفاه بعينه، فوجب أن يختاروا " وما يخدعون " ليكون المنفي على معنى مخالفٍ للموجب.

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 146

فأما وجه قراءة من قرأ الثاني "وما يخادعون" بألف فهو على معنى: وما يخادعون تلك المخادعة المذكورة عنهم إلا أنفسهم، إذ وبالها راجع عليهم. و "خادع" في اللغة، يجوز أي يكون معناه معنى "خدع" من واحد. ومعنى "خدع" بلغ مراده. فلذلك أجمع القراء على "يخادعون" في الأول لأنه ليس بواقع، وفي الثاني "يخادعون" بغير ألف لأنه أخبر تعالى أنه واقع بهم وراجع عليهم. وذكر القتيبي أن معنى الأول: يخادعون بالله الذين آمنوا وهو قولهم إذا لقوا المؤمنين: آمنا. وأصل المفاعلة أن تكون من اثنين، لكن قد أتت من واحد، قالوا: "عاقبت اللص"، "وطارقت النعل" و"جازيت فلانا وحاديته ووادعته وداريته".

والمخادعة في هذا المعنى إنما هي للنبي - ﷺ - وأصحابه، أي يخادعون نبي الله وأوليائه. و "خدع" فعل واقع، و"خادع" فعل يجوز أن يقع، ويجوز ألا يقع، فلذلك اختار بعض العلماء، "وما يخدعون" إلا أنفسهم لأنه فعل واقع بهم بلا شك، "فيخدعون" أولى من "يخادعون" الذي يجوز أن يقع، ويجوز ألا يقع¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

﴿البقرة: ١٠﴾، ذكر قراءتين في الآية ووجهها وبين أن القراءتين قويتان صحيحتان في معنى

الآية وأنها متداخلتان ولا يمكن الفصل بينهما، فقال: "وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

﴿١٠﴾ . أي بتكذيبهم الرسل.

وقيل: بتكذيبهم محمدًا - ﷺ -. وهذا التفسير يدل على صحة قراءة من قرأ "يكدبون" بالتشديد، ويدل على قوة التشديد أن الكذب لا يوجب العذاب الأليم، إنما يوجبه التكذيب. وأيضا فإنه تعالى أخبر عنهم بالشك في أول الكلام، ومن شك في شيء فقد كذب به، فالتكذيب أولى بآخر الآية على هذا القول.

ومما استدل به من قرأه "يكدبون" بالتخفيف؛ أن الله جل ذكره أخبر أنهم يقولون: "آمنا" وقال: "وما هم بمؤمنين". فأخبر عنهم بالكذب في قولهم: "آمنا". وتوعدهم عليه بالعذاب الأليم، وهو من الكذب أولى من أن يكون من التكذيب إذ لم يتقدم في صدر الآية إلا الإخبار عنهم بالكذب، لا بالتكذيب.

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 152

والقراءتان قويتان متداخلتان حسنتان لأن المرض الشك ومن شك في شيء فقد كذب به"¹.
 وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ البقرة: ٢٠، بين مكي
 سبعة أوجه للقراءات في كلمة يخطف، فقال: "وفي يخطف " أوجه وقراءات أفصحها " يخطف "
 بفتح الطاء مخففا. ولغة أخرى بكسر الطاء مخففا، وبه قرأ علي بن الحسين وابن وثاب، فدل ذلك
 على أنه يقال: خطف، يخطف، وخطف يخطف لغتان فيه.
 - ووجه ثالث: قرأ به الحسين وقتادة وعاصم الجحدري وهو كسر الخاء والطاء والتشديد، وأصله،
 "يخطف"، فأدغم التاء في الطاء بعد أن أسكنها وكسر الخاء لالتقاء الساكنين.
 - ووجه رابع: وهو فتح الخاء وكسر الطاء مشددا وأصله أيضا " يختطف "، ثم ألقى حركة التاء
 على الخاء، وأدغم التاء في الطاء، وهو مروى أيضا عن الحسن.
 وحكى الفراء إسكان الخاء، والتشديد عن بعض أهل المدينة. كأنه أدغم التاء في الطاء، وترك الخاء
 على سكونها في " يختطف "، وهو بعيد، لأنه جمع بين ساكنين ليس أحدهما حرف لين.
 - ووجه سادس: ذكره الأخفش والكسائي والفراء، وهو كسر الياء والخاء والتشديد، وهو كالوجه
 الثالث إلا أنه كسر الياء للاتباع.
 - ووجه سابع: قرأ به أبي، وهو " يتخطف " على " يتفعل " مثل " يتغسل ". ومعنى يخطف
 يأخذ بسرعة"².

2 . الاستشهاد بالقراءة على معاني اللغة: وهناك أمثلة كثيرة في تفسير مكي على الاستشهاد
 بالنحو والصرف والبلاغة، وكل ما يخص اللغة العربية، فكان دائما يوجه القراءات، ويوضح معنى
 النحو والصرف والإعراب بعد ذكره للقراءات، لأنه عندما تتغير القراءة يتغير المعنى فتحتاج القراءة
 الى توجيه، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة: ١١٩، بين القراءات في
 الآية ووجهها توجيهها نحويا، فقال: "ومن قرأ بالرفع، فهو في موضع الحال، تقديره: ﴿إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾"، وغير مسؤل عن أصحاب الجحيم". وقيل: هو نفي،

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 155

² المصدر نفسه، ج1، ص182

ولا " بمعنى " ليس كأنه قال: " ولست تسأل " كأنه أخبره أنه لا يسأل عن ذلك. واختار جماعة الرفع لأن الكلام المتقدم يدل عليه، لأنه تعالى قال بعد ذكر اليهود والنصارى وما صنعوا: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ ﴾ . أي: بشيرا لمن اتبعك، ونذيرا لمن كفر بك، " غير مسؤول عن كفر بك. ولم يجر ما يوجب النهي. فَجَرِيُّ الْكَلَامِ عَلَى أَوَّلِهِ أَوْلَى مِنْ جَرِيهِ عَلَى خَيْرِ أَحَادٍ يَقْطَعُهُ مِمَّا قَبْلَهُ لِأَنَّ أَوَّلَهُ قَدْ ثَبَتَ نَصَهُ وَصَحَّتْهُ، وَخَيْرُ الْأَحَادِ لَا يَحْكُمُ عَلَى صِحَّةِ مَغْيِبِهِ. فرده على ما يقطع على صحته في الغيب أولى. ومع ذلك فقراءة أبي وعبد الله تشهدان للرفع، لأن قراءة أبي، " وما تسأل "، وقراءة عبد الله: " ولن تسأل " وذلك يشهد أن الرفع بمعنى النفي. وقال المحتج للجزم: إن الجزم إذا حمل على التعظيم لأمر من تقدم كان مردودا على ما قبله فيصير مثل الرفع، ويزيد الجزم مزية، وهو أن يحمل على الخبر. فالجزم محتمل لمعنى الرفع وزيادة¹.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا ۗ ﴾ البقرة: ١٤٨، بين مكي أوجه القراءات الصحيحة، وبين أقوال نحاة، وضعف القراءة الشاذة لمخالفتها معنى الآية، فقال: " هو " يرجع إلى " كل ". والهاء في " موليتها " ترجع إلى القبلة. وقيل: " هو " يرجع إلى الله جل ذكره. فأما من قرأ " هو مولاها "، فهو يرجع إلى " كل " لا غير. قال مجاهد: " معناه: ولكل صاحب ملة قبلة ". يعني لليهود قبلة وللنصارى قبلة. قال ابن عباس: " يعني بذلك أهل الأديان؛ لكل أهل دين قبلة يرضونها. ووجهة الله - ﷻ - حيث توجه المؤمنون ".

وقال الضحاك: " معناه ولكل صاحب ملة قبلة، وصاحب القبلة يوليها وجهه ". وقال السدي: " المعنى ولكل قوم قبلة قد ولوها ". والمعنى عند أهل العربية، هو موليتها نفسه أو وجهه. فأما من قرأ: " مولاها " فالضمير على هذه القراءة لواحد، أي: ولكل واحد من الناس قبلة، الواحد مولاها، أي: مصروف إليها. وقال الأخفش: " المعنى: موليتها الله إياه على ما يزعمون " يريد على قراءة موليتها. وقال علي بن سليمان: " المعنى هو متوليها، والوجهة والجهة والوجه واحد ". وعن قتادة في قوله: " هو موليتها "، قال: " هي صلاتهم إلى بيت المقدس وصلاتهم إلى الكعبة ". فيكون التقدير على هذا: ولكل ناحية وجهك إليها ربك يا مُجِدُّ قِبْلَةِ اللَّهِ مَوْلِيهَا عِبَادَهُ. وهو قول الأخفش الذي تقدم. ومعنى " موليتها " مول وجهه إليها ومستقبلها. وقال

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 419

الطبري: التولية في الآية للكل، ووجدت للفظ " كل "، قال: فمعنى الكلام: ولكل أهل ملة وجهة، الكل موليا وجوههم. قال: وأما قراءة ابن عامر فمعناه: هو موجه نحوها، ويكون الكل حينئذ غير مسمى فاعله، ولو سمي فاعله لكان الكلام: ولكل ذي ملة وجهة، الله موليا إياه بمعنى موجهه إليها.

ورويت قراءة شاذة بإضافة " كل " إلى " وجهة "، وهي قراءة لا تجوز لأنه لا فائدة في الكلام إذا لم يتم الخبر. ولو ثبتت على قراءة الجماعة لقلت: " هما مولياها "، وفي الجمع " هم مولوها " وعلى قراءة ابن عباس في التثنية " هما مولياها ". وفي الجمع " هم مولوها ". فإن جئت بالمفعول الثاني في قراءة الجماعة، قلت في التثنية: " هما مولياها " وفي الجمع: " هم مولوها هم " ¹. وكذلك عند

تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَعْتَيْنَ أَتَقَاتُ فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ آل عمران:

١٣، بين القراءات في الآية أيضا، ووجهها، ورد على بعض العلماء المنكرين للقراءة في الآية بدليل الإعراب، فقال: قرأ الحسن " فئة "، " كافرة " بالخفض فيهما على البدل، من " فئتين ". ومن رفع فعلى إضمار مبتدأ. وقال أحمد بن يحيى: يجوز النصب على الحال. وقال الزجاج: النصب بمعنى أعني. ومن قرأ " يرونهم " بالتاء فعلى المخاطبة لليهود، أي ترون أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين. ومن قرأ بالياء جعل الرؤية للمسلمين، أي: يرى المؤمنون المشركين مثلي أنفسهم. وكان المسلمون يوم بدر ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا. وقيل ثلاثة عشر، والمشركون تسعمائة وخمسون. وقيل: كانوا ألفا. وقيل: كانوا ما بين ألف إلى تسعمائة.

وقد وعد الله المؤمنين بأن الرجل منهم يغلب الرجلين فأراهم الله المشركين مثلهم لتقوى نفوسهم، وكانت تلك آية أن رأوا الكثير قليلا كما قال: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَاتُ فِي

أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ الأنفال: ٤٤، وأنكر أبو عمرو قراءة من قرأ بالتاء وقال لا يلزم أن يقرأ مثلكم، هذا الرد إنما يلزم لو كانت الرؤية تنصرف على المسلمين، ولا يمكن إلا ذلك. وقراءة التاء تنصرف على اليهود الذين تقدم ذكرهم. والمعنى: قد كانت لكم أيها اليهود علامة في صدق محمد - ﷺ - وصحة ما دعاكم إليه بنصر الله تعالى إياه يوم بدر وأعداؤه

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 506

مثلا من معه. وقيل: المعنى على قراءة التاء في تروئهم أيها المؤمنون مثلي أصحابكم. وقال ابن كيسان: الضمير في "يروئهم" يعود على "أخرى كافرة". والهاء والميم في "مثليهم" يعودان على فئة. وقال الفراء: معنى "مثليهم" ثلاثة أمثالهم. قال ابن كيسان: كأنه جعل تروئهم يرجع إلى الكل أي: ترون الكل ثلاثة أمثال أصحابكم: هذا على معنى من قرأ بالتاء ". ومن قرأ بالياء فعلى معنى يرى المؤمنون الكل ثلاثة أمثالهم، وتكون التاء مخاطبة لليهود فيكون المعنى ترون أيها اليهود الكل ثلاثة أمثال المؤمنين وهذا كله يوم بدر"¹.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ الإنسان: ٢١، بين معنى الإستبرق وضعف قراءة ابن محيصن لمخالفتها تصريف الكلمة، ونسب القول للنحاة، فقال: "وقرأ ابن محيصن: "واستبرق" بوصل الألف وفتح القاف. وهو لحن عند النحويين، لأنه لا يمتنع مثل هذا من الصرف في النكرة. ولأنه لا توصل ألف مثل هذا في التسمية به، لو سميت ب "استكبر" لقطعت الألف، لانتقاله من الأفعال إلى الأسماء. هذا قول الخليل وسيبويه"².

3 . توجيه القراءة بسبب النسخ: تعرض مكي لقضية النسخ في القرآن وأعطى رأيه في ذلك، وكان يختصر أقواله ويحيل على كتابه: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه)، وكان يستعين بالقراءات أحيانا في بيان النسخ، ومن ذلك عند ذكره لمسح الرأس وغسل الرجلين في الوضوء، أورد أقوال العلماء الذين قالوا أن المسح بمعنى الغسل في العربية، وبين نسخ الآية بالسنة عند العلماء الذين يرون نسخ السنة للقرآن مع العلم أنها مسألة خلافية، ووضح نسخ القراءة التي تؤيد مسح الرجلين، فقال: "وقيل: المسح - في كلام العرب - يكون بمعنى الغسل يقال: تمسحت للصلاة أي: توضأت لها فاحتمل المسح للأرجل أن يكون بمعنى الغسل وبغير معنى الغسل، فبينت السنة أن المسح للرؤوس بغير معنى الغسل، وأن المسح للأرجل بمعنى الغسل. وقال قوم من العلماء - منهم الشعبي - : من قرأ بالحذف فقراءته منسوخة بالسنة. واستدل من قال: أن معنى الحذف النصب، بقوله "إلى الكعبين"، فحدد كما حدد اليدين إلى المرفقين، ولما كانت اليدين مغسولتين بالإجماع وجب أن تكون الرجلان كذلك لاشتراكهما في التحديد"³.

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 965

² المصدر نفسه، ج12، ص 7939

³ المصدر نفسه، ج3، ص 1618

4 . الترجيح بين القراءات: كان مكي بن أبي طالب أثناء توجيهه للقراءات؛ يذكر القراءات ويرجح قراءة بأنها أحسن من قراءة أخرى، وهذا قليل في تفسيره، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ النساء: ٩٥، بين مكي القراءات في هذه الآية، ورجح قراءة النصب فقال: "من قرأ: غير بالنصب فعلى الاستثناء بمعنى "إلا" أولي الضرر، فإنهم يستونون مع المجاهدين، ويجوز النصب على الحال بمعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم. ومن رفع على النعت للقاعدين بمعنى لا يستوي القاعدون الأصحاء عن الجهاد يوم بدر والمجاهدون.

وقدره أبو إسحاق: "لا يستوي القاعدون" الذين هم "غير أولي الضرر"، وهو بمعنى الصفة التي ذكرنا وقرأه أبو حيوة غير مخفوض على النعت للمؤمنين. وقال المبرد: هو بدل لأنه نكرة والأول معرفة. "درجة" نصب على البدل من قوله "أجرا". وقيل: إن فيه معنى التأكيد كما تقول علي ألف درهم عرفا. ومعنى الآية: لا يعتدل من جاهد في ذات الله، ومن قعد عن ذلك، إلا أن يكون القاعدون من أولي الضرر، فإنه يستوي مع المجاهد. هذا على قراءة النصب، والنصب في الآية أحسن¹.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ آل عمران: ١٢٠، بين قراءة عاصم ورجحها، فقال: "وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بالتشديد والفتح، وهو أحسن من الضم لأن الضم فيه إشكال"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنَ إِيَّاهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام: ٤٦، وضع أوجه القراءات في هذا الآية ورجح قراءة الضم، فقال: "روى ابن عامر عن أصحابه عن ورش: "به

¹ مكي، الهداية ج2، ص 1436

² المصدر نفسه، ج2، ص 1110

انظر " بالضم للهاء، وكذلك روى ابن سعدان عن المسيبي، وهي قراءة الأعرج، أتوا بالهاء على أصلها، وهو الضم. وإنما كسرت - في قراءة الجماعة - لأجل كسرة الباء قبلها، لئلا يخرج من كسر إلى ضم، وذلك ثقيل. وقيل: إنما كسرت الهاء، لأنه ليس في الكلام " فعل "، والضم هو الأصل"¹.

5. عدم توجيه القراءات أحياناً: وهذا نادر في تفسير مكي، فكان دائماً يعتني بتوجيه القراءات الصحيحة والشاذة، ولا يتركها بدون توجيه، ولكن بعد دراستي للتفسير وجدته يترك التوجيه أحياناً، ويذكر القراءة فقط، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤، بين القراءات في كلمة مالك، ولم يوجهها وأحال على كتابه الكشف، مع العلم أن القراء اختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها، ولم يبين مكي توجيه القراءة، فقال: "وقد روى الزهري أن النبي - ﷺ - قرأ "مالك" بألف. وأبو بكر، وعمر، وعثمان²، كذلك قرأوها وبذلك قرأ علي، وابن مسعود، وأبي، ومعاذ بن جبل وطلحة، والزيبر وبذلك قرأ عاصم والكسائي. وقد بينا كشف وجوه القراءات في كتاب: (الكشف عن وجوه القراءات)، فأغنانا ذلك عن الكلام فيها في هذا الكتاب. فأما من قرأ، "مالك يوم الدين"، فهم الأكثر من القراء وشاهده إجماعهم على ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ الناس: ٢، بغير ألف³. وكان الأجدر به أن يبين المعاني ويوجه القراءات في الآية، ولكنه ترك كل هذا وأحال على كتابه الكشف.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٧، بين مكي القراءة المختلفة لكلمة غشاوة، وتركها بدون توجيه، فقال: "ومعنى الغشاوة الغطاء، ومنه: "غاشية السيف والسرّج" أي غطاؤه. وفي (غشاوة)، لغات قرئ بها، وهي فتح الغين؛ وبه قرأ أبو حيوة، وضم الغين؛ وبه قرأ الحسن. وقرأ الأعمش " غشوة " على فعلة"⁴. فنلاحظ هنا أنه تركها بدون توجيه.

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 2026

² ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند النساء، ج44، ص 206، ر26583، وعلق المحقق: صحيح لغيره.

³ مكي، الهداية، ج1، ص105

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص149

المطلب الخامس: القراءات الشاذة في تفسير مكي

أكثر مكي بن أبي طالب من القراءات الشاذة في تفسيره، وكان في الأغلب يوجهها وأحياناً يتركها بدون توجيه، وأحياناً يبين ضعفها وينص على أنها غير صحيحة، وله نظرات موفقة وسديدة في التوجيه، لأن القراءة الشاذة يمكن أن تكون صحيحة في نفسها، لأنها في الأصل كانت قرآناً، وبعد جمع عثمان - رضي الله عنه - أصبحت شاذة، لإجماع العلماء - الذي أشرنا إليه سابقاً - في تحديد القراءة الصحيحة بثلاثة شروط، ومن المعروف أن بعض الصحابة اعترضوا على جمع عثمان - رضي الله عنه -، من بينهم الصحابي عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - الذي كانت له قراءة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصبحت شاذة بعد جمع عثمان - رضي الله عنه -، وهناك رواية عنه في تمسكه بمصحفه؛ حيث قال: "والله لا أدفعه إليهم، أقرأني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضعا وسبعين سورة، ثم أدفعه إليهم، والله لا أدفعه إليهم"¹، ويقال أن عبد الله بن مسعود تراجع عن قراءته التي تلقاها عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، بعد ما رأى المصلحة في جمع عثمان القرآن على مصحف واحد، ومكي بن أبي طالب أكثر من القراءات الشاذة حتى تعرض للانتقاد من بعض المفسرين الذين جاؤوا بعده، من بينهم ابن عطية صاحب (المحرر الوجيز)، حيث انتقده عندما بين القراءات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ

عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ البقرة: ٦، فقال: "وقرأ الزهري وابن محيصة "أنذرتهم" بحذف الهمزة الأولى، وتدل أم على الألف المحذوفة، وأكثر مكي في هذه الآية بذكر جائزات لم يقرأ بها، وحكاية مثل ذلك في كتب التفسير عناء. والإنذار إعلام بتخويف، هذا حده، وأنذرت فعل يتعدى إلى مفعولين"². فوصف ذكر مكي للقراءات الشاذة بأنه عناء في التفسير، وأنه لم يقرأ بهذه القراءات فلا داعي لذكرها، ولكن القراءات الشاذة تساعد كثيراً في تفسير القرآن، لأنه كما قلنا يمكن أن تكون هذه القراءة صحيحة في نفسها، ولكنها شاذة لا يقرأ بها في الصلاة، ولا يتعبد بتلاوتها، وعلى المفسر الإحاطة بها حتى يستطيع تفسير القرآن، مع العلم

¹ الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري، "المستدرک علی الصحیحین"، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1411 - 1990، كتاب التفسير، ج: 2، ص: 247، ر: 2896، وعلق المحقق: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

² ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ج: 1، ص: 88

أن ابن عطية رجع لتفسير مكي عدة مرات في تفسيره (المحرر الوجيز) واستعان به، وقد أشرنا إلى هذا سابقاً¹، ونعطي بعض الأمثلة من تفسير مكي على القراءات الشاذة وهي كثيرة في تفسيره:

1 . تبين القراءة الشاذة وردّها: كان مكي بن أبي يطالب يذكر القراءة الشاذة، وينص عليها

ويردّها، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ البقرة:

١٤٨، بين مكي القراءة الشاذة في هذه الآية وردّها، لأنها تخالف العربية فقال: "ورويت قراءة شاذة بإضافة " كل " إلى " وجهة "، وهي قراءة لا تجوز لأنه لا فائدة في الكلام إذا لم يتم الخبر

"². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ الفرقان:

٦١، بين القراءات الصحيحة والشاذة، ووجه الجميع، ورد الشاذة، فقال: "ثم قال تعالى: "وجعل

فيها سراجاً"، يعني الشمس "وقمرا منيرا" أي: مضيئاً. ومن قرأ " سرجا " بالجمع جعل البروج:

القصور، والسروج: النجوم. ومن قرأ سراجا بالتوحيد جعل البروج المنازل والسراج: الشمس،

والضمير في "فيها" على القراءة، من قرأ: " سرجا " بالجمع يعود على البروج التي هي القصور،

ومن قرأ " سرجا " بالتوحيد كان الضمير يعود على السماء، وإن شئت على البروج. ويكون

السراج يؤدي على الجمع كما قال: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ غافر: ٦٧، أي جعل فيها مضيئة.

وقرأ الأعمش و " قمرا " بضم القاف وإسكان الميم، جعله جمعا وهي قراءة شاذة"³.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الأحزاب:

٦، بين مكي القراءة الشاذة ووجهها، فقال: "وحكى قتادة والحسن: بأنه كان يقرأ في بعض

القراءات: " من أنفسهم وهو أب لهم "، ولا ينبغي أن يقرأ بذلك الآن لمخالفته المصحف

والإجماع"⁴.

2 . نسبة القراءة الشاذة للصحابي: كان مكي أحيانا لا يذكر القراءة بأنها شاذة ولكن ينسبها

للصحابي الذي قرأ بها مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيره، ومن ذلك عند تفسير قوله

¹ ينظر ص 115 من الرسالة.

² مكي، الهداية، ج 1، ص 505

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 5247

⁴ المصدر نفسه، ج 9، ص 5786

تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ البقرة: ٢٣٣، بين القراءة الصحيحة والشاذة، قال مكي: "قوله: "لا تضار" من رفع فهو خبر عن الله، معنى الأمر، ومعناه: لا تضار والدة في علم الله، ولا تكلف نفس إلا وسعها. والفتح أبين على النهي. ويجوز الكسر، لالتقاء الساكنين والفتح أخف.

وروى أبان عن عاصم " لا تضارر " بالجزم والإظهار، وهي لغة أهل الحجاز، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، غير أن ابن مسعود يفتح الراء الأولى¹.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَضَنَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ يونس: ٢٤، بين القراءة الشاذة عن الصحابي أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وردها لمخالفتها المصحف، فقال: "وقرأ مروان على المنبر: "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها". وذكر أن كذلك قرأها ابن عباس. وقال ابن عباس: كذلك أقرأني أبي بن كعب.

وقال قتادة "كأن لم نغن بالأمس": "كأن لم تعش، كأن لم تنعم".

وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن يقرأ في قراءة أبي: "كأن لم تغن بالأمس، وما أهلكتها إلا بذنوب أهلها، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون." ولا يحسن أن يقرأ أحد بهذه القراءة، لأنها مخالفة لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون².

3 . الاستدلال بالقراءة الشاذة على معاني التفسير: أحياناً يستدل بالقراءة الشاذة على المراد

بالمعنى في التفسير، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ

يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا

وَخَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ آل عمران: ٣٩، استدلال بقراءة عبد الله بن مسعود

لمعرفة معنى الآية، فقال مكي: "قوله: "فنادته الملائكة". قال قتادة وغيره: جبريل ناداه.

¹ مكي، الهداية، ج1، ص780

² المصدر نفسه، ج5، ص3250

وأكثر الناس على أن الجماعة من الملائكة نادوه. ومن أنث فلتأنيث الجماعة ومطابقة اللفظ. ومن ذكر فعلى المعنى، ولتذكر الجمع. ومن كسر "إن" أجرى النداء مجرى القول. وفي قراءة عبد الله: "يا زكريا إن الله"، فهذا يدل على إضمار القول. ومن فتح: أعمل النداء لأنه فعل. وسمي بيحي لأن الله أحياه بالإيمان¹.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ النساء: ١٢٨، بين قراءة عبد الله بن مسعود ووجهها، فقال: وفي قراءة عبد الله: فلا جناح عليهما "إن أصلحا".

ولذلك اعتبر الكوفيون قراءةهم فقراً وا " يصلحا " ولقوله: " صلحا ". والصلح الاسم، والعرب تضع الاسم موضع المصدر كقولهم المطية لمطاء. فأما من قرأ " يصلحا " فليس " صلحا " باسم له ولا مصدر، فقراءة الكوفيين أقرب إلى " صلحا " من قراءة غيرهم لأن " صلحا " اسم الفعل لأصلح². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوْطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ﴾

فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُمَّرَاتُكَ إِنَّهُ مَّصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ هود: ٨١، بين قراءة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - واستعان بها في تفسير الآية فقال: " والمعنى: قالت له الرسل، لما ضاق، ونزل الركب، فقال لقومه ما قال: "لن يصلوا إليك إنا رسل ربك" - بسوء - "فأسر بأهلك بقطع من الليل": أي: أخرج بهم في بقية من الليل، وفي طائفة منه، "إلا امرأتك" نهي أن يخرج بها. ومن قرأ بالرفع، فالمعنى: " ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك " فيكون قد خرج بها، فالتفتت تنظر ما حل بقومها، فأصابها ما أصابهم. ومن نصب فعلى الاستثناء.

وفي قراءة ابن مسعود: "فأسر بأهلك إلا امرأتك ". وهذا يدل على الاستثناء، والمعنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك، فيكون المعنى: إنه خرج بهم إلا امرأته، وإنه لم يخرج بها. والنهي في الالتفات، إنما وقع على من خرج معه، إلا امرأته "إنه مصيبتها ما أصابهم من العذاب"³.

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1002

² المصدر نفسه، ج2، ص 1486

³ المصدر نفسه، ج5، ص 3445

وأخيراً في ختام هذا المبحث، أود أن أشير إلى أن مكي بن أبي طالب التزم من الوهلة الأولى بإيراد القراءات الصحيحة والشاذة، ويبيّن ما تحتمله من معاني في تفسيره، وتطرق لبعض مباحث علم القراءات، وساعده في ذلك باعه الطويل في هذا العلم، وكان يذكر في الغالب القراءة الصحيحة وينسبها للقراء ويوجهها، أما القراءات الشاذة فأكثر منها في تفسيره ووجهها وبين ضعفها إذا كانت غير موافقة لشروط القراءة الصحيحة وينسبها لأهلها، والقراءة المجمع عليها بين القراء، يشير إليها بعبارة: "وقراءة الجماعة"، ويذكر المخالفين من القراء في القراءة، وكان في توجيهه للقراءة دقيقاً إلى أبعد الحدود، وله نظرات ثابتة في التوجيه، وهذا هو منهج مكي العام في القراءات وقد أبرزت غاية جهدي بتتبع التفسير وكشفت عنه بقدر طاقتي وما انتهت إليه معرفتي، ولكنني اعترف أنني لم أحيط بكل جوانب القراءات عند مكي، لأنه عالم كبير ومتميز في هذا العلم، وله مؤلفات متعددة في القراءات، وأشارت إلى أنني اطّلت على عدة دراسات متخصصة في دراسة كتبه المختلفة في القراءات وعلى تفسيره، وقد أشرت لها في الدراسات السابقة، ولكنني بذلت جهدي في إبراز أهم النقاط الرئيسية التي توضح منهجه العام في القراءات، والتي انفرد بها في تفسيره، وكشفت عن منهجه العام في القراءات في حدود طاقتي، وما استطعت ملاحظته، ولا يزال تفسير مكي يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث في هذا المجال.

المبحث الثالث: منهج المفسر في قضايا علوم القرآن

إن علوم القرآن من العلوم المهمة لكل مفسر يفسر كتاب الله - ﷻ -، وهو مركب إضافي، وله تعريفات متعددة، من بينها تعريف الزرقاني له بقوله: "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك"¹. ولا أنوي التطرق إلى جميع مباحث علوم القرآن في هذا المبحث لأنها متعددة حيث أوصلها الزركشي في كتابه البرهان إلى سبعة وأربعين نوعاً؛ بقدر المباحث التي اهتم بها مكي بن أبي طالب وركز عليها أثناء تفسيره، وقد حصرتها في أربعة مباحث تتعلق بهذا العلم، وهي المكي والمدني وأسباب النزول وفضائل القرآن والناسخ والمنسوخ، وهذه أهم المباحث التي أكثر منها مكي في تفسيره، حيث كانت له آراء خاصة في هذه الجزئيات من هذا العلم، مع الإشارة إلى أن علوم القرآن كعلم مستقل بذاته، لم يظهر إلا بعد عصر مكي بن أبي طالب، وحدده العلماء بالعصر المملوكي؛ حيث إن أول كتاب جامع لمباحث علوم القرآن، هو كتاب (البرهان) للزركشي المتوفى سنة 794هـ، وذلك في عصر المماليك.

المطلب الأول: المكي والمدني

قبل التطرق إلى معرفة المكي والمدني وتقسيماته في تفسير مكي، نعرف تعريفاً موجزاً بموضوع هذا العلم، فالقرآن ينقسم من حيث نزوله إلى مكي ومدني، وهناك خلاف بين العلماء في تعريف المكي والمدني، لأنه لم يثبت بالنقل الصحيح عن الرسول - ﷺ - وصحابته الكرام قولاً في ذلك، ولأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، لأنهم يشاهدون الوحي والتنزيل.

ولكن هناك اجتهادات من العلماء في معرفته، وإليك بيانها حسب ما جاءت في كتب علوم القرآن، حيث ذكر أغلبهم ثلاثة تعاريف للمكي والمدني، وهي:

1 - المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها ولو بمكة.

2 - المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

3 - المكي ما كان الخطاب فيه لأهل مكة، والمدني ما كان الخطاب فيه لأهل المدينة².

ونستنتج من هذه التعاريف، أن الذي قال بالأول، راعى ولاحظ الزمان، والذي قال بالثاني نظر إلى المكان، والذي قال بالثالث نظر إلى الخطاب في الآية.

¹ الزرقاني: مُجَدِّد عبد العظيم، "مناهل العرفان في علوم القرآن"، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 3، ج: 1، ص 27

² الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين، "البرهان في علوم القرآن"، ج: 1، ص 187

والراجح من هذه التعاريف والذي عليه أكثر العلماء هو الرأي الأول، قال: الزرقاني: "وهو المشهور، وهذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم صحيح سليم، لأنه ضابط حاصر، و مُطَرِّد لا يختلف بخلاف سابقه، ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم، وعليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع، وكذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٥٨، فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم، وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره - عليه الصلاة والسلام - كفاتحة سورة الأنفال وقد نزلت ببدر، فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور".¹

ولتحديد المكي والمدني فوائد كثيرة، من بينها تمييز الناسخ والمنسوخ، ومعرفة التدرج في التشريع، وهذه سياسة الإسلام في تربية الأفراد والجماعات، ومن فوائدها أيضاً يقين بسلامة القرآن من التبديل والتحريف، وهو دليل على محبة المسلمين لهذا الكتاب، إلى درجة معرفة ما نزل قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف، وما نزل بالنهار، وما نزل بالليل، إلى غير ذلك، مما يجعله محفوظاً من العبث والتبديل والتغيير.²

هذه أهم أقوال العلماء في معرفة المكي والمدني في القرآن الكريم، أما مفسرنا مكي بن أبي طالب فقد تعرض لبعض مباحث علم المكي والمدني كمسألة نزول القرآن، ومعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، والضوابط التي جعلها العلماء في معرفة المكي والمدني وكانت عرضاً أثناء التفسير، وكانت طريقته المعتادة، أنه يذكر في بداية كل سورة هل هي مكية أو مدنية، وينبه أحياناً إلى الآيات المدنية الواردة في السورة المكية، والعكس أيضاً، ينبه على الآيات المكية الواردة في السورة المدنية كبقية المفسرين، ويأتي بالتفصيل أثناء عرضه للتفسير، ويستشهد بأقوال الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم، وسنعتي أمثلة من تفسيره في نقاط محددة حتى تتضح لنا طريقته المعتادة في ذكر المكي والمدني أثناء التفسير:

¹ الزرقاني: مُجَّد عبد العظيم، "مناهل العرفان في علوم القرآن"، ج1، ص 195

² ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 105، بتصرف.

1 - تعرضه لمسألة نزول القرآن: إن القرآن الكريم لم ينزله الله - ﷻ - على نبيه - ﷺ - جملة واحدة، بل أنزله منجماً ومفرقاً بحسب الوقائع التي تقتضي نزول ما ينزل منه، وكان نزوله على مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً، فبعضه نزل في مكة، وبعضه الآخر نزل بالمدينة بعد الهجرة، فكان ينزل القرآن على الرسول - ﷺ - في السفر والحضر وفي أي مكان حلّ، فكان منه المكي والمدني، وما بعضه مكي والبعض الآخر مدني والعكس صحيح، وقد أشار مكي بن أبي طالب في معرض تفسيره لآيات القرآن لمسألة نزول القرآن أكثر من مرة، ونقل روايات عن الصحابة والتابعين - ﷺ - في هذه المسألة، ومن ذلك، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة: 185، قال مكي: "أي: المفترض عليكم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن إلى سماء الدنيا وذلك ليلة أنزل الله جل ذكره القرآن من اللوح المحفوظ جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك نجوماً على ما شاء الله. كذلك أتت الرواية عن النبي¹. قال ابن عباس: " أنزل الله القرآن جملة من الذكر في ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فجعل في بيت العزة ". وروى واثلة عن النبي - ﷺ - أنه قال: " نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، ونزلت التوراة لست مضين من رمضان. ونزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت منه. ونزل الزبور لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان. ونزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان. وكان بين نزول أول القرآن وآخره عشرون سنة² ". قيل: معناه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن بفرضه على الناس. فأما إعرابه على هذا المعنى، فيكون فيه معدى إليه الفعل بحرف جر، لا ظرفاً. وعلى القول الأول، يكون فيه ظرفاً للنزول... وأكثر الناس على أن القرآن أنزل ليلة القدر من رمضان، والله أعلم أيّ ليلة كانت، وذلك كله إلى سماء الدنيا، ثم نزل متفرقاً على ما ذكرنا³. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ ﴿٣٢﴾

¹ وهو يقصد حديث نزول القرآن، ينظر: الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري، "المستدرک علی الصحیحین"، كتاب التفسير، ج2، ص242، ر2878، وعلق المحقق: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

² ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الشاميين، ج28، ص191، ر16984، وعلق المحقق: حديث ضعيف

³ مكي، الهداية، ج1، ص600

الفرقان: ٣٢، بين الحكمة من نزول القرآن منجما فقال: "كذلك لنثبت به فؤادك"، أي: فرقنا نزوله "لنثبت به فؤادك"، لأنهم سألوا ما الصلاح في غيره؟ لأن القرآن، كان ينزل متفرقا جوابا عما يسألون عنه، وكان ذلك من علامات النبوة، إذ لا يسألون عن شيء إلا أجيبوا عنه، وهذا لا يكون إلا من نبي. فكان ذلك تثبيتا لفؤاده وأفئدتهم، وبين الله هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا

يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الفرقان: ٣٣، فكان في نزوله متفرقا الصلاح والرشد، ولو نزل جملة لكان قد سبق الحوادث التي ينزل فيها القرآن، ولو نزل جملة واحدة بما فيه من الفرائض لثقل ذلك عليهم، فعلم الله جل ثناؤه ما فيه من الصلاح، فأنزله متفرقا، ولو نزل جملة لزال معنى التثبيت، ولم يكن فيه ناسخ ولا منسوخ، إذ لا يجوز أن يأتي في مرة واحدة افعلوا كذا ولا تفعلوا. قال ابن عباس: نزل متفرقا على النبي - ﷺ - ليعلمه عن ظهر قلب. وقيل معنى: "لنثبت به فؤادك" لتعيه. لأنه لم يكن - ﷺ - يكتب، فلو نزل مرة واحدة، لصعب عليه حفظه مرة واحدة، ولشق ذلك عليه، فأنزله الله متفرقا شيئا بعد شيء، ليسهل عليه حفظه، وليعيه على وجهه¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ

النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ الواقعة: ٧٥، قال مكي: "قال ابن عباس: نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين بعد وتلا ابن عباس "فلا أقسم بمواقع النجوم"، قال نزل متفرقا. وقال عكرمة: فلا أقسم بمواقع النجوم، قال أنزل الله القرآن نجوما ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات، وقال أيضا نزل جميعا فوضع بمواقع النجوم، فجعل جبريل - ﷺ - يأتي بالسورة بعد السورة وإنما نزل جميعا في ليلة القدر². ونكتفي بهذه الأمثلة من تفسير مكي، وقد تعرض لها كثيرا في معرض تفسيره للقرآن.

2. مسألة أول ما نزل وآخر ما نزل: تعرض مكي بن أبي طالب في تفسيره إلى القضية الخلافية بين العلماء في معرفة أول ما نزل من القرآن، وآخر ما نزل منه، لأنها قضية اجتهادية وأنه لم يثبت عن الرسول - ﷺ - قول في ذلك، وتضاربت الأخبار عن الصحابة - ﷺ - في هذه المسألة، فنجد مكي قد تعرض لها أثناء تفسيره للقرآن، ومن ذلك، عند ذكره لسورة الفاتحة وهل هي مكية أو

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5216

² المصدر نفسه، ج11، ص 7290

مدينة، ذكر أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن، وتوقف ولم يرجح في ذلك، فقال: "وقال مجاهد: "نزلت الحمد بالمدينة"، وقال: "لما نزلت رن إبليس اللعين". يريد رن من عظيم ثوابها وجلالة قدر ما خص الله به أمة مُحَمَّد - ﷺ - من إنزالها على نبيهم - ﷺ -. وقد اختلف عن ابن عباس في نزولها؛ فروي عنه بالمدينة، وروي عنه بمكة. وحديث ورقة يدل على أنها أول ما نزل من القرآن¹.

وأكثر المفسرين على أن أول ما نزل من القرآن: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١ ، إلى قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق: ٥. وقيل: أول ما نزل المدثر، والله أعلم بأي ذلك كان². وقال في موضع آخر: "روى الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحي: الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان بجراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فأجئه الحق فأتاه، فقال: يا مُحَمَّد، أنت رسول الله. قال رسول الله: فجنوت لركبتي وأنا قائم ثم رجعت يرجف فؤدي، ثم دخلت - يريد على خديجة - فقلت: زملوني، زملوني، حتى ذهب عني الروح ثم أتاني فقال: يا مُحَمَّد، أنت رسول الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك فقال: يا مُحَمَّد، أنا جبرائيل، وأنت رسول الله، ثم قال: اقرأ. قلت: ما أقرأ؟ فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد، ثم قال: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١، فقرأت، فأتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي، وأخبرتها خبري، فقالت: أبشر، فو الله لا يحزنك الله أبدا. والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتصبر على نوائب الحق. قال: ثم انطلقت بي خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد فقالت: اسمع من ابن أخيك. فسألني، فأخبرته خبري. فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ابن عمران. ليتني أكون فيها جذعا، ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك. قلت: أخرجني هم؟! قال: نعم، إنه لم يجيء رجل قط بما جئت به إلا عودي. ولئن أدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم كان أول ما أنزل علي من القرآن -

¹ الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص234، من الرسالة.

² مكي، الهداية، ج1، ص79

بعد " أقرأ " - ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾
 القلم: ١ - ٢. حتى قرأ إلى ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ القلم: ٥، و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ
 ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ المدثر: ١ - ٢، و ﴿ وَالصُّحْحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾
 الضحى: ١ - ٢.¹

قال مجاهد وعطاء بن يسار وعبيد بن عمير وأبو رجاء العطاردي: أول ما نزل على النبي - صلى
 الله عليه وسلم -: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١، كقول عائشة - رضي
 الله عنها -. والرواية أنه إنما عليه من ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١ ، إلى
 قوله ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ٥، ثم نزل باقيها بعد: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ
 ﴿١﴾ ﴾ المدثر: ١، و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْقِلُ ﴿١﴾ ﴾ المزمل: ١.²

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ
 لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣، بين مكي الأقوال فيها وأنها آخر ما نزل من القرآن ونفاه
 أخيراً، فقال: "أي: أتممت فرائضي عليكم وحدودي، ونزل ذلك يوم عرفة في حجة الوداع، ولم
 يعش النبي - ﷺ - - بعد نزول هذه الآية - إلا إحدى وثمانين ليلة، ولم ينزل بعدها حلال ولا
 حرام، " ولما نزلت هذه الآية بكى عمر، فقال له النبي - ﷺ - : ما يبكيك؟ فقال: كنا في زيادة
 من ديننا، فأما إذا كمل، فإنه لم يكمل شيء إلا نقص. فقال له النبي - ﷺ - : صدقت"³. قال
 عمر: نزلت يوم الجمعة يوم عرفة. وقيل: معنى كمال الدين: أنه منع أن يحج مشرك وكمل الحج
 للمسلمين ونفي المشركون من البيت الحرام والحج، قال ذلك قتادة وابن جبير وغيرهما، وقيل:
 المعنى: اليوم أظهرت دينكم على سائر الأديان وأهلك عدوكم. وذكر بعض العلماء أن في المائدة

¹ البخاري: مُجَّد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ - ، ج1، ص7، ر3، مع العلم أن للحديث روايات متعددة.

² مكي، الهداية، ج12، ص8353

³ ابن حنبل: أحمد بن مُجَّد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكين، ج25، ص101، ر15802، وعلق
 المحقق: إسناده ضعيف لإبھام راويه عن الصحابي.

"ثمان عشرة" فريضة ليست في غيرها وهي: تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب، والاستقسام بالأزلام، وتحليل طعام أهل الكتاب، وتحليل المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، والجوارح مكلبين، وتما الطهور: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ المائدة: ٦، وحكم

السارق والسارقة، ونفي فرض البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وهي آخر سورة نزلت. واختيار الطبري: أن يكون المعنى أن الله أعلم نبيه أنه أكمل لهم دينهم بانفرادهم بالبلد الحرام وإجلاله المشركين عنه حتى حج المسلمون، لا مشرك يخالطهم، فأما إكماله بتمام الفرائض

فيعارضه ما رواه البراء بن عازب أن آخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي

الْكَلَالَةِ ﴾ النساء: ١٧٦، الآية، وأيضا فإن قول من قال: " نزل بعد ذلك فرائض "، أولى

من قول من قال: " لم ينزل "، لأن الذي نفى يخبر أنه لا علم عنده، والنفي لا يكون شهادة مع خبر الصادق بالإيجاب¹. وأتى بأقوال الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - المتفرقة في آخر ما نزل، ولم يُعط رأيه فيها، فقال: "قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: " آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن نبي الله

قبض من قبل أن يفسرها ". قال ابن عباس: " آخر آية نزلت: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة:

٢٨١. كذلك قال السدي وعطية وابن جريج².

ومن خلال هذا المثال الذي ذكرته من تفسير مكّي، في بيان الأحكام التي جاءت في سورة المائدة، اتضح لي وكأنه تفتن إلى أن الآيات التي جاءت بها أحكام، وحث على الجهاد في سبيل الله، هي مدنية والآيات التي جاءت في ترسيخ العقيدة هي مكية وهذا ضابط من الضوابط التي نص عليها العلماء في معرفة المكّي والمدني في القرآن.

ونكتفي بهذه الأمثلة من تفسير مكّي، في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن، لأن المسألة خلافية بين العلماء، وتطرق لها مكّي بن أبي طالب كثيرا في تفسيره، وكان أحيانا ينفي ويرد هذه الأقوال، وأحيانا يذكرها فقط دون رد، ولم يستقر على رأي معين فيها.

¹ مكّي، الهداية، ج3، ص 1592

² المصدر نفسه، ج1، ص 914

3 - التنبيه على السور المدنية والمكية: كان مكي في تفسيره ينبه على كل سورة هل هي مدنية أو مكية، أو مختلف فيها، أو هناك آيات مكية في السور المدنية والعكس صحيح؟ وهذه طريقته المعتادة كبقية المفسرين، ونعطي أمثلة على ذلك، ففي بداية تفسيره لسورة الأعراف، بين أنها مكية فقال: "سورة الأعراف مكية"¹، وعند بداية سورة البقرة بين أنها مدنية، فقال: "سورة البقرة مدنية"²، وعند بداية تفسيره لسورة الرعد، قال مكي: "سورة الرعد: مكية، وقيل: مدنية، قال ابن جبير، ومجاهد: هي مكية. وقال قتادة: هي مدنية إلا آية واحدة، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ الرعد: ٣١، وعنه: إلا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الرعد: ٣١، فإنه نزل بمكة. وسئل ابن جبير عن قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ الرعد: ٤٣: أهو عبد الله بن سلام؟ فقال: كيف يكون عبد الله بن سلام، والسورة مكية وابن سلام إنما أسلم بالمدينة"³.

وعند بداية تفسيره لسورة الزمر، قال مكي: "سورة الزمر مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة، إذ دخل المدينة، فكان النبي - ﷺ - لا يطيق أن ينظر إليه فتوهم أن الله، - وَعَلَيْكَ - لم يقبل إيمانه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿قُلْ لِيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الزمر: ٥٣، إلى آخر الثلاث الآيات"⁴. وهذه طريقته المعتادة في تبين السور المكية والمدنية في تفسيره.

4 - بيانه لبعض ضوابط المكي والمدني: تطرق مكي بن أبي طالب أثناء تفسيره للقرآن، لبعض الضوابط التي يعرف بها القرآن المكي والمدني وناقشها، وقد حدد العلماء بعض الضوابط منها: ما جاء في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، فهو مكي، وما جاء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدني ". وكذلك النقل الصحيح عن الرسول - ﷺ - والصحابة - رضوان الله عليهم -، مع العلم أنه لم يثبت عن الرسول - ﷺ - أن قال هذه السورة مدنية أو مكية، ولكن يمكن أن يعرف هذا عن طريق

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2269

² المصدر نفسه، ج1، ص 117

³ المصدر نفسه، ج5، ص 3660

⁴ المصدر نفسه، ج10، ص 6293

الاجتهاد والاستنباط، من أقوال الرسول وأفعاله وأقوال الصحابة من بعده، وهناك ضابط آخر وهو الاجتهاد والاستنباط مطلقاً، فالمفسر يستطيع معرفة المكي والمدني باجتهاده الخاص؛ عن طريق معرفة القرائن والدلائل في تفسير الآيات، ومفسرنا مكي بن أبي طالب قد تفتن إلى هذا في تفسيره للقرآن، وسنعتي بعض الأمثلة من تفسيره على ذلك، فأثناء تفسيره لقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

﴿٢١﴾ البقرة: ٢١، بين مكي قول عبد الله بن مسعود وعلقمة في ضوابط القرآن المدني والمكي

ورد القول وناقشه، فقال: "قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا﴾ الآية. قال ابن مسعود: "كل

شيء في القرآن ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، فهو مكي، وكل شيء في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا﴾ فهو مدني". وقاله عروة بن الزبير والضحاك. قال أبو محمد: وهذا القول إنما هو على

الأكثر وليس بعام، لأن البقرة والنساء مدينتان وفيهما ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾. وفي كثير من

السور المكية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ومعنى الآية يا أيها الناس، أخلصوا العبادة لربكم

الذي خلقكم، وخلق الذين كانوا من قبلكم، وإنما خاطب الله الكفار بهذا لأنهم كانوا مقرين بأن

الله خالقهم، دليل ذلك قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنِّي يُؤَفِّكُونَ

﴿٨٧﴾ الزخرف: ٨٧. فقليل لهم: إذا كنتم مقرين بأن الله خالقكم فاعبدوه، ولا تجعلوا له شركاء،

ومعنى الخلق الاختراع"¹. وقال في موضع آخر: "قال علقمة: ما كان في القرآن ﴿يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو نزل بالمدينة، وما كان ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فهو نزل بمكة. وهذا قول

جرى من علقمة على معنى أن الأكثر كذلك، وليس يصح ذلك في كل القرآن، بل "قد "

يكون في المدني ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ وفي المكي ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. ولكن ما

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 183، والأثر سبق تخرجه، ينظر: ص 226 من الرسالة.

كان فيه ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدني، وما كان فيه ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ﴾ وليس فيه ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مكي، وفي "النور" اختلاف¹.

ومن ضوابط المكي والمدني النقل الصحيح عن الرسول - ﷺ - والصحابة - ﷺ - ونقصد بذلك الإشارة أو الإيحاء على أن السورة مكية أو مدنية، عن طريق أقوال وأفعال الرسول والصحابة في التفسير، وقد استعان مكي بهذا في معرفة المكي والمدني، وذلك عند تفسيره لسورة الحج، بين المكي والمدني في السورة، فقال: "سورة الحج" مكية سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في ستة نفر من قريش، ثلاثة مؤمنون وثلاثة كافرون. فالمؤمنون عبدة بن الحرب بن عمرو وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب - ﷺ -. دعاهم للبراز عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿هَذَا نِ حَصْمَانِ اَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الحج: ١٩، إلى تمام الآيات الثلاث. قال أنس بن مالك: نزلت سورة الحج على النبي - ﷺ - وهو في مسير له وأصحابه متبددون، فرفع بها صوته، فنادى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢) الحج: ١ - ٢، فاجتمع إليه أصحابه فقال: هل تدرون أي يوم ذلك؟ ذلك يوم يقول الله لأدم: ابعث بعث النار من بنيك وبناتك. فقال: يا رب من هم؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد في الجنة، فكبر ذلك على أصحاب النبي فقال لهم النبي: أبشروا، فإنكم مع خليقتين لم يكونا مع شيء قط إلا كثرتهن يأجوج ومأجوج، وما أنتم في الناس إلا كالرقمة في دراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير الحديث بكامله². وقد قيل: إن سورة الحج مدنية، وحديث أنس أنها نزلت في بعض أسفار النبي - ﷺ - يدل على أنها مدنية. فمن قال أنها مدنية، قال في قوله: "هذان خصمان" إنه نزل في اختصاص اليهود والمسلمين

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1551

² الترمذي: محمد بن عيسى، "سنن الترمذي"، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998م، باب: ومن سورة الحج، ج5، ص 174، ر3169، وعلق المحقق: هذا حديث حسن صحيح.

في كتابهم ودينهم"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ القصص: ٨٥، استدل مكي بقوله تعالى: ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، وبهجرة الرسول إلى المدينة، بأن السورة مكية فقال: "وعن ابن عباس أيضا ومجاهد: إلى معاد: إلى مكة، وهو الموضع الذي خرج منه، فكان ذلك بعد مدة، وهذا من دلالات نبوته - ﷺ - لأنه أخبر بمكة أنه إذا خرج منها سيعود إليها، فكان ذلك. والسورة مكية ورجع إلى مكة بعد هجرته إلى المدينة وبقائه بها تسعة أعوام أو نحوها، وذلك كله بوحى الله جل ذكره إليه بذلك في كتابه بقوله: ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ القصص: ٨٥"².

ثم استعان مكي باجتهاده الخاص في معرفة المكي والمدني، والتفريق بينهما عن طريق الاستنباط والدلائل، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأحقاف: ١٠، قال مكي: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يعني موسى - ﷺ - شهد على مثل القرآن، فالتصديق أنه من عند الله هو التوراة. فشهد على التوراة أنها من عند الله سبحانه، والقرآن مثلها. قاله مسروق. وقال الشعبي: زعم قوم أنه عبد الله بن سلام، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة، والحواميم مكية، ولكنه موسى - ﷺ -، وروى مالك عن أبي هريرة عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أنه قال: " ما سمعت النبي - ﷺ - يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأحقاف: ١٠"³. وقال ابن عباس: " كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - قال: إنا نجده في التوراة، وكان أفضل رجل فيهم وأعلمهم فخاصم اليهود النبي - ﷺ - وتراضوا بحكم عبد الله بن سلام وقالوا: إن شهد لك آمننا بك، فقال له النبي - ﷺ -: أتشهد أني رسول الله مكتوبا في التوراة والإنجيل؟ فقال: نعم، فاعتزمت اليهود وأسلم عبد الله، وهو قوله: ﴿فَقَامَنَ وَأُسْتُكْبِرُ﴾ الأحقاف: ١٠"⁴. قال مجاهد: هو عبد الله بن سلام، وهو قول

¹ مكي، الهداية، ج 7، ص 4834

² المصدر نفسه، ج 8، ص 5586

³ الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص 229 من الرسالة.

⁴ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، " جامع البيان في تأويل القرآن"، ج 22، ص 105

قتادة وابن زيد والحسن. وعن الشعبي أنه قال: هو رجل من أهل الكتاب غير عبد الله بن سلام. وذهب ابن سيرين إلى أن هذه الآية مدنية جعلت في سورة مكية فيصح أنه عبد الله بن سلام لأن إسلامه كان بالمدينة¹. وكذلك استدلال مكي على معرفة المكي والمدني بالاجتهاد عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ البقرة: ٢٣، قال مكي: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُمْتَرَاتٍ﴾ هود: ١٣، نزل قبل: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ البقرة: ٢٣، لأن الأول مكي وهذا مدني، فلما عجزوا عن عشر سور، قيل لهم: فأتوا بسورة. وقيل: إنما طولبوا في البقرة بسورة من مثله غير محدودة في مدح و لا ذم ولا تعظيم ولا غيره، بل تجمع معاني كما تجمع ذلك سور القرآن، وكلفوا في العشر السور أن تكون مفتريات، ومن كلف معنى واحدا أخف ممن كلف معاني لا تحصى ولا تدرك. فالتكليف في سورة البقرة أثقل وأضعف، وإن كانت سورة واحدة، وهو في هود أخف، وإن كان بعشر سور لأنها في معنى واحد وقع بها التكليف في هود، وفي معان كثيرة وقع بها التكليف في البقرة². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٧٦، اجتهد مكي في مكان نزول السورة ورجحه، فقال: "أي: إن كاد هؤلاء المشركون أن يستخفونك من الأرض التي أنت فيها ليخرجوك منها، ولو أخرجوك منها لم يلبثوا خلفك فيها إلا قليلا. قيل: إنهم هم: اليهود. أرادوا أن يحتالوا على النبي - ﷺ - في الخروج من المدينة. وقالوا له إن أرض الأنبياء أرض الشام. وإن هذه ليست بأرض نبيء فأنزل الله - ﷻ - الآية. قال هذا المعتمر بن سليمان عن أبيه. وقيل: هم قريش أرادوا إخراج النبي - ﷺ - من مكة قاله قتادة. و قال: قد فعلوا ذلك بعد، فأهلكهم الله - ﷻ - يوم بدر: وكانت سنة الله - ﷻ - في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك. وقال الحسن: همت قريش بإخراج النبي - ﷺ - من مكة فأراد الله - ﷻ - نفي قريش فأمره الله - ﷻ - أن يخرج منها مهاجرا إلى المدينة فخرج بأمر الله - ﷻ - ولو أخرجوه هم لهلكوا كما قال: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٧٦. وقيل: الأرض هنا أريد بها

¹ مكي، الهداية، ج 11، ص 6822

² المصدر نفسه، ج 1، ص 194

أرض الحجاز. وقيل: مكة، وعليها أكثر المفسرين. وقيل: المدينة، وفيه بعد. لأن السورة مكية ولم يكن النبي - ﷺ - في المدينة عند نزول هذه الآية، فالأرض: يعني: بها مكة أحسن وأولى¹. ونكتفي بهذه الأمثلة، حتى لا نطيل في هذه الضوابط التي تفتن لها مكّي في تفسيره في معرفة المكّي والمدني، قبل ظهور هذا العلم.

5. الاستدلال بالنسخ على معرفة المكّي والمدني: استدل مكّي بن أبي طالب على معرفة المكّي والمدني بنسخ الآيات بعضها ببعض، لأن معرفة الآية الناسخة لما قبلها؛ يلزم أن تكون نازلة بعدها، وهذا يفيد في تدرج الأحكام كآيات تحريم الخمر مثلاً، وقد وظف مكّي مكان نزول الآيات في معرفة النسخ، ونعطي بعض الأمثلة من تفسيره، ومن ذلك عند ذكره لتوبة القاتل العمد هل تقبل أم لا؟ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٣، قال مكّي: "وقال مجاهد: إلا من تاب يعني أن العفو من الله جائز للقاتل عمدا إذا تاب، وهو قول ابن عمر، وزيد بن ثابت، وجماعة من العلماء. وعن ابن عباس أنه لا توبة له، وأنها محكمة لم تنسخ.

وقال زيد بن ثابت: نزلت ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٣، الآية بعد أن نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ النساء: ٤٨ الآية بأربعة أشهر. وقال ابن عباس: هذه الآية التي في النساء مدنية نسخت التي في الفرقان ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ الفرقان: ٧٠، لأنها مكية. وعن ابن عمر وزيد بن ثابت: إن للقاتل توبة وهو قول جماعة من العلماء لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ وقوله: ﴿وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ طه: ٨٢، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الشورى: ٢٥. وروي عن ابن عباس أنه قال: التي في الفرقان نزلت في أهل الشرك.

¹ مكّي، الهداية، ج6، ص 4261

وعن زيد بن ثابت أنه قال: نزلت سورة النساء بعد الفرقان بستة أشهر. وكان الطبري يقول: جزاؤه جهنم حقاً، ولكن الله يعفو ويتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله، فلا يجازيه بالخلود فيها إما أن يعفو، فلا يدخلهم النار، وإما أن يدخلهم، ثم يخرجهم بفضل رحمته لقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ الزمر: ٥٣¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ الشعراء: ٢٢٧، بين مكي أن سورة الشعراء مكية وهناك آيات مدنية في السورة ووضح النسخ، ونفاه في السورة، فقال: "ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الشعراء: ٢٢٧. فهذا الاستثناء يدل على أن الأول في المشركين نزل والسورة مكية إلا هذه الآيات نزلت بالمدينة في: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وهم شعراء رسول الله - ﷺ -، ثم هي لكل من كان مثلهم. هذا قول ابن عباس، وأدخل الضحاك هذه الآيات في الناسخ والمنسوخ. فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، نسخت ما قبلها. والصحيح أنه استثناء، والاستثناء عند سيبويه بمنزلة التوكيد لأنه يبين به كما يبين بالتوكيد. قال قتادة: قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، نزلت في حسان، وكعب بن مالك، وعبد الله الأنصاري الذين هاجوا عن النبي - ﷺ -². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ العنكبوت: ٤٦، بين مكي أنها مكية بسبب النسخ فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، هذا بدل من "أهل"، ويجوز أن يكون استثناء. والمعنى: إلا الذين امتنعوا من إعطاء الجزية ونصبوا دونها الحرب فلکم قتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية. قاله مجاهد وغيره، وهو اختيار الطبري. وقال ابن جبير: هم أهل الحرب ومن لا عهد له، فلك أن تجادله بالسيف. وقيل المعنى: لا تجادلوا من كفر منهم بمحمد - ﷺ - فيما يخبرونكم به من نص كتابهم إلا بالقول

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1432

² المصدر نفسه، ج8، ص 5365

الجميل، وأن تقولوا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم، إلا الذين ظلموا منهم. يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد - ﷺ -، وأقاموا على كفرهم. فالآية محكمة على هذا القول. روي هذا القول عن ابن زيد. وقال قتادة: هي منسوخة بالأمر بالقتال لأنها مكية"¹.

المطلب الثاني: أسباب النزول

أن معرفة أسباب النزول لها أهمية كبيرة في تفسير القرآن الكريم، وعلى المفسر الإحاطة بها حتى يفهم كتاب الله على الوجه الصحيح، واعتنى بها العلماء منذ القدم وألفوا فيها مؤلفات كثيرة، ويعد كتاب الواحدي (أسباب النزول)، وكتاب السيوطي (لباب النقول في أسباب النزول) من أهم الكتب المؤلفة في هذا الفن، والقرآن نزل من عند الله - ﷻ -، وقسمه العلماء إلى قسمين:

1 - قسم نزل بدون سبب، وهو أكثر القرآن.

2 - قسم نزل مرتبط بسبب من الأسباب وهو أقل من النوع الأول.

والقسم الثاني هو الذي يُعنى بأسباب النزول، قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب، يورث العلم بالمسبب"².

وعرف الشيخ الزرقاني أسباب النزول بقوله: "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى: حادثة وقعت في زمن النبي - ﷺ -، أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال"³.

ولا سبيل إلى معرفة سبب النزول إلا بالرواية والنقل الصحيح عن الرسول - ﷺ - والصحابة - رضوان الله عليهم -، مع العلم أن أسباب النزول فيها الصحيح والضعيف والموضوع وغيره، وأغلب أسباب النزول تكون ناتجة عن حدوث واقعة معينة، فينزل القرآن الكريم ليبيّن كما في حادثة الإفك، أو أن يُسأل الرسول - ﷺ - عن شيء، وينزل الجواب في القرآن وهو كثير، مثل سؤاله عن الساعة والروح وأهل الكهف وغيرها، كما قال الزرقاني في التعريف.

ومفسرنا مكي بن أبي طالب اعتنى بأسباب النزول واسترسل في تفسيره بذكرها، وقد صرح في

¹ مكي، الهداية، ج9، ص 5636

² ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس، "مقدمة في أصول التفسير"، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1490هـ/1980م، ص16

³ الزرقاني: مُجدد عبد العظيم، "مناهل العرفان في علوم القرآن"، ج1، ص 105

مقدمته للتفسير بذلك فقال: "وذكر الأسباب التي نزلت فيها الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً من روايتي، أو ما صح عندي من رواية غيري"¹.

ونعطي بعض الأمثلة من تفسيره حتى تتبين لنا معالم طريقته العامة في الأخذ بأسباب النزول:

1 - ذكره لأسباب متعدد في النزول دون الترجيح بينها: كان مكي بن أبي طالب يذكر أسباب متعددة لنزول آية قرآنية دون الترجيح بينها، مما يجعل القارئ في حيرة من معرفة الصحيح أو

الراجح منها، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ البقرة: ٦، ذكر مكي أسباب متعددة

لنزول الآية دون الترجيح بينها، فقال: "قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾. هذه

الآية نزلت في قوم سبق في علم الله فيهم أنهم لا يؤمنون، فأعلم الله نبيه - ﷺ - أن الإنذار لا ينفعهم لما سبق لهم في علمه، وثم كفار آخرون نفعهم الإنذار فآمنوا لما سبق لهم في علم الله سبحانه من الإيمان به، فالآية عامة في ظاهر اللفظ يراد به الخصوص، فهي في من تقدم له في علم

الله أنه لا يؤمن خاصة، ومثله ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ الكافرون: ٣. وذلك

أن رسول الله - ﷺ - كان حريصاً على إيمان جميع الخلق، فأعلمه الله - ﷻ - في هذه الآية أن من سبق له في علم الله سبحانه الكفر والثبات عليه إلى الموت لا يؤمن ولا ينفعه الإنذار، وأن الإنذار وتركه سواء عليه. وهذا مما يدل على ثبات القدر بخلاف ما تقوله المعتزلة. وقيل: نزل ذلك

في قادة الأحزاب، وهم الذين نزل فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

كُفْرًا﴾ إبراهيم: ٢٨، الآية. وهم الذين قتلوا يوم بدر، قال ذلك الربيع بن أنس. وقال ابن

عباس: "نزلت في اليهود الذين جحدوا بمحمد - ﷺ - استكباراً وحسداً مع معرفتهم أنه نبي -

ﷺ -". وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: "حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف مع

أصحابهما من رؤساء اليهود الذين دخلوا على النبي - ﷺ - وسألوه عن ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

كُفْرًا﴾ البقرة: ١ - ٢. وقيل: هي عامة في كل كافر تقدم له في علم الله أنه لا يؤمن.

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 73

وأصل الكفر التغطية. ومنه قيل لليل: كافر، لأنه يستر بظلمته ما فيه. ويقال للزراع: كفار، لأنهم يسترون الحب في الأرض، ومنه قوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ الفتح: ٢٩. ومنه قولهم: "كفارة اليمين". لأنها تستر الإثم عن الحالف، ومنه سمي الكافر لأنه يستر الإيمان بحجوده¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١١٥، ذكر أسباب متعددة ومختلفة في نزول هذه الآية، ولم يرجح بينها فقال: قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾. معناه: إن له ما بين مشرقها كل يوم، ومغربها كل يوم، وإنما خص الله تعالى ذكره أنه له وإن كان كل الأشياء له لأنه نزل في أمر معين، وذلك أن اليهود كانت تصلي نحو بيت المقدس، وصلى النبي - ﷺ - معهم إليها ستة عشر شهرا، ثم رجع إلى الكعبة. فاستعظم اليهود ذلك، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقال الله جل ذكره لنبيه - ﷺ -: قل يا محمد، لله المشرق والمغرب يصرف من يشاء إلى أين يشاء، فحيثما تولوا فثم وجه الله. فهذا أول ناسخ في القرآن لأنه نسخ التوجه إلى بيت المقدس. وكان النبي - ﷺ - يصلي إلى بيت المقدس بأمر من الله تعالى، وكان يحب قبلة إبراهيم - عليه السلام -، وكان يدعو أو ينظر إلى السماء فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة: ١٤٤، فارتابت اليهود من ذلك فأنزل الله - ﷻ -: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١١٥، الآية. وقال قتادة: "هذا منسوخ، وذلك أن الله تعالى أباح لهم أولا التوجه حيث شاءوا، وأخبرهم أنه أينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله، لأن له المشرق والمغرب، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة: ١٤٤. وقال ابن زيد: "لما أنزل على النبي - ﷺ - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ البقرة: ١١٥، وأباح له التوجه أين شاء. قال: هؤلاء يهود يستقبلون بيتا من بيوت الله، فاستقبله النبي - ﷺ -

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 141

ﷺ - معهم فبلغه أنهم قالوا: ما درى محمد ولا أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم. فكره ذلك النبي - ﷺ - ورفع وجهه إلى السماء فأنزل الله ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ البقرة: ١٤٤، الآية، فاستقبل الكعبة ". وقال ابن عمر: " الآية نزلت في التطوع، وكان يصلي حيثما توجهت به الراحلة ويقول: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١١٥. " وقيل: " نزلت في قوم عميت عليهم القبلة، فصلوا إلى جهات مختلفة، فأعلموا أن صلاتهم ماضية ". وروى عامر بن ربيعة عن أبيه أنه قال: " كنا مع رسول الله - ﷺ - في سفر فتغيمت السماء وأشكلت علينا القبلة. قال: فصلينا وعلمنا، فلما طلعت الشمس، إذا نحن صلينا لغير القبلة، وذكرنا ذلك لرسول الله - ﷺ -، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١١٥¹. " وقيل: إنها نزلت في أمر النجاشي؛ قال قتادة: قال النبي - ﷺ - لأصحابه: " إن أحاكم النجاشي قد مات، فصلوا عليه. فقالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم. فأنزل الله - ﷻ -: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ آل عمران: ١٩٩. فقالوا: وإنه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ البقرة: ١١٥²، الآية³، ونكتفي بهذه الأمثلة من تفسير مكي وهي كثيرة، وقد أتى مكي بأسباب النزول في تفسيره ولم يرجح بينها وإنما يذكرها فقط دون تعليق.

2 - الاستدلال بأسباب النزول على إثبات حكم: استدل مكي بن أبي طالب بأسباب النزول على إثبات بعض الأحكام التي جاء بها الإسلام، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

¹ ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، " سنن ابن ماجه"، باب من يصلي لغير القبلة وهو لا يعلم، ج1، ص 326، ر1020، وعلق المحقق: حسن.

² المصدر نفسه، باب ما جاء في الصلاة على النجاشي، ج1، ص 490، ر1534، وعلق المحقق: صحيح.

³ مكي، الهداية، ج1، ص 411

يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ البقرة: ٦٢، بين مكي عن طريق أسباب النزول، أن الموحد من أهل الكتاب قبل بعثة الرسول - ﷺ - يدخل الجنة، فقال: "قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ البقرة: ٦٢. أي جمع مع إيمانه المتقدم إيمانه بمحمد - ﷺ - وبما جاء به. روي ذلك عن السدي. وقال السدي: "نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي". وذكر قصة طويلة معناها أن سلمان كان قد تنسك مع قوم من الرهبان قبل مبعث النبي - ﷺ - فأخبروه أنه سيبعث نبي، فإذا لحقته فصدق به. فلما بعث النبي - ﷺ - وأتى المدينة أتاه سلمان فنظر إلى الخاتم الذي هو علامة النبوة، وقد كانوا قالوا له: علامته، خاتم بين كتفيه، وهو لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية. فلما رأى سلمان الخاتم مضى واشترى لحما وخبزا، وشوى اللحم وأتى به النبي - ﷺ -، فقال له: ما هذا؟ فقال له: صدقة. قال: لا آخذه، أعطه للمسلمين. ثم مضى فاشترى شيئا آخر فأتى به النبي - ﷺ - فقال له: ما هذا؟ قال له: هدية. فقال له: أجلس فكل، فأكل مع النبي - ﷺ - فسأله سلمان عن أولئك الرهبان ما حالهم في الآخرة وقد كانوا يقولون: لو لحقناك لآمنا بك، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية¹. أي من مات على دين موسى وعيسى - عليهما السلام - فله أجره عند ربه"². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ إنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ البقرة: ١١٥، استدل مكي بأسباب النزول في جواز الصلاة على أهل الكتاب، فقال: "وقيل: إنها نزلت في أمر النجاشي؛ قال قتادة: قال النبي - ﷺ - لأصحابه: "إن أحاكم النجاشي قد مات، فصلوا عليه. فقالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم. فأنزل الله - ﷻ -: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ آل عمران: ١٩٩. فقالوا: وإنه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية³، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ

¹ ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تنمة مسند الأنصار، ج 38، ص 103، 22997، وعلق المحقق: إسناده حسن، والحديث طويل، وأتى به مكي مختصراً.

² مكي، الهداية، ج 1، ص 293

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 411، والحديث سبق تخريجه، ينظر: ص 290 من الرسالة.

مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿البقرة: ١٨٤﴾، بين مكي أن الصوم في السفر أفضل من الإفطار، بدليل مروى في سبب نزول الآية عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، فقال: "أي: فمن لم يقدر على الصوم لمرض به أو لسفر فليفطر، وعليه أن يصوم مثل ما أفطر من أيام آخر. فمن الفقهاء من يرى أن الصوم في رمضان في السفر أفضل، ومنهم من يرى الإفطار. وكان أنس بن مالك يرى الصوم في السفر في رمضان، فقيل له: أين هذه الآية: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ﴿البقرة: ١٨٤﴾، فقال: "إنها نزلت يوم نزلت، ونحن نرتحل جياعاً، وننزل على غير شعب، واليوم نرتحل شباعاً، وننزل على شعب"¹.

3. ذكره لأسباب النزول التي جاءت عن سؤال: ذكر مكي بن أبي طالب أسباب النزول التي جاءت عن طريق سؤال للرسول - صلى الله عليه وسلم -، والشواهد على ذلك كثيرة في تفسيره ومنها، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ ﴿البقرة: ١٨٦﴾، قال مكي: "قال الحسن: "هذه الآية نزلت في سائل سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أين ربنا؟ فأنزل الله - تعالى - : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ الآية". وروى أن سائلا سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد: أقریب ربنا فنناجیه أم بعيد فننادیه؟ فأنزل الله جل ذكره: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ الآية². وروى أن المشركين قالوا: كيف يكون الله قريبا وبيننا وبينه سبع سماوات غلاظ، كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين كذلك؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ الآية.

وقال عطاء: " لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿غافر: ٦٠﴾، قالوا: يا رسول الله، في أي ساعة؟ قال: فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ الآية. والمعنى عند الطبري: "فإنني قريب في كل وقت أجيب دعوة الداعي إذا دعان". وقال مجاهد: "

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 589

² ينظر: السَّقَاف: علوي بن عبد القادر، "تخریج أحادیث وآثار كتاب في ظلال القرآن"، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط:2، 1416 هـ - 1995 م، ص203، ر399، وعلق السقاف: ضعيف.

لما نزلت: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، قالوا: إلى أين؟ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥. "وقال قتادة: "لما نزلت: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر: ٦٠، قال قوم: كيف ندعو يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الآية"¹.

4 . العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: لاحظتُ خلال ذكر مكي لأسباب النزول، أنه يقرر هذه القاعدة الأصولية، والتي أجمع عليها العلماء، وهي أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، فكل آية نزلت لسبب ما، يكون الأغلب أنها عامة، ولا ترتبط بذلك السبب، إلا إذا كان هناك خصوص مرتبط بها، وإن كان مكي في تفسيره لا يشير إليها بطريقة مباشرة ولكن يفهم من سياق كلامه أنه يقرها، لأن تفسيره متقدم على التفاسير، ومن ذلك عند ذكره لسبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٥٨، بين فيمن نزلت الآية، ورجح أنها عامة، فقال: "قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية. قال زيد بن أسلم: نزلت الآية في ولاة أمور المسلمين. وقال مكحول في وقوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩، هم أهل الآية التي قبلها في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٥٨. وقال ابن زيد: قال أبي: هم الولاة أمرهم الله - ﷺ - أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها. وقال ابن جريج: خوطب بهذا النبي - ﷺ - أن يرد مفاتيح الكعبة على عثمان بن طلحة؛ كان المفتاح لأبائه من قصي، وكان أبوه قتل يوم بدر فورثه من أبيه طلحة². وروي أن النبي - ﷺ - قال: "يا عثمان خذ المفاتيح على أن للعباد معك نصيباً، فأبي أن يأخذها حتى نزلت الآية، فدفعه النبي - ﷺ - ولم يشرك معه أحداً، فهو اليوم في ذريته الأمثال فالأمثال. وكان النبي - ﷺ - قد أخذها منه يوم فتح مكة، ففتح البيت

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 612، و ينظر جميع هذه الآثار التي ذكرها مكي هنا في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج3، ص482

² ينظر هذه الآثار المروية عن التابعين في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج8، ص490

ودخله، ثم خرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان بن طلحة فدفح إليه المفاتيح¹ . وقيل: نزلت لما أخذ النبي - ﷺ - مفاتيح الكعبة من شيبه بن عثمان² . وروى أهل التفسير أن العباس عم النبي - ﷺ - سأل النبي - ﷺ - أن يجمع له السقاية والسدانة، وهي الحجابة، وهو أن يجعل له مع السقاية فتح البيت وإغلاقه، فنازعه شيبه بن عثمان فقال: " يا رسول الله: اردد علي ما أخذت مني "، يعني مفاتيح الكعبة فرده - ﷺ - على شيبه³ . وقال الحسن: " لما فتح رسول الله - ﷺ - مكة دعا عثمان بن طلحة فقال: " أرنا المفتاح "، فلما أتاه به قال عباس: " يا رسول الله اجعله لي مع السقاية، فكف عثمان يده مخافة أن يدفعه إلى العباس، فقال رسول الله - ﷺ -: يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فأرني المفتاح " . فقال: هاك في أمانة الله - ﷻ -، فأخذه رسول الله ﷺ، ففتح باب الكعبة، ثم دخل، فأفسدها ما كان في البيت من التماثيل، وأخرج مقام إبراهيم - ﷺ - فوضعه حيث وضعه، ثم طاف بالبيت مرة أو مرتين، ونزل جبرئيل - ﷺ - بالآية يأمره أن يرد المفتاح إلى أهله، فدعا عثمان فقال: هاك المفتاح إن الله يقول: " أدوا الأمانات إلى أهلها " وقرأ الآية كلها⁴ . وقال ابن عباس: الآية على العموم في كل من ائتمن على شيء فعليه رده إلى أهله. واختار أهل النظر أن يكون خطابا لولاة أمور المسلمين أن يؤدوا الأمانة بما ائتمنوا عليه من أمور المسلمين في أحكامهم والقضاء في حقوقهم بكتاب الله، والقسم بينهم بالسوية، ويدل على صحة ذلك أن الله تعالى أمر المسلمين بطاعتهم بعد ذلك فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء: ٥٩، فحض الولاة على العدل والإنصاف بين المسلمين، وحض المسلمين على طاعة الولاة⁵ . وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ السجدة: ١٨، ذكر مكي سبب نزول هذه الآية، ورجح المراد منها العموم، فقال: "أي: أيكون الكافر المكذب كالمؤمن المصدق،

¹ أخرجه الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، " جامع البيان في تأويل القرآن "، ج8، ص491

² الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، " أسباب نزول القرآن "، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط:2، 1412 هـ - 1992 م، ص158، وعلق المحقق: الحديث مرسل، وإسناده ضعيف بسبب عنعنة ابن جريج وهو مدلس.

³ المصدر نفسه، ص157، وعلق المحقق: الحديث مرسل.

⁴ ينظر هذا الأثر في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، " جامع البيان في تأويل القرآن "، ج8، ص491

⁵ مكي، الهداية، ج2، ص1366

لا يستوون عند الله. قال قتادة: لا والله ما يستوون في الدنيا ولا في الآخرة ولا عند الموت. وإنما جمع يستوون لأن "من" تؤدي عن جمع فحمله على المعنى. وقيل: إن المراد به أثنان بأعيانهما، وذلك أن الآية نزلت في قول ابن عباس وعطاء وغيرها في المدينة في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والوليد بن عقبة بن أبي معيط قال عطاء: كان بين الوليد وعلي كلام، فقال الوليد: "أنا أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا، فقال له علي أسكت فإنك فاسق، فنزلت ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ ، الآية فيهما¹. فيكون يستوون على هذا قد جمع في موضع التثنية، لأن التثنية جمع في الأصل. ويجوز أن تكون لما نزلت في اثنين بأعيانهما، ثم هي عامة في جميع الكفار والمؤمنين حمل الكلام على معنى العموم، فجمع يستوون لذلك². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠)، قال مكي: ثم قال له: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾. هذا خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - يراد به أمته. وقيل: إنهم سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - الهدنة. وطمعه أن يتبعوه إن هادتهم وأمهلهم، فأنزل الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠)، الآية³.

وفي ختام هذا المطلب نذكر أن مكي بن أبي طالب استعان بأسباب النزول في تفسيره وأكثر منها، وكان يذكر كل الأقوال دون ترجيح، أو تبيين الصحيح والضعيف منها، وكانت كعادته خالية من الإسناد كما اشترط هذا في مقدمته، وهذه طريقته العامة في الاستشهاد بأسباب النزول في التفسير.

¹ ينظر هذا الأثر في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج 20، ص 188

² مكي، الهداية، ج 9، ص 5765

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 420، و ينظر الأثر في أسباب النزول، الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، "أسباب نزول القرآن"، ص 40، وعلق المحقق: الحديث مرسل.

المطلب الثالث: فضائل القرآن

قبل التطرق إلى بيان فضائل القرآن في تفسير مكي بن أبي طالب، نُعرف تعريفاً موجزاً بهذا العلم، فضائل القرآن اهتم بها العلماء منذ القدم، وألفوا فيها مؤلفات خاصة بها، منهم أبو عبيدة القاسم بن سلام، والعلامة ابن كثير، والإمام السيوطي، والنسائي وغيره كثير، وهي تُعنى ببعض الأحاديث الصحيحة والأثار التي جاءت في فضل قراءة القرآن، وأشار العلماء إلى ضرورة النقل الصحيح عن الرسول - ﷺ - لأن أغلبها موضوع، قال الدكتور مساعد الطيار: "إن التفضيل بين السور والآيات يحتاج إلى النقل المحض؛ فلا يصلح في هذا الباب الاجتهاد. ولقد ورد عن النبي - ﷺ - ما يدل على فضائل لبعض السور، وذلك إما بذكر أجرٍ يترتب على قراءتها، وإما بقصد قراءتها في وقت معيّن، وإما ببيان أثرها الحسّي والمعنوي على المسلم.

والملاحظ أنّ السور التي ورد فيها فضائل أقلّ من السور التي لم يرد فيها فضائل، وبما أن الأصل في التفضيل النقل عن النبي - ﷺ -؛ فإنه يحرم الكذب فيها كما حصل من بعض الزهاد الذين أرادوا الترغيب بالقرآن فاعتمدوا الكذب في هذا الباب، والعياذ بالله¹.

وخلال دراستي لتفسير مكي بن أبي طالب، وجدته أكثراً من الحديث على فضائل القرآن في تفسيره، ومولعاً بها، فذكر الكثير من الأحاديث والآثار الواردة في فضل القرآن جملة؛ حيث عقد باباً خاصاً لذلك بعد تفسيره لسورة الناس، وقبل خاتمة التفسير، بين فيه بعض فضائل القرآن وصفاته، بالإضافة إلى ذكره لبعض فضائل قراءة بعض السور والآيات القرآنية، وكانت الروايات التي ينقلها خالية من الإسناد كعادته، ومعلوم أن هذا العلم قد كثر فيه الوضع وأغلبه غير صحيح، وقد تفتن مكي إلى قاعدة التفضيل بين القرآن، وأنه لا يفضل بعضه عن بعض، فقال: "وكل آي القرآن عظيم جليل، لا يفضل بعضه بعضاً لكن يعطي الله من الأجر والثواب على بعض ما لا يعطي على بعض، يفعل ما يشاء"². ونعطي أمثلة من تفسيره على ذلك بالنقاط التالية:

1 . فضائل القرآن بالجملة: عقد مكي باباً لفضائل القرآن العامة، في نهاية تفسيره، فقال: "القرآن: جامع جميع كتب الله - ﷻ - . وهو الفرقان، سمي بذلك لتفريقه بين الحق والباطل، وقيل: لتفريقه في نزوله. وهو المثاني، سمي بذلك لتكرار القصص والأمر والنهي فيه ليكون أوعى لمن سمعه،

¹ الطيار: مساعد بن سليمان، " المحرر في علوم القرآن"، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط:2،

1429 هـ - 2008 م، ص 189

² مكي، الهداية، ج 1، 118

وأبلغ في نقله إذا نقل إلى الآفاق. وهو الكتاب كما قال: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
 الْكِتَابَ﴾ الكهف: ١. وهو الذكر كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ الحجر: ٩،
 وسمي بذلك، لأنه أذكار من الله لخلقه بما ينفع ويضر، وهو مصدر: ذكرته ذكراً. وللقرآن أسماء هي
 صفات، وذلك الهدى والموعظة والرحمة والبيان والتبيان، وهو البشير النذير، وهو من صفته العزيز،
 لأنه لا يقدر أحد على أن يبطله ولا يأتي بمثله. ومن صفته: الحكيم، لأنه يحكم الناس، ويردهم إلى
 الحق من قولهم: حكمت الدابة باللجام، إذا ردعتها عن أخذها غير القصد، ومنه حكمة الدابة.
 ويجوز أن يكون الحكيم بمعنى المحكم¹. وكذلك أثناء تفسيره ذكر مكي بعض فضائل القرآن
 بالجملة، وهي كثيرة في تفسيره، ومن ذلك، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ
 الْكَلْبِ﴾ الأعراف: ١٧٦، قال مكي: "وقيل: إن هذا مثل من يتلو كتاب الله - ﷻ -،
 ولا يعمل به، هو مثل الكلب لا ينتفع بترك الحمل عليه، ولا يترك اللهث. كذلك هذا لا ينتفع
 بقراءة كتاب الله - ﷻ -، فيعمل. هو مثل من لا يقرأه ولا يعمل به"². وكذلك عند تفسير قوله
 تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ البقرة: ١٢١، قال مكي:
 "قال ابن مسعود: "ومعنى ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾، أي: يحل حلاله ويحرم حرامه، ويضعه على
 مواضعه. فمن قرأ منه شيئاً كان له بكل حرف عشر حسنات"³. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ
 رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ التين: ٥، بين أن الذي يقرأ القرآن لا يرد إلى أرذل العمر في
 الشيخوخة، فقال: "وقال عكرمة: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: أرذل العمر، لكنه قال: من قرأ
 القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. يريد إذا قرأه وهو كبير هرم، فلم يرد إلى أرذل العمر. واستدل على
 ذلك بقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ لَيْسَ لَكَ يَوْمَئِذٍ عِلْمٌ بِشَيْءٍ﴾ النحل: ٧٠³. والأمثلة كثيرة لا
 تحصى في تفسير مكي في فضائل القرآن.

¹ مكي، الهداية، ج12، ص 8518

² المصدر نفسه، ج4، 2643

³ المصدر نفسه، ج12، ص 8344

2 . فضائل بعض السور: أورد مكي بعض الفضائل التي جاءت في قراءة بعض سور القرآن، فكان يذكرها في الأغلب قبل بداية تفسيره للسورة، وأحيانا يذكرها في آخر السورة، ونعطي بعض الأمثلة من تفسيره، ومن ذلك عند بداية تفسير سورة الفاتحة أورد بعض الآثار في السورة فقال: "وقال مجاهد: "نزلت الحمد بالمدينة"، وقال: "لما نزلت رن إبليس اللعين". يريد رن من عظيم ثوابها وجلالة قدر ما خص الله به أمة محمد - ﷺ - من إنزالها على نبيهم - ﷺ - "1، وقال أيضا: "وتسمى الحمد السبع المثاني، وهو مروى عن النبي - ﷺ - "2. ومعناه السبع الآيات من المثاني أي من القرآن. والمثاني هو القرآن؛ يسمى بذلك، لأن القصص تثنى فيه وتكرر للإفهام وتسمى الحمد أيضا السبع المثاني؛ سميت بذلك لأنها تثنى في كل ركعة، أي تعاد.

وقال ابن جبير عن ابن عباس: "إنما سميت الحمد السبع المثاني؛ لأن الله استثناها لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم -، لم يعطها أحد قبل أمة محمد - ﷺ -". وقد قيل: إن "من" زائدة، في القول الأول فيكون معناه كمعنى هذا القول.

وعن النبي - ﷺ - أنه قال لأبي بن كعب: إنها السبع المثاني والقرآن العظيم". فهي على هذا الحديث السبع المثاني وهي القرآن العظيم، أي هي أصله على ما ذكرنا"3. وقال أيضا: "وجاء من الخبر الثابت الصحيح أن النبي - ﷺ - قال لأبي بن كعب: "لأعلمنك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها. فلما دنا النبي - ﷺ - من الخروج من المسجد: قال له أبي: يا

رسول الله السورة التي تعلمني؟". قال: كيف تقرأ أم الكتاب؟ قلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ الفاتحة: ٢، حتى ختمتها، فقال - ﷺ -: هي هذه، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت"4. وفي فضائل سورة البقرة، قال مكي: "روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: "أعطيت البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى. وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة"5. وروي عنه أنه قال:

1 مكي، الهداية، ج1، 79

2 الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص206 من الرسالة.

3 مكي، الهداية، ج1، ص81، والحديث سبق تخريجه، ينظر: ص206 من الرسالة.

4 المصدر نفسه، ج1، ص85 والحديث سبق تخريجه، ينظر: ص206 من الرسالة.

5 ينظر: الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري، "المستدرک علی الصحیحین"، كتاب فضائل القرآن، ج1، ص757،

2087، وعلق المحقق: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه

"تحيّ البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان"¹. والغياية والغمامة واحد. فبهذا الحديث وأمثاله، استجاز الناس أن يقولوا: سورة البقرة وسورة كذا وسورة كذا². وروى أبو هريرة أن النبي - ﷺ - قال: " لكل شيء سنام، وسنام القرآن سورة البقرة، فيها آية سيدة أي القرآن لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه وهي آية الكرسي"³.

ومعنى سيدة أي القرآن، عظيمة أي القرآن. وكل آية القرآن عظيم جليل، لا يفضل بعضه بعضاً لكن يعطي الله من الأجر والثواب على بعض ما لا يعطي على بعض، يفعل ما يشاء.

وروي أن النبي - ﷺ - سأل رجلاً: "ما معك من القرآن؟ فقال: سورة البقرة، فقال له رسول الله - ﷺ -: "وأي الخير أبقت سورة البقرة؟"⁴

وقال الحسن: قال رسول الله - ﷺ -: "أي القرآن أعظم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: سورة البقرة. قال فأيتها أعظم؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: آية الكرسي"⁵. وفي سورة المائدة، قال مكّي: "المائدة آخر سورة نزلت جملة، فما وجدت فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدت فيها من حرام فحرموه.

¹ الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص 210 من الرسالة.

² مكّي، الهداية، ج 1، ص 117

³ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة - ﷺ - ج 13، ص 224، ر 7821، وعلق المحقق: إسناده صحيح.

⁴ لم أقف له على تخريج، والله أعلم من أين جاء به مكّي، وهذا يدل على الضعيف والموضوع في فضائل القرآن كما قال العلماء، لأن معظمها لم يثبت في كتب الحديث، والله أعلم.

⁵ مكّي، الهداية، ج 1، ص 118، والحديث وجدته في كتب الحديث ولكن يختلف بعض الشيء عن الذي قاله مكّي وهو: سورة الإخلاص وآية الكرسي، بدل البقرة وآية الكرسي، والحديث: "قال رجل: يا رسول الله، أي سورة القرآن أعظم؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: 1. قال: فأية آية في القرآن أعظم؟ قال: "آية الكرسي، ينظر: الدارمي: أبو محمد عبد الله، "سنن الدارمي"، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط: 1، 1412 هـ - 2000 م، باب: فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي، ج 4، ص 2128، ر 3423، وعلق المحقق: إسناده ضعيف لإرساله أو ربما لإعضاله.

وروي عن النبي - ﷺ - أنه قال: " سورة المائدة تدعى في ملكوت الله: المنقذة، تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب وتخلصه"¹. وفي سورة الكهف، قال مكّي: من رواية ابن وهب أن النبي - ﷺ - قال: "ألا أخبركم بسورة عظمها ما بين السماوات والأرض، لمن جاء بها من الأجر مثل ذلك؟ قالوا: يا نبي الله، أي سورة هي: قال: سورة الكهف. من قرأ بها يوم الجمعة أعطي بها نورا بين السماوات والأرض، ووقى بها فتنة القبور"².

وعن بعض أهل المدينة أنه قال: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعطي نورا ما بينه وبين مكة، وغفر له ما بين الجمعتين ووقى فتنة الدجال". وعن مكحول أنه قال: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعطاه الله - ﷻ - نورا من الجمعة إلى الجمعة"

وعن أنس أنه قال: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام"³. وفي سورة الواقعة، قال مكّي: "روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: "من داوم قراءة الواقعة لم يفتقر أبدا"⁴.

قال معروف: دُعِيَ ابن مسعود إلى عطائه ليأخذه فأبى، فقيل له خذ للعيال، فقال: إهم يقرأون سورة الواقعة، فمن قرأها أذهبت عنه الفاقة، قال معروف فأكثر ذلك، فرأبته كذلك من ليلتي أو من الغد.

قال ابن مسعود: إني قد أمرت بناتي أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة"⁵.

¹ مكّي، الهداية، ج3، ص1827، وهذا الحديث الذي ذكره مكّي، لم أفق عليه في كتب الحديث، وعلق عليه ابن عطية بعدما أورده في تفسيره بقوله: وهذا عندي لا يشبه كلام النبي - ﷺ -، ينظر: ابن عطية: أبو مُجَدِّ الأندلسي، "الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ج2، ص143، والله أعلم.

² أخرج الترمذي نحو هذا القول ولكنه يختلف عن مكّي، والمعنى قريب، ينظر: الترمذي: مُجَدِّ بن عيسى، "سنن الترمذي"، باب ما جاء في فضل سورة الكهف، ج5، ص12، ر2886، وعلق المحقق: هذا حديث حسن صحيح.

³ مكّي، الهداية، ج6، ص4318

⁴ ينظر: الزيلعي: جمال الدين أبو مُجَدِّ، "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"، ج3، ص414، وعلق الزيلعي: الحديث ضعيف لنكارة متنه، وانقطاعه، وضعف رواته.

⁵ الحديث سبق تخريجه.

ومن رواية ابن وهب أن ابن مسعود قال: قال النبي - ﷺ -: "من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا"¹.

وكانت عائشة - رضي الله عنها - تقول للنساء لا تعجزن إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة كل ليلة"².

وفي سورة الملك، قال مكي: "روى جابر بن عبد الله أن النبي - ﷺ - كان لا ينام حتى يقرأ: "تنزيل السجدة" ﴿ تَبْرَكَ الَّذِي يَدُهُ الْمَلِكُ ﴾ الملك: ١، وكان يقول: هما يفضلان كل سورة بسبعين حسنة، فمن قرأها كتبت له سبعون حسنة، ومحيت عنه سبعون سيئة، ورفع له سبعون درجة"³.

والأمثلة كثيرة من تفسير مكي، على ذكره لفضائل بعض السور القرآنية، والتي وردت آثار في قراءتها وفضلها، فقد تطرق لها في تفسيره، وأطنب فيها.

3. فضائل بعض الآيات القرآنية: تعرض مكي بن أبي طالب في تفسيره إلى ذكر بعض الفضائل

التي وردت في قراءة آية أو آيات بعينها، ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ البقرة: ٢٨٤، قال مكي: "وقال حذيفة: "سمعت النبي -

ﷺ - يقول: "أعطيت آيات من كنز من تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي، ولا يعطاها أحد من

بعدي، ثم قرأ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي

أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٤، حتى ختم السورة"⁴.

وعند تفسيره قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ البقرة: ٢٥٥، بين مكي

فضل آية الكرسي فقال: "وروي عن أبي ذر أنه سأل النبي - ﷺ - فقال له: أي ما أنزل عليك

من القرآن أعظم"، فقال النبي - ﷺ -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ البقرة:

¹ الحديث سبق تخريجه.

² مكي، الهداية، ج11، ص 7252

³ المصدر نفسه، ج12، ص 7587، والحديث ذكره الترمذي بلفظ قريب من هذا، ينظر: الترمذي: مُجَدَّب بن عيسى، "سنن

الترمذي"، باب ما جاء في فضل سورة الملك، ج5، ص15، ر2892، وعلق المحقق: حديث منكر.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص932، والحديث ذكره الإمام أحمد بلفظ قريب منه، ينظر: ابن حنبل: أحمد بن مُجَدَّب الشيباني،

"مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند الشاميين، ج28، ص561، ر17312، وعلق المحقق: صحيح لغيره.

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾
 النساء: ١١٦، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ النساء: ١١٠، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ النساء: ١٥٢، الآية.

قال ابن عباس: ثمان آيات نزلت في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس
 وغربت أولها ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٦، الآية، والثانية ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ
 عَلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٧، الآية، والثالثة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾
 النساء: ٢٨، الآية، ثم ذكر الخمس التي ذكرها ابن مسعود¹

وفي ختام هذا المطلب يتضح لنا أن مكي بن أبي طالب قد اهتم بفضائل القرآن وسوره وآياته، وما
 أورده من الآثار في باب فضائل بعض الآيات، أقل بكثير مما ذكره في فضائل السور، ولعل تلك
 الآثار أقل من هذه في كتب الحديث، وفي كتب التفسير الأخرى، ولكنه لم يميز بين الصحيح
 والضعيف والموضوع منها، وكان يجمع فقط الأقوال في ذلك، وقد تبين لي هذا بعد تخرج
 الأحاديث التي أوردها.

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ

قبل أن تطرق إلى معرفة الناسخ والمنسوخ في تفسير مكي وموقفه منه، نعرف بهذا العلم المرتبط
 بعلوم القرآن تعريفا موجزاً، فنقول: إن معرفة الناسخ والمنسوخ من العلوم الضرورية للمفسر، وقد
 أعتنى به العلماء منذ القدم وألفوا فيه مؤلفات متعددة، منهم: مفسرنا مكي بن أبي طالب، وأبو
 عبيدة القاسم بن سلام، وأبو جعفر النحاس وغيرهم، وقد أجمع العلماء بأنه لا ينبغي للمفسر
 الخوض في التفسير قبل التأكد من معرفة الناسخ والمنسوخ، حتى لا يقع في الخلط والتناقض،
 والقول في كتاب الله بغير علم.

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1306، وينظر الأثر في تفسير الطبري، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان في
 تأويل القرآن"، ج8، ص257

وللنسخ تعاريف متعددة، وقد عرفه الشيخ الزرقاني تعريفاً مختصراً مفيداً بقوله: " لقد عرف النسخ في الاصطلاح بتعاريف كثيرة مختلفة لا نرى من الحكمة استعراضها ولا الموازنة بينها ونقدها وما دام الغرض منها كلها هو تصوير حقيقة النسخ في لسان الشرع فإننا نجتزئ بتعريف واحد نراه أقرب وأنسب وهو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي".¹

وقد وضع العلماء شروطاً للنسخ، كأن يكون النص الناسخ متأخراً عن النص المنسوخ، ولا يجوز النسخ إلا في الأمر والنهي، أما الخبر فلا يدخله النسخ إلا إذا تضمن نهيًا أو أمرًا، أما الخبر المجرد كالوعد والوعيد وغيره؛ فلا يدخله النسخ، وقسم العلماء النسخ إلى ثلاثة أنواع:

1 - نسخ التلاوة والحكم معاً.

2 - نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

3 - نسخ الحكم مع بقاء التلاوة.²

واختلف العلماء في نسخ القرآن بالسنة، وكذلك في نسخ التلاوة وبقاء الحكم، مع العلم أن علماء السلف ليسوا مجمعين على النسخ، ومختلفين في عدد الآيات المنسوخة والمحكمة، ولا يتسع المجال لذكر أقوالهم هنا.

والناسخ هو الله - ﷻ -، لقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ

مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا قَدْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦.

وقد اهتم مكي بن أبي طالب كثيراً بهذا العلم، وألف فيه كتابين مستقلين³، وصرح في مقدمة تفسيره بذلك فقال: "وتبيين الناسخ والمنسوخ وشرح وذكر الأسباب التي نزلت فيها الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً من روايتي، أو ما صح عندي من رواية غيري"⁴. وخلال دراستي للتفسير وجدت مكيًا قد تعرض للنسخ في القرآن وتوسع فيه، وكان يحيل أحياناً على كتابه المستقل في الناسخ والمنسوخ، حيث قال عند بيانه لمعنى النسخ في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ

¹ الزرقاني: مُجَدِّد عبد العظيم، "مناهل العرفان في علوم القرآن"، ج2، ص 162

² المرجع نفسه، ج2، ص164

³ وهما: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه)، و(الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه)، وقد أشرنا لها في مؤلفاته.

⁴ مكي، الهداية، ج1، ص73

ءَايَةٌ أَوْ نُنِسَهَا نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ البقرة: ١٠٦، "ولكل واحد من هذه المعاني أمثلة في كتاب الله - ﷻ - قد بينها في كتاب: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه)"¹.

وسنبين طريقته في تفسير الناسخ والمنسوخ من الآيات بالنقاط التالية:

1 . إقراره بوجود النسخ في القرآن: قد تطرقنا سابقاً إلى أن هناك من العلماء من قال بعدم وجود النسخ في القرآن، وأن آيات القرآن كلها محكمة، لأن الأصل في القرآن هو الإحكام وليس النسخ، وجمهور العلماء قالوا بالنسخ، ومفسرنا مكي بن أبي طالب، تبين لي من خلال استقراء تفسيره، أنه يقول بجواز النسخ في القرآن، وقد ألف كتابين في النسخ كما أشرنا، وهناك أقوال له من خلال تفسيره، يتضح لنا أنه يميز النسخ، ومن ذلك عند ذكره لمسألة نزول القرآن منجماً، قال مكي: "ولو نزل القرآن جملة واحدة لسبق حدوث الأسباب التي أنزله الله - ﷻ - بها، ولثقلت جملة الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخول في الدين ولفسد معنى النسخ، فإنما نزل فرضاً بعد فرض، تدريجياً للعباد وتيسيراً عليهم إلى أن يكمل دين الله - ﷻ -".² وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿٣٩﴾ الرعد: ٣٩، قال مكي: "وعن ابن عباس - رضيهما - أن معناه: يمحو الله ما يشاء من أحكام كتابه، فينسخه، أو يبدله، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، ولا يبدله. ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿٣٩﴾ أي: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، ما ينسخ، وما لا ينسخ. وهو اللوح المحفوظ. وهو قول قتادة، وابن زيد وابن جريج، وعليه أكثر المعاني، وعمامة المفسرين، وهو شاهد لجواز النسخ في القرآن"³. وقال في موضع آخر عند حديثه على النسخ: "النسخ لا يحكم عليه إلا بدليل قاطع أو إجماع أو نص من سنة"⁴. ويتضح لنا من هذه الأدلة أنه يرى وجود النسخ في القرآن.

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 389

² المصدر نفسه، ج4، ص 2461

³ المصدر نفسه، ج5، ص 3754

⁴ المصدر نفسه، ج10، ص 6608

2. تصريح مكي بنسخ بعض الآيات: كان مكي بن أبي طالب يصرح بنسخ بعض الآيات، ويؤكد على ذلك، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ البقرة: ١٠٩، بين مكي أن هذه الآية منسوخة بثلاث آيات فقال: "أمر الله - ﷻ - المؤمنين بالعتفو عنهم إلى وقت يأتي فيه أمر الله تعالى بترك العفو. فالآية منسوخة بالأمر بقتالهم وقتلهم، وهو قوله: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة: ٥، وقوله: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ التوبة: ٢٩، الآيتان. وقوله: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ البقرة: ١٩١¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ الأنعام: ٧٠، بين مكي، أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، فقال: قوله: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾، الآية. المعنى: أنه أمر من الله لنبيه أن يترك هؤلاء الذين هذه صفتهم، ثم نسخ ذلك بآية السيف². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ السجدة: ٣٠، بين مكي أنها منسوخة بآية السيف، فقال: "ثم قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾، أي: عن هؤلاء المشركين. وهذا منسوخ نسخته آية السيف، قوله جل ذكره ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾ التوبة: ٥، الآية، قاله ابن عباس وغيره³.

3. رد مكي لبعض النسخ في القرآن: رد مكي بن أبي طالب بعض أقوال العلماء في نسخ بعض الآيات ورفض ذلك، وأثبت أنها محكمة، والأمثلة كثيرة في تفسيره، ومن ذلك، عند تفسير قوله

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 398

² المصدر نفسه، ج 3، ص 2061

³ المصدر نفسه، ج 9، ص 5777

تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣، نفى مكي قول قتادة بنسخها، لأنها أمر بالمعروف، وبين الخلاف، فقال: "وقال قتادة: "هي منسوخة بآية السيف". ولا يجوز أن تكون منسوخة إلا على قول من قال: إن المعنى: قولوا للجميع حسنا من القول. وباقي الأقوال لا يمكن أن تكون فيه منسوخة لأن الأمر بالمعروف لا ينسخ، والأمر بإظهار الصدق في النبي - ﷺ - لا ينسخ"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ الأنعام: ٦٦، نفى مكي نسخ هذه الآية، لأنها خير، فقال: "قل يا محمد لهم ﴿ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾"، أي: بحفيظ ولا رقيب، إنما أنا رسول. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسخ هذا آية السيف. ولا يحسن نسخ هذا عند أهل النظر والمعاني، لأنه خير"². ونكتفي بهذا، فالأمثلة كثيرة في تفسير مكي على رده لبعض الأقوال في نسخ القرآن.

4. تردد مكي بين النسخ والإحكام: من خلال دراستي للتفسير، وجدت مكي بن أبي طالب يذكر أقوالاً مختلفة في نسخ بعض الآيات وعدمه، ويتركها بدون تعليق، وكان الأحرى أن يرجح، وخصوصاً أنه ألف كتابين في النسخ والمنسوخ، وكذلك لتمكنه في جل العلوم، ولكن نجده يذكر الأقوال في النسخ والإحكام، ويتوقف على الترجيح، ونعطي بعض الأمثلة حتى يتضح لنا ما قلته، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْعَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ البقرة: ٢١٧، بين أن من العلماء من قال إنها منسوخة، ومنهم من قال إنها محكمة، ولم يرجح أي قول، فقال: "والآية عند أكثر العلماء والصحابة منسوخة لأنه تعالى قال: ﴿ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾"، أي عظيم فأخبر أنه شيء عظيم منكر في الشهر الحرام، وأنه محظور ثم نسخته آية السيف في براءة: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥. فأبيح ذلك في الحرام وغيره، ونسخه أيضاً قوله: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ التوبة: ٣٦. والأشهر الحرم المذكورة في براءة ليست المعلومة، إنما هي أشهر كان فيها عهد بينهم وبين

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 333

² المصدر نفسه، ج3، ص 2057

النبي - ﷺ -، فأمر بقتلهم حيث وُجدوا إذا انسلخت تلك الأشهر، وهي أربعة أشهر بعد يوم النحر لمن كان له عهد، ومن لم يكن له عهد، فإلى انسلاخ الحرم عهده.

وقال عطاء: " الآية محكمة، والقتال محظور في الأشهر الحرم ¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِنَّا اللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ ﴾ ^(١٩٠) البقرة: ١٩٠، بين مكي أقوال النسخ والإحكام، ولم يرجح بينها، فقال:

"أي لا تقاتلوا من لم يقاتلكم. وقد نسخ الله ذلك في براءة بقوله: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥، وبقوله: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ التوبة:

٣٦. قال ابن زيد. وقال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز وغيرهم: " الآية محكمة غير منسوخة ².

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ

يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ^(٨)

المتحنة: ٨، قال مكي: "قيل: أن هذه الآية إنما هي في الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا، سمح الله -

ﷻ - للمؤمنين بالمدينة أن يبروهم ويحسنوا إليهم، فهي مخصوصة محكمة قاله مجاهد. وقيل هي

منسوخة بآية السيف، قاله قتادة وابن زيد. وقيل: هي مخصوصة في حلفاء بينهم وبين النبي - صلى

الله عليه وسلم - عهد من المشركين لم ينقضوه، وهم خزاعة، قاله أبو صالح. وقال الحسن: خزاعة

وبنو عبد الحارث بن عبد مناف، فسمح لهم أن يبروهم ويحسنوا إليهم، ويفوا لهم بالعهد. وقيل:

الآية عامة محكمة في كل من بينك وبينه قرابة، جائز بره والإحسان إليه إذا لم يكن في ذلك ضرر

على المسلمين وإن كان مشركاً، ولا يجب قتال من لم يقاتلك من الكفار حتى تدعوه إلى الإسلام

فإن أبي فاقتله ³.

5 . تفريقه بين النسخ والاستثناء والتخصيص والبيان: رد مكي في تفسيره على القائلين

بتسمية الاستثناء والتخصيص وتأخير البيان نسخ في بعض آيات القرآن؛ لأن تعريف النسخ

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 712

² المصدر نفسه، ج 1، ص 634، والآثار المروية في تحكيم هذه الآية، سبق تخريجها، ينظر: ص 134 من الرسالة.

³ المصدر نفسه، ج 11، ص 7423

يختلف عن تعريفهم، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة: ٢٢٨، بين مكي أن هذه الآية يراد بها الخصوص والاستثناء، وليست ناسخة لآية طلاق الحوامل وغير المدخول بها، فقال: "قال ابن عباس: " استثنى الله من هذه الآية اللواتي لم يدخل بهن والحوامل". وقال قتادة: " هو نسخ ". وقال غيرهما: " هو تبين، لأن هذه الآية يراد بها الخصوص فبين المراد في " الأحزاب " وسورة الطلاق، فهي مبينة لا منسوخة"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ محمد: ٤، بين مكي أن هذه الآية مخصصة محكمة وليست منسوخة، فقال: "وقال ابن جريج: هذه الآية منسوخة، لأن أهل الأوثان لا يجوز أن يفادوا ولا يمن عليهم، والناسخ لها عنده ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ التوبة: ٥، وهي محكمة في أهل الكتاب يجوز أن يمن عليهم وأن يفادوا؛ فكأنه ينحو إلى أنها مخصوصة، فسمى التخصيص نسخا، وهو قول السدي وجماعة من الكوفيين"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ الشعراء: ٢٢٧، بين مكي أن هذه الآية ليست ناسخة وأنه استثناء، فقال: "ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فهذا الاستثناء يدل على أن الأول في المشركين نزل والسورة مكية إلا هذه الآيات نزلت بالمدينة في: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وهم شعراء رسول الله - ﷺ - ، ثم هي لكل من كان مثلهم. هذا قول ابن عباس، وأدخل الضحاك هذه الآيات في الناسخ والمنسوخ. فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، نسخت ما قبلها. والصحيح أنه استثناء والاستثناء عند سيبويه بمنزلة التوكيد لأنه يبين به كما يبين بالتوكيد"³.

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 760

² المصدر نفسه، ج11، ص 6882

³ المصدر نفسه، ج8، ص 5364

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧) الصافات: ١٠٧، بين مكي أن هذه الآية ليست ناسخة، وإنما عبارة عن تأخير البيان، ورد على القائلين بنسخ الشيء قبل فعله، فقال: "وأجاز بعض العلماء نسخ الشيء قبل فعله، واستدل بأن هذه الآية قد نسخ الله فيها الأمر بالذبح بالفداء له بالكبش قبل فعله. ومثله عنده أمر الله النبي - ﷺ - بفرض خمسين صلاة، ثم رده إلى خمس. ومثله الأمر بالصدقة قبل مناجاة النبي - ﷺ - في سورة المجادلة، ثم نسخه بالترك. وقال غيره: لا يجوز في هذا نسخ لأنه بدء، لو قلت: قم، ثم قلت لا تقم لكان بدء، وذلك لا يجوز على الله جل ذكره، بل فعله إبراهيم ما أمر به من أخذ السكين والإضجاع وغير ذلك.

وهذا عند الخذاق من العلماء، إنما هو من تأخير البيان. ومن قال: إنه نسخه، وإنما فعل ذلك لأن تأخير البيان لا يجوز عنده، وهو الغاساني. ولو جاز أن يقال: إن هذا منسوخ لجاز في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ البقرة: ٦٧، ثم بينها بعد ذلك فيكون البيان ناسخاً لما تقدم، وهذا لم يقله أحد. ويدل على جواز تأخير البيان قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) القيامة: ١٩. وشم تدل على التراخي. وقد بينا هذا في كتاب (الناسخ والمنسوخ) بأبين من هذا¹.

6 . تعرضه لمسألة نسخ القرآن بالسنة: من المعلوم أن القرآن ينسخ القرآن، وينسخ السنة وهذا متفق على جوازه ووقوعه من القائلين بالنسخ، ولكن نسخ السنة بالقرآن قد وقع الخلاف في جوازه بين العلماء، لأن القرآن قطعي الثبوت والدلالة والسنة فيها الضعيف والموضوع، وليست خيراً من القرآن ولا مثله. وهناك تفصيل في هذه المسألة ولا يسعني المقام لذكره هنا²، ومفسرنا مكي بن أبي طالب قد جاء بهذا النوع من النسخ ونبه عليه، ولم يرجحه في تفسيره بدليل سياق كلامه، ونعطي أمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة: ٦، بين مكي أن من قرأ بالخفض؛ فالقراءة منسوخة

¹ مكي، الهداية، ج9، ص 6145

² ينظر: الفطان: مناع بن خليل، "مباحث في علوم القرآن"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: 3، 1421هـ - 2000م،

بالسنة، فقال: "وقيل: المسح - في كلام العرب - يكون بمعنى الغسل يقال: تمسحت للصلاة أي: توضأت لها فاحتمل المسح للأرجل أن يكون بمعنى الغسل وبغير معنى الغسل، فبينت السنة أن المسح للرؤوس بغير معنى الغسل، وأن المسح للأرجل بمعنى الغسل. وقال قوم من العلماء - منهم الشعبي - : من قرأ بالخفض فقراءته منسوخة بالسنة"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثَّةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزْيِرٍ﴾ الأنعام: ١٤٥، بين مكي أن هذه الآية منسوخة بالسنة، ورد النسخ، فقال: "قيل: إنها منسوخة بالسنة، لأن النبي - ﷺ - قد حرم لحوم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير"². و الآية تدل على أنه لا محرم إلا ما فيها. وهذا قول مردود، لأنه خبر، والأخبار لا تنسخ.

وقيل: إن الآية محكمة ولا حرام إلا ما فيها. وهو قول ابن جبير والشعبي، وبه قالت عائشة: لا حرام إلا ما في الآية.

وقال الزهري ومالك بن أنس وغيرهما. الآية محكمة، ويضم ما سنّه النبي - ﷺ - ، فيكون داخلا في المحرمات. والقول الرابع: إن الآية جواب لقوم سألوا عن أشياء فأجيبوا عنها، ثم بين النبي - ﷺ - تحريم ما لم يسألوا عنه، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ الأعراف: ١٥٧. فالنبي - ﷺ - يحرم بالوحي الذي في القرآن، ويحرم بما ليس في القرآن، وعلى الناس اتباع ذلك لقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم: ٣. ولقوله: ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ النور: ٥٤"³. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ النور: ٦١، بين مكي أن هذه الآية منسوخة بالكتاب والسنة،

¹ مكي، الهداية، ج3، ص1617

² الحديث سبق تخريجه، ينظر: ص223 من الرسالة.

³ مكي، الهداية، ج3، ص224

فقال: "وأكثر أهل النظر على أن الآية منسوخة بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ البقرة: ١٨٨، ويقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الأحزاب: ٥٣، ويقول النبي - ﷺ -: " لا يجل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه"¹.
 هذه بعض الوقفات في منهج مكي بن أبي طالب في النسخ، أبرزت خلالها مكانته العلمية وسعة اطلاعه في علوم القرآن من خلال تفسيره، ومدى الأهمية التي أولاها المفسر لعلم النسخ والمنسوخ، حيث إنه تعرض له كثيراً في تفسيره، وفي ختام هذا المطلب، نذكر أن في تفسير مكي بن أبي طالب أمثلة عديدة للنسخ غير هذه التي ذكرتها؛ لأنه ألف كتابين في النسخ مما يدل على تضلعه في هذا النوع من علوم القرآن، ونكتفي بهذا خوف الإطالة والخروج عن المراد من البحث، ويمكن مراجعتها في تفسيره أو في كتابيه في النسخ.

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5156، وهذا جزء من حديث الرسول - ﷺ - وهو طويل، ينظر: ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند البصريين، ج34، ص 299، 20695، وعلق المحقق: صحيح لغيره مقطوعاً، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد، وهو ابن جدعان.

الفصل الثالث: منهج مكي في التفسير بالرأي وما يتعلق به

المبحث الأول: منهج المفسر في قضايا اللغة

المبحث الثاني: منهج المفسر في قضايا الفقه والعقيدة وما يتعلق

بهما

المبحث الأول: منهج المفسر في قضايا اللغة

نظراً لأهمية اللغة العربية في تفسير القرآن وبيان معانيه واستخراج أحكامه، فقد أهتم بها العلماء منذ القدم، وجعلوا من شروط المفسر التمكن في العربية، لأن القرآن أنزل بلغتهم، ولا يستغنى عنها في تفسيره، ويعتبر القرآن قمة في البلاغة والفصاحة وقد أعجز العرب والإنس والجن، وتحداهم أن يأتوا بشيء من مثله، ولكنهم عجزوا، وكل من أراد فهم القرآن وتدبره وتفسيره لابد له من العلم والمعرفة بالعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها، وبدونها لا يستطيع المفسر معرفة دقائق النظم الشريف، ومفسرنا مكي بن أبي طالب متمكن في اللغة؛ وله مؤلفات عديدة في علومها، وأطب في تفسيره في ذكر جوانب النحو والصرف، ولكنه كان يحيل أحياناً في بعض مسائل النحو ومشاكل الإعراب وغيره على كتبه المؤلف في اللغة، وكان استشهاده بالقضايا البلاغية في تفسيره قليلاً إذا ما قورن بجانب النحو والصرف، لأنه ألف كتباً خاصة في غريب القرآن وإعجازه، واستشهد بأشعار العرب على معرفة معاني الآيات والتفسير، وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث إن شاء الله.

المطلب الأول: عنايته بالنحو والصرف

اهتم مكي بن أبي طالب في تفسيره بقضايا النحو والصرف، وأكثر منها، وناقش علماء النحو في بعض مسائل الخلاف، وأعطى رأيه في ذلك، وكان يميل إلى الاختصار أحياناً، ولا يذكر في القضايا اللغوية إلا الصحيح دون الشاذ والغريب، مما يتعارض مع تفسير كتاب الله، لأن القرآن حجة على اللغة ولا عكس، كأن يقول: "وفي كلام العرب، وقال أكثر أهل اللغة" وغيرها من الألفاظ، مما يدل أنه يختار ما توافق مع التفسير منها، واهتم أيضاً ببعض قضايا الصرف كالاشتقاق وغيره ومعاني الحروف، وكان في أغلب الأحيان ينسب الأقوال إلى أصحابها، فيقول: "قال الزجاج، وذهب الاخفش، ويرى الخليل..."، وأحياناً لا ينسبها، ويقول: "قال أهل اللغة، وروى، وذهب بعض أهل اللغة..."، وكان يذكر الوجوه الإعرابية، وآراء المدرستين البصرية والكوفية في النحو مع الترجيح أحياناً، وكان يميل إلى الإيجاز في بعض القضايا النحوية التي

خصص لها مؤلفات خاصة، حيث صرح بهذا في مقدمة تفسيره، فقال: "قدمت في أوله نبذا من علل النحو وغامضا من الإعراب، ثم خفت ذكر ذلك فيما بعد لئلا يطول الكتاب، ولأنني قد أفردت كتابا مختصرا في (شرح مشكل الإعراب) خاصة، ولأن غرضي في هذا الكتاب إنما هو تفسير التلاوة، وبيان القصص والأخبار، وكشف مشكل المعاني، وذكر الاختلاف في ذلك"¹، وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢، "وقد فسرنا إعراب هذا وما شابهه في كتاب (تفسير مشكل الإعراب)، فأخلىنا هذا الكتاب من بسط الإعراب لئلا يطول إلا أن يقع نادرٌ من الإعراب فنذكره على شرطنا المتقدم. فاعلم ذلك"². ونقدم بعض الأمثلة من تفسيره حتى تتضح لنا طريقة معالجته لقضايا النحو والصرف في تفسيره:

1 . عنايته بتحديد معنى الكلمات وشرح مدلولات الألفاظ دون ترجيح: اعتنى مكي بشرح بعض الألفاظ؛ خصوصا الغريبة منها في القرآن، وذكر الأقوال واسترسل في ذلك، ولم يرجح بينها، وكان الأحرى به أن يرجح ما يراه مناسبا في معنى الآية، وقد ألف كتاباً مستقلاً في (غريب القرآن)³، وهناك أمثلة كثيرة في تفسيره، ومنها: عند تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، بيّن معنى الرب في اللغة، فقال: "الربُّ المالك. فمعناه: مالك العالمين. وقيل: الرب السيد. وقيل: المصلح، يقال: "ربه يربه ربا" إذا أصلحه. ويقال على التكثير: ربه ورباه ورببه. فالذين يقولون: "رته" بالتاء، أصله عندهم "ربه" ثم أبدلوا من الباء الثالثة "ياء"، كما يقال، تقضيت في "تقضت" ثم أبدلوا من الياء تاء. كما أبدلوا من الواو تاء في "ترات"، و "تجاه" و "تولج" وأصله "وولج" على فوعل، من "ولجت". وبدل التاء من الياء قليل شاذ، وهو في الواو كثير"⁴. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 73

² المصدر نفسه، ج 1، ص 129

³ وهو كتابه: (مشكل غريب القرآن)، في ثلاثة أجزاء، وقد أشرنا له سابقاً.

⁴ مكي، الهداية، ج 1، ص 101

السَّمَاءِ ﴿ البقرة: ١٩، بين مكي الأقوال المختلفة في اللغة لمعنى الصيب، فقال: "الصيب: المطر، وأصله " صيوب " عند البصريين من " صاب " يصوب "، والصوب: نزول المطر. يقال: " صاب المطر " إذا نزل. وقال الكوفيون: " أصله صوب على فعيل كرعيف، ويلزمهم ألا يعلوه كما لم يعلوا "طويلاً". واعتل عند البصريين لأن الياء إذا أسكنت وأتت بعدها واو، قلب من الواو ياء وأدغمت الأولى في الثانية "كमित " و " هين ". وقيل: الصيب: السحاب الذي فيه المطر، لا المطر، روي عن ابن عباس. ومعنى: صاب: نزل وقصد. والمعنى أن الله جل ذكره أباح للمؤمنين أن يمثلوا المنافقين بالذي استوقد ناراً أو "بالصيب". أو للإباحة. وجمع " صيب " : صيائب" ¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ﴿٦٠﴾ الكهف: ٦٠، بين معاني مختلفة للحقب دون ترجيح، فقال: "ومعنى ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ﴿٦٠﴾، أي أو أسير زماناً ودهراً. وهو واحد جمعه أحقاب في أقل العدد وكثيره. وقد يجوز أن يكون أحقاب جمع حقب وحقب جمع حقة. وقال: الفراء: الحقب في لغة قيس سنة. وقال: عبد الله بن عمر: الحقب ثمانون سنة. وقال: مجاهد: سبعون خريفاً. وعن ابن عباس ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ﴿٦٠﴾، دهرًا. وعن قتادة: زماناً. وقال: ابن زيد: الحقب الزمان وأصله في اللغة أنه وقت مبهم يقع للقليل والكثير كرهط وقوم" ². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَثَّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ ﴿٣٤﴾ الحج: ٣٤، بين أقوال مختلفة في معنى "المخبتين" دون أن يرجح، فقال: "أي: الخاشعين المطمئنين إلى الله، قاله مجاهد. قال ابن عيينة: " المخبتين ": المطمئنين. وقال قتادة: المتواضعين. وقيل المخبتون: الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا. والخبث في اللغة: المكان المطمئن المنخفض، والزور: الباطل. وقيل: إنه أريد به في هذا الموضع الكذب. وقيل: المخبتين: المخلصين" ³.

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 175

² المصدر نفسه، ج 6، ص 4416

³ المصدر نفسه، ج 7، ص 4889

2. بيان معاني الحروف: تعرض مكي في تفسيره لبيان معاني بعض الحروف في الإعراب وهو كثير

في تفسيره، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ﴾ الأنعام: ٣٣،

بين معنى "قد"، فقال: "المعنى: أن "قد" في هذا وشبهه تأتي لتأكيد الشيء وإيجابه وتصديقه، و"نعلم" بمعنى: "علمنا". والتقدير: قد نعلم - يا مُحَمَّد - إنه ليحزنك قولهم إنك كاذب، وإنك

ساحر". وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ

شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ مريم: ٧٥، بين مكي معاني "إما" فقال: ﴿وإِمَّا

السَّاعَةَ﴾، يعني يوم القيامة، فيصرون إلى النار. و "إما" للتخيير. وهي عند المبرد إن زيدت

عليها "ما". واستدل على ذلك أن الشاعر إذا اضطر، جاز له حذف "ما". وليست عند غيره

إلا حرفا واحدا. ولم يختلفوا فيها في العطف أنها حرف واحد. وقال أبو العباس: إذا قلت ضرب ما

زيدا وإما عمرا، فالأولى دخلت لبنية الكلام على الشك، والثانية للعطف. وقال ابن كيسان: "أما

": للشك والتخيير، والواو هي العاطفة. وأجاز الكسائي: إما زيد قائم على النفي يجعل "إما"

بمنزلة "ما". وأجاز الفراء أن تأتي "إما" مفردة بمنزلة "أو". قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ

شَرُّ مَكَانًا﴾ مريم: ٧٥. أي: مسكنا، منكم ومنهم¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ

وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿النور: ٤٥﴾ بين مكي الفرق بين "ما" التي تستعمل لغير العاقل، و"من" التي تستعمل

للعاقل، في هذه الآية، فقال: "معناه: والله خلق كل ما يدب من نطفة، فمنهم من يمشي على

بطنه كالحيات، ومنهم من يمشي على رجلين: كبني آدم، والطيور، ومنهم من يمشي على أربع

¹ مكي، الهداية، ج7، ص 4583

كالبهائم. وجاز أن تأتي "من" هنا؛ لأنه لما خلط من يعقل لمن لا يعقل غلب ما يعقل فقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ ، قد يدخل فيه الناس وغيرهم من البهائم ولذلك قال: " فمنهم " ولم يقل: فمنها ولا منهن"¹.

3. ذكر الوجوه الإعرابية في الآية: كان مكي بن أبي طالب في إعرابه لبعض الآيات يذكر وجوه

الإعراب المختلفة لها، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

النساء: ١٦٢، بين مكي الوجوه الإعرابية لهذه الآية، فقال: "قوله: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي

الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ ، الآية: نصب "والمقيمين الصلاة" عند سيبويه على التعظيم. وقال الكسائي:

هو في موضع خفض عطف على " ما " جعل المقيمين هم الملائكة - الْمَلَائِكَةُ -، وهو اختيار المبرد، والطبري. واستبعد المبرد النصب على المدح لأن المدح إنما يكون بعد تمام الخبر، والخبر لم يأت بعد.

ومذهب سيبويه أن " يؤمنون " الخبر فقد أتى قبل الراسخون. ومذهب المبرد أن أولئك الخبر، فهو لم يأت بعد. وقيل: هو معطوف على قبلك. وقيل: على الكاف في قبلك. وقيل: على الكاف في

أولئك. وقيل: على الهاء، والميم في منهم. وهذه الأقوال الثلاثة عطف فيها على مضمرة مخفوض

على مذهب الكوفيين، وهو لا يجوز عند البصريين. قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ، في رفعه خمسة

أقوال: رفعه عند سيبويه على الابتداء. وقيل: رفع على إضمار مبتدأ. وقيل: عطف على المضمرة

في المقيمين. وقيل: عطف على المضمرة في " يؤمنون ". وقيل: هو معطوف على الراسخين"².

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5135

² المصدر نفسه، ج2، ص 1529

4 . إرجاع بعض الكلمات إلى أصلها حتى يتضح المعنى: كان مكي يرجع بعض الكلمات إلى أصلها اللغوي حتى يتضح المقصود منها، ومن ذلك: عند شرحه لكلمة "نستعين"، بين مكي أصلها اللغوي، فقال: "أصله " نستعون " على وزن "نستفعل " من العون. والمصدر منه استعانة، وأصله استعوانا، فقلبت حركة الواو على العين، فلما انفتح ما قبل الواو - وهي في نية حركة - انقلبت ألفاً، فالتقى ألفان، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين. فقيل: المحذوفة الثانية؛ لأنها زائدة، والأولى أصلية. وقيل: بل المحذوفة الأولى لأن الثانية تدل على معنى ولزمتها الهاء عوضاً من الألف

المحذوفة"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ الشعراء:

١٤٨، بين معنى "الهضيم" في اللغة، فقال: "وأصل الهضيم في اللغة انضمام الشيء، وتكسره للينه ورطوبته. ومنه: قولهم: هضيم فلان فلانا حقه: إذا انتقصه وأبخسه، وهضيم مفعول صرف إلى فاعيل. وقيل: هضيم منه ما قد أرطب ومنه ما هو مذنب. وقيل: هضيم أي: هاضم مرئ، فيكون

على هذا "فاعيل" بمعنى: فاعل"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ

مَّحْرِبٍ ﴿١٣﴾ سبأ: ١٣، بين معنى "المحراب" في اللغة حتى يتضح معنى الآية فقال: "أي: من كل شيء مشرف. والمحراب في اللغة كل شيء مشرف مرتفع، وكل موضع شريف، ومنه قيل للموضع الذي يصلي فيه الإمام محراب لأنه يعظم ويشرف ويرفع. وقيل: المحراب مقدم كل بيت ومسجد ومصلى"³.

5 - ذكره لبعض مسائل الخلاف بين البصرة والكوفة: تعرض مكي في تفسيره أثناء إعراب بعض آيات القرآن إلى مسائل الخلاف الواقعة بين مدرستي البصرة والكوفة، مع العلم أن للكتي المدرستين علماء خاصة بها، ووقع بينهم خلاف كبير إلى حد التناحر، وهذا بعد ظهور علم النحو وتقعيد قواعده، ومن كبار مدرسة البصرة "أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه،

¹ مكي، الهداية، ج1، ص108

² المصدر نفسه، ج8، ص 5338

³ المصدر نفسه، ج9، ص 5895

وقطرب..."، وكان كبار مدرسة الكوفة "الكسائي، والفراء، وثعلب..."، ونشأ الخلاف بين المدرستين، واحتدم النزاع بين الطائفتين، وكان لكل مدرسة أنصار وأتباع، وقد ذكر مكي أقوالهم في النحو واستشهد بها في الإعراب، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاهُ وَإِيَّايَ﴾، الفاتحة: ٥، بين مكي الخلاف بين المدرستين وأقوالهم في: "إياك وإياه وإيائي"، فقال: "اختلف النحويون في "إياك وإياه وإيائي"؛ فلبصريين فيها قولان: أحدهما: أن "إيا" اسم مضمّر أضيف إلى ما بعده للبيان لا للتعريف. ولا يعرف في كلام العرب اسم مضمّر مضاف إلى ما بعده غير هذا. وحكى الخليل عن العرب: "إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب". فأضاف "إيا" إلى الشواب للبيان. والقول الثاني: مروى عن المبرد قال: إن "إيا" اسم مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف، ولا يعرف في كلام العرب اسم مبهم أضيف إلى ما بعده غير هذا.

وللكوفيين في هذا أيضا ثلاثة أقوال: حكى ابن كيسان وغيره. عنهم أن "إياك" بكماله اسم مضمّر، ولا يعرف اسم مضمّر يتغير آخره غيره، فنقول: "إياه وإياك وإيائي". والقول الثاني: إن الكاف والهاء والياء، هن الاسم المضمّر في "إياك وإياه وإيائي"، لكنه اسم لا يقوم بنفسه ولا ينفرد؛ ولا يكون إلا متصلاً بما قبله من الأفعال، فلما تقدم على الفعل لم يقوم بنفسه فجعل "إيا" عمادا له ليتصل به، ولو أخرجت لاتصل المضمّر بالفعل واستغثت عن "إيا" فقلت: "نعبده" و "نعبدك". وهو اختيار ابن كيسان.

والقول الثالث: حكاه أيضا ابن كيسان؛ وهو أن "إيا" اسم مبهم يكتفى به عن المنصوب وزيدت إليه الكاف والهاء والياء في: "إياك وإياه وإيائي". ليعلم المخاطب من الغائب من المخبر عن نفسه ولا موضع للكاف والهاء والياء من الإعراب، فهي كالكاف في "ذلك" وأرأيتك زيدا ما صنع. ذكر معنى جميع ذلك ابن كيسان في كتابه في تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه¹. وكذلك: عند

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ﴾ البقرة: ٩٦، بين معنى الآية،

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 107

واستشهد برأي الكوفيين في ذلك، ورد البصريين عليهم وحجتهم في ذلك، فقال: "قوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ ، الآية. أي: وما أحدهم بمباعده. ومنجيه من العذاب التعمير. وقيل: المعنى وما التعمير بمباعده من العذاب "وأن يعمر"، بدل من التعمير. وقيل: التقدير: وما الحديث، أو ما الأمر بمزحزحه من العذاب أن يعمر. وهو مذهب الكوفيين من النحويين. ولا يميزه البصريون، لأن الباء لا تدخل على الجملة التي تفسر المجهول وهو الأمر أو الحديث أو الخبر ونحوه"¹.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ البقرة: ١٩٦، بين مكي أن "أو": تقع "واواً" عند الكوفيين، والبصريون لا يجيزون ذلك لاختلاف المعنى، فقال: وقيل: لما كانت الواو قد تقع بمعنى "أو"، فتكون مخيرة في صيام سبعة أو ثلاثة. أتى بـ ﴿ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ البقرة: ١٩٦، ليبين أن الواو ليست بمعنى "أو"، وأن السبعة والثلاثة يلزم صيامها، فبين بـ "عشرة" ذلك، وأزال اللبس والاحتمال. وهذا مبني على مذهب الكوفيين في إجازتهم لوقوع الواو بمعنى "أو"، وليس هو مذهب البصريين، لا تقع عندهم الواو بمعنى "أو" لاختلاف معنيهما وحكميهما"². ونكتفي بهذه الأمثلة من مسائل الخلاف بين البصرة والكوفة فهي كثيرة في تفسير مكي.

6 . عنايته بالاشتقاق: اعتنى مكي كثير في تفسيره بالاشتقاق، فكان دائماً يذكر اشتقاق الكلمة لتوضيح المعنى؛ وهو كثير في تفسيره، ومن ذلك: عند ذكره لاشتقاق كلمة "اسم"، بين أنه غير مشتق من "السمة" فقال: "واسم مشتق من السمو. وقيل: من السمة. وقيل: هو أمر من قولك اسم فلانا أي أعله، وكذلك ابن أصله الأمر من قولك: ابن البناء يا رجل. وقول من قال: هو من السمة. قول صحيح في المعنى لأن صاحبه يعرف به كالسمة في البعير يعرف بها، لكنه غير جائز

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 357

² المصدر نفسه، ج1، ص 657

في الاشتقاق، والأصول، وذلك أنه ليس في كلام العرب مصدر فعل معتل فائوه واو تدخله ألف الوصل، فيكون هذا مثله، ألا ترى أنك لا تجد مثل إعد وإزن في وعد ووزن؛ وأيضا فإنه يجب أن يقال في تصغيره وَسِيم كما تقول في تصغير عدة وعيدة، وذلك لا يقال"¹.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، بين مكي أربع اشتقاقات لكلمة "السورة"، فقال: وفي اشتقاق السورة أربعة أقاويل:

الأول: قيل: سميت سورة لأنها يرتفع بها من منزلة إلى منزلة، ويشرف فيها قارئها وحافظها على ما لم يكن عنده من العلم كإشرافه على سور البناء، فهي منزلة رفعة. كما قال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً². أي منزلة في الشرف.

الثاني: إنما قيل لها سورة: لتمامها وكما لها. يقال للناقاة التامة: السورة.

الثالث: إنما سميت سورة لشرفها وارتفاعها في القدر، كما يقال لما ارتفع من البناء على هيئة سور. الرابع: إنما سميت سورة لأنها بقية من القرآن وقطعة منه: يقال: "أسارت في الإناء سؤرا، أي أبقيت فيه بقية"، و"دخل فلان في سائر الناس" أي في بقاياهم. فيكون أصله على هذا القول الرابع الهمز"³.

وكذلك استدلاله على معنى اشتقاق كلمة "فقير" بأن الفقير أشد حاجة من المسكين، فقال: "الفقير: الذي لا غنى له فوق قوت يومه، وهو فعيل بمعنى مفعول، كأنه مفقور الظهر، وهو الذي نزعت فقره من فقر ظهره، فانقطع ظهره من شدة الفقر، وهذا الاشتقاق يدل على أن "الفقير" أشد حاجة من "المسكين" وقد قال تعالى ﴿فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾

¹ مكي، الهداية، ج 8، ص 5413

² هذا صدر بيت من الطويل للنابغة الذبياني، الشاعر الجاهلي، والبيت:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ، ينظر: يعقوب: إميل بديع، "المعجم المفصل في شواهد العربية"، ج 1، ص 189

³ مكي، الهداية، ج 1، ص 192

الكهف: ٧٩، فسامهم: مساكين، ولهم سفينة، ولا حجة في قراءة من قرأ: " مساكين "، بالتشديد؛ لأن الجماعة على التخفيف¹. ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن مكي بن أبي طالب قد اعتنى بالاشتقاق وأطنب في تفسيره منه.

7. الاستعانة بالقراءات القرآنية في ذكر وجوه الإعراب: استغل مكي تمكنه ودرايته في علم القراءات لتوظيفه في ذكر الوجوه الإعرابية للآيات القرآنية، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى:

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ

اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ البقرة: ١٠٦، بين وجوه القراءة المختلفة وإعرابها،

فقال: "قوله: ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾. من ضم النون الأولى وكسر السين، فمعناه: نتركها لا نبدلها.

وهو مروى عن ابن عباس على معنى: نأمرك بتركها. ويلزم على هذا المعنى فتح النون ليصح معنى

الترك إذ هو غير معروف في اللغة: أنسيت الشيء تركته، إنما يقال: " نسيت "، كما قال ﴿ نَسُوا

اللَّهُ فَنَسِيَهُمْ ﴿ التوبة: ٦٧، أي: تركوه فتركهم. وهذا إنما يصح على قراءة من قرأ "ننسها"

بالفتح. والصواب في معنى: " ننسها " بضم النون أن يكون من النسيان على معنى: "ننسكها " يا

مُحَمَّدُ فَتَذَهَبْ مِنْ حِفْظِكَ "2.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ الأحزاب: ٣٣، بين مكي وجوه القراءات

وأعرابها، فقال: "ثم قال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، أي: اثبتن في بيوتكن. هذا على

مذهب من قرأ بكسر القاف، يكون عند الفراء وأبي عبيد من الوقار، يقال وقر يقر ووقورا إذا ثبت

في منزله. وقيل: هو من قر في المكان إذا ثبت أيضا، فيكون الأصل: واقرن فحذفت الراء الثانية

استثقالا للتضعيف، وألقيت حركة الأولى الباقية على القاف فاستغني عن ألف الوصل، فصار وقرن

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 3041

² المصدر نفسه، ج1، ص 387

كما تقول: ظلت أفعل بكسر الظاء. فأما قراءة من فتح القاف، وهي قراءة نافع وعاصم، فهي لغة لأهل الحجاز، يقولون: قررت بالمكان أقر، بمنزلة قررت به عينا أقر، حكاة أبو عبيد في "المصنف" عن الكسائي. فيكون التقدير: واقرن في بيوتكن، ثم أعلّ في الأولى فيصير: وقرن.

ويجوز أن يكون من قرّة العين هذا على الحذف، والاعتلال أيضاً، وشاهده قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ

أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ الأحزاب: ٥١، فيكون التقدير: واقرن عينا في بيوتكن¹. وعند تفسير

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجِنَّةِ خَالِدِينَ﴾ هود: ١٠٨، بين مكّي أوجه

القراءات في كلمة "سعدوا" وإعرابها، فقال: "ومن قرأ "سعدوا" بالفتح فهي اللغة الجيدة

المشهورة. يقال: ما سعد حتى أسعده الله. وإجماعهم على "شقوا" بالفتح يدل على فتح "سعدوا"

"، ولو كانت بالضم لقليل: "سعدوا"، ومن قرأ بالضم فهي مكروهة عند أكثر النحويين، واحتج

الكسائي في الضم بقولهم: مسعود: وهذا لا حجة فيه له، لأن "فيه" محذوفة منه. يقال: مكان

مسعود فيه. واحتج الكسائي بقول العرب: "فغر فاه، وفغر فوه"، وجبر العظم وجبرته، ونزحت

البئر ونزحتها: فهذا لا يقاس عليه، إنما يسمع سماعاً. واحتج الكسائي للضم أيضاً، بأنه كذلك

سمعت من أصحاب عبد الله يقرؤونها.

وكان الكسائي، وغيره حكوها لغة في "أسعد": تسقط الألف وتضم السين. كقوله: ﴿مَا

دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ هود: ١٠٧، وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ

كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ الأنبياء: ١٠٤، وقال: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ

الْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ٤٨²

8 . رده لبعض القراءات بسبب مخالفتها اللغة: ردّ مكّي بعض القراءات القرآنية خصوصاً

الشاذة منها لمخالفتها اللغة، والغريب في الأمر أنه كان يرد بعض القراءات السبعة الصحيحة

¹ مكّي، الهداية، ج9، ص 5830

² المصدر نفسه، ج5، ص 3471

لمخالفتها اللغة ويستبعدها، وقد أكد العلماء أن القرآن حجة على اللغة ولا عكس، ومن ذلك، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةٌ لِّلّٰهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ التوبة: ٤٠، رد مكّي بعض القراءات الشاذة، بالإضافة إلى قراءة يعقوب، وهي من السبعة، فقال: "أي: كذلك هي، ولم تنزل كذلك. وقرأ علقمة، والحسن، ويعقوب: " وكلمة الله " بالنصب، وهو بعيد من وجوه:

أحدها: أن الرفع أبلغ؛ لأنها لم تنزل كذلك، والنصب يدل على أنها جعلت كذلك بعد أن لم تكن عليا. وبعيد أيضا: من أنه يلزم أن يقال: " وكلمته هي العليا "، لأنه لا يجوز في الكلام: " أعتق زيد غلام أبي زيد " والثاني هو الأول"¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ

إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩، رد قراءة الصحابي معاذ بن جبل وبين أنها شاذة لمخالفتها اللغة، فقال: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، أي: وما أدعوكم إلا إلى الحق في أمر موسى وقتله. وقرأ معاذ بن جبل: "سبيل الرشاد" بالتشديد. يعني أن فرعون قال لقومه: ما أهديكم إلا إلى طريق الله جل ذكره.

وهذه القراءة بعيدة في اللغة لأن " فعلا " لا يكون من " أفعل " وإنما يكون من الثلاثي للتكثير. فإن أردت لتكثير من الرباعي جئت " بمفعال "². وكذلك رد مكّي قراءة الحسن الشاذة المخالفة للعربية، في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الشعراء: ٢١٠، فقال: "أي: ما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على محمد - ﷺ -، ولكن نزل به عليه الروح الأمين وهو جبريل - ﷺ -. وقرأ الحسن: "الشياطين" بالواو وهو غلط لأنه جمع مكسر إعرابه في آخره"³.

9. رفض أقوال النحاة في بعض مسائل الإعراب: نظرا لمكانة مكّي اللغوية فقد ردّ أقوال بعض كبار النحاة في مسائل الإعراب ورفضها، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا

¹ مكّي، الهداية، ج4، ص 3004

² المصدر نفسه، ج10، ص 6425

³ المصدر نفسه، ج8، ص 5357

مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ البقرة: ٥٣، رد مكي قول الفراء وقطرب في هذه الآية، فقال: "وقيل: الفرقان القرآن، والتقدير على هذا: وآتيناهم الفرقان. قاله الفراء وقطرب، وهو بعيد في العربية، لا يجوز مثل هذا الإضمار، وقد رده جماعة. وقال الزجاج: "الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره بغير لفظه للتأكيد، وسمي فرقانا لأنه فرق بين الحق والباطل"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ البقرة: ١٠٦، رد قول أبي إسحاق وقطرب في الآية فقال: "وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾. معناه عند أبي إسحاق وقطرب: "نأت منها بخير" وهو غلط عند النحويين. لأن من حقها أن تكون بعد "أفعل" لا قبله "وخير" أفعل فإن جعلت "خيرا" فعلا الذي هو ضد الشر، ولم تجعله أفعل، جاز ذلك"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ آل عمران: ٣٧، رد قول أبي حاتم في إعراب "زكريا"، فقال: "قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، المد في زكرياء لغة، وزكري لغة، وزكر، وحكى أبو حاتم بغير صرف، وهو غلط عند النحويين لأن ما كانت في هذه الياء. والتخفيف في كفلهما على أن زكريا الفاعل. ومن شدد فمعناه كفلهما الله زكرياء؛ لأنه تعالى أخرج قلمه إذ ساهم مع أحبار بني إسرائيل عليها من يكفلهما"³.

10 . ترجيح المعنى اللغوي على غيره من الأقوال: كان مكي بن أبي طالب يرجح المعنى اللغوي في تفسيره على غيره من الأقوال، وقد ذهب العلماء إلى أن القرآن نزل بلغة العرب وبها تعرف مقاصده وتبين معانيه، ولا يجوز صرفه عن المعنى اللغوي إلا بدليل قاطع، وقد عمل مكي بن أبي طالب في تفسيره بهذه القاعدة، ومن ذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 269

² المصدر نفسه، ج1، ص 390

³ المصدر نفسه، ج2، ص 998

قَبْلِهِ لِمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ البقرة: ١٩٨، نفى قول الإمام الطبري في إعراب هذه

الآية لمخالفته اللغة، فقال: "قوله: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الضَّالِّينَ﴾

﴿١٩٨﴾. معناه: وما كنتم من قبل الهدى إلا من الضالين، "فإن" بمعنى "ما" واللام بمعنى "إلا".

وقد قيل: إن "إن" بمعنى "قد" ذكره الطبري، وليس بجيد في اللغة¹. وكذلك عند تفسيره قوله

تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ البقرة: ٢٣٠، بين مكي بدليل اللغة معنى الآية وفسرها

ووضح الحكم الشرعي، فقال: "وأصل النكاح في اللغة الوطء. تقول العرب: "أنكحت الأرض

البر" إذا بذرت فيها، ومن هاهنا ثبت أن قوله: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ البقرة: ٢٣٠،

يراد به الوطء دون العقد، وبذلك أتت السنة، وقد كثر حتى استعمل اسما للعقد إذ هو سبب

الوطء². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ

مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٦، بين مكي المعنى اللغوي لكلمة "بكة"،

ورجحه، فقال: وقال الضحاك: بكة هي مكة، وعلى ذلك أهل اللغة أن الميم بدل من الباء كما

يقال: لازب، ولازم وسبل شعره وسمله إذا استأصله.³

11 . استشهاده ببعض أقوال العرب في التفسير: استشهد مكي بن أبي طالب ببعض أقوال

العرب في التفسير، وترددت عبارة "كلام العرب" كثيرا في تفسيره، ومنها: عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ البقرة: ٢٢١، بين أن العرب تقول هذا القول، فقال:

"وجاز أن تقول: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾، والمشرك لا خير فيه، كما تقول

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 666

² المصدر نفسه، ج1، ص 726

³ المصدر نفسه، ج2، ص 1076

العرب: " الآباء أحق بالميراث من الخال ". ولا حق للخال في الميراث¹. وعند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٤، بين مكي المعنى اللغوي لكلمة

"عُرْضَةً" في كلام العرب، وفسر به الآية، فقال: "والعرضة في كلام العرب القوة والشدة؛ يقال:

"هذا الأمر عُرْضَةٌ لك" أي قوة لك على أسبابك. فمعناه على هذا: لا تجعلوا يمينكم قوة لكم في

ترك فعل الخير². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ

سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فصلت: ٢٠، بين مكي

معنى الجلود، ورجحه بكلام العرب، فقال: "وأكثر المفسرين على أن الجلود هنا: الفروج. كنى عنها

كما كنى عن النكاح بالمس. وقيل عنى بها الجلود بعينها، وهو اختيار الطبري؛ لأنه الأشهر

المستعمل في كلام العرب، ولا يحسن نقل المعروف في كلامها إلى غيره إلا بحجة ودليل يجب له

التسليم³.

12 . ذكره لبعض مشاكل الإعراب في القرآن: لقد ذكرنا سابقاً في مؤلفات مكي أنه أفرد بعض

مشاكل الإعراب في القرآن بمؤلفات خاصة⁴، ولكنه في تفسيره كان يتوقف أحياناً عن التفسير

ويوظف ملكته اللغوية في إعراب بعض الآيات المشككة في القرآن، ويعقد باباً أو فصلاً خاص

لذلك، وأحياناً يتوقف عن البحث ويحيل القارئ على مؤلفاته في غير التفسير، ومن ذلك عند

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ النمل:

٣٠، توقف عن التفسير، وقال: "وهذه جملة من علل "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"⁵، وعقد مبحثاً

خاصاً بها، وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا

¹ مكي، الهداية، ج1، ص726

² المصدر نفسه، ج1، ص744

³ المصدر نفسه، ج10، ص6504

⁴ ينظر: ص88 من الرسالة.

⁵ مكي، الهداية، ج8، ص5407

حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ ﴿١٠٦﴾ المائدة: ١٠٦، توقف عن التفسير وقال: "وهذه الآية - عند أهل المعاني - من أشكل ما في القرآن إعراباً ومعنى وحكماً!"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ هود: ١٠٧، بين مكي أنه أفرد كتاباً خاصاً بإعراب هذه الآية، فقال: "وقد أفردنا كتاباً مفرداً لشرح هذه الآية، وذكرنا فيها من أقاويل العلماء بضعة عشر قولاً، وبيننا جواز وقوع " ما " لمن يعقل بيانا شافياً في ذلك الكتاب. وذكرنا في هذا اختصار ما ذكرنا في ذلك الكتاب"².

ونكتفي بهذا من تفسير مكي في عنايته بقضايا النحو والصرف، فقد اهتم بها اهتماماً كبيراً وأولاهها عناية فائقة، ويظهر ذلك في كل صفحة من صفحات تفسيره، مما يدل على اطلاعه ودرايته الواسعة في هذا المجال، ويظهر أيضاً من خلال نقله المباشر عن أئمة النحو كالخليل وسيبويه والكسائي وغيرهم، وكان لا يكتفي بالنقل بل يناقش الأدلة، ويرجح ما يراه مناسباً، وللعلم فإن التفسير من التفاسير اللغوية المهمة، ويمكن أن تكون هناك رسائل خاصة بمنهجه في اللغة، فهو مثل: (تفسير الكشاف) للزمخشري و(البحر المحيط) لأبي حيان و(المحرر الوجيز) لابن عطية وغيرها، ولكي مؤلفات متنوعة في اللغة غير التفسير، يمكن الرجوع إليها ودراستها.

المطلب الثاني: عنايته ببعض القضايا البلاغية

إن القرآن نزل على العرب وهم قمة في البلاغة والفصاحة، وتحداهم القرآن على أن يأتوا بشيء من مثله، وتدرج معهم ولكنهم عجزوا، إلى أن جاءت الآية القاطعة، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَّيِّنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَا وَكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ الإسراء: ٨٨، وعرفوا من الوهلة الأولى أنه ليس

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1906، وقد أفرد مكي كتاب خاص بتفسير هذه الآية، وقد أشرنا له سابقاً في مؤلفاته. ينظر: ص: 88 من الرسالة.

² المصدر نفسه، ج5، ص 3470

بكلام بشر وإنه من عند الله، وبقيت معجزة التحدي في القرآن خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هنا قال بعض العلماء أن القرآن معجز ببلاغته، وعلى المفسر لكتاب الله أن يكون ذا دراية واطلاع واسع في علوم البلاغة؛ لأنه بدونها لا يمكن أن يتوصل إلى معرفة معاني ومدلولات النظم الشريف.

ومفسرنا مكي بن أبي طالب لم يهتمَّ بعلوم البلاغة كاهتمامه بالنحو والصرف، وهذا في نظري لتقدم تفسيره؛ لأنه عاش بين القرن الرابع والخامس الهجري، ولأن علم البلاغة لم يظهر متقدماً كعلم النحو، وإنما ظهر مؤخراً، وعُرف بعدة تسميات منها علم البيان وعلم البديع، وهذا قبل اصطلاح العلماء على تسميته بعلم البلاغة، وتقسيماته الثلاثة: علم البيان والبديع والمعاني، ولأنه ألف كتباً متعددة في بيان القرآن وإعجازه وغريبه¹، وهذا هو السبب - والله أعلم - الذي جعله لا يكثر من ذكر الوجوه البلاغية في تفسيره، ولكنه اهتم ببعض مباحث البلاغة كالتقديم والتأخير والتشبيه والاستعارة؛ وسرّ التكرار في القرآن حيث عقد باباً له، وغيرها من المباحث التي ستطرق لها، وأظن في بعضها، والبعض الآخر أشار له إشارة موجزة فقط، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك؛ حتى تتضح لنا طريقته العامة في بعض مسائل البلاغة:

1. تطرقه لمسألة الإعجاز في القرآن: تطرق مكي بن أبي طالب إلى مسألة الإعجاز في القرآن

وبينها بقوله: "فمن إعجاز القرآن تأليفه بالأمر والنهي والوعظ والتنبيه والخبر والتوبيخ وذلك لا يوجد متألفاً في كلام. ومن إعجازه الحذف والإيجاز ودلالة اليسير من اللفظ على المعاني الكثيرة.

وهذا موجود بعضه في كلام العرب؛ لكن لا يوجد مثل قوله: ﴿وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْرَأٌ مِنَ قَوْمٍ

خِيَانَةٌ فَأَبْنُدُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ الأنفال: ٥٨، فقد تضمن هذا معاني، ولا يوجد مثله

في كلام العرب بهذه الفصاحة ومثله كثير في القرآن. ومعنى الإيجاز هو إظهار المعاني الكثيرة باللفظ القليل، ومن إعجازه ما فيه من علوم الغيب التي لم تكن وقت نزوله ثم كانت ومنها ما لم

¹ منها: كتاب (بيان إعجاز القرآن)، وكتاب (انتخاب نظم القرآن للجرجاني) في أربعة أجزاء، وكتاب (مشكل المعاني والتفسير) في 15 جزءاً. وقد أشرنا لها سابقاً. ينظر: ص 88 من الرسالة.

تكن بعد...¹. والكلام طويل، حيث توقف مكي عن التفسير، وبين قضية الإعجاز في القرآن.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) الشعراء: ٢٣، بين مكي الإعجاز في هذه الآية، فقال: "هذا يدل على أن موسى دعاه إلى طاعة رب العالمين. قال فرعون:

﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) فهذا حذف، واختصار يدل عليه جواب فرعون. وهذا من إعجاز القرآن، وإيتان اللفظ القليل بالمعاني الكثيرة. ومثل هذا لا يوجد في كلام الناس"².

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ

وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٠) فصلت: ٢٠، بين مكي الإعجاز في هذه الآية، فقال: "هذا الكلام فيه حذف مفهوم، واختصار بليغ، وهذا أمر معجز القرآن.

والتقدير: حتى إذا جاؤوا النار سئلوا عن كفرهم وجحودهم، فأنكروا بعد أن شهد عليهم النبيون والمؤمنون، فعند ذلك تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون في الدنيا"³.

2. أسلوب التقديم والتأخير: أكثر مكي بن أبي طالب من الإشارة إلى معنى التقديم والتأخير في بعض آيات القرآن، أثناء تفسيره، ومن ذلك عند ذكره للبسملة وأنها ليست بآية من القرآن في سورة الفاتحة، قال: "وهذا مما يدل على أن "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" ليس بآية من الحمد، إذ لو كانت آية كما يقول المخالف لكنا قد أتينا بآيتين متجاورتين متكررتين بمعنى، وهذا لا يوجد في كتاب الله جل ذكره إلا بفصول تفصل بين الأولى والثانية، أو بكلام يعترض بين الأولى والثانية.

فإن قيل: قد فصل في هذا ب ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

فالجواب إن ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣) في الحمد مؤخر يراد به التقديم، وإنما تقديره: "الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين"، فلا فاصل بين ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣) الأولى والثانية.

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 4286

² المصدر نفسه، ج8، ص 5289

³ المصدر نفسه، ج10، ص 6503

فإن كان ذلك كذلك، دل على أن التسمية ليست بآية من الحمد إذ لا نظير لها في كتاب الله جل ذكره، وإنما حكمنا على أن المراد " بالرحمن الرحيم " في " الحمد " التقديم، لأن قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مثل قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في المعنى، لأن معناه أنه إخبار من الله أنه يملك يوم الدين، و ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو إخبار من الله أنه يملك العالمين فاتصال الملك بالملك أولى في الحكمة ومجاورة صفته بالرحمة صفته بالحمد والثناء أولى. فكل واحد مرتبط إلى نظيره في المعنى فدل على أن ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ متصل به، يراد به التقديم. و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ متصل ب ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ هو نظيره في المعنى، وذلك أبلغ في الحكمة، والتقديم والتأخير كثير في القرآن¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف: ٢٤، رد على أبي عبيدة الذي قال: "إن في الآية تقديم وتأخير" ونفى عن يوسف أن يكون هم بالخطيئة، فقال: "وقال أبو عبيدة: المعنى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾: تم الكلام. ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: "لولا أن رأى برهان ربه، هم بها": على التقديم والتأخير، ينفي عن يوسف أن يكون هم بالخطيئة. وقد خالفه في ذلك جميع أهل التفسير، ولا يجوز هذا أيضا عند أهل العربية، لأنه لو كان كما قال، لكان باللام. لا يجوز عندهم: "ضربتك لولا زيد". والمعنى عندهم: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، "لأمضى ما هم به. وقد قيل: إن الهم بها هو: ما يخطر على القلب من حيل الشيطان، وذلك مما لا يؤاخذنا الله به"². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 103

² المصدر نفسه، ج 5، ص 3544

لَكُونُوا ۖ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ العاديات: ٦ - ٨، بين مكي تقدير التقديم والتأخير في هذه الآية، فقال: "أي: وإن الإنسان لحب الدنيا والمال لشديد الحب. وفي الكلام تقديم وتأخير. والتقدير فيه: "إن الإنسان لربه لكونود، وإنه لحب الخير لشديد، وإنه على ذلك لشهيد"¹.

3. أسلوب التكرار: تنبه مكي بن أبي طالب إلى سر التكرار في القرآن؛ وفسر المراد من ذلك، وكان أحياناً يقول: "التكرار" وأحياناً لفظ "التكرير"، وعقد باباً له في تفسيره، حيث توقف عن التفسير، وبين العلة في تكرار بعض القصص والأحكام وغيرها في القرآن، ثم رجع للتفسير من جديد، ونعطي أمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ النساء: ١٣١، بين مكي لماذا تكرر لفظ "الله" في هذه الآية وفي غيرها من بعض آيات القرآن، وما السر في ذلك، فقال: "كرر تعالى ذكره، ذكر كون ما في السموات وما في الأرض أنه له، في ثلاثة مواضع متوالية، وفي كل آية معنى من أجله وقع التكرير: أما الأول فإن الله جل ذكره نبه الخلق على ملكه بعقب قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ النساء: ١٣٠، فأخبر أن من سعته أن له ما في السموات والأرض، وفي هذا تقوية لقول أبي عمرو أن الواسع الغني، ثم رجع تعالى بعد إعلامه إيانا، وتنبهه على ملكه إلى إعلامه إيانا أنه قد وصى من كان قبلنا بتقواه كما وصانا بالتقوى في الأزواج وغيرها، والذين من قبلنا من أهل الكتاب وصاهم بذلك في التوراة والإنجيل، وأوصانا نحن في القرآن بالتقوى أيضاً، فقال: ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾.

¹ مكي، الهداية، ج12، ص 8407

وأما الثاني: قوله: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ ، كما كفر أهل الكتاب ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إنه لا يضره كفرهم إذ له كل شيء، كما لم يضره ما فعل أهل الكتاب في مخالفتهم أمره، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ أي غني عن خلقه، فأخبرنا في هذه الآية بغناه عنا، وحاجتنا إليه.

ثم أعلمنا في الآية الثالثة بحفظه لنا، وعلمه بنا فقال ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿النساء: ١٣٢﴾، أي كفى به حفيظا.

فهذه فائدة التكرير أنه تعالى نبهنا على ملكه، وسعته بعد قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾. فأعلمنا أنه من سعة ملكه أن له ما في السموات وما في الأرض. وأعلمنا في الثانية بحاجتنا إليه، وغناه عنا. وفي الثالثة أعلمنا بحفظه لنا وعلمه بتدبيرنا.

وتقدم قوله: ﴿غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿١٣٣﴾ على ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٣٢﴾ لأنه خاطبهم أولاً فأخبرهم أنه لا يحتاج إليهم، إن كفروا، وأنهم مضطرون إليه، إذ له ما في السموات وما في الأرض¹.

وعقد باباً طويلاً في تفسيره لسر التكرار؛ حيث توقف عن التفسير، وقال: "ذكر العلة في تكرار الأنبياء والقصص وغيره في القرآن: علة ذلك أن القرآن نزل شيئاً بعد شيء نجوماً، في ثلاث وعشرين سنة، فكانت العرب تَرُدُّ على النبي - ﷺ - من كل أفق فيقرئهم المسلمون السورة من القرآن، فيذهبون بها إلى قومهم. وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة، بالسور المختلفة، فيبلغ إلى هؤلاء

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1492، مع العلم أن مكي خصص كتاب خاص بتفسير وتوضيح هذه الآية، وقد أشرنا له سابقاً، ينظر: ص88 من الرسالة

من القصص ما لم يبلغ إلى هؤلاء،...¹، والباب طويل ولا يسعني المجال لذكره هنا، ونكتفي بهذه الأمثلة وهي كثيرة في تفسير مكي.

4. أسلوب الحقيقة والمجاز: تعرض مكي بن أبي طالب إلى أسلوب المجاز والحقيقة في تفسيره،

ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ﴾² النور: ٤١، بين مكي أن هذه الآية يراد بها المجاز وليست على حقيقتها، فقال:

"وقيل: معنى التسبيح من الخلق كلهم، في هذا هو أن ما في الخلق من الدلالة على قدرة الله، تنزيه

له من كل سوء، ومن أن يعبد غيره، وليس هو تسبيح على الحقيقة، إذ لو كانت الطير تسبح على

الحقيقة لكانت مكلفة بالطاعة، ولكانت بمنزلة العقلاء من الناس المكلفين، فهو مجاز في ما لا

يعقل"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِاللَّيْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾³

الفتح: ١١، بين مكي الحقيقة والمجاز في هذه الآية فقال: "أي: يسألونك يا محمد الاستغفار من

فعلهم من غير توبة تنعقد عليها قلوبهم، ولا ندم على فعلهم. وجاء بلفظ "ألستهم" توكيدا وفرقا

بين المجاز والحقيقة"³. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ

مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾⁴ الحجرات: ١١، بين المجاز المقصود في هذه الآية،

فقال: "أي: لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين لعلّ: المستهزئ منه خير من الهازئ، وكذلك

النساء. "وقوم" في كلام العرب يقع للمذكرين خاصة، ويجوز أن يكون فيهم نساء على المجاز"⁴.

5. أسلوب التقرير والتوبيخ: تعرض مكي إلى أسلوب التقرير والتوبيخ وذكره في بعض آيات

القرآن، ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

¹ مكي، الهداية، ج4، ص2460

² المصدر نفسه، ج8، ص5129

³ المصدر نفسه، ج11، ص6946

⁴ المصدر نفسه، ج11، ص7001

قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ البقرة: ١٠٦، قال مكي: "معناه أن النبي - ﷺ - قد كان عالماً بذلك فضلاً من الله عليه، فخرج هذا الكلام مخرج التقرير على عادة العرب. تقول العرب للرجل: " ألم أكرمك، ألم أفضل عليك " يخبره بذلك، وينبئه عليه، وهو عالم به. ومعناه: قد علمت ذلك، فكذلك هذا"¹.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ لَمْ يَرْسَلْ إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالُوا هَذَا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ المائدة: ١٩، فأخبرت الرسل عند السؤال أنها قد بلغت، وأن الأمم التي أنكرت كاذبة في قولها. فسؤال الرسل، إنما هو على وجه الاستشهاد على الأمم. وسؤال الأمم المرسل إليهم على وجه التقرير بما عملوا، لا أنه تعالى يسأل مسترشداً متشبهاً؛ لأن هذا صفة من لا علم عنده، بل هو لا إله إلا الله، عالم بتبليغ الرسل، وبما أجابتهم به الأمم. وهذا يدل على أن الكفار يحاسبون ويسألون². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف: ١٩، بين مكي في هذه الآية التقرير والتوبيخ، فقال: "ثم قال: ﴿ أَشْهَدُوا

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 391

² المصدر نفسه، ج4، ص 2283

﴿خَلَقَهُمْ﴾ هذا على التقرير والتوبيخ لهم، ومعناه: لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف تجرأوا على وصفهم بالإناث¹.

6. أسلوب الكناية: تعرض مكي لبعض الكنايات في القرآن، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى:

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ البقرة: ١٨٧، بين مكي

الكناية في هذه الآية، فقال: "والرفث هنا كناية عن الجماع، قال ابن عباس: " الرفث الجماع ولكن الله كريم يكني ". وهو قول جميع المفسرين. وقال الزجاج: " الرفث كلمة جامعة لكل ما

يريده الرجل من امرأته." ² وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَلْكَنَ بَشْرُوهُنَّ﴾ البقرة:

١٨٧، قال مكي: "أي جامعوهن في ليل الصيام ما لم يطلع الفجر إذا شئتم. فباشروهن كناية عن

الجماع"³. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ المائدة: ٧٥، قال مكي:

"كناية عن إتيان الحاجة، فنبه بأكل الطعام على عاقبته، وغلب المذكر على المؤنث"⁴.

7. أسلوب الاستعارة: وهي نادرة جداً في تفسير مكي ولم يذكرها إلا ثلاث مرات في تفسيره،

والغريب في الأمر أنه عقد فصلاً لتعريف الاستعارة، وتوقف عن التفسير، فعند تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء: ١٥٧، قال مكي: "أدخله بعضهم في باب الاستعارة لأنه

أريد به تحقيق الأمر واستيقانه"⁵. وعقد باباً في تعريف الاستعارة، فقال: "والاستعارة في كلام

العرب باب، وهذا فصل نبين فيه نبذا من معاني الاستعارة، فالاستعارة معناها: أن نضع الكلمة في

¹ مكي، الهداية، ج10، ص 6643

² المصدر نفسه، ج1، ص 615

³ المصدر نفسه، ج1، ص 621

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص 1816

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص 1520

موضع ما هو قريب منها أو ما هو سببها، أو ما يشبه الآخر أي مقارب له بمعنى؛ كقولك " النبات نوء " لأنه عنه يكون، و"المطر سماء"، لأنه منها ينزل، ويقولون " ضحكت الأرض " لأنها تبدي عن حسن النبات...¹ ونكتفي بهذا لأن الباب طويل، واسترسل مكي في تعريف الاستعارة

وجاء بأمثلة كثيرة، وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ

أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ الذاريات: ٥٩، قال مكي: "أي: فإن للذين أشركوا بالله من قريش نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم من الأمم الماضية التي أشركت كما أشركوا، وكذبت كما كذبوا. وأصل الذنوب: الدلو العظيمة، وهي السجل كانوا يقتسمونها على الماء فيستسقي هذا حظه ونصيبه، وهذا حظه ونصيبه، فسمي الحظ والنصيب الذنوب على الاستعارة"². وفي شرحه لحكم كفارة الظهار، قال مكي: "يلزمه الظهار لو قال لأمرأته: أنت علي: "كظهر أخي وكقدم أخي" ونحوه من العورات، وإنما خص هذا اللفظ في اليمين بالظهر دون البطن، لأن الظهر موضع الركوب من البهائم، والمرأة مركوبة، إذا غشيت، فكأنه إذا قال: "أنت علي كظهر أمي"، قال: ركوبك للنكاح حرام علي كركوب أمي للنكاح، فأقام الظهر مقام الركوب، إذ الركوب من غير بني آدم إنما يركب على ظهر، فهو استعارة لطيفة"³.

وهذه أهم المباحث البلاغية التي تعرض لها مكي في تفسيره، وفي ختام هذا المطلب نُذَكِّرُ أن عناية مكي بالقضايا البلاغية كانت قليلة في تفسيره، إذا ما قورنت بقضايا النحو والإعراب والصرف، أما المحسنات البديعية كالجناس والمقابلة والطباق والسجع، فلم يتعرض لها مطلقاً، وربما أنه أفرد كتباً خاصة في إعجاز القرآن وبيانه وغريبه، مما جعله يخفف في تفسيره منها، وغلَّب جانب النحو والإعراب على الجانب البلاغي، والله أعلم.

¹ مكي، الهداية، ج2، ص 1520

² المصدر نفسه، ج11، ص 7111

³ المصدر نفسه، ج11، ص 7357

المطلب الثالث: عنايته بالشاهد الشعري

لقد تطرقنا سابقاً أن القرآن نزل بلسان عربياً مبين، وأن التعمق في العربية ضروري للمفسر في معرفة معاني القرآن والوقوف على غرائبه، ومعرفة إعجازه ولطائفه، وكلما كان المفسر محيطاً باللغة؛ كان أكثر قدرة على فهم القرآن وتذوق حلاوته، واستنباط أحكامه، والشعر ديوان العرب، وفيه تفسير معاني كتاب الله تعالى، وقد أورد الزركشي قول للصحابي عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - المشهور بالتفسير وترجمان القرآن، فقال: "عن ابن عباس قال إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"¹، والمتصفح لتفسير مكي يجده قد استشهد ببعض أشعار العرب في تفسيره، ولم يكثر منها كابن جرير الطبري وابن كثير وأبي حيان القرطبي وغيرهم، ولكنه استشهد بها في معرفة معاني القرآن، وكان يعلم أن الشعر ديوان العرب، وأن اللغة العربية تُلمس من الشعر، وقد صرح بذلك عند حديثه على التنوين في كلمة "سلاسل"، قال: "فأما من نونه، فعلى لغة مسموعة من بعض العرب. حكى الكسائي وغيره من الكوفيين أن بعض العرب يصرف كل ما لا ينصرف إلا " أفعل منك ". وقال بعض أهل النظر: كل ما يجوز في الشعر يجوز في القرآن، لأن الشعر أصل كلام العرب، والعرب تصرف هذا ونحوه في الشعر. وقيل: إنما صرف لأنه أتبع بما بعده، وهو "وأغلالاً"².

وقد استشهد بشعر فحول الشعراء مثل: "أمرئ القيس وعمرو بن كلثوم والأعشى" وغيرهم، كما استشهد بأشعار المخضرمين "كلبيد العامري والخنساء والعجاج" وأمثالهم، والشعراء الإسلاميين "كالفرزدق وجريز وذي الرمة"، أما الطبقة الرابعة وهي طبقة المولدين مثل: "بشار بن برد وأبو تمام والبحري" وغيرهم، فلم أجد مكي قد استشهد بأشعارهم في تفسيره، وهذا يدل على حيظته؛ لأن هذه الطبقة عند العلماء لا يستشهد بأشعارهم في اللغة، لأنهم كانوا في عصر ضعفت فيه اللغة؛ وظهر اللحن في الكلام العربي، ولاحظت أن مكيّاً يستشهد بهذه الأشعار دون نسبتها لقائل في الغالب، كأن يقول: "قال الشاعر، وأنشد الفراء، وأنشدوا..." وأحياناً ينسبها لقائلها، وتكررت

¹ الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين، " البرهان في علوم القرآن"، ج1، ص292

² مكي، الهداية، ج2، ص 1526

بعض الأبيات في أكثر من موضع، وأحيانا يستشهد بنصف البيت أو كلمة أو كلمتين منه، وقد جاءت هذه الشواهد في تفسيره، إما لبيان لفظ غريب، أو تمييز بين معنى وآخر، أو لبيان الإعراب والصرف أو لتوضيح معاني الحروف والاستشهاد على معاني القراءات وتوجيهها ونحو ذلك، وهذه أمثلة توضح طريقته العامة في الاستشهاد بالشعر في تفسيره:

1 . ذكره للبيت الشعري دون نسبة: بعد دراستي لتفسير مكي وجدت أن أغلب الأشعار التي استدل بها كانت بدون ذكر قائلها؛ وإنما يقول: "قال الشاعر"، وقد ترددت هذه العبارة كثيرا في تفسيره، ونعطي بعض الأمثلة، فعند إعرابه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ المائدة: ٦، قال مكي: "وقيل: إنه إنما خفض لاشتراك الغسل

والمسح في باب الوضوء، كما قال ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ الواقعة: ٢٢، فخفض وعطفه على الفاكهة التي يطاف بها، وهذا مما لا يطاف به، ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في التمتع بهما، وكما قال الشاعر:

شَرَابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطٍ¹ ، فعطف التمر والأقط على ما يشرب، وليس يشربان، ولكن فعل ذلك لاشتراكهما في التغذي بهما، ومثله قوله:

ورأيتُ زوجك قد غدا مُتَقَلِّداً سيفاً ورُحماً²

فعطف الرمح على السيف؛ وليس الرمح مما يتقلد به، ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في الحمل وفي أحدهما سلاح، ومثله: عَلَفْتُهَا تَيْبًا وَمَاءً بَارِدًا³، فعطف الماء على التبن وليس مما يوصف بالعلف،

¹ هذا البيت من الشواهد النحوية التي لا يعرف قائلها، وهو من بحر الرجز، ينظر: يعقوب: إميل بديع، "المعجم المفصل في شواهد العربية"، ج10، ص 399

² البيت من مجزوء الكامل، وهو أيضا من الشواهد التي لا يعرف قائلها، وهو موجود في معظم كتب النحاة، ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص66

³ هذا البيت من الشواهد النحوية التي لا يعرف قائلها، وهذا صدر بيت، وهو قوله:

عَلَفْتُهَا تَيْبًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا، ينظر: المصدر نفسه، ج12، ص 323

ولكن فعل ذلك لاشتراكهما في أنهما غذاء لها. ومثله قوله: **وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا**¹، فعطف العيون على الحواجب وليست مما يزجج إنما تكحل، ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في التزين بهما، فكذلك يحمل الغسل على المسح لاشتراكهما في باب الوضوء². فنلاحظ هنا أنه ذكر جملة أبيات من الشعر دون نسبتها لأحد.

2. ذكره للبيت مع نسبته لقائله: أحيانا كان مكي ينسب البيت لقائله، ومن ذلك عند تفسير

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾³ البقرة: ٢٧٣، استشهد بالبيت الشعري

ونسبه، فقال: "أي إلحاحا، أي لا يشملون الناس بالسؤال، ومنه اللحاف. والمعنى: لا يكون منهم

سؤال فيكون إلحافا. وهو كقول امرئ القيس: **عَلَى لَأِجِبِ لَأِ يَهْتَدِي لِمَنَارِهِ**³. أي ليس فيه منار

فيهتدي به"⁴. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ

بِهِ﴾⁵ الرعد: ١٠، استشهد بقول الخنساء فقال: وهذا في الحذف كما قالت الخنساء: **فإنما هي**

إقبال وإدبار، أي: ذات إقبال وإدبار"⁵. وعند أعرابه لقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِن هَذَا

لَسِحْرَانِ﴾⁶ طه: ٦٣، كذلك نسب البيت لقائله، فقال: "وقال ابن قيس الرقيات:

بَكَرْتُ عَلَيَّ عَوَازِلِي يَلْحِينِي وَأَلُومُهُنَّ

¹ البيت من الوافر، وهو للراعي النميري في ديوانه، وهذا عجز بيت، وهو قوله:

إذا ما الغايات بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا، ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص 56

² مكي، الهداية، ج3، ص 1616

³ البيت لامرئ القيس كما قال مكي، الشاعر الجاهلي، وهذا صدر البيت، وهو:

على لَأِجِبِ لَأِ يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَابِي جَزَجْرًا، ينظر: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، "ديوان

امرئ القيس"، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط:2، 1425 هـ - 2004 م، ص 96

⁴ مكي، الهداية، ج1، ص 905

⁵ المصدر نفسه، ج5، ص 3687، والبيت للخنساء الشاعرة المخضمة كما أشار مكي، وهذا عجز بيت، وهو من البسيط:

ترتع ما رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ، ينظر: يعقوب: إميل بديع، "المعجم المفصل في شواهد

العربية"، ج3، ص 177

وَيُقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبِرَتْ فُقُلْتُ إِنَّهُ¹

3 . الاستشهاد بنصف البيت في الشعر: كان مكي بن أبي طالب أحياناً يستشهد بصدر البيت أو عجزه، ولا يذكر البيت كاملاً، وقد تبين لنا ذلك في الأمثلة السابقة، ونذكر بعضها هنا، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٧٣) النحل: ٧٣، استشهاد مكي بصدر البيت الشعري على إعراب هذه الآية فقال: "أي: لا تملك أوثانهم شيئاً من السماوات والأرض. و "رِزْقًا" نصب بيملك. و "شَيْئًا" نصب برزق. وكان أصله: رزق شيء كما يقول: ضرب زيد، فلما فرق بينهما انتصب شيء لأنه مفعول به برزق. وهو مثل قول الشاعر: فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا²

كان أصله: عن ضرب مسمع، فلما أدخل الألف واللام امتنعت الإضافة فانصب المفعول به³. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا﴾^(٦) ص: ٦، بين مكي معنى "المشي" في هذه الآية، واستشهد بعجز البيت الشعري، فقال: "وقوله: "أَنْ آمَسُوا"، معناه: تناسلوا، كأنه دعا لهم بالنماء وهو من قول العرب: مشى الرجل وأمشى إذا كثرت ماشيته، وأمشت المرأة: كثر ولدها. قال الشاعر: وَالشَّاءُ لَا تَمْشِي عَلَى الْهَمْلَعِ⁴ ، أي: لا تُنْهَى عَنِ

¹ مكي، الهداية، ج7، ص 4659، والبيتان لابن قيس الرقيات الشاعر المخضرم، ينظر: السيوطي: جلال الدين، " شرح

شواهد المعني"، ت: أحمد ظافر كوجان، ومحمد محمود، لجنة التراث العربي، 1386 هـ - 1966 م، ج1، ص 126

² البيت من الطويل، وهو للمرار الأسدي، ومكي أتى بعجز البيت محذوف، وهو: لَقَدْ عَلِمْتُ أَوْلَى الْمِغِيرَةَ أَنِّي كَرَّرْتُ، فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا ، ينظر: يعقوب: إميل بديع، " المعجم المفصل في شواهد العربية "، ج4، ص

³ مكي، الهداية، ج6، ص 4047

⁴ البيت موجود في كتب اللغة والنحو، ولكن لم أعتز له على قائل، وللعلم فإن بعض الشواهد النحوية لا يعرف قائلها كهذا البيت وغيره، وهذا عجز البيت، وهو: مِثْلِي لَا يُجْسِنُ قَوْلٌ فَغَعَّعَ وَالشَّاءُ لَا تَمْشِي عَلَى الْهَمْلَعِ، ينظر: ابن الحداد: سعيد القرطي، " كتاب الأفعال "، ت: حسين محمد شرف، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، 1395 هـ -

الذنب. والهملع: الذئب"¹. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ ﴾ الغاشية: ١٢، بين مكي أن "العين" في اللغة تؤنث وتذكر، واستشهد بعجز البيت الشعري، فقال: أي: تجري من غير أهدود، والعين تذكر وتؤنث والتأنيث أكثر، وقد قال الشاعر: والعَيْنُ بالإمْدِ الحَارِيَّ مَكْحُولٌ²

فقال بعض النحويين: هذا على تذكير العين. وقال المبرد: ذكره كما يذكر كل مؤنث غير حقيقي التأنيث لا علامة للتأنيث فيه، كما يقال: هذا دار وهذه دار. وقال الأصمعي: مكحول للحاجب هو، لأنه قد تقدم ذكره، ولا يعرف الأصمعي في العين إلا التأنيث"³.

4. الاستشهاد بالشعر على معاني اللغة: وظف مكي بن أبي طالب أشعار العرب في فهم معاني بعض المفردات، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزِينََنَّ لَهُمْ فِي

الْأَرْضِ ۖ ﴾ الحجر: ٣٩، بين مكي معنى الإغواء في اللغة واستشهد بالشعر، فقال: معناه: قال إبليس يا رب بما خيبتني من رحمتك لأزينن لولد آدم، ﴿ وَلَاغْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ ﴾^{٣٩} إِلَّا

عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ۖ ﴾ الحجر: ٣٩ - ٤٠. يقال: أغويته إذا خيبتته ومنه قول الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسَ أَمْرُهُ وَمَنْ يَلْقَ عَمَلًا يَلْقَى الْعَيْ لَأَيُّمًا⁴

¹ مكي، الهداية، ج10، ص 6204

² هذا البيت لطفي الغنوي، وأتى مكي بعجز البيت فقط، وهو: إذ هي أحوى من الربي حاجبها والعين بالإمْدِ الحَارِيَّ مكحول ينظر: القيسي: أبو علي الحسن، "إيضاح شواهد الإيضاح"، ت: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1408 هـ - 1987 م، ج1، ص506

³ مكي، الهداية، ج12، ص 8225

⁴ البيت للمرقش الأصغر، الشاعر الجاهلي، ينظر: السيوطي: جلال الدين، "شرح شواهد المغني"، ج1، ص 456

أي: من يجب فلا يصب خيراً لا يعدم على خيبته من يلوم¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى:

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ ﴿٢٩﴾ القمر: ٢٩، بين مكي معنى "فتعاطى" في اللغة،

فقال: فمعنى فتعاطى: أي: فتناول الفعل ففعل فقتلها، وهو من قولهم: عطوت: إذا تناولت. كما قال امرؤ القيس:

وَتَعْطُو بَرِّخَصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيْعُ ظَنِيٍّ أَوْ مَسَاوِيِكُ إِسْحَلٍ².

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا

لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ الزخرف: ٨٠، بين معنى السر والنجوى بقول الشاعر ذي الرمة فقال:

والنجوى هو السر. وقد يكون "السر": ما أسروا في أنفسهم، و"النجوى": ما تساروا به سرا، وهذا كما قال ذو الرمة:

لَمَيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أُنْيَاهَا شَنْبٌ³ واللعلس: حُوَّة⁴.

5. الاستشهاد بالشعر على قضايا النحو والاعراب: كان مكي بن أبي طالب كثيراً ما يستشهد

بالشعر على إعراب بعض الآيات، ومسائل الخلاف بين النحاة، وغير ذلك من قضايا النحو والإعراب، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، ففي مسألة حذف الألف الثانية من لفظ الجلالة "الله" بين مكي اختلاف النحاة في ذلك، واستشهد بالشعر، فقال: "فأما علة حذف الألف الثانية من "الله" في الخط ففيها أيضاً اختلاف. قال قطرب: حذف استخفافاً إذ كان طرحها من

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 3895

² المصدر نفسه، ج11، ص 7198، وينظر: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، "ديوان امرئ القيس"، ص45

³ ينظر: الباهلي: أبو نصر أحمد، "ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب"، ت: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جدة، ط:1، 1982 م - 1402 هـ، ج1، ص32

⁴ مكي، الهداية، ج4، ص 2467

الخط لا يلبس. وقيل: إنما حذفت الألف على لغة من يقول قال: "الله" بغير مد، كقول الشاعر:
أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ¹. وقيل: حذفت الثانية لأن الأولى تكفي عنها، وتدل عليها.

وقيل: إنما حذفت لئلا يشبهه خط " اللات " في قول من وقف عليه بالهاء².

وعند حديثه عن إعراب قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا

أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾^{١٧} البقرة: ١٧، بين مكي أن الضمير في آخر الآية يعود على "الذي"، واستشهد بالشعر، فقال:

"والهاء والميم تعود على "الذي" لأنه بمعنى "الذين" كما قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ

وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ الزمر: ٣٣. وفي هذا اختلاف ستراه في

موضعه إن شاء الله. ومنه قول الشاعر: إِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَائُهُمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا
وَأُمَّ خَالِدٍ³

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ ﴾ طه: ٦٣، بين مكي الخلاف في

إعراب هذه الآية واستشهد بأقوال النحاة في ذلك، لأن "أن وأخواتها"، تنصب المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها، وهي تعمل عكس عمل "كان وأخواتها"، وهذه الآية الكريمة خالفت القاعدة، وفيها أقوال كثيرة للعلماء، فقال مكي: "والقول الثاني: ما حكاه أبو زيد والكسائي والأخفش والفراء أنها لغة لبني الحارث بن كعب، يقولون: رأيت الزيدان ومررت بالزيدان، وأنشدوا:

¹ أتى مكي بصدر البيت فقط، وهذا البيت قيل مصنوع صنعه قطرب ليستشهد به على قاعدة نحوية عنده، وغير معروف قائله، والبيت هو: أقبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَجُودُ جُودَ الْجَنَّةِ الْمُغَلَّةِ، ينظر: شُرَاب: مُحَمَّد بن مُحَمَّد حسن، " شرح

الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1427 هـ - 2007 م، ج 2، ص 401

² مكي، الهداية، ج 1، ص 95

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 172، و الشاهد للأشهب بن رميلة، ينظر: القيسي: أبو علي الحسن بن عبد الله، " إيضاح

شواهد الإيضاح"، ج 1، ص 168

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَمًا¹
 وأنشدوا أيضا: تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذُنَاهُ طَعْنَةً دَعْتُهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمٍ².

وحكى أبو الخطاب أنها لغة لبني كنانة. وحكى غيره أنها لغة خثعم. وهذا القول: قول حسن، لا نطعن فيه لثقة الناقلين لهذه اللغة، وتواتر نقلهم واتفاقهم على ذلك، وقد نقلها أبو زيد، وكان سيبويه إذا قال حدثني من أثق به، فإياه يعني³.

6 . الاستشهاد بالشعر على قضايا الصرف: استشهد مكّي بن أبي طالب بالشعر على بعض قضايا الصرف كاشتقاق الكلمات ومصادرها، ومن ذلك عند ذكره لجمع سماء، قال: "وجمعان مكسران لأكثر العدد، تقول سماء وسمايا وسمي، وإن شئت كسرت السين في " سمي ". وقد جاء في الشعر " سمائيا ". وفيه اتساعات ثلاثة. قال الشاعر: سَمَاءُ الْإِلَهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَائِيَا⁴. فعلى هذا يجوز أن تجمع سماء على سماء كصحار. فالشاعر شبه سماء برسالة لأن السماء فعال، ورسالة فعالة، وهما أختان في عدد الحروف والحركات⁵. وكذلك عند حديثه على جمع سواء، قال مكّي: "وقد جمعوا " سواء " على " أسواء"، قال الشاعر:

تَرَى الْقَوْمَ أَسْوَاءً إِذَا جَلَسُوا مَعًا وَفِي الْقَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ⁶

7 . الاستشهاد بالشعر على قضايا البلاغة: استشهد مكّي بالشعر العربي على بعض قضايا البلاغة والبيان، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾

¹ البيت من الطويل، وهو للمتلمس في ديوانه، ينظر: يعقوب: إميل بديع، " المعجم المفصل في شواهد العربية "، ج7، ص98

² البيت من الطويل، وهو لهویر الحارثي، المصدر نفسه، ج7، ص 444

³ مكّي، الهداية، ج7، ص 4661

⁴ البيت من الطويل، وهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه، ومكّي جاء بعجز البيت فقط، والبيت:

له ما رَأَتْ عَيْنُ الْبَصِيرِ وَقَوْفَهُ سَمَاءُ الْإِلَهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَائِيَا ، ينظر: يعقوب: إميل بديع، " المعجم المفصل في شواهد العربية "، ج8، ص 315

⁵ مكّي، الهداية، ج1، ص 185

⁶ البيت من الشواهد التي لا يعرف قائلها، ينظر: يعقوب: إميل بديع، " المعجم المفصل في شواهد العربية "، ج7، ص

الأنعام: ٢، استشهد مكي على معنى التقديم والتأخير في هذه الآية بقول الشاعر، فقال: "الأجل الأول: أجل الإنسان من حيث يخرج إلى الدنيا إلى أن يموت، والأجل الثاني: هو ما بين وقت موته إلى أن يبعث، قاله قتادة والضحاك والحسن. وقال ابن جبير: الأول الدنيا، والثاني الآخرة. وكذلك قال مجاهد. وقال عكرمة: الأول: الموت، والثاني: الآخرة، كالقول الأول، وكذلك قال ابن عباس، وقاله السدي. و "ثم" - على هذه الأقوال كلها - يراد بها التقديم للخبر الثاني على الأول. كما قال الشاعر:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدُّهُ¹

فالجد سابق للأب، والأب سابق للمدوح². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ١٩، بين مكي معنى التعظيم والتفخيم في هذه الآية بقول الشاعر، فقال: وقد أُلزم من قرأ بالفتح في أن الدين أن يقرأ: أن الدين عنده الإسلام، لأن الإظهار يستغنى عنه، وقد منع النحويون: شهدت أن زيدا عالم، وأن زيدا بصير، والثاني هو الأول. وقال المحتج للكسائي: وقع الإظهار هنا للتعظيم والتفخيم كما قال:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا³، على التعظيم للموت⁴. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ الكهف: ٧٧، بين معنى إرادة سقوط الجدار في هذه الآية بقول الشاعر، لأن الإرادة من صفات العقلاء، فقال: "وقال أبو عبيدة: ليس

¹ وهذا البيت من الشواهد التي لا يعرف قائلها، وهو كذلك في معظم كتب اللغة، وقيل منسوب إلى أبي نواس، مع العلم أنه لا يستشهد بشعره في اللغة؛ لأنه من شعراء المولدين، ينظر: شُرَّاب: مُجَّد بن مُجَّد حسن، "شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية"، ج1، ص 321

² مكي، الهداية، ج3، ص 1960

³ البيت من الخفيف، وهو لعدي بن زيد في ديوانه، وأتى مكي بصدر البيت فقط، والبيت:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْعَيْ وَالْفَقِيرَا، ينظر: يعقوب: إميل بديع، "المعجم المفصل في شواهد العربية"، ج3، ص 168

⁴ مكي، الهداية، ج2، ص 977

للحائط إرادة ولكن إذا كان في هذه الحال فهو من دنوّه فهو إرادته. وقيل: إنما كلم القوم بما كانوا يعقلون ويستعملون فلما دنا الحائط من الانقضاء جاز أن يقول ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾، وقد قال: الشاعر: يُرِيدُ الرَمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْغَبُ عَنِ دِمَائِ بَنِي تَمِيمٍ¹

8 . الاستشهاد بالشعر على معاني بعض الآيات: استشهد مكي بن أبي طالب على معاني الآيات بالجملة ببعض أشعار العرب، ومن ذلك عند تبين معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ﴾ الأنعام: ٧٣، قال مكي: "وروي عن ابن عباس: أن عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور وتكون الآية بمنزلة قول الشاعر: لِيُبْنِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ"²

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ التوبة: ٨، بين مكي معنى الآية بقول الشاعر فقال: "وقال أبو إسحاق، التقدير: كيف يكون لهم عهد، ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ وحذف هذا الفعل؛ لأنه قد تقدم ما يدل عليه، ومثله قول الشاعر: وَحَبَّرْتُمَانِي أَكْهَمَا الْمَوْتُ فِي الْقَوَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةً وَقَلِيبٌ"³

والمعنى: فكيف يكون الموت في القرى، وهاتا هضبة وقليب، لا ينجو فيهما منه أحد؟⁴، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ الفرقان: ٧٣، بين معنى الآية بقول الشاعر، فقال: "وقيل المعنى: لم يسجدوا

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 4436، والبيت لم أقف له على قائل، فكل كتب اللغة تقول: قال الشاعر.

² المصدر نفسه، ج3، ص 2071، البيت للشاعر نمشل بن حرّبي، وهو شاعر مخضرم، ومكي أتى بصدر البيت، وهو: لِيُبْنِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَحُتْنِبُطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ، ينظر: رّاب: مُجَّد بن مُجَّد حسن، "شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية"، ج1، ص 258

³ البيت لكعب الغنوي، رّاب: مُجَّد بن مُجَّد حسن، "شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية"، ج1، ص 165

⁴ مكي، الهداية، ج4، ص 2936

صما وعميانا بل سجدوا سامعين، فيكون بمنزلة قول الشاعر: بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ
وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتْ¹، أي: إنما أعمدوها بعد أن كثرت القتلى².

9 . الاستشهاد بالشعر على معاني القراءات: استشهد مكّي بن أبي طالب على معنى

بعض القراءات بأشعار العرب، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيراً

﴿٣١﴾ الإسراء: ٣١، بين مكّي القراءات في هذه الآية ورد على النحاس الذي أنكر قراءة ابن
كثير فقال: "وقرأ ابن كثير " خطأ " بالمد وكسر الخاء. وقرأ الحسن بفتح الخاء والمد. وأنكرهما
النحاس، ووجههما ظاهر. وقد قال امرؤ القيس في وصف فرسه:

لَهَا وَنَبَاتٌ كَصَوْبِ السَّحَابِ فَوَادٍ خَطَاءٌ وَوَادٍ مُطْرٌ³، ويروى بفتح الخاء، رواه أبو حاتم
بالفتح لقراءة الحسن. ورواه أبو عبيدة " فواد خطيط " . قال الأصمعي: الخطيطة: أرض لم تمطر
بين أرضين ممطورتين. فكان فرسه يثب واديا لا يؤثر فيه ويؤثر في آخر، فشبه ما يؤثر فيه بالواد
الممطور. وما لم يؤثر فيه بالواد الخطيط. فهذا تمثيل. وقال ابن الإعرابي: " فواد خطا " أي يخطو
واديا، وواد مطر. أي تعدو واديا. فتكون خطأ: جمع خطوة، مثل: صفوة وصفاء. فيكون معنى
القراءة، على هذا المعنى، إن قتلهم كان تركا للحق ومجازة إلى الباطل⁴. وكذلك عند تبين
القراءات في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الشورى: ٣،
قال مكّي: "وقد يجوز على قراءة ابن كثير أن يرتفع على فعل مضمر كأنه قيل: من يوحى؟ فقيل:

¹ البيت من الطويل، وهو للفرزدق في ديوانه، يعقوب: إميل بديع، " المعجم المفصل في شواهد العربية "، ج1، ص549

² مكّي، الهداية، ج8، ص 5267

³ البيت من المتقارب، وهو لامرئ القيس في ديوانه كما قال مكّي، ينظر: امرؤ: القيس بن حجر بن الحارث الكندي،

"ديوان امرئ القيس"، ص108

⁴ مكّي، الهداية، ج6، ص 4191

يوحى الله؛ كقول الشاعر: لِيُبْنِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ¹. كأنه قال: لييك يزيد. قيل: من ييكه؟ قيل: ييكه ضارع لِحُصُومَةٍ².

10 . الاستشهاد بالشعر على معاني بعض الحروف: استشهد مكي بن أبي طالب بالشعر على

معاني بعض الحروف، ومن ذلك، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا

تُوعَدُونَ ﴾^(٣٦) المؤمنون: ٣٦، بين مكي دخول اللام على "هيهات" وحكمه، واستشهد

بالشعر، فقال: "ودخول اللام مع هيهات وخروجها جائزان تقول هيهات ما تريد وهيهات لما

تريد. فإذا أسقطت اللام رفعت الاسم، كما قال الشاعر:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلَّ بِالْعَقِيقِ نُوْاصِلُهُ³

كأنه قال: بعيد العقيق ومن به وأهله⁴. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ

﴿١﴾ القيامة: ١، بين مكي معنى "لا" في هذه الآية، واستشهد بالشعر، فقال: "وقيل: " لا "

تنبيه بمعنى " ألا ". كما قال امرؤ القيس:

لَا وَأَيِّكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَيَّيَّ أَفْرُ⁵ يريد: ألا⁶.

11 . تكرار البيت في أكثر من موضع: من خلال اطلاعي في تفسير مكي بن أبي طالب؛

وجدته يذكر البيت الشعري ويستدل به في أكثر من موضع في تفسيره، ومن ذلك البيت الشعري:

¹ البيت الشعري سبق تخريجه، ينظر ص 348 من الرسالة.

² مكي، الهداية، ج10، ص 6553

³ البيت من الطويل، وهو لجرير في ديوانه، ينظر: يعقوب: إميل بديع، " المعجم المفصل في شواهد العربية "، ج6، ص 232

⁴ مكي، الهداية، ج7، ص 4964

⁵ البيت من المتقارب، وهو لامرؤ القيس في ديوانه، ينظر: امرؤ: القيس بن حجر بن الحارث الكندي، " ديوان امرؤ

القيس"، ص105

⁶ مكي، الهداية، ج12، ص 7858

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرًا¹،

وكذلك البيت الشعري: ورأيتُ زوجكٍ قد غدا مُتَقَلِّدًا سيفاً ورُحماً تكرر²

وغيرها من الأبيات، وهذا يفسره أن محل الشاهد قد يتكرر في آيات القرآن، وتفسير مكي متقدم كما قلنا سابقاً، ويعتبر من التفاسير اللغوية المهمة، فقد استطرد مكي في تبين أوجه النحو والإعراب وذكر مسائل الخلاف، وغيرها من الأمور النحوية والصرفية.

وفي ختام هذا المطلب، نُذَكِّرُ أن مكيّاً استشهد ببعض الأبيات الشعرية في شتى المواضيع التي تخدم التفسير، ولم يكثر منها، فكان يستشهد بالشعر ويذكر بعض الأشعار في مواضيع مختلفة غير هذا الذي ذكرت، وهذا ما يدل على معرفته وتعمقه في فهم القرآن وإيمانه بأن الشعر ديوان العرب، وأن معاني اللغة تلمس من الشعر ويستعان به في فهم المراد من كلام الله - ﷻ -.

¹ ينظر: مكي، الهداية، ج2، ص 977، وكذلك، ج2، ص 1093، وكذلك، ج4، ص 3004، وكذلك، ج8، ص 5128

² ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 1615، وكذلك، ج3، ص 1782، وكذلك، ج4، ص 2759، وكذلك، ج5، ص 3297

المبحث الثاني: منهج المفسر في قضايا الفقه والعقيدة وما يتعلق بهما

سنتعرض في هذا المبحث إلى قضايا الفقه والعقيدة في تفسير مكي، ونرى كيف كان منهجه في الفقه، مع العلم أنه مالكي المذهب وسلفي العقيدة، - وقد أشرنا إلى هذا سابقاً - ومن خلال التقصي في تفسير آيات الأحكام والعقائد؛ وهي كثيرة في القرآن، نستطيع أن نحكم على مكي، في هذا الاتجاه، ثم نتعرض لبعض آراء مكي في رده على اليهود والنصارى والفرق الضالة، وهذا ما سنوضحه إن شاء الله.

المطلب الأول: منهجه في الفقه

إن المتتبع والدارس لتفسير مكي يجده لم يتوسع في تفسير آيات الأحكام، وإنه يذكر رأي مالك في المقام الأول؛ لأنه مالكي المذهب، وهناك أدلة كثيرة على انتمائه للمذهب، منها تتلمذه لأبي زيد القيرواني شيخ المالكية في عصره، وابن بلده القيروان والملقب بمالك الصغير وصاحب (الرسالة في الفقه المالكي) الملقبة "بباكورة السعد وبزبدة المذهب" لأنها أول مختصر ظهر في المذهب المالكي ولها عدة شروح، وأبي الحسن القابسي، وعده القاضي عياض من الطبقة الثامنة من أصحاب مالك، وله كتاب (المأثور عن مالك في الأحكام)¹ هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه من سكان المغرب العربي والأندلس ومذهبهم مالكي كما هو معروف؛ منذ القديم وإلى يومنا هذا²، وهو يستشهد برأي الإمام مالك، وأحياناً يخالفه، ثم آراء الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب دون تعصب لمذهب مالك، وهو ما يعرف اليوم بطريقة الفقه المقارن، وكان لا يوجه آراءهم إلا قليلاً، ويذكرها بدون ترجيح، وأحياناً يُعطي رأيه في ما يراه مناسباً، وكان يتناول بعض القضايا باختصار ويسهب في بعضها، والغالب في تفسيره أنه لم يتوسع في ذكر أحكام الفقه إلا القليل منها، وغلب عليه الاهتمام بقضايا اللغة والقراءات، والإقلال من جانب الفقه والأحكام، وسنوضح طريقته في نقاط حتى يتبين لنا منهجه في تفسير آيات الأحكام:

¹ لمكي بن أبي طالب كُتِبَ في الفقه، منها: كتاب (المأثور عن مالك في الأحكام) وكتاب (الهداية في الفقه) وكتاب (الفرائض) وغيرها، ينظر: ص 88 من الرسالة.

² قد تطرقنا إلى هذا سابقاً في مذهبه الفقهي ينظر: ص 77 من الرسالة.

1 . موافقته لرأي مالك في بعض المسائل: بما أن مكي بن أبي طالب مالكي المذهب، فقد وافق

مذهب الإمام مالك في بعض المسائل، ومن ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكَلِ

السَّبْعِ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ المائدة: ٣ ، بين اختلاف الفقهاء في أكل ما أكل السبع ونحوه،

ورجح رأي الإمام مالك، فقال: "قوله ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ ، اختلف العلماء في هذا

الاستثناء: فأكثرهم على أنه مستثنى ذكر تحريمه، كأنه حرم علينا جميع ما ذكره إلا ما أدركنا ذكاته

وفيه شيء من روح. وأكثر الفقهاء على أن ما أدرك من جميعه فذكي وتحركت رجله أو طرف بعينه

أو علم أنه بقيت فيه حياة، فإنه يؤكل. ومنهم من يرى أن هذا الاستثناء إنما هو من التحريم، لا

من المحرمات المذكورة، كأن تقديره: إلا ما أحله الله لكم بالتذكية، وهو مذهب أهل المدينة، فيكون

المعنى: إلا ما ذكيتم مما ذكر مما تُرجى له الحياة لو ترك، لا ما ذكيتم مما لا تُرجى له الحياة لو ترك،

فكل ما أصيب من ذلك في مقتل، فلا تنفع فيه الذكاة وإن أدرك وفيه حياة، هذا مذهب مالك

وأهل المدينة. ويدل على صحة هذا القول أن هذه الأشياء المذكورات بالتحريم لو كانت لا تحرم

إلا بالموت قبل الذكاة، لكان قوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ ﴾ المائدة: ٣ ، يُعني عن ذكر ما

بعده، ولا يكون لذكر ما بعد الميتة فائدة"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ

يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الأنعام: ١٢١ ، بين مكي رأي الإمام مالك في حكم من نسي

التسمية من المسلمين عند الذبح ورجحه، فقال: "ومذهب مالك وأكثر الفقهاء أن المسلم إذا

نسي التسمية وذبح، تؤكل ذبيحته. ومعنى التسمية - عند أكثر المفسرين - في هذه الآية: الملة،

لأن الجوس لو سموا ذبائحهم لم تؤكل"². وهذا التعليل يدل على ترجيحه لمذهب مالك. وكذلك

عند حديثه عن نكاح الأمة من أهل الكتاب، بين رأي الإمام مالك ورجحه، فقال: "ومذهب

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1582

² المصدر نفسه، ج3، ص 2169

مالك وغيره أن إماء أهل الكتاب لا يجوز نكاحهن. وروي أن ثواب الرجل مع الزوجة المؤمنة أفضل من ثوابه مع الزوجة الكتائية، وروي أن الرجل إذا قبّل زوجته المؤمنة، كتب له عشرون حسنة، وإذا جامعها كتب له عشرون ومائة حسنة، فإذا اغتسل منها، لم يمر الماء بشعرة من جسده إلا كتبت له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات، وباهى الله به الملائكة فقال: انظروا إلى عبدي قام في ليلة قرة يغتسل من خشيتي، ورأى أن ذلك حق لي عليه، اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له"¹. فهذه الفضائل التي ذكرها مكّي، تدل على ترجيحه لرأي الإمام مالك.

2 . مخالفته لمالك في بعض المسائل: كون المفسر مكّي بن أبي طالب مالكي المذهب، فهذا لا يمنع أن يخالف المذهب في بعض ما يراه في ذلك، وهذا نظراً لعدم تعصبه للمذهب، فالمتصفح لتفسير (أحكام القرآن) لابن العربي يجد التعصب للإمام مالك ظاهراً في هذا التفسير، فابن العربي يذكر كل أقوال الفقهاء ويرجح رأي الإمام مالك في النهاية، وكذلك الجصاص في تفسيره (آيات الأحكام)، يتعصب لرأي الأحناف، وغيرهم من المفسرين، ولكن مكّي بن أبي طالب لا نلمس تعصبه المذهبي للإمام مالك في تفسيره، وإن رجح أقواله في بعض المسائل، ونعطي بعض الأمثلة لمخالفته لرأي الإمام مالك، فعند حديثه عن اختلاف الفقهاء في أكثر مدة الحمل، ذكر قول الإمام مالك ولم يرجحه، فقال: "واختلفوا في أكثره. فقال قوم: أكثره سنتان، وهو مروى عن عائشة - رضي الله عنها - . وروي عن الضحاک بن مزاحم، وهرم بن حيان أنهما قاما كل واحد منهما في بطن أمه سنتين. وقال الليث بن سعد: أكثر الحمل ثلاث سنين. وحكي أن مولاة لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - حملت ثلاث سنين. وقال الشافعي مدته: أربع سنين. وروي عن مالك: مثل قول الشافعي - رضي الله عنه - . وروي أيضاً عن مالك أنه قال: خمس سنين، وحكي عن امرأة ابن عجلان أنها كانت تحمل خمس سنين. وقال الزهري: المرأة تحمل ست سنين، وسبع سنين.

وقال قوم: لا يجوز التحديد في هذا! ومذهب الشافعي ومالك: أن الحامل تحيض. وقال عطاء، والشعبي، والحكم، وحماد، وغيرهم: الحامل لا تحيض، ولو حاضت ما جاز أن تستبرئ الأمة

¹ مكّي، الهداية، ج3، ص 1610 وهذا الحديث لم أقف له على تخریج، والله أعلم.

بحيضة، واستبراء الأمة بحيضة إجماع. فلا يعترض به على من أجاز حيض الحامل، لأن الأمة خرجت بالإجماع على استبرائها بحيضة¹. فهذا يدل على عدم ترجيحه لمذهب مالك، وكذلك عند حديثه عن حكم البيع وقت صلاة الجمعة وفسخه، بين مكّي رأي الإمام مالك والشافعي، ورجح رأي الشافعي في المسألة، فقال: "وقد قال الضحاك والحسن وعطاء: إذا زالت الشمس يوم الجمعة حرم البيع والشراء حتى تقضى الصلاة، وكان عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - يمنع الناس البيع يوم الجمعة إذا نودي بالصلاة. وقال مالك: يفسخ البيع إذا وقع في هذا الوقت المنهي عنه، ولم ير الشافعي فسخه لأن الآية ليس فيها فسخه². والعبارة الأخيرة تدل على ترجيحه لمذهب الشافعي.

3. ذكره لآراء الفقهاء المعتمدين في مذهب مالك: ومن أدلة مكّي على انتمائه لمذهب مالك؛ أنه كان يستشهد في ذكره لأحكام الفقه بأقوال الأئمة المعتمدين في المذهب كأشهب وابن القاسم وسحنون وابن الماجشون وغيرهم، ومن ذلك عند ذكره لحكم قطع يد السارق في الجماعة إذا اشتركوا في السرقة، ذكر قول ابن القاسم وابن أبي أويس في المذهب، فقال: "ولو دخل جماعة بيتا وأخذوا متاعا وحملوه على أحدهم وخرجوا به، فقال ابن القاسم عن مالك: لا يقطع إلا من حمّله، وقال ابن أبي أويس عنه: يقطعون جميعا"³. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ البقرة: ١٤٣، بين رأي ابن وهب وابن القاسم في تفسيرها، فقال:

"وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك أنه قال في قول الله - سبحانه -: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ﴾: "هي الصلاة إلى بيت المقدس قبل أن تصرف القبلة إلى الكعبة

"⁴. وفي مسألة الحلف "بعزة الله"، بيّن رأي سحنون في ذلك فقال: "قال محمد: وقال بعض

¹ مكّي، الهداية، ج5، ص 3683

² المصدر نفسه، ج12، ص 7468

³ المصدر نفسه، ج3، ص 1700

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 487

علمائنا: من حلف بعزة الله، فإن أراد عزة الله التي هي صفته ففيه الكفارة إن حنث، وإن أراد العزة التي جعلها الله بين العباد عزة فحنث فلا كفارة عليه ولا يجوز رب القدرة، ولا رب العظمة لأنها صفات ذات غير مربوبة. هذا معنى قول مُجَدِّد بن سحنون مشروحاً مبيناً¹. وفي حكم أكل صيد الكلب والسهم، بين مكّي رأي الإمام مالك وابن القاسم وابن الماجشون وأشهب وأصبغ في ذلك، فقال: "ولم ير مالك - رضي الله عنه - بأساً بأكل الصيد يغيب عن عين صاحب الكلب إذا وجد فيه أثراً من كلبه، وكذلك السهم ما لم يبت عنه. ولم يجز ابن القاسم أكل الصيد إذا بات عن المرسل. وقال ابن الماجشون: إذا أنفذ سهمك - أو كلبك - مقتل الصيد فكله. وإن بات عنك، وإذا لم ينفذ مقتله فلا تأكل إذا بات عنك، لعل غير كلبك قتله، وقاله أشهب وأصبغ²."

4 . ذكره آراء فقهاء الصحابة والتابعين: كان مكّي يذكر بعض اجتهادات الصحابة والتابعين إلى جانب أقوال المذاهب والعلماء في المسائل الفقهية، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فعند ذكره لحكم نكاح الكتابيات بين الخلاف في المسألة، واستشهد برأي عمر بن الخطاب وغيره، فقال: "وروي أن عمر فرق بين طلحة بن عبيد الله ويهودية، وبين حذيفة بن اليمان ونصرانية، وأراد أن يبطش بهما على نكاحهما. وقال ابن عمر: "حرم الله المشركات في كتابه على المؤمنين، ولا أعرف شيئاً من الإشراف أعظم من أن تقول المرأة: ربها عيسى". وقد سمي الله اليهود والنصارى مشركين في كتابه في "براءة" وغيرها؛ قال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣١. فهذا هو الشرك بعينه. وأكثر الصحابة والفقهاء على جواز نكاح الكتابيات وهو نص القرآن³. وفي حديثه عن القصاص، بين أقوال الصحابة والتابعين فيه، فقال: "وروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس في السن بخمس من الإبل أي: سناً كانت، وبه قال عروة بن الزبير والزهري وقتادة ومالك والشافعي والثوري وغيرهم. وروي عن

¹ مكّي، الهداية، ج9، ص 6183

² المصدر نفسه، ج3، ص 1604

³ المصدر نفسه، ج1، ص 726

عمر أنه حكم فيما أقبل من الفم - الثنايا والرباعيات والأنياب - بخمس فرائض في كل سن. كل فريضة: عشرة دنانير، فذلك خمسون ديناراً في كل سن. وقضى في الأضراس ببعير بعير، وقضى معاوية في الضرس بخمس فرائض. فالدية تزيد إذا أصيب الفم كله عند معاوية، وتنقص عند عمر. وإذا اسودت السن من ضربة أو جناية، فقد تم عقلها عند مالك وغيره، لأن جمالها قد ذهب، فإن طرحت بعد ذلك، كان فيها عقلها، لأن منفعتها قد ذهبت. وروي عن عمر أنها إذا اسودت ففيها ثلث ديتها¹. وفي كفارة الحلف بالقرآن، بين رأي عبد الله بن مسعود من الصحابة، والحسن البصري من التابعين - رضي الله عنه -، فقال: "وإذا حلف بالقرآن وحنث، فقال ابن مسعود: " عليه لكل آية كفارة"، وبه قال الحسن البصري².

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^٤ النور: ٤، بين قبول شهادة القاذف بأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، فقال: "فإذا تاب قبلت شهادته وهو مذهب أكثر الفقهاء منهم: الشعبي، والزهري، وأبو الزناد، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وهو قول عمر بن الخطاب، وابن أبي طلحة عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وطاووس، وبه قال عمر بن عبد العزيز، وعبد الله بن عتبة، وابن المسيب³.

5 . ذكره لآراء الفقهاء دون ترجيح: أكثر مكّي بن أبي طالب في بعض مسائل الفقه من ذكر أقوال العلماء والفقهاء كأئمة المذاهب وغيرهم دون أدنى توجيه، وهذا كثير في تفسيره، ومن ذلك: عند حديثه عن الخلع، جاء بأقوال كثيرة في حكمه ولم يرجح أيّاً منها، فقال: "والخلع طلقة بائنة عند جماعة من الصحابة والتابعين، وهي قول مالك والشافعي وغيرهما من الفقهاء. وعدتها عدة المطلقة عند مالك والشافعي وغيرهما. وهو مروى عن جماعة من الصحابة والتابعين. ولا سبيل لزوج المختلعة إليها إلا بخطبة ونكاح جديد عند مالك والأوزاعي. وهو قول عطاء وطاووس

¹ مكّي، الهداية، ج3، ص 1740

² المصدر نفسه، ج1، ص 751

³ المصدر نفسه، ج8، ص 5035

والحسن النخعي والثوري. وقال ابن المسيب: "يُرَدُّ عليها ما أخذ منها، وليُشهد على رجعتها". وكذلك قال الزهري. قال مالك: "عليها أن تكمل بقية عدتها". وكذلك قال الحسن وعطاء، ثم بعد ذلك يراجعها بنكاح جديد إن شاء"¹. وكذلك عند حديثه عن نكاح الأمة وهل تحصن الحر أو لا؟ جاء بأقوال كثيرة، ولم يرجح أي رأي منها، فقال: "والأمة يدخل بها الحر تحصنه عند ابن المسيب والزهري، ومالك، والشافعي. وقال عطاء والحسن البصري وابن سيرين، وقتادة، والثوري وغيرهم: لا تحصنه، فأما الحرّة تكون تحت العبد فهو يحصنها عند ابن المسيب والحسن البصري، ومالك، والشافعي، وأبي ثور وغيرهم. وقال عطاء والنخعي، وأصحاب الرأي²: لا يحصنها"³. وكذلك عند حديثه على حكم المعتزف بالزنا هل يحد أو لا؟ بين أقوال الفقهاء في ذلك ولم يرجح أيضاً، فقال: "واختلف في المعتزف في الزنا. فقال الحسن إذا اعترف يحد وهو قول الشافعي وأبي ثور، وروي عن مالك أنه قال: إذا اعترف من غير محنة يحد، وإن اعتذر، وذكر عذراً يمكن قُبَل منه، وإن اعترف بمحنة قُبَل منه الرجوع عن اعترافه.

وقال قوم: لا يحد حتى يعترف أربع مرات في موضع أو في مواضع، قال مالك: لا يقام عليه الحد إن كان بعذر وهو مذهب الأوزاعي"⁴.

6 . ذكره لأقوال الفقهاء مع الترجيح أحياناً: كان مكّي بن أبي طالب؛ يرجح أحياناً بعض المسائل بعد عرضه لأقوال الفقهاء وهذا نادر في تفسيره، وأحياناً يفهم من سياق كلامه أنه يرجح بعض القول على غيره، ومن ذلك: عند حديثه عن حكم الضحية والعقيقة، بين مكّي أقوال الفقهاء ورجح رأيه، فقال: "قال الحسن البصري: العقيقة واجبة، وهي عند مالك وأكثر العلماء مثل الضحية، مندوب إليها. وقال أبو حنيفة: الضحية واجبة على كل من وجد إليها سيلاً، وعلى الرجل أن يضحى عن ولده، والجماعة على خلافه لأن الله تعالى لم يوجبها في كتابه، ولا

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص 769

² يقصد بهم الأحناف.

³ مكّي، الهداية، ج2، ص 1255

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص 1253

أوجبها رسوله، ولا اجتمعت الأمة على ذلك"¹. ويدل من كلامه أنه يرجح رأي الجمهور على قول أبي حنيفة، وكذلك عند حديثه عن حكم السعي والطواف بين الصفا والمروة، بين أقوال الفقهاء في المسألة، ورجح رأيه، فقال: "والطواف بين الصفا والمروة عند مالك والشافعي فرض، فمن نسي ذلك رجع وسعى، وإن بُعد، فإن كان قد أصاب النساء، فعليه عمرة وهدى مع تمام سعيه إذا رجع. ومذهب الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف أن يجزيه دم إن نسي السعي بينهما، ولا عودة عليه إلا أن يشاء ذلك. وقال عطاء: " هو تطوع ولا شيء عليه إذا نسي ذلك". واحتج بأن في قراءة ابن عباس: "فلا جناح عليه ألا يطوف بهما". وكذلك هي في مصحف ابن مسعود. وكذلك روي عن أنس بن مالك أنه قال: " هو تطوع". وروي ذلك عن مجاهد².

والعمل على القول الأول لإجماع المصاحف المعمول عليها، المجتمع على ما فيها من إسقاط " لا " منها كلها. وإيجابها عن ابن عباس أشهر وأوضح. والإسناد عن أنس ضعيف. وجميع من قرأ على مجاهد من الأئمة المشهورين لم ينقل عنه إلا بغير " لا ". وقد روى جابر عن النبي - ﷺ - أنه: " لَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفا فِي حَجَّتِهِ قَالَ: " إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، أبدأُ بِمَا بدأَ اللَّهُ بِهِ، فَبدأُ بِالصَّفاَ فَرَقَى عَلَيْهِ"³. وكذلك عند حديثه على وقت الإمساك في الصوم، ذكر أقوالاً عن الصحابة ولم يرجحها، فقال: وحكي عن حذيفة أنه كان يتسحر بعد طلوع الفجر. وحكى سالم مولى أبي حذيفة عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه كان يتسحر بعد طلوع الفجر. وكذلك ذكره البراء عن ابن مسعود قال: " تسحرت أنا وابن مسعود ثم خرجنا والناس في صلاة الصبح ". وليس العمل عند جميع الفقهاء على شيء من هذه الأقوال⁴.

7 . استنباطه الأحكام دون ذكر رأي الفقهاء: لقد كان مكّي يستنبط الأحكام من بعض

الآيات، ويجتهد في ذلك دون الرجوع إلى أقوال الفقهاء، لأنه عالم من العلماء المجتهدين، والعالم

¹ مكّي، الهداية، ج7، ص 4880

² والأثر سبق تخريجه، ينظر: ص 208 من الرسالة.

³ مكّي، الهداية، ج1، ص 526، والحديث سبق تخريجه، ينظر: ص 208 من الرسالة.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 626

كما هو معروف يمكن أن يستنبط الأحكام، ولا يقلد أحداً في ذلك، ونذكر بعض اجتهاداته
الفقهية، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ البقرة: ١٩٠، بين حكم قتل الرهبان
ومن يدفع الجزية بنص هذه الآية، فقال: "ومعنى "الذين يقاتلونكم" على قولهم: أي الذين فيهم
مقدرة على قتالكم ومن عادتهم القتال. ولا تقاتلوا من ليس ذلك من شأنه كالرهبان ومن أدى
الجزية، ولهذا نهي عن قتل الرهبان. وقد قال بعض الفقهاء: ولا تؤخذ من الرهبان الجزية، وكذلك
لا يحل قتل من أدى الجزية"¹. وعند حديثه عن حكم البيع وقت الجمعة بين المخالفين لنص الآية
ورد عليهم بالحجة والدليل، فقال: "وقد ذهب قوم إلى أن البيع جائز في ذلك الوقت، وتأولوا أن
الآية على الترغيب لا على الإلزام، واستدلوا على ذلك بقوله بعد ذلك: ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿٩﴾ الجمعة: ٩. فلما قال "خير لكم" دل على أنه على الترغيب. وهذا

غلط، لو جاز هذا لكان قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ النساء:
١٧١، على الترغيب لا على الإلزام، وهذا كفر من قائله"². وكذلك عند ذكره لحكم صلاة
الجمعة على المسافر والنساء، بين ذلك، ورجح صحة الصلاة في حالة الحضور، فقال: "فالجمعة
لازمة لكل حر محتلم، وغسلها سنة على كل محتلم وقت الرواح إليها. ولا جمعة على المسافر ولا
على النساء، فإن حضرن وصلين مع الناس ركعتين أجزئن عن الظهر.

وكان ابن مسعود يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول: أخرجن إلى بيوتكن خيراً لكن"³.

8 . استطراد مكّي في بعض قضايا الفقه: كان مكّي بن أبي طالب في تفسيره؛ يذكر الأحكام
الفقهية باختصار غير محل، ولكنه استطراد أحياناً في بعض المسائل، حيث توقف عن التفسير،

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص 635

² المصدر نفسه، ج12، ص 7469

³ المصدر نفسه، ج12، ص 7471

وأظن في تعريف الأحكام وذكر أقوال الفقهاء، ومن ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣، بين مكي حكم

إتيان النساء في أدبارهن، وعقد فصلاً لذلك وأطال النفس في تحريم هذا الفعل، فقال: "قال أبو

مُحَمَّد مكي: يجب لأهل المروءة والدين والفضل ألا يتعلقوا في جواز إتيان النساء في أدبارهن بشيء

من الروايات، فكلها مطعون فيها ضعيفة. وإنما ذكرناها لأن غيرنا من أهل العلم ذكرها، وواجب

على أهل الدين أن ينزهوا أنفسهم عن فعل ذلك، ويأخذوا في دينهم بالأحوط فإني أخاف من

العقوبة على فعله، ولا أخاف من العقوبة على تركه، وقد روي في ذلك أخبار كثيرة، وأضيف

جوازه إلى مالك وروي عنه، وليس ذلك بخبر صحيح ولا مختار عند أهل الدين والفضل. وقد أضر

بنا عما روي فيه لئلا يتعلق به متعلق، وأسقطنا ذكر ما روي فيه من كتابنا لئلا يستن به جاهل أو

يميل إليه غافل وأسأل الله التوفيق في القول والعمل بمنه...¹ والكلام يطول، ونكتفي بهذا، وعند

تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ النساء: ١٠٢،

توقف عن التفسير وأظن في تعريف صلاة الخوف وطريقتها، فقال: "وصفة ذلك أن يقوم الإمام

بطائفة، والأخرى وجاه العدو، فيركع بالطائفة التي معه، ركعة بسجديتها ثم يقوم ويثبت قائماً

ويتمون لأنفسهم الركعة الثانية. ثم يسلمون وينصرفون وجاه العدو والإمام قائم وتأتي الطائفة

الأخرى فيكبرون مع الإمام ويركع بهم الركعة الأخرى بسجديتها ثم يسلم، ويقومون فيأتون بركعتهم

لأنفسهم بسجديتها، ثم يسلمون وفيها أقوال غير ما ذكرنا.

ولا يصلي صلاة الخوف إلا من كان في سفر عند مالك...² ونكتفي بهذا، فقد فصل صلاة

الخوف وذكر أقوال الفقهاء وأظن في ذلك، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمُ

فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 737

² المصدر نفسه، ج2، ص 1451

وَالسِّنِّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ ﴿٤٥﴾ المائدة: ٤٥، بين مكي حكم القصاص والدية في النفس والعين والأنف والأذن والسن والأصابع وغيرها، وذكر أقوال العلماء، واسترسل في ذلك، حتى خرج عن موضوع التفسير، فقال: "فهذا استوى فيه أحرار المسلمين: الرجال والنساء فيما بينهم في النفس، وفيما دون النفس إذا كان عمداً، ويستوي فيه العبيد: رجالهم ونسأؤهم فيما بينهم إذا كان عمداً في النفس، وفيما دون النفس. والقصاص من العين هو ظاهر النص، وبه قال علي بن أبي طالب والشعبي والنخعي والحسن ومالك والشافعي وغيرهم وقراءة الرفع توجب ذلك، لأنه حكم مستأنف للمسلمين، وليس بحكاية عما في التوراة...¹" ونكتفي بما قلناه.

9 . استنباطه الأحكام الفقهية على أساس اللغة: بما أن مكي بن أبي طالب متمكن في اللغة، فكان يوظف باعه الطويل في العربية باستنباط الأحكام من آيات القرآن، ومن ذلك، عند تبيينه لمعنى "القرء" في اللغة، بين أقوال الفقهاء بناءً على المعنى اللغوي له، فقال: "والقرء في اللغة: الوقت، فيصلح للطهر، ويصلح للحيض. والحيض عند أبي حنيفة وغيره أولى به. وهو قول أحد عشر من الصحابة وجماعة من التابعين والفقهاء. وهو عند مالك الطهر، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين"². وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ﴿البقرة: ٢٣٠﴾، بين عن طريق اللغة المراد من هذه الآية، فقال: "وأصل النكاح في اللغة الوطء. تقول العرب: "أنكحت الأرض البر" إذا بذرت فيها، ومن هاهنا ثبت أن قوله: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ﴿البقرة: ٢٣٠﴾ يراد به الوطء دون العقد، وبذلك أتت السنة، وقد كثر حتى استعمل اسماً للعقد إذ هو سبب الوطء"³. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1735

² المصدر نفسه، ج1، ص 758

³ المصدر نفسه، ج1، ص 726

بِهِ أَذَى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّع بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴿١٩٦﴾ البقرة: ١٩٦، بين مكي معنى "أو" في اللغة، واستنبط الحكم الشرعي، فقال: "وقيل: لما كانت الواو قد تقع بمعنى "أو"، فتكون مخيرة في صيام سبعة أو ثلاثة. أتى بـ "عشرة كاملة" ليبين أن الواو ليست بمعنى "أو"، وأن السبعة والثلاثة يلزم صيامها، فبين بـ "عشرة" ذلك، وأزال اللبس والاحتمال. وهذا مبني على مذهب الكوفيين في إجازتهم لوقوع الواو بمعنى "أو"، وليس هو مذهب البصريين، لا تقع عندهم الواو بمعنى "أو" لاختلاف معنيهما¹.

10 . استنباط الأحكام الفقهية على أساس القراءات: استغل مكي بن أبي طالب معرفته العميقة وتضلعه في علم القراءات وتوجيهها في استنباط الأحكام الشرعية من آيات القرآن وهذا كثير في تفسيره، ومن ذلك، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ البقرة: ٢٢٢، بين مكي حكم الفقهاء في من أراد وطء المرأة قبل الغسل من الحيض، بالقراءة الصحيحة والشاذة، فقال: "وقال عطاء وطاووس ومجاهد: "إذا احتاج إلى وطئها قبل أن تغتسل، أمرها أن تتوضأ، ثم أصاب منها ما شاء". وهو معنى قراءة من قرأ: "حتى يطهرن" مخففاً، أي ينقطع عنهن الدم. وفي مصحف أبي وابن مسعود: "حتى يتطهرن" بالياء أي بالماء "فإذا تطهرن" أي اغتسلن. هذا قول الجماعة. وقال مجاهد وطاووس: "إذا تطهرن للصلاة".

فليس يجب للقارئ أن يقف على "يطهرن" في قراءة من خففه لئلا يبيح وطء الحائض إذا انقطع عنها الدم ولم تتطهر بالماء. فأما من قرأه بالتشديد، فالوقف عليه حسن لأن معناه: "يتطهرن"

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 657

بالماء " وقربها بعد التطهر بالماء إجماع"¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٢٩، استشهد بقراءة حمزة في حق الخلع، فقال: "اختار أبو عبيد الضم في "يخافاً" على قراءة حمزة، واحتج بقوله: "فإن خفتهم"، فجعل الخوف لغيرهما، ولم يقل: " فإن خافا " وفيه حجة لمن جعل الخلع إلى السلطان"². وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء: ٢٤، استشهد بالقراءة لتعريف الإحصان، فقال: "والإحصان: يكون بالحرية كقوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ المائدة: ٥، يريد الحرائر من أهل الكتاب ويكون بالإسلام كقوله: ﴿فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ﴾ النساء: ٢٥، على قراءة من فتح الهمزة يريد أسلمن، ويكون بالعفة كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ النور: ٤، يريد العفائف، ويكون بالزوج"³.

11 . ذكره لإجماع الفقهاء على بعض المسائل: ذكر مكي في تفسيره بعض المسائل التي أجمع عليها الفقهاء، ولم يختلفوا فيها، ومن ذلك، ذكره لإجماع الفقهاء على عدم الصيام في عيد الأضحى والفطر، فقال: "ولا اختلاف بين الفقهاء أن يوم النحر ويوم الفطر لا يجوز صومهما لأحد"⁴. وكذلك الإجماع على أقل مدة الحمل، فقال: "وأجمع العلماء على أن أقل مدة الحمل

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 733

² المصدر نفسه، ج1، ص765

³ المصدر نفسه، ج2، ص1280

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 654

سته أشهر¹. وذكره لإجماع الفقهاء على أن الصلاة لا نيابة فيها عن أحد، فقال: "وقد أجمع العلماء أن الصلاة لا يجوز فيها أن يصلي أحد عن أحد"².

هذا هو مسلك المفسر مكي بن أبي طالب في قضايا الفقه والأحكام في تفسيره، فكان غالباً ما يذكر أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء في المسألة الواحدة ولا يرجح أي منها، وكأنه يترك القارئ يختار ما يراه مناسباً له، وكان الأحرى بمكي أن يرجح رأيه في المسائل حتى يستأنس به، لأنه مفسر وفقه في نفس الوقت، بالإضافة إلى ذلك نجده لم يوازن في المسائل الفقهية فأطنب في بعضها واختصر الكثير منها، ويمكن تعليل ذلك أنه ألف كتباً خاصة بالفقه، وحتى لا يخرج عن موضوع التفسير، ولم يتعصب لمذهب مالك، وخالفه في بعض المسائل، وهذا ما يدل على معرفته وتفوقه في علم التفسير والفقه.

المطلب الثاني: منهجه في العقيدة

إن الدارس لتفسير منهج مكي بن أبي طالب؛ يجده يقرر العقيدة السلفية في تفسيره، فهو: يفسر آيات الصفات على ظاهرها دون تأويل؛ خلافاً لمذهب الأشاعرة³، وقبل التطرق إلى منهج المفسر في تفسير آيات العقائد والصفات، نقرر أن العقيدة هي أساس كل تفسير، فإذا كان المفسر من أهل الأهواء والفرق الضالة كالشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرها، كان تفسيره مردوداً عليه، ولا يمكن الاطمئنان إليه، خصوصاً وأن معظم الآيات المكية جاءت في تقرير العقيدة وإثباتها، كالدلالة على وجود الخالق ومحاربة الشرك وإثبات صدق النبوة وغيرها، ومفسرنا مكي بن أبي طالب قد تطرق إلى الكثير من أمور العقيدة وعقد أبواباً وفصولاً وتحدث عن بعضها واستخدم مواهبه المتعددة في القراءات واللغة في تفسير آيات العقائد، ولا ننس أن لمكي بن أبي طالب عدة مؤلفات في

¹ مكي، الهداية، ج5، ص 3680

² المصدر نفسه، ج11، ص 7171

³ مع أنني لا أفرق بين العقيدتين، وكلاهما على حق، وإنما ذكرت هذا لاقتضاء الموضوع والتنبيه فقط.

العقيدة، وقد أشرنا لها سابقاً¹، ونحاول أن نرى كيف كانت طريقة مكي بن أبي طالب في تفسير آيات العقائد، من خلال الرجوع إلى تفسيره واستنباط ذلك منه، وهي كالتالي:

1. آراؤه في أسماء الصفات: بما أن مكي بن أبي طالب عقيدته سلفية، فهو يفسر آيات الأسماء والصفات على حقيقتها دون تأويل أو تشبيه، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤، تحدث عن الصفات وأثبتها دون تشبيه، فقال: "الخلق": المخلوق. و"الأمر" هو: كلامه الذي به تكون المخلوقات، فهو غير مخلوق، وصفة من صفاته، كعلمه وقدرته، لا يشبهه كلام المخلوقين، ولا يقدر فيه صوت ولا حروف؛ إنما هو كلام له صفة ذاته، فكما أنه تعالى لا شيء يشبهه، كذلك صفاته لا تشبهها صفة². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ

وُلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤، أثبت أن الله - ﷻ - يد تليق بمقامه، دون تأويل، فقال: "واليد - عند أهل النظر والسنة في هذا الموضع وما

كان مثله - صفة من صفات الله، ليس بجارحة، فعلياً أن نصفه بما وصف به نفسه ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١، فلا يحل لأحد أن يعتقد الجوارح لله، إذ ليس كمثل شيء، وأن ما وقع من ذكر هذا وشبهه، وذكر الجيء والإتيان، صفات لله، لا أنها فيها انتقال وحركة وجارحة، فسبحان من ليس كمثل شيء من جميع الأشياء، فلو أنك أثبت له حركة أو انتقالاً أو

جارحة لكنت قد جعلته كبعض الأشياء الموجودة، وقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فاحذر أن يتصور في عقلك أن الباري جل ذكره يشبه شيئاً من الأشياء التي عقلت وفهمت، ومتى فعلت

¹ لمكي كتب في العقيدة منها: كتاب (اختلاف العلماء في النفس والروح)، وكتاب (إسلام الصحابة)، وكتاب (بيان الصغائر والكبائر)، وكتاب (تنزيه الملائكة من الذنوب وتفضيلهم على بني آدم) وغيرها، ينظر: ص 88 من الرسالة.

² مكي، الهداية، ج4، ص 2398

شيئا من هذا فقد أُلحِدت، وأهل السنة يقولون: أن يديه غير نعمته¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الأعراف: ٥٤، أثبت مكي الاستواء ولم يؤوِّله، فقال: "وذلك يوم السبت فيما قيل، ولا يجوز أن يتوهم أحد في ذلك: جلوسا ولا حركة ولا نقلة، ولكنه استوى على العرش كما شاء، لا يمثل ذلك، جلوسا ولا يظن له انتقال من مكان إلى مكان، لأن ذلك لمن صفة المحدثات. وقد قال تعالى ذكره: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١، فلا يحل لأحد أن يمثل صفات ربه - الذي ليس كمثل شيء - بصفات المخلوقين الذين لهم أمثال وأشباه، فكما أنه تعالى لا يشبهه شيء، كذلك صفاته ليست كصفات المخلوقين. فالاستواء معلوم، والكيف لا نعلمه، فعلينا التسليم لذلك². ونكتفي بهذا لأن آيات الصفات كثيرة، ومكي بن أبي طالب على العقيدة السلفية، فكان موقفه واضح وهو: الإثبات دون تأويل، وتشبيهه بمخلوقات الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

2. آرائه في مسألة رؤية الله - عَزَّ وَجَلَّ -: بما أن مكي بن أبي طالب من أهل السنة والجماعة، فلا يثبت رؤية الله في الدنيا؛ لكنه يثبتها للمؤمن في الجنة حسب ما جاء به السلف، خلافاً للمعتزلة وغيرهم من الفرق الضالة، التي تنفي الرؤية مطلقاً، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِّكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ الفرقان: ٢١، بين أن الرؤية لا تقع في الدنيا، فقال: "أي وقال المشركون الذين لا يخافون العذاب، ولا يؤمنون ببعث ولا حساب لمحمد - ﷺ -: هلا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا أنك رسول حقاً "أو نرى ربنا"، فيخبرنا بذلك. قاله ابن جريج وغيره.

غلطوا في صفات الله جل ثناؤه، ولم يعلموا أنه لا يُرى في الدنيا فسألوا ما لا يمكن كونه، كما غلط اليهود إذ قالوا ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ النساء: ١٥٣ وهذا مثل قولهم في سورة "سبحان"

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1801

² المصدر نفسه، ج8، ص 5243

﴿أَوْتَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ الإسراء: ٩٢، ثم قال جل ذكره: ﴿لَقَدْ أَتَكَبَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ الفرقان: ٢١، أي: تعظموا إذ سألوا مثل هذا الأمر الجليل¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِ أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾ الأعراف: ١٤٣، بين مكي استحالة الرؤية في الدنيا فقال: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ الأعراف: ١٤٣، أي: تنزيها لك، يا رب، أن يراك أحد في الدنيا، ثم يعيش، ﴿تُبَّتْ إِلَيْكَ﴾ الأعراف: ١٤٣، عن مسألتي إياك الرؤية في الدنيا، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ الأعراف: ١٤٣، أي: أولهم أنك لا ترى في الدنيا². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ المطففين: ١٥، أثبت مكي الرؤية ورد على المخالفين بدليل العربية، فقال: "قال مالك رحمه الله: في هذا دليل على أن ثم قوم لا يحجبون عن الله وينظرون إليه. وبه استدل الشافعي على النظر إلى الله - ﷻ - يوم القيامة. وقد قدره منكره النظر إلى الله على معنى أنهم عن كرامة ربهم لمحجوبون³. وهذا لا يجوز عند أحد من النحويين، ولو جاز هذا لجاز: "جاءني زيد"، تريد غلام زيد أو كرامة زيد. وفي جواز هذا نقض كلام العرب كله. ولا يجوز إخراج الكلام عن ظاهره إلا لضرورة تدعو إلى ذلك مع امتناع جوازه على ظاهره. فإذا امتنعك جواز الكلام على ظاهره، جاز الإضمار الذي يسوغ معه جواز الكلام. ولا ضرورة تدعو إلى إضمار هنا على مذهب أهل السنة⁴.

3 . تخصيصه أبواباً لبعض مسائل العقيدة: خصص مكي بعض الأبواب لمسائل العقيدة حيث كان يتوقف عن التفسير، ويسترسل في الحديث عنها، ومن ذلك: تخصيصه باب خاص بذكر

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5198

² المصدر نفسه، ج4، ص 2546

³ يقصد بهم المعتزلة وغيرها من الفرق الضالة التي تنفي رؤية الله - ﷻ - مطلقاً في الدنيا والآخرة.

⁴ مكي، الهداية، ج12، ص 8130

الإيمان فقال: "وهذا باب تذكر فيه حقيقة الإيمان وتفسيره، وما روي فيه، إن شاء الله - ﷻ - .
وحقيقة الإيمان عند أهل السنة: أنه المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح..."¹ ،
وكذلك خصص مكّي باباً خاصاً في تعريف التوكل، فقال: "وهذا باب يذكر فيه بعض ما روي في
التوكل وصفته وفصله..."² . وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ
لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣)، توقف عن
التفسير وخصص باباً في برّ الوالدين، فقال: "وهذا باب مختصر في الحض على برّ الوالدين..."³

4 . آراؤه في إثبات نبوة الرسول - ﷺ - : تحدث مكّي في تفسيره كثيراً عن نبوة الرسول - ﷺ -
وأنه مبعوث من عند الله - ﷻ - ، ونعطي بعض الأمثلة التي ذكرها، ومن ذلك عند تفسير قوله
تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (المائدة: ٦٤)، بين مكّي أن هذه
الآية من أكبر الدلائل على نبوة الرسول - ﷺ - ، فقال: "هذه الآية من أدل دليل على صحة نبوة
مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، إذ أخبرهم بمكنون سرهم وخفي اعتقادهم"⁴ . وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ (الإسراء: ٦٠)، فسر مكّي ورجح أن
الرؤيا للرسول - ﷺ - هي حادثة الإسراء وليست الرؤية في المنام وأنها من دلائل نبوته، فقال:
"يعني: ما أراه ليلة أسري به افتتن بها قوم فارتدوا عن الإسلام. وهذا مما يدل على أن الرؤية التي
كانت رؤياً عين لا رؤياً نوم. لأنها لو كانت رؤياً نوم ما افتتن أحد بها ولا ارتد. لأن الإنسان يرى
في نومه مثل هذا وأبعد منه. فلما أخبرنا الله - ﷻ - أن الرؤية كانت فتنة للناس، علمنا أنها رؤية

¹ مكّي، الهداية، ج4، ص 2715

² المصدر نفسه، ج4، ص 2725

³ المصدر نفسه، ج11، ص 6830

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص 1797

عين. لأن من كان ضعيفا في الإسلام يستعظم الوصول إلى بيت المقدس والرجوع منها في ليلة فيرتد بجهله، وقلة علمه. وأيضا فإنها لو كانت رؤية نوم، لم تكن بآية ولا فيها دلالة عن نبوة، لأن سائر الناس، قد يرى في نومه ما هو أبعد من ذلك"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ النور: ٥٥، بين مكي دلائل هذه الآية على نبوة الرسول - ﷺ - ، فقال: "أي وعد الله المؤمنين منكم أيها الناس، وعملوا الأعمال الصالحات ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ، قيل: أرض المشركين بعد النبي. فأخبر الله نبيه ووعدته أنه سيمكن من آمن به من ملك أرض العدو، وأنه سيستخلفهم في تلك آمنين، فكان ما وعد به، وهذا من أدل ما يكون على صحة نبوة محمد - ﷺ - لأنه أخبر بما يكون قبل أن يكون، فكان كما أخبر - ﷺ - فلا يكون ذلك إلا عن وحي من الله إليه بذلك، ولا يجوز أن يكون هذا الإخبار من متخخص يصيب ويخطئ، ويصيب بعضا ويخطئ في بعض لأنه قد كان كل ما وعدهم به، لم يمتنع منه شيء، والمتخخص يقع خيره كذبا في أكثر أقواله، وربما وافق بعض ما أخبر به، وأخطأ في بعض، ولا يصيب المتخخص في كل ما وعد به، فلما كان كل ما أخبر به النبي - ﷺ - لم يمتنع منه شيء علمنا أنه بوحي، والوحي لا يكون إلا للنبي والرسول الصادق في أخباره، فكان في ذلك دلالة على نبوة محمد - ﷺ - . لأن الله تعالى ذكره؛ قد أنجز له وعده. وفيها دلالة على خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان وعلي - ﷺ - ، وعلى أمانتهم، لأنه لم يستخلف بعد رسول الله أحد ممن خوطب بهذه الآية غيرهم. لأن هذه الآية نزلت قبل فتح مكة. وقال النبي - ﷺ - : " الخلافة بعدي ثلاثون سنة "² وهذا موافق للآية"³.

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 4234

² ينظر: ابن حبان: محمد بن أحمد، " التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان "، ت: الأمير أبو الحسن وأبو عبد الرحمن الألباني، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة، ط:1، 1424 هـ - 2003م، كتاب إخباره - ﷺ - عن مناقب الصحابة - ﷺ - أجمعين، ج10، ص 78، ر6904، وعلق الشيخ الألباني: حسن صحيح

³ مكي، الهداية، ج8، ص 5142

5. تطرقه لمسألة الشفاعة: تطرق مكي في تفسيره لحكم الشفاعة في اليوم الآخر وذكر أدلة على إثباتها، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، لأن الخوارج وغيرهم من الفرق الضالة؛ تنفي الشفاعة، ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ

الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ البقرة: ٢٥٤، بين مكي أن هذه الآية ظاهرها عامة تنفي الشفاعة، ولكنها خصت بأدلة كثيرة على جواز الشفاعة، فقال: "أي يأتي يوم هذه صفته، أنه لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة. أي يأتي يوم هذه صفته. وعني بالنفقة هنا الزكاة و التطوع. أمرهم تعالى أن يدخروا لأنفسهم من ذلك من قبل أن يأتي يوم صفته أنه ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾: أي لا تباع فيه الأعمال فلا كسب ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: أي لا صداقة. ﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾: أي لا شفاعة للكافرين. فالآية عامة، أي لا صداقة ولا شفاعة للكافرين. فالآية عامة الظاهر خاصة، قد بينت أنها خاصة للكافر السنة. ويجوز أن يكون المعنى: ولا شفاعة إلا بإذن الله بدليل قوله بعد هذا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفْعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ سبأ: ٢٣. وفي القرآن جواز الشفاعة لمن شاء الله لأنه قد قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء: ٢٨، وقال - ﷻ -: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥.

فهذا كثير يدل على جواز الشفاعة يوم القيامة ممن شاء الله - ﷻ - ولمن شاء الله سبحانه فالآية مخصوصة في الكفار، لا شفاعة لهم ولا فيهم¹.

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 842

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۗ ﴾ البقرة: ٢٥٣، بين أن الذي يشفع يوم القيامة هو الرسول - صلى

الله عليه وسلم - ، فقال: "وروى أبو موسى الأشعري أن النبي - ﷺ - قال: " أعطيت خمسا لم

يعطهن أحد كان قبلي: بعثت إلى الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي

الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي وأعطيت الشفاعة، وإنه ليس من

نبي إلا قد سأل الشفاعة وإني أخرت شفاعتي فجعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا " ¹.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۗ ﴾

الإسراء: ٧٩، بين مكي أن معنى "المقام المحمود" في هذه الآية هو "الشفاعة"، فقال: "وعسى

من الله واجبة، لأن الله - ﷻ - لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم به من الجزاء على أعمالهم لأنه

ليس من عادته الغرور ولا من صفته.

والمقام المحمود: هو الشفاعة. قاله: ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج والحسن ².

6 . ذكره علامات الساعة: أظن مكي بن أبي طالب في ذكر علامات الساعة واسترسل في

ذلك، وهي كثيرة مثل: "خروج المهدي، والدجال، وأجوج ومأجوج، والدابة، ونزول عيسى..."

وغيرها، وهي تدرك بالنقل لأنه؛ لا رأي فيها لأحد، وإنما الإيمان بما جاء به القرآن في ذلك،

وأخبار الرسول - ﷺ - وهي كثيرة، وفيها المتواتر والأحاد والصحيح والضعيف والموضوع، ولكن

على المؤمن الاعتقاد بها، خصوصا ما صح منها، وعدم نكرها، والاستعداد للقدوم على الدار

الآخرة. ومكي بن أبي طالب في عصره تعرض لها، وذكر منها الكثير، وكان الساعة قائمة حالا،

ويفهم هذا من سياق كلامه، وهذا ما يدل على عقيدته الصحيحة وإيمانه بالغيب، ونعطي بعض

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 839 وينظر: البخاري: مُجَدِّ بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب التيمم ، باب قول الله

تعالى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ المائدة: ٦، ج1، ص 74،

ر335

² مكي، الهداية، ج6، ص 4269

الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ آل عمران: ٥٥، بين مكي نزول عيسى في آخر الزمن، فقال: "وقال النبي -

عليه وسلم - على الأعور الدجال فيقتله ثم يعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة ثم يموت ميتة الحي.

وحكي أن الله تعالى أوحى ذلك إلى عيسى - ﷺ - مع قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ

إِلَيَّ﴾². وفي تعريف يأجوج ومأجوج، قال مكي: "وقال ابن عباس: يأجوج ومأجوج أمتان،

في كل أمة أربعمئة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف من صلبه فصاعداً؛ وعنه أنه قال: الأرض سبعة أجزاء، ستة منها فيها يأجوج ومأجوج وجزء واحد فيه سائر الخلق"³. وفي

خروج الدابة قال مكي: "فخروج الدابة هو آخر الآيات؛ وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي

بَعْضُ ءآيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ الأنعام: ١٥٨، وهو خروج الدابة. وروي أنه

ترفع عند ذلك التوبة، وتخبر الكافر أنه كافر، والمؤمن أنه مؤمن. وروي: أنه يجعل الله لها من الطول ما تشرف به على الناس لتكلمهم بكلام يفهمونه، ويسمعونه، وتخبرهم أن الناس كانوا بآيات الله

لا يوقنون، وينغلق عند ذلك باب العمل ويجهل فلا ترى عالماً بالدين، ويحصل كل امرئ على ما

قدم من خير أو شر. وهو معنى قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً

¹ ينظر: ابن أبي شيبة: أبو بكر العبسي، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"، كتاب الجهاد، ج4، ص 206،

19344

² مكي، الهداية، ج2، ص 1032

³ المصدر نفسه، ج7، ص 4816

مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴿ النمل: ٨٢، أي وجب عمل كل امرئ لنفسه إن خيراً فخير. وإن شراً فشر¹.

7. تطرقه لأهوال القيامة واليوم الآخر: تطرق مكي لبعض أهوال القيامة واليوم الآخر، ونعطي

بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ

يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ

عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴿٤٤﴾ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ق: ٤٢ - ٤٤، قال مكي في تفسيرها:

"أي: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق أي: بالاجتماع للحساب.

ثم قال: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ ، أي: ذلك يوم خروج أهل القبور من قبورهم. أي:

نحي الموتى، ونميت الأجبار، وإلينا رجوع جميع الخلق يوم القيامة. قال: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ

عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴿٤٢﴾﴾ ، أي: وإلينا مصيرهم في يوم تشقق الأرض عن جميع الخلق، أي: تتصدع

عنهم فيخرجون سراعاً. ثم قال: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ ، أي: جمعهم جمعاً علينا

سهل². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا

مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ مريم: ٧١، بين طريقة المرور على الصراط، فقال: "وقيل: الورد هو الجواز على

الصراط. والصراط على شفير جهنم مثل حد السيف. فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح،

والثالثة، كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرون، والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم³.

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5468، ولم أحصل على كلام مكي في كتب الحديث في خروج الدابة، ولكن هناك كلام في خروجها في المستدرك يشبه كلام مكي، ينظر: الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري، "المستدرك على الصحيحين"، كتاب الفتن والملاحم، ج4، ص531، ر8492، وعلق المحقق: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

² مكي، الهداية، ج11، ص 7066

³ المصدر نفسه، ج7، ص 4575

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) الأعراف: ٨ ، بين مكي حقيقة الوزن فقال: " والمعنى: ووزن الأعمال يومئذ

الحق. ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ، أي: من كثرت حسناته. قاله مجاهد. وقيل المعنى: فمن

ثقلت موازين حسناته. وهو " ميزان " له لسان وكفتان، كالذي يعرفه الناس. قال عبيد بن عمير:

يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، فلا يزن جناح بعوضة. ووزن الأعمال في الميزان، هو نظير

إثبات الله إياها في أم الكتاب، واستنساخه ذلك في الكتب من غير حاجة إلى ذلك، وهو العالم

بكل ذلك، وإنما فعل ذلك تعالى، ليكون حجة على خلقه، فيحتج عليهم بما عاينوا وفهموا وعرفوا

من ذنوبهم" ¹.

وأكتفي بهذه النماذج والأمثلة في تقرير عقيدة مكي بن أبي طالب ومنهجه في تفسير آيات

العقائد، وفي ختام هذا المطلب؛ نستنتج أن مكي بن أبي طالب كان سليم العقيدة، ومن أهل

السنة والجماعة، وهذا ما يجعل تفسيره يحتل مكانة مرموقة بين التفاسير التي انتمت إلى هذه

العقيدة: كتفسير الطبري وابن كثير وغيرها، وحاول مكي جاهدا في تفسيره ترجيح عقيدة السلف

والرد على المخالفين في ذلك، فكانت ردوده في العقيدة في معظمها على كفار قريش والمشركين

واليهود والنصارى والفرق الضالة كالمعتزلة والجبرية والقدرية وغيرهم، مع العلم أنه لم يتطرق إلى

الخلاف الواقع بين السلف والأشاعرة، وأنا أميل إلى نسبة الفرقتين إلى أهل السنة والجماعة، وإزالة

الخلاف والتوفيق بينهم؛ لأن كليهما على حق، وكل الخلاف والجدل الواقع بينهما، غرضه واحد،

وهو تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم لا غير، والله المستعان.

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2286

المطلب الثالث: منهجه في الرد على أهل الديانات والفرق الضالة

بما أن مكي بن أبي طالب كان سلفياً العقيدة وعلى منهج أهل السنة والجماعة كما سلف وذكرنا، فهو ينتصر للحق ويرد على المخالفين بالحجة والدليل القاطع، وجاءت عدة ردود مختلفة في تفسيره، ومنها رده على اليهود والنصارى في الآيات التي جاءت في حقهم وهي كثيرة في القرآن، وعلى كفار قريش والمشركين في مخالفتهم دعوة الرسول - ﷺ -، وعلى الفرق الضالة كالمعتزلة والمرجئة والقدرية وغيرهم، وكان أغلب الرد في تفسيره على المعتزلة، فمعظم الآيات التي خالفوا فيها مذهب السلف، توقف عندها مكي ورد عليهم وناقشهم في ذلك، وهذا في نظري - والله أعلم - راجع لفرض عقيدة الاعتزال بالقوة على الأمة الإسلامية في خلافة المأمون - الخليفة العباسي - وامتحن فيها عدة علماء كالإمام أحمد بن حنبل - ﷺ - الذي يشهد له التاريخ على موقفه البطولي في ردها رغم التعذيب والسجن الذي تعرض له، وهذا ما تأثر به مكي في تفسيره حيث أطنب في الرد عليهم، وسنحاول أن نعطي أمثلة على بعض الموضوعات الرئيسية في تفسير مكي، والتي جاءت في الرد على أهل الديانات والفرق الضالة، وأهل البدع والأهواء وغيرهم.

1. رده على اليهود والنصارى: تعرض مكي أثناء تفسيره للرد على اليهود والنصارى في بعض

آيات القرآن التي نزلت في حقهم، ونعطي أمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى:

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧)، بين مكي أن هذه الآية

قد تحققت في اليهود والنصارى، فقال: "أي: فسيفيك الله يا محمد هؤلاء المخالفين لك من اليهود

والنصارى إما بقتل وإما بجلاء عن جوارك. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧): أي يسمع ما

يقولون بألسنتهم ويعلم ما يظنون لك ولأصحابك من البغضاء والحسد. فأنجز الله لرسوله وعده في

اليهود وفي غيرهم وكفاه إياهم وسلطه عليهم وخذلهم، فقتل بعضاً، وأجلى بعضاً، وأذل بعضاً

بالجزية"¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 470

إِلَيْهِمْ رُسُلًا ﴿ المائدة: ٧٠، بين مكي معنى "نقض الميثاق" في هذه الآية، فقال: "اللام في "لقد" لام قسم، والمعنى: "أقسم" لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل على إخلاص التوحيد، والعمل بما أمرهم به، والانتهاز عما نهاهم عنه، وأرسلنا إليهم بذلك رسلاً، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم، فريقاً كذبوا وفريقاً قتلوا، وهذا نقضا للميثاق الذي أخذ عليهم. فالتكذيب اشتركت فيه اليهود والنصارى، والقتل هو من فعل اليهود خاصة، كانت تقتل النبيين والمرسلين إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ ﴾ الإسراء: ١١١، بين مكي أن هذه الآية جاءت رداً على اليهود والنصارى وبعض كفار العرب في عقيدتهم، فقال: "وهذه الآية: رد وإنكار على أصحاب الأديان: فقوله: ﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾. رد على اليهود والنصارى، وبعض كفار العرب. لأنهم قالوا: المسيح ابن الله، وقالوا عزيز ابن الله، وقالت العرب: الملائكة بنات الله. سبحانه وتعالى علواً كبيراً"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ آل عمران: ٦، رد على النصارى في اعتقادهم "أن عيسى ابن الله"، فقال: "أي: يجعل هذا ذكراً وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر فلذلك خلق عيسى لا من رجل كيف شاء، ولو كان إلهاً ما اشتملت عليه الأرحام، وانتقل من حالة إلى حالة"³.

2. رده على كفار قريش: هناك آيات جاءت في القرآن ترد على كفار قريش في إنكارهم لدعوة الرسول - ﷺ -، وهي آيات كثيرة، وقد اجتهد مكي في معرفة المراد منها، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨، بين مكي

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1810

² المصدر نفسه، ج6، ص 4316

³ المصدر نفسه، ج2، ص 950

أنها جاءت في الرد على كفار قريش، فقال: "قال مجاهد: ﴿إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٤٨) ، أي: إذا لقالوا إنما هذا شيء تعلمه محمد - ﷺ - وكتبه، ويعني بالمبطلين: كفار قريش. فكأن كونه لا يقرأ ولا يكتب، ثم أتاهم بأخبار الأنبياء، والأمم دليل على نبوته وأن ذلك من عند الله جل ذكره"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا إِلَىٰ إِلَهَاتِهِمُ﴾^(٤٩) الأحقاف: ٢٨، بين مكي أن هذه الآية جاءت حجة على كفار قريش فقال: "أي: فهلا نصر هؤلاء الكفار الذين عبدوا من دون الله وتقربوا بعبادتهم إلى الله بزعمهم، بل حل بهم الهلاك، ولا ناصر لهم من دون الله، وهذا احتجاج من الله لنبيه - ﷺ - على مشركي قومه، أن الآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تنقذ من عبدها من ضرر، فكذلك أنتم يا قريش في عبادتكم هذه الأصنام، إن أتاكم بأس الله ونقمته، لم تنقذكم آلهتكم منه كما لم تغن عنم كان قبلكم"².

3. رده على المعتزلة: إن المطالع لتفسير مكي يجده قد رد كثيراً على المعتزلة في تفسيره، فكان لا يمر بآية فيها حجة تنفي شبههم إلا وتبّه عليها، ونعطي بعض الأمثلة على ذلك، فأتنا تفسيره لمعنى "إرادة الله" في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَيْسَ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ^(٥٠) وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥١) المائدة: ٤١، قال مكي: "يخبر تعالى في جميعه أنه أراد جميع ما كان وما يكون، وأن جميع الحوادث كانت عن إرادته ومشيئته، وأنه لو شاء لأحدثها على خلاف ما حدثت فيجعل الناس كلهم مؤمنين. فعندت المعتزلة عليها لعنة الله عن ذلك وخالفته، وقالت: "حدث كفر الكافر على غير إرادة من الله، وعلى إرادة من الشيطان"،

¹ مكي، الهداية، ج9، ص 5638

² المصدر نفسه، ج11، ص 6861

وقد أجمع المسلمون على قولهم: "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن". وقالت المعتزلة: "يكون ما لا يشاء الله، وهو كفر الكافر"، معاندة لإجماع الأمة، وقد حصلت المعتزلة في قولها على أنه ليس لله - تعالى ذكره - على إبليس مزية، لأن إبليس شاء ألا يؤمن أحد فآمن المؤمنون، فكان خلاف ما شاء، وشاء الله - عندهم - ألا يكفر أحد فكفر الكافرون، فكان خلاف ما شاء، فلا فرق بينهما على قولهم الملاعين، تعالى ربنا عما قالت المعتزلة علواً كبيراً، بل كان عن مشيئته، كان يفعل ما يشاء: يوفق من يشاء فيؤمن، ويخذل من يشاء فيكفر، لا معقب لحكمه ولا رادّ لمشيئته، وخلق من شاء للسعادة فوفقه لعملها، وخلق من شاء للشقاء وخذله عن العمل بغير عمل أهل الشقاء، "كل ميسر لما خلق له"، هذا هو الصراط المستقيم، أعادنا الله من الزيغ عن الحق"¹. وفي تفسيره

لقصة نوح في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ

كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ هود: ٣٤ ، ردّ على المعتزلة بدليل القرآن واللغة، فقال: "والمعنى: وليس ينفعكم تحذيري إياكم عقوبة على كفركم.

﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، أي: يهلككم. وقيل: معناه: يحييكم، وحكي عن بعض العرب أنها تقول: أصبح فلان غاويًا: أي: مريضًا. وهذه الآية من أبين آية في أن الأمر كله لله - وَعَلَىٰ -، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء. وقد قالت المعتزلة: إن معنى: أن يغويكم: "أن يهلككم"، وكذبوا على الله، سبحانه، وعلى لغة العرب: ولو

كان الأمر كما قالوا، لكانت معنى قوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦: من

الهلاك، وهذا لا معنى له. إنما هو الضلال، الذي هو نقيض الرشد. وكان معنى قوله: ﴿وَعَصَىٰ

ءَادَمُ رَبَّهُ وَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ طه: ١٢١: فهلك، ولم يهلك إنما ضل. وكان معنى قوله: ﴿الَّذِينَ

أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ القصص: ٦٣، بمعنى الهلاك، ولا معنى لذلك، إنما هو

¹ مكي، الهداية، ج3، ص 1720

بمعنى الضلال كله. وكان قوله: ﴿وَلَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ الحجر: ٣٩، بمعنى: لأهلكتناهم: وهذا لا يقوله أحد، ولا معنى له¹.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ الزخرف: ٣، بين مكي عن طريق اللغة الحجة على المعتزلة في قولهم "إن القرآن مخلوق"، وليس هو كلام الله؟ فقال: "أي: أنزلناه بلسان العرب إذ كنتم أيها المنذرون به من العرب." "وجعلناه" هنا، يتعدى إلى مفعولين، "فألهاء" الأول، "وقرآنا" الثاني. وهذا مما يدل على نقض قول أهل البدع: إنه بمعنى خلقنا. إذ لو كان بمعنى خلقنا؟ لم يتعد إلا إلى مفعول واحد². ونكتفي بهذه الأمثلة وهي كثيرة في تفسير مكي.

4. رده على المرجئة: المرجئة هي فرقة ضالة تقصر الإيمان على مجرد التصديق والاعتقاد، دون أعمال القلب والجوارح، وتقول: "لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة"، وهي ضد فرقة الخوارج في الاعتقاد، وقد فند مكي أباطيلهم في تفسيره، ونذكر بعض الأمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ البقرة: ١٤٣، قال مكي في الرد عليهم: "أي: إن الله بجميع عباده لدو رأفة ورحمة، فكيف يضيع أعمالهم التي عملوها فلا يثيبهم عليها وكيف يؤاخذهم على ما لم يفترض عليهم. والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة. وتسمية الله جل ذكره الصلاة إيمانا في هذه الآية؛ رد على المرجئة الذين يقولون إن الصلاة ليست من الإيمان. وقال أشهب: "وإني لأذكر بهذه الآية الرد على المرجئة وعلى أن الإيمان في هذه الآية يراد به الصلاة نحو بيت المقدس"³. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

¹ مكي، الهداية، ج 5، ص 3383

² المصدر نفسه، ج 10، ص 6622

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 487

الْآخِرِ ﴿ النور: ٢، بيّن قول المرجئة وبطلانه، فقال: "لأن لا تقصروا في إقامة الحدود. "إن كنتم مؤمنين" وهذا يدل على أن إقامة حدود الله من الإيمان بخلاف ما تدعيه المرجئة من أن الإيمان قول بلا عمل"¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ البينة: ٥، قال مكي: "أي: وهذا الذي أمروا به هو دين الملة المستقيمة ودين الجماعة المستقيمة لا يتم دين الإسلام إلا بذلك.

وهذا نص واضح على أن الإيمان قول وعمل بخلاف ما قاله المرجئة "أن الإيمان قول لا غير"، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران: ١٩، ويّين هاهنا أن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإخلاص العمل لله هو الدين المستقيم العادل"².

5. رده على الخوارج: رد مكي على فرقة الخوارج في تفسيره، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوِدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ آل عمران: ١٠٦، بيّن أن هذه

الآية نزلت في الخوارج، فقال: "قوله "أكفرتم" معناه: فيقال لهم أكفرتم؟ قال جماعة من العلماء: عنى بهذا بعض أهل القبلة من المسلمين وروي أن النبي - ﷺ - قال: "والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي. فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"³. قال أبو أمامة ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ

أُسْوِدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ : هم الخوارج"⁴. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ

¹ مكي، الهداية، ج8، ص 5018

² المصدر نفسه، ج12، ص 8385

³ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند البصريين، ج34، ص 133، ر20494، وعلق المحقق: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد، وهو ابن جدعان.

⁴ مكي، الهداية، ج2، ص 1090

عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ البقرة: ٢٧ ، بين أن هذه الآية يمكن أن تكون نزلت في الخوارج، فقال: ونزل في الحرورية ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ الآية. وعن علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال: هم كفرة أهل الكتاب كانوا أوائلهم على حق فأشركوا بربهم وابتدعوا في دينهم، الذين يجتهدون في الباطل ويحسبون أنهم على حق، ويجتهدون في الضلالة ويحسبون أنهم على هدى فضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وعن علي بن أبي طالب - عليه السلام -: أنهم الخوارج أهل حرور. وقال: سعيد: هم الخوارج. وقيل هم الصابئون¹.

6. الرد على القدرية: تعرض مكي في تفسيره للرد على فرقة القدرية، وهي فرقة إسلامية ضالة؛ وهي ترى "أن العبد يخلق أفعاله، وليست هي مُقدَّرة عليه، فلو قدر الله عليه المعصية ثم حاسبه يكون ظلماً له، - معاذ الله عن ذلك - وينفون قدرة الله"، أي: ينكرون أن الله خلق أفعال العباد، وقد ردّ عليهم مكي في تفسيره، ومن ذلك، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ البقرة: ٦، بين مكي حقيقة هذه الآية ورد على القدرية وغيرهم، فقال: "هذه الآية نزلت في قوم سبق في علم الله فيهم أنهم لا يؤمنون، فأعلم الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن الإنذار لا ينفعهم لما سبق لهم في علمه، وثمَّ كُفَّارٌ أُخْرٍ نفعهم الإنذار فأمنوا لما سبق لهم في علم الله سبحانه من الإيمان به، فالآية عامة في ظاهر اللفظ يراد به الخصوص، فهي في من تقدم له في علم الله أنه لا يؤمن خاصة، ومثله ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ الكافرون: ٣. وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان حريصاً على إيمان

¹ مكي، الهداية، ج6، ص 4479

جميع الخلق، فأعلمه الله - ﷻ - في هذه الآية أن من سبق له في علم الله سبحانه الكفر والثبات عليه إلى الموت لا يؤمن ولا ينفعه الإنذار، وأن الإنذار وتركه سواء عليه. وهذا مما يدل على إثبات القدر بخلاف ما تقوله المعتزلة¹. وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَلْتَيْنَ

﴿ ١٦٢ ﴾ الصافات: ١٦٢ ، ردّ مكي على القدرية بهذه الآية فقال: "وفي هذه الآية رد على القدرية لأن الضلال والهدى كلُّ بمشيئة الله وقضائه، خلق هؤلاء للجنة وهؤلاء للشقاء فالشياطين لا تضل إلا من كتب الله عليه أنه لا يهتدي. فأما من تقدم له في علم الله الهدى فإنه تعالى يحول بينهم وبينه فلا يصلون إلى إضلاله. قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس وإنه لبين في كتاب الله في آية علمها من علمها وجهلها من جهلها، ثم قرأ: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ

﴿ ١٦١ ﴾ ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَلْتَيْنَ ﴾ ﴿ ١٦٢ ﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿ ١٦٣ ﴾ الصافات: ١٦١ - ١٦٣"². وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

﴿ ١٤ ﴾ الملك: ١٤ ، بين إعراب هذه الآية ورد على القدرية فقال: "وإذا جعلت "من" بمعنى "ما" في موضع نصب، كان فيه دليل قوي على أن الله خالق ما تُكِن الصدور من خير وشر. ففيه حجة قوية على القدرية الذين يدعون أنهم يخلقون الشر وأن الله لم يخلقه ولا قدره، تعالى أن يكون في ملكه ما لم يخلقه بقدره، بل لا خالق لكل شيء إلا الله، ولو كان الشر لم يخلقه الله فمن خلق إبليس؟! ومن خلق الأصنام التي تُعبد من دون الله؟! ومن خلق نطفة الزاني وولد الزانية؟! ومن خلق قوة الزاني والسارق وقاطع الطريق؟! وهو كله شر من خلق الله كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ

¹ مكي، الهداية، ج1، ص140 والقدرية فرقة من فرق المعتزلة، لأن معظم الفرق الإسلامية الضالة في أولها تكون واحدة، ثم تفترق وتختلف مع بعضها.

² المصدر نفسه، ج9، ص6175

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿٤٣﴾ فاطر: ٨. وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾

الأنعام: ١١٢، فكل بمشيئته كان، لا شريك له، يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه¹.

7. ردود مختلفة: هناك ردود مختلفة في تفسير مكي على أهل الديانات والفرق الضالة وأهل الأهواء والبدع والخرفات، فكان لا يمر على آية توحى بالرد إلا ورد ذلك بالحجة والدليل القاطع،

ونعطي بعض الأمثلة، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ

الِيمِ ﴿٤٣﴾ فصلت: ٤٣، بين مكي عقيدة أهل السنة والجماعة، وردّ على الفرق الضالة في

"مسألة مرتكب الكبيرة" لأن الخوارج يقولون: "أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار"، والمعتزلة يقولون: "هو في منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا كافر" والفرق الأخرى كالجبرية والقدرية وغيرها

عندها آراء تختلف عن أهل السنة والجماعة، فرد عليهم مكي جميعاً، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ

لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ ، أي: لذو ستر على ذنوب التائبين من الكفر، العاملين بأمره، المطيعين له.

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ لمن دام على كفره. فالناس يلقون الله تبارك وتعالى على طبقات

أربع: مطيع مؤمن، يدخله الجنة، وتائب مؤمن، يقبل توبته ويدخله الجنة؛ ومصر على المعاصي، وهو في مشيئة الله - عَزَّوَجَلَّ - إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه؛ وكافر يدخله النار حتماً، لقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء:

٤٨. هذا مذهب أهل السنة والاستقامة فاعرفه واعتقده ولا تعرج عنه! فله لا إله إلا هو أن يفعل

في أهل الذنوب ما شاء من مغفرة أو معاقبة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون كما كان له في الأزل

أن يخلق خلقاً للنار ويعملها يعملون، وخلقاً للجنة ويعملها يعملون: قال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ

¹ مكي، الهداية، ج12، ص 7598

ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴿١٧٩﴾ الأعراف: ١٧٩. أي: خلقناهم لها¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ الأعراف: ١٧٥، بين مكي أقوال العلماء فيها، وأنكر أن يكون المقصود بهذه الآية "نبياً"، لأن الأنبياء معصومون عن الخطأ، فقال: "وقال مجاهد: أوتي النبوة، فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل، وتركهم على ما هم عليه. وكذلك قال المعتمر بن سليمان عن أبيه. وهو قول مردود؛ لأن النبوة لا يكون حاملها قابلاً للرشوة فيها، يعيذ الله الأنبياء من ذلك. وهذه كبيرة عظيمة، وكل الناس على أن الأنبياء معصومون من الكبائر، فغير جائز هذا القول الذي روي عن مجاهد، والمعتمر"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ البقرة: ١٦٧، بين أن هذه الآية تدل على أن عقاب الله على الكفار لا نهاية له، وأنكر من قال العكس، فقال: "أي: ليسوا يخرجون من النار أبداً، يعني به القوم الذين تقدمت صفتهم وتبرأ بعضهم من بعض، وتمنى بعضهم الرجعة إلى الدنيا. وهذه الآية تدل على فساد قول من زعم أن عذاب الله - عَزَّوَجَلَّ - للكفار له نهاية"³. وكذلك رد على أهل البدع و الأهواء في التوكل والكرامات فقال: "وقد روي عن مضي، وعن النبي - ﷺ -، وأصحابه من الجوع والشدة ما لا يحصى. فهذا يدفع قول من يدعي في توكله نزول الطعام الكوني، ووجود الرجب في غير وقته، وشبه ذلك من المعجزات التي لا تكون إلا للنبي، تدل على صدقه في ما أتى به. فأما كرامات الله، سبحانه لأوليائه وإجابة دعائهم، فليس ينكر ذلك أحد من أهل السنة، وإنما ينكرون على من أجاز حدوث المعجزات على يدي غير الأنبياء؛

¹ مكي، الهداية، ج10، ص 6537

² المصدر نفسه، ج4، ص 2636

³ المصدر نفسه، ج1، ص 541

لأن في ذلك إبطال النبوة وهدم الشريعة¹. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّبُوتِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ الأنبياء: ٨٧، أنكر مكي القول المروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - في تفسير هذه الآية، وقد ذكرنا سابقاً أن كثير من الأقوال في التفسير مكذوبة على هذا الصحابي وموضوعة عليه، فقال: "قال ابن عباس والضحاك: ذهب غاضباً على قومه. وعن ابن عباس أنه خرج مغاضباً على ربه لما رد العذاب عن قومه وصرفه عنهم. وهذا قول مردود، لا تغضب الأنبياء على ربها، لأن الغضب على الله معاداة له. ومن قصد الله بالعداوة كفر. ونعيز الله تعالى يونس - عليه السلام - من ذلك. وكذلك لا يجوز أن تتأول في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾. إنه من القدرة عليه، وأنه يفوت الله. كان - عليه السلام - أعلم بالله من ذلك، إنما هو من التقدير الذي هو التضييق. ظن أن الله لا يضييق عليه مسلكه في خروجه عنهم. طمع برحمة الله له في ترك التضييق عليه. وقد فسرنا هذا المعنى². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ٤٣، رد مكي على بعض الملحدين، فقال: "اعترض بعض الملحدين بهذه الآية على حديث النبي، - عليه السلام -، في قوله: " لا يدخل الجنة أحد بعمله، وإنما يدخلها برحمة الله³ " هذا غلط منهم؛ لأن رحمة الله لا تدرك إلا بالعمل الصالح. وإذا كانت الرحمة لا تدرك إلا بالعمل الصالح فالعمل الصالح الذي يدرك الرحمة يدخل الجنة.

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2730

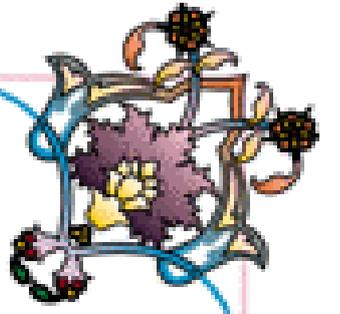
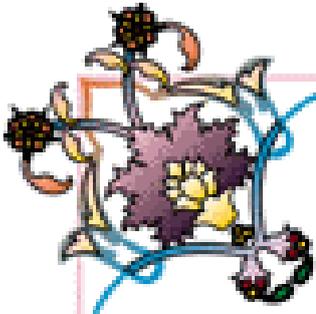
² المصدر نفسه، ج7، ص 4801

³ ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، ج18، ص 63، ر11486، وعلق المحقق: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي.

ويجوز أن يكون معنى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ، يعني المنازل في الجنة، فيكون الدخول برحمة الله، كما قال النبي، - ﷺ -: " والمنازل بالأعمال " فيصح الحديث، والآية على ظاهرها"¹.

هذه أهم الردود في تفسير مكي على أهل الديانات والفرق الإسلامية الضالة، ويبقى طريق أهل السنة والجماعة هو طريق الهدى وسبيل الرشاد، ويدرك ذلك عن طريق الثبات على العقيدة الصحيحة، لكي تبقى نقية صافية، كما تركها لنا النبي - ﷺ -، والصحابة، والتابعين والسلف الصالح - ﷺ - ..

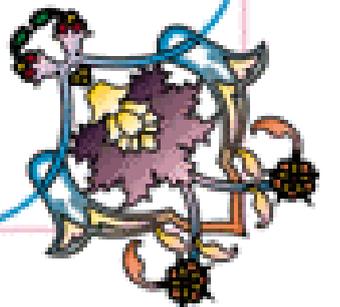
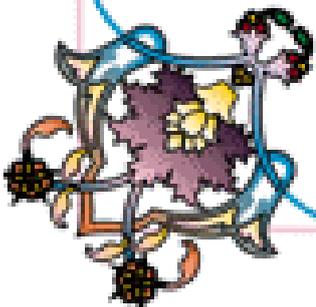
¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2372



الفصل الرابع: تفسير مكي في الميزان

المبحث الأول: مزايا تفسير مكي بن أبي طالب

المبحث الثاني: ملاحظات على تفسير مكي بن أبي طالب



الفصل الرابع: تفسير مكي في الميزان

إن العلم بحر واسع، ولا يمكن لأي إنسان أن يحيط به من كل جوانبه، دون الوقوع في النقص والخطأ، ومهما أوتي من قوة في الذكاء والعقل، لأن الكمال لله - ﷻ -؛ وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم - ﷺ -، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٨٥﴾ الإسراء: ٨٥، وقد أعترف عدة علماء أجلاء بالوقوع في الخطأ والنقص والنسيان وغيره مما يعتري البشر، ومن بينهم مفسرنا مكي بن أبي طالب فقد أشار عدة مرات إلى هذا في تفسيره، فقال عند شرحه لعنوان التفسير: "أعني بقولي: بلوغ النهاية: أي إلى ما وصل إلي من ذلك لأن علم كتاب الله لا يقدر أحد أن يبلغ إلى نهايته إذ فوق كل ذي علم عليم"¹. وقال في موضع آخر: "فواجب على كل ذي دين ومروءة كتب كتابنا هذا أو قرأه أن يغمض عن زلل كاتب أو وهم ناسخ إن وجده فيه، ويشكر الله على ما يستفيده منه ويسمح في وهم أو غلط إن وقع منا فيه، فالعصمة لا يدعيها أحد بعد الأنبياء - صلوات الله عليهم -"². وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ﴾ ﴿النور: ٣٥﴾، بيّن وجوه الإعراب والتفسير، وقال: "وقيل معنى ﴿ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ﴾، أي إن إبراهيم لا يهودي ولا نصراني بل هو حنيف مسلم. وهذا التفسير مخالف في أكثره لجميع ما قدمناه. والله أعلم بحقيقة ذلك، فهذا ما وصل إلينا في تفسير هذه الآية، والله أعلم بصحة معناها وبما أراد فيها"³. وقال في الخاتمة: "ولسنا ننكر أن يكون قد فاتنا الكثير من المنصوص عليه وغفلنا عن تذكر أشياء قد حفظناها عند تأليفنا فأنسيناها عند تصنيفه، والكمال لله جل ذكره، وعلوم كتاب الله جل ذكره أعظم وأجل من أن يحصيها محص ويبلغ غايتها مدع"⁴. وهذا من تواضعه - رحمه الله -، ولا بأس أن نذكر أقوال بعض العلماء الذين اعترفوا بنقصهم، فقد

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 75

² المصدر نفسه، ج 1، ص 75

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 5110

⁴ المصدر نفسه، ج 12، ص 8521

جاء في كشف الظنون ما نصه: "إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه، إلا قال في غده: لو عُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العَبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر."¹

وقال ابن تغري بردي² في سبب تسمية كتابه (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي): تسميتي للتاريخ المذكور: "(المستوفى بعد الوافي) إشارة لتاريخ الشيخ صلاح الدين الصفدي، لأنه سمّي تاريخه: (الوافي بالوفيات) إشارة على تاريخ ابن خلّكان أنه يوفّي بما أخلّ به ابن خلّكان، فلم يحصل له ذلك، وسكت هو أيضاً: عن خلائق، فخشيت أنا أيضاً أن أقول: (المستوفى على الوافي)، فيقع لي كما وقع له، فقلت: (المستوفى بعد الوافي)".³

ومكي بن أبي طالب - رحمه الله - قد اعترف بهذا مرات عديدة كما أشرنا، ونبه إلى أن تفسيره ليس كاملاً، ويمكن أن يقع في بعض الهفوات والأخطاء وغيرها، واعترف بفضل المفسرين والعلماء عليه، ومن خلال هذا الفصل، سأضع تفسير مكّي في كفة الميزان، وأتطرق إلى أهم المزايا والمآخذ على هذا التفسير، وأعترف بأنني لست في مستوى المفسر، حتى أنتقد تفسيره، ولكن سأحاول في ذلك قدر الإمكان، وحسب الكلام التي ذكرته⁴.

¹ حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، ج1، ص14

² - يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، ولد سنة (813) وتوفي (874 هـ) مؤرخ بجاثة، من أهل القاهرة، مولدا ووفاة، له مؤلفات منها (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) و (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي)، ومختصره (الدليل الشافي على المنهل الصافي) أكمل بما الوافي للصفدي، و (مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة) وغيرها، ينظر في ترجمته: ابن العماد: عبد الحي الحنبلي، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ج1، ص76، والسخاوي: شمس الدين أبو الخير، "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، دار مكتبة الحياة - بيروت، ج10، ص305، وابن تغري بردي: يوسف بن

عبد الله، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج1، ص1، والزركلي: خير الدين "الأعلام"، ج8، ص223

³ ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ج11، ص19

⁴ حتى أنني قلت في المبحث: ملاحظات بدل مأخذ، لأنني أعرف أنه ليس بمقدوري نقد شخصية عالم كبير ومتبحر في جل العلوم مثل مكّي بن أبي طالب.

المبحث الأول: مزايا تفسير مكي بن أبي طالب

إن مكانة مكي بن أبي طالب في العلم تتجلى في شخصيته التي أثنى عليها كثير من العلماء الذين جاؤوا بعده في الأندلس والمغرب والمشرق، وجلهم وصفوه بالتبحر في العلم، وقد تطرقنا إلى هذا في شخصيته ومكانته عند العلماء وقيمة تفسيره، وله ما يزيد عن مئة مؤلف في جل العلوم¹، واشتهر في انتسابه إلى علم القراءات، وظل تفسيره مطموراً لعدة سنوات، ويرجع الفضل إلى الدكتور أحمد حسن فرحات عندما أثبت للعالم الإسلامي أن له تفسيراً قيماً لم يرى النور بعد في رسالته سنة 1973م، وبقي هكذا إلى أن قامت كلية الشريعة في جامعة الشارقة بطبعه سنة 2008م، في حلة جديدة منقحة مميزة، نادراً ما تتوفر لغيره من التفاسير، وبعد اطلاعي على التفسير وجدته تفسيراً قيماً ومفيداً، ويدل على مكانة مكي بن أبي طالب في علم التفسير وغيره من العلوم، وهو من التفاسير القديمة التي تعود للقرن الخامس الهجري، ومزج مكي بين التفسير بالمأثور والرأي، وهذا ما يظهر قيمته وأهميته بين التفاسير، ولقد كان مرجعاً لكبار المفسرين والعلماء الذين جاؤوا بعده واستفادوا منه، كابن عطية والقرطبي وابن جزري الكلبي وأبي حيان والسمين الحلبي وابن عادل والزرکشي وغيرهم، وبعد البحث والدراسة لمدة سنوات في ملامح منهج مكي من جواب متعددة، وتسجيل بعض الملاحظات الهامة في تفسيره، نحاول أن نبين مزايا تفسير مكي في نقاط حتى تظهر لنا قيمته ومكانته العلمية بين التفاسير:

- 1 . تتمثل قيمة ومكانة تفسير مكي بن أبي طالب في شخصيته وتفوقه في جل العلوم منها القراءات واللغة والفقه والعقيدة... وله مؤلفات كثيرة غير التفسير .
- 2 . تتجلى لنا قيمة تفسير مكي من خلال ما قاله في مقدمته حيث بين مقاصده وأهدافه من تأليفه لهذا التفسير حيث قال: " هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره."²

¹ ينظر: ص 79 من الرسالة، وص 88.

² مكي، الهداية، ج 1، ص 75

- 3 . صرح مكّي بجمع تفسيره من مصادر متعددة، فقال: "انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية."¹ وهذا ما يدل على مكانته العلمية بين التفاسير.
- 4 . جمعه بين التفسير بالمأثور والرأي فكان يفسر الآية بالقرآن، ثم السنة، ثم أقوال الصحابة والتابعين، ويستعين بما فتح الله عليه في الإعراب والقراءات وغيرها، وقد صرح بهذا في مقدمته: "وتقصيت ذكر ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له. وذكرت المأثور من ذلك عن النبي - ﷺ - ما وجدت إليه سبيلا من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراه."² وكان يقدم تفسير القرآن بالقرآن على غيره ويرجحه، وكذلك السنة وأقوال الصحابة، وهي طريقة التفسير بالنقل، وقد أشرتُ إلى الكثير منها في مبحث: منهجه في التفسير بالمأثور.
- 5 . صرح مكّي في مقدمته باعتماده على أمهات التفاسير كتفسير ابن عباس والطبري وابن سلام وكتب اللغة والنحو، وبعد المقارنة تبين لي أنه لم يكن ينقل كل شيء، وإنما ينقل ما يناسب فكرته وموقفه في تفسير الآيات حيث قال: "جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي - رحمه الله - وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنون علومه، مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام. ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل."³
- 6 . مناقشته لكبار العلماء في تفسيره مثل: ابن جرير الطبري، حيث ناقش أقواله وأيده أحيانا وخالفه في ما يراه مخالفا له، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ دُونِهِمْ لَأَ﴾

¹ مكّي، الهداية، ج 1، ص 75

² المصدر نفسه، ج 1، ص 75

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 75

تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿ الأنفال: ٦٠، أيّد مكي الإمام الطبري في تفسيره لها فقال:

"وقيل: هم الجن. وهو اختيار الطبري. وهو أحسن الأقوال، لما روي أن الجن تفر من سهيل

الخيّل"¹. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِّينَ

﴿ ١٩٨ ﴾ البقرة: ١٩٨، رد قول الطبري في التفسير، فقال مكي: "معناه: وما كنتم من قبل الهدى إلا

من الضالين، "فإن" بمعنى "ما" واللام بمعنى "إلا". وقد قيل: إنَّ "إن" بمعنى "قد" ذكره الطبري، وليس بجيد في اللغة."²

7. استدل بأقوال كبار النحويين مثل سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم، وناقشهم في تفسيره ورد عليهم، وساهم في حل مشكلات الإعراب والنحو في القرآن، ونسب الأقوال إلى أصحابها، فيقول: "قال الزجاج، قال الفراء، وحكى الأخفش...." وهذا ما يرجح تفوقه في علوم اللغة، ومن

ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ

أَرْبَابًا ﴾ آل عمران: ٨٠، بين رأي سيبويه والأخفش ورد عليهم، فقال: "من نصب يأمركم

عطفه على الأول على ﴿ يُؤْتِيَهُ ﴾ آل عمران: ٧٩، كأنه: وما كان لبشر أن يأمركم. ومن رفع

قطعه من الأول وتقديره عند سيبويه: ولا يأمركم الله، وعند الأخفش: وهو لا يأمركم. والتفسير

يدل على النصب لأنهم قالوا للنبي - ﷺ -: أتريد أن نعبدك، فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ

آل عمران: ٧٩، أن يفعل كذا وكذا، ولا أن يأمركم بكذا فنفي عنه ما أسندوا إليه"³

8. تتبع وذكر أقوال المفسرين في تفسير الآيات واختصارها، وهناك بعض الآيات تصل أقواله فيها

إلى خمسة أو سبعة أو تسعة أقوال، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا

¹ مكي، الهداية، ج4، ص 2867

² المصدر نفسه، ج1، ص666

³ المصدر نفسه، ج2، ص1061

يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ البقرة: ٧٨، بين ثمانية أقوال في تفسير الأمي في هذه الآية، فقال: "قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾. أي: ومن هؤلاء أميون. فهم أبعد من الإيمان من غيرهم. وقال ابن عباس: "هم قوم لم يصدقوا رسولاً ولا آمنوا بكتاب، فكتبوا كتاباً وقالوا للعوام: هذا من عند الله". وإنما سماهم أميين لجحودهم الكتاب إذ صاروا بمنزلة من لا يحسن شيئاً. وقيل: الأمي هنا الذي لا يكتب كأنه نسب إلى أمه كأنه على طبعها وجبلتها لا يحسن كما لا تحسن. وقيل: الأميون في هذا الموضع نصارى العرب. قاله عكرمة والضحاك. وقيل: هم قوم من أهل الكتاب، رفع كتابهم لذنوب أحدثوها فصاروا أميين لا كتاب لهم. وقيل هم المجوس فيما روي عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - وقيل: هم طائفة من اليهود¹.

9. كان يتوسع في التفسير وأحياناً يختصر ويحيل على مؤلفاته المختلفة لزيادة التوضيح - كما أشرنا سابقاً - في مختلف المواضيع من التفسير.

10. إكثاره من القراءات في تفسيره وتوجيهه لها، واستغل مكي باعه الطويل في هذا العلم، ورد الكثير من القراءات الشاذة المخالفة للتفسير، وقد ذكرنا هذا في موضعه من البحث، حيث يجد المهتم بعلم القراءات بغيته في هذا التفسير، بالإضافة إلى مؤلفاته الكثيرة التي تركها لنا في القراءات.

11. اعتناؤه بالنسخ في القرآن وتوضيحه، وتفريقه بين النسخ والاستثناء والتخصيص وتأخير البيان، وتبيين معظم الآيات المنسوخة والمحكمة بالدليل القاطع.

12. الاهتمام ببعض الأمور العقديّة والفقهية حيث خصص أبواباً وفصولاً في التفسير لذلك.

13. ردوده على أهل الديانات والفرق الضالة كالمعتزلة والخوارج وغيرهم فيما يراه مخالف لمنهج الإسلام وأهل السنة والجماعة، وردّه لبعض الأقوال الشاذة في التفسير، وقد وضحنا هذا في موضعه، ونعطي مثلاً على القول الأخير، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

¹ مكي، الهداية، ج 1، ص 320

الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ اللَّبْرَ مِنْ أَتَقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

أَبْوَابِهَا ﴿البقرة: ١٨٩﴾ بيّن مكي قول ابن الأنباري وردّه، فقال: "وذكر ابن الأنباري أن بعض الناس فسّر البيوت بإتيان النساء في الأدبار ومنعوا من ذلك، وقيل لهم: اتتوا البيوت من أبوابها، أي إئتوا المرأة من الباب المحل لكم الذي منه يكون الولد، ولا تأتوها من غير هذا الباب فتجوروا وتعصوا. وهو قول شاذ"¹.

14 . استشهاده بكلام العرب وأقوالهم ولغاتهم المختلفة وأشعارهم في التوجيه النحوي والبلاغي، ومعرفة مراد الله في التفسير.

15 . قدرة مكي على الاستعانة بالعلوم التي تساعد على فهم معاني التفسير كعلوم القرآن واللغة والفقه وقد ذكرتها في موضعها من البحث.

16 . كان مكي بن أبي طالب في تفسيره يرجح المعنى اللغوي في تفسيره على غيره من الأقوال، وقد ذهب العلماء إلى أن القرآن نزل بلغة العرب وبها تعرف مقاصده وتبين معانيه، ولا يجوز صرفه عن المعنى اللغوي إلا بدليل قاطع، وقد عمل مكي بن أبي طالب في تفسيره بهذا القاعدة.

17 . عدم تعصبه لمذهب مالك أو أي عالم من العلماء، وكان رأيه معتدلاً في كثير من المسائل.

18 . يتميز تفسير مكي بسهولة الأسلوب والعبارة مما يسهل فهمه على العام والخاص.

19 . تكمن قيمة تفسير مكي باعتناء العلماء بدراسته، ورجوع أكثر المفسرين الذين جاؤوا بعده إليه، والاستشهاد بأرائه وأقواله في التفسير، فهو من أوائل التفاسير الأندلسية، ولا أكون مغالياً إن قلت إن معظم التفاسير الأندلسية التي جاءت بعده كتفسير ابن عطية والقرطبي وأبي حيان وابن جزى الكلبي وغيرهم استفادوا من تجربته في التفسير ونقلوا عنه الكثير.

¹ مكي، الهداية، ج1، ص 633

المبحث الثاني: ملاحظات على تفسير مكّي بن أبي طالب

إن وقوع المفسر في أخطاء أمر طبيعي، لأن النقص سمة من سمات البشر، ولا يجوز لنا أن ننزه أي مفسر وأي عالم مهما كانت درجته من العلم، عن الوقوع في الخطأ، ولا بد من عرض نتاج أي مفسر وفكره على قواعد التفسير، ونرى كيف كان تفسيره للقرآن، وما هي المزايا والمآخذ على تفسيره، ونلتمس له العذر فيما أخطأ فيه، خصوصاً إذا كان الباعث والمقصد سليماً، وهي خدمة كتاب الله والعلم، وليس الباعث على تفسيره تأييد فكرة منحرفة، أو نصره فرقة ضالة، أو غيرها من الأمور الباطلة، التي تكون مُعدة مسبقاً.

ومكّي بن أبي طالب، كانت عقيدته سليمة ومن أهل السنة والجماعة، وكان قصده في التفسير، تيسير كتاب الله وفهمه على القارئ، مهما كانت درجته، ويرجو الجزاء والثواب من الله - ﷻ -، وهذا من أهم المقاصد عنده، حيث قال في مقدمته: "فما أخرجت هذا الكتاب وبذلته للناس بعد إن كنتُ عملته في صدر العمر وجمام الفهم لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفرداً، إلا طمعا أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، أو يذكرنا بالخير عليه ذاك، مع ما نرجو من ثواب الله عليه في انتفاع دارسيه واكتفائهم به عن سائر كتب المفسرين، وأهل المعاني، وسائر أكثر علوم كتاب الله تعالى".¹

ومن خلال معايشتي تفسير مكّي بن أبي طالب لفترة زمنية طويلة سجّلتُ بعض الملاحظات على تفسيره، يمكن أن تؤخذ عليه، والتي ظهرت لي بعد الدراسة والبحث، وهي لا تُقلل من شأن التفسير وصاحبه مكّي بن أبي طالب، ولا تغض الطرف عن مكانته العلمية بين التفاسير، ولكنني لم أصل إلى ما وصل إليه الشيخ في العلم والمعرفة، حتى أُقيّم هذا التفسير، ولكن انطلاقاً من قول الرسول - ﷺ -: "المسلم مرآة أخيه"²، ومقولة "لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة"³، أستعين بالله - ﷻ -، وأذكر أهم المآخذ على هذا التفسير:

¹ مكّي، الهداية، ج1، ص77

² ابن أبي شيبة: أبو بكر العبسي، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"، كتاب الأدب، ج5، ص229، ر25531

³ ابن منظور: مُجَدِّد بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، ج13، ص292

1 . حذف مكّي بن أبي طالب الأسانيد من جميع الروايات الحديثية والآثار وغيرها، وقد صرح بذلك في مقدمته قائلاً: "وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أرادته."¹ وهذا جيد في قصد مكّي حتى لا يتسع التفسير ويسهل حفظه على من أراد ذلك، ولكنه وقع في الضعيف والموضوع والمكذوب من الروايات، وكان عليه عند حذف الأسانيد؛ ألا يذكر إلا ما صح منها، ويتوقف عن الباقي.

2 . صرح مكّي في مقدمته أنه يذكر ما صح من رواية الحديث، حيث قال: "وتقصيت ذكر ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تألّفي له. وذكرت المأثور من ذلك عن النبي - ﷺ - ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري."² ولكنه خالف قوله، وجاء بالضعيف والموضوع منها، خصوصاً في فضائل السور.

3 . توسعه في ذكر الروايات الإسرائيلية في قصص الأنبياء والأمم السابقة، وجاء بأغلب الروايات المطعون فيها، والتي تُعد من البدع والخرفات وتتناقى مع عصمة الأنبياء، ولم ينبه عليها أو يتعقبها، وإنما ذكرها وسكت عنها، وهي كثيرة في تفسيره، ومن ذلك عند ذكره لفتنة النبي داوود في قوله تعالى: ﴿وَوَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ﴿٢٤﴾ ص: ٢٤، أورد قصة طويلة من الإسرائيليات، مفادها أن النبي داوود أفتتن بامرأة جميلة جداً، فبعث زوجها في الجهاد، وكان غرضه أن يُقتل ويتزوج بها، فقتل الزوج وتزوجها داوود، وأنجب منها النبي سليمان، وهذا ما يتناقى مع عصمة الأنبياء، ولم ينبه عليها، أو يردّها.³

4 . عدم ذكره للمصادر التي ينقل منها في التفسير، باستثناء تفسير الطبري وأحياناً فقط، ويأتي بألفاظ مبهمّة كقوله: "قال المفسرون، وقال أهل اللغة، وهذا عند أكثر أهل العلم..."، وأحياناً ينسب القول مباشرة لصاحبه دون ذكر المصدر أو الكتاب الذي نقل منه، فيقول: "وقال

¹ مكّي، الهداية، ج 1، ص 72

² المصدر نفسه، ج 1، ص 72

³ ينظر القصة الطويلة في الهداية، المصدر نفسه، ج 10، ص 6222

النحاس، وقال الفراء، وحكى الأخفش...، وغيرها من الألفاظ المهمة، وبعد المقارنة تبين لي أنه ينقل من كتبهم دون ذكرها، فمثلاً عند إعراب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ المؤمنون: ٥١ - ٥٢، قال مكي: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة" فتح "إن" في هذا على معنى "ولأن هذه". هذا قول البصريين. وقال الكسائي والفراء: هي في موضع خفض عطف على ما في قوله: إني بما تعلمون. وقال الفراء أيضاً: تكون في موضع نصب على إضمار فعل، والتقدير: واعلموا أن هذه أمة: نصب على الحال.¹ وبعد المقارنة تبين لي أنه ينقل من كتاب معاني القرآن للفراء، وأعراب القرآن للنحاس دون ذكره.²

5. التوسع والاستطراد في بعض القضايا، فقد أشرنا سابقاً أنه خصص أبواباً وفصولاً في العقيدة والفقه والنحو وغيرها، وتوقف عن التفسير، واستطرد أيضاً في ذكر قصص الأنبياء وأخبار السيرة وغيرها، وهذا يتناقض مع ما ذكره من الاختصار وعدم الإطناب، وبالتالي عدم الالتزام بمنهجه الذي اشترطه في مقدمته؛ حتى خرج أحياناً عن موضوع التفسير، وكان الأحرى به أن يخصص كتباً لذلك، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ المائدة: ١٠٦، حيث خصص كتاباً خاصاً بتفسير هذه الآية، وغيرها من المواضيع التي خصها بمؤلفات خاصة بها.

6. إكثاره من الأقوال دون ترجيح، حيث كان يذكر في تفسير بعض الآيات أكثر من عشرة أقوال ولا يرجح بينها، ويورد أكثر من رواية في سبب النزول ولكنه لا يرجح بينها.

7. كان مكي بن أبي طالب أثناء تفسيره في بعض الأحيان مقلداً أكثر منه مجتهداً، وجامعاً أكثر منه محققاً، وكثير الاعتماد على تفسير ابن عباس والطبري، ومن المعلوم أن الصحابي عبد الله بن

¹ مكي، الهداية، ج7، ص 4973

² ينظر: النحاس: أبو جعفر مجّد، "إعراب القرآن"، ج3، ص 81، و الفراء: أبو زكريا يحيى، "معاني القرآن"، ت: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط:1، ج2، ص 237، وقارن بين كلام مكي في الهداية وبينهما، ستجد نفس الكلام.

عباس - ﷺ - له روايات كثيرة في التفسير، وأغلبها ضعيف وموضوع خصوصاً رواية الكلبي المتهم بالوضع والكذب، وقد استشهد بها مكّي في تفسيره دون الإشارة إلى وضعها.

8 . قلة الاستطراد في آيات الأحكام، ولم يرجح رأيه في بعض المسائل الفقهية أحياناً، ومن ذلك

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ النساء: ٢٩،

بيّن أقوال الفقهاء في هذه الآية ولم يرجح بينها، فقال: "ومعنى ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ هو الخيار

فيما تبايعا فيه ما لم يفترقا من مجلسهما الذي تبايعا فيه، وهو قول الشافعي. وقيل: التراضي هو

الرضى بعقد البيع والشراء، فإذا تراضيا فقد تم البيع افترقا أو لم يفترقا، وهو قول مالك وأبي حنيفة

وأبي يوسف ومُحَمَّد. وقال القتيبي ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ عن موافقة منكم لما أحله الله

تعالى وتورع عما حرمه من القمار والربا والبيع الفاسدة. وقيل: ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ عن رضى من

البائع والمشتري¹.

9 . عدم نسبة القراءة لأحد وتوجيهها أحياناً، بغض النظر إن كانت صحيحة أو شاذة، وأحياناً

كان يرد بعض القراءات السبعة الصحيحة لمخالفتها اللغة ويستبعدوها، وقد أكد العلماء أن القرآن

حجة على اللغة ولا عكس.

10 . إكثاره من أقوال التابعين، وكان يذكر أقوالاً مختلفة متضاربة لهم ولا يعلق عليها أدنى تعليق أو

ترجيح بينها، ونستطيع أن نقول: إنّها أكثر من غيرها في تفسيره.

11 . استطراده في مسائل الإعراب والنحو مما يخرجه عن التفسير أحياناً، وغلب على تفسير مكّي

الاهتمام بقضايا اللغة والقراءات؛ وأقلّ من جانب الفقه والبلاغة، ولم يتكلم عن الاستعارة وهي

كثيرة في القرآن؛ مع أنه عقد فصلاً كاملاً لتعريفها.

12 . تردد مكّي بين النسخ والإحكام في بعض الآيات؛ حيث كان يذكر أقوالاً مختلفة في نسخ

بعض الآيات وعدمه، ويتركها بدون تعليق، وكان الأحرى أن يرجح، وخصوصاً أنه ألف كتابين في

¹ مكّي، الهداية، ج2، ص 1300

الناسخ والمنسوخ، وكذلك لتمكنه في جل العلوم، ولكن نجده يذكر الأقوال في النسخ والإحكام، ويتوقف على الترجيح.

13. قلة استشهاده بالشعر العربي في تفسيره رغم أن تفسيره من التفاسير اللغوية، واستطرد كثيراً في مسائل اللغة والنحو، ولكن بضاعته في الشعر قليلة إذا ما قورنت ببعض التفاسير اللغوية كتفسير أبي حيان وابن عطية، وصرح بذلك أثناء تفسيره، ولم يلتزم به، فقال: "كل ما يجوز في الشعر يجوز في القرآن، لأن الشعر أصل كلام العرب."¹ وكان يذكر البيت الشعري دون نسبة لقائله في الأغلب، وأحياناً يذكر كلمة، أو مقطع من البيت، وتكررت عدة أبيات شعرية في تفسيره.

وأخيراً هذه جملة من الملاحظات على تفسير مكي، وهي قليلة إذا ما قورنت بالإيجابيات التي تطرقنا إليها وذكرنا معظمها، ومع ذلك فإن مكي بن أبي طالب قد قام بجهد مبارك في تفسير كتاب الله - ﷻ -، وقدم للأمة الإسلامية تفسيراً قيماً فريداً يصلح أن يكون مرجعاً للعلماء والباحثين والدارسين وطلبة العلم، فرحم الله مفسرنا مكي بن أبي طالب رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته وتجاوز عنه بما قدم من خدمة جليلة لكتاب الله العزيز، وبما أسدى للأمة الإسلامية من معارف وعلوم ومؤلفات متعددة ونفعنا بها، وجمعنا وإياه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

¹ مكي، الهداية، ج12، ص7909

خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على عبده، ورسوله مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد انتهيت - بعون الله تعالى وتوفيقه - من إتمام هذا البحث وإكماله، وقد بذلت فيه جهدي وطاقتي، وأمضيت أكثر من أربع سنوات في تتبع منهج مكّي بن أبي طالب في تفسيره لكتاب الله - ﷻ -، واستفدت منه فوائد كثيرة، وخرجت بنتائج طيبة، وذلك من خلال قراءتي لكثير من كتب التفسير والحديث والفقه والعقيدة والتاريخ والتراجم وغيرها من مختلف العلوم المتعلقة بهذا البحث. ويجدر بي في نهاية هذا البحث أن أُبيّن أهم ما توصلتُ إليه من نتائج، وأهم التوصيات التي أراها تستحق الذكر.

أولاً: النتائج: قد تبين لي في ثنايا هذا البحث ما يلي:

1. أن مكّي بن أبي طالب علّم من أعلام هذه الأمة في التفسير والقراءات وغيرها من العلوم المرتبطة بكتاب الله - ﷻ -، وكان من نوادر عصره علماً وأدباً وفضلاً وكرماً ونبلاً، وترك مؤلفات عديدة، انتشر صيته بها في حياته، وحملت ذكره خالداً بعد وفاته، وجعلته موضع ثناء العلماء عليه إلى يومنا هذا.
2. عاش الإمام مكّي بن أبي طالب في فترة؛ كانت البلاد الإسلامية تعاني من تفكك واضمحلال؛ حيث استولى الفاطميون الملاحدة على مسقط رأسه القيروان، وانتشرت فتن خطيرة في الأندلس ومعظم المناطق التي تنقل بها، ولكن هذه الأحداث لم تؤثر على مردوده العلمي، وكانت عاملاً على نبوغه وتفوقه في جل العلوم.
3. يعتبر مكّي بن أبي طالب متفوقاً في علم القراءات فهو مثل ابن الجزري والداني وغيرهم، وأكثر من التصنيف في هذا العلم، وهو إمام القراء والمجودين منذ عصره وإلى يومنا هذا.
4. إن نسبة تفسير الهداية إلى مكّي بن أبي طالب لا يعتريه أدنى شك أو ريب ولا غبار عليه؛ فهو من تأليفه وإنتاجه وإخراجه.

- 5 . يُعدُّ تفسير مكّي بن أبي طالب من أوائل التفاسير الأندلسية التي وصلت إلينا، ومن أهم مراجع التفسير منذ القرن الخامس الهجري، وهو مرجع للمفسرين منذ عصر المؤلف، وبخاصة مفسري الأندلس كابن عطية والقرطبي وأبي حيان وابن جزّي الكلبي الغرناطي وغيرهم.
- 6 . جمع مكّي بن أبي طالب في تفسيره بين المأثور والرأي، فكان يفسر الآية بالقرآن؛ واعتبره مصدراً أولاً لا يجوز العدول عنه عند وجوده، ثم السنة، ثم أقوال الصحابة والتابعين، ويستعين بما فتح الله عليه في الإعراب والقراءات وغيرها، مما جعله تفسيراً جامعاً للكثير من الجوانب التفسيرية.
- 7 . رجع مكّي بن أبي طالب إلى مصادر متعددة؛ مما يجعل تفسيره يحتل مكانة عالية بين التفاسير.
- 8 . اهتم مكّي ببعض علوم القرآن كأسباب النزول والمكي والمدني وفضائل القرآن والناسخ والمنسوخ وغيرها.
- 9 . اهتم مكّي في تفسيره بالنحو والصرف والإعراب وغيرها من القضايا اللغوية، مما جعل تفسيره يحتل مكانة بين التفاسير اللغوية كتفسير الزمخشري وابن عطية وأبي حيان وغيرهم.
- 10 . مكّي بن أبي طالب فقيه مالكي، وله كتاب (المأثور عن مالك في أحكام القرآن) وغيره، ولكنّه في تفسيره لم يكن متعصباً له.
- 11 . هناك ملاحظات على تفسير مكّي، ولكنها لا تقارن بالإيجابيات الكثيرة، ولا تنقص من قيمته، ولا تقدح بشخصيته كعالم من علماء الأمة الإسلامية.
- 12 - لم يكن مكّي بن أبي طالب في تفسيره مقلداً لمن سبقوه أو مجرد ناقل لما كتبوه، بل كانت له شخصية مستقلة ينتقد ما لا يرضاه من آراء، ويُقر ما يراه الحق والصواب.
- 13 . يتميز تفسير مكّي بسهولة الأسلوب والعبارة، مما يسهل فهمه على العام والخاص.

ثانياً: التوصيات: من أهم التوصيات التي أوصي بها ما يلي:

- 1 . عمل دراسة علمية للجانب اللغوي في تفسير مكي، من طرف الباحثين والدراسين والمهتمين بهذا المجال.
 - 2 . عمل دراسة علمية على تخريج الأحاديث والآثار في تفسير مكي، من الباحثين والدراسين والمهتمين بهذا المجال.
 - 3 . عمل دراسة علمية على القراءات في تفسير الهداية؛ حيث يجد المهتم بالقراءات بغيته في هذا التفسير.
 - 4 . أوصي طلبة العلم والدارسين والمهتمين، بالرجوع إلى تفسير مكي في قضايا القراءات واللغة.
 - 5 . اقترح على طلبة العلم والدارسين والمهتمين؛ النظر في مؤلفات مكي المخطوطة وجمعها وتحقيقها وطباعتها، والمساعدة في ذلك من الجهات الرسمية والخاصة.
 - 6 . اقترح على طلبة العلم والدارسين والمهتمين؛ النظر في تحقيق المزيد من تفاسير منطقة المغرب العربي والأندلس مثل تفسير مكي، - وللعلم أن هناك تفسير لابن العربي المالكي غير أحكام القرآن لم يحقق بعد وغيره كثير - والعناية بها، والمساعدة في ذلك من الجهات الرسمية والخاصة.
- وختاماً فقد شاء المولى - ﷺ -، أن تكون رسالتي عن مكي بن أبي طالب ومنهجه في التفسير، ولا أزعم لنفسي الإحاطة بجميع مباحث الدراسة، والإلمام بكل ما يقتضيه البحث، لكنني - بإذن الله - لم أقصر في بحث ودراسة ما أعتقده جيداً بذلك، فإن وفقْتُ في شيء من ذلك، فله الفضل وله الحمد أولاً وآخراً، وإن قصرتُ، فحسبي أنني حاولت وبذلت وسعي في تقديم تفسير مكي بن أبي طالب، إلى الباحثين والدارسين، عسى أن يكون هذا التقديم باعثاً على دراسة جوانب أخرى من تراثه، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس الفنية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثاً: فهرس الأشعار.

رابعاً: فهرس الأعلام.

خامساً: فهرس المصادر والمراجع.

سادساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

الآية ورقمها	الصفحة
سورة الفاتحة:	
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الفاتحة: ٢	260,247,196,161
﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ الفاتحة: ٤	222,161,120,113
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ الفاتحة: ٥	263,139
﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ الفاتحة: ٦	133
﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة: ٧	179,158,107
سورة البقرة:	
﴿ أَلَمْ ﴿١﴾ ﴾ البقرة: ١	239
﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢	260,105
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ ﴾ البقرة: ٦	312,239,223,217
﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴿٧﴾ ﴾ البقرة: ٧	223,108
﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٩﴾ ﴾ البقرة: ٩	217
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠	218,162
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴿١١﴾ ﴾ البقرة: ١١	151
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ ﴿١٦﴾ ﴾ البقرة: ١٦	152
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴿١٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧	283

260	﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ البقرة: ١٩
218,215,153	﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ البقرة: ٢٠
233,152	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ البقرة: ٢١
207	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ البقرة: ٢٢
265,235,158	﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ البقرة: ٢٣
126	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ ﴾ البقرة: ٢٦
312,131	﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٧
153	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي ﴾ البقرة: ٣٠
158	﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ البقرة: ٤٠
178	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ البقرة: ٤٣
268, 152	﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ البقرة: ٥٣
240	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ البقرة: ٦٢
255,111	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾ البقرة: ٦٧
322	﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٨
253, 158	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ البقرة: ٨٣
213	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ البقرة: ٨٨

159	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ البقرة: ٨٩
264	﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ﴾ البقرة: ٩٦
199، 166	﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَى ﴾ البقرة: ١٠٢
276، 268، 266، 251	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ البقرة: ١٠٦
252	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ البقرة: ١٠٩
242، 240، 239	﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ البقرة: ١١٥
204، 137	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ البقرة: ١١٦
219، 163	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ البقرة: ١١٩
244	﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ ﴾ البقرة: ١٢٠
246	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ ﴾ البقرة: ١٢١
133	﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ البقرة: ١٢٤
163	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ﴾ البقرة: ١٢٨
204	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾ البقرة: ١٣٢
308	﴿ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾ البقرة: ١٣٧
311، 291، 169	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣
240	﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ البقرة: ١٤٤

224،219	﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ البقرة: ١٤٨
152	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ البقرة: ١٥١
174	﴿ إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١٥٨
167	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ البقرة: ١٦٤
190	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ﴾ البقرة: ١٦٥
314	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا لَوْ ﴾ البقرة: ١٦٧
164،108 ،97	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ ﴾ البقرة: ١٧٨
182	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ ﴾ البقرة: ١٨٠
241	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ البقرة: ١٨٤
228	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ ﴾ البقرة: ١٨٥
242	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ البقرة: ١٨٦
276 ،167	﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ﴾ البقرة: ١٨٧
257	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم ﴾ البقرة: ١٨٨
323	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾ البقرة: ١٨٩
295 ،254 ،168،116	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٠
252	﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ البقرة: ١٩١

297، 264	﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٦
321، 269، 128	﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ البقرة: ١٩٨
208	﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ البقرة: ٢١١
190	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ﴾ البقرة: ٢١٣
253	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ البقرة: ٢١٧
186	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ البقرة: ٢١٩
269	﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ﴾ البقرة: ٢٢١
298	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ البقرة: ٢٢٢
296	﴿ نِسَاءُكُمْ حَرَّتُمْ لَكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٣
270	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٤
254	﴿ وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ البقرة: ٢٢٨
298	﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ﴾ البقرة: ٢٢٩
297، 269، 184	﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى ﴾ البقرة: ٢٣٠
208	﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ البقرة: ٢٣١
224	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ ﴾ البقرة: ٢٣٣
193، 180، 168	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ ﴾ البقرة: ٢٣٨

304	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا ﴾ البقرة: ٢٥٤
304،249	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ البقرة: ٢٥٥
310	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ البقرة: ٢٥٦
163	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ البقرة: ٢٥٨
137	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ البقرة: ٢٦٩
163	﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ البقرة: ٢٧٢
280	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي ﴾ البقرة: ٢٧٣
232	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٨١
249	﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ البقرة: ٢٨٤
سورة آل عمران:	
309	﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ آل عمران: ٦
80،109	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ آل عمران: ٧
220	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي ﴾ آل عمران: ١٣
311،285،178	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران: ١٩
268	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ آل عمران: ٣٧
225	﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾ آل عمران: ٣٩

167	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ ﴾ آل عمران: ٥٢
164	﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ ﴾ آل عمران: ٥٣
305	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ آل عمران: ٥٥
322	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٧٩
322	﴿ وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ﴾ آل عمران: ٨٠
269	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ٩٦
208	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ آل عمران: ١٠٣
312	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ ﴾ آل عمران: ١٠٦
192	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴾ آل عمران: ١١٠
97	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ ﴾ آل عمران: ١١٢
208	﴿ هَآأَنْتُمْ أَولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ ﴾ آل عمران: ١١٩
222	﴿ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ آل عمران: ١٢٠
151	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا ﴾ آل عمران: ١٣٠
204	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ ﴾ آل عمران: ١٣٣
161،144	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ آل عمران: ١٤٤
215	﴿ وَكَأَيِّنْ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ ﴾ آل عمران: ١٤٦

104	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ ﴿ آل عمران: ١٥٤ ﴾
191	﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً ﴿ آل عمران: ١٦٥ ﴾
204	﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ ﴿ آل عمران: ١٨٤ ﴾
185	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴿ آل عمران: ١٨٨ ﴾
240،241	﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ ﴿ آل عمران: ١٩٩ ﴾
سورة النساء:	
167	﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴿ النساء: ٢ ﴾
109	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴿ النساء: ١١ ﴾
184	﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴿ النساء: ١٢ ﴾
170	﴿ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ ﴿ النساء: ١٥ ﴾
170	﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمُ ﴿ النساء: ١٦ ﴾
81	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ ﴿ النساء: ٢٣ ﴾
298،183	﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ﴿ النساء: ٢٤ ﴾
298	﴿ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا ﴿ النساء: ٢٥ ﴾
250	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿ النساء: ٢٦ ﴾
250	﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴿ النساء: ٢٧ ﴾

250	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ النساء: ٢٨
326,178,116	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ﴾ النساء: ٢٩
250	﴿ إِنْ تَجَتَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا ﴾ النساء: ٣١
250	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ النساء: ٤٠
186	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا ﴾ النساء: ٤٣
250,236, 314	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ النساء: ٤٨
243,227	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ﴾ النساء: ٥٨
243,244	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ النساء: ٥٩
205	﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ النساء: ٦٦
158	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ النساء: ٦٩
164	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا ﴾ النساء: ٧٧
154	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ﴾ النساء: ٨٣
159	﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً ﴾ النساء: ٨٥
236,185	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ النساء: ٩٣
222	﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ٩٥
296	﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ﴾ النساء: ١٠٢

171	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ النساء: ١٠٥
250	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ النساء: ١١٠
250	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ النساء: ١١٦
185	﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلٍ ﴾ النساء: ١٢٣
225	﴿ وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ﴾ النساء: ١٢٨
274	﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ ﴾ النساء: ١٣٠
274	﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ﴾ النساء: ١٣١
274	﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ﴾ النساء: ١٣٢
250	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ النساء: ١٥٢
301	﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ ﴾ النساء: ١٥٣
129	﴿ وَبَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا ﴾ النساء: ١٥٦
277	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ﴾ النساء: ١٥٧
262،211	﴿ لَكِنَّ الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ النساء: ١٦٢
295	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي ﴾ النساء: ١٧١
231	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ﴾ النساء: ١٧٦
سورة المائدة:	

230,227,195,181	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ ﴾ المائدة: ٣
298,175	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ المائدة: ٥
279,256,231,166	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ ﴾ المائدة: ٦
208	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا ﴾ المائدة: ١١
276	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ المائدة: ١٩
164	﴿ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ المائدة: ٢١
195	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي ﴾ المائدة: ٣٢
181	﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ فَاقْتَعُوا ﴾ المائدة: ٣٨
309	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ﴾ المائدة: ٤١
296	﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ ﴾ المائدة: ٤٥
205	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلُوآءَ ﴾ المائدة: ٥٣
205	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ ﴾ المائدة: ٥٤
302,300	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ﴾ المائدة: ٦٤
212	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ المائدة: ٦٩
308	﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ المائدة: ٧٠

277	﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ المائدة: ٧٥
146	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً ﴾ المائدة: ٨٢
186,184	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ ﴾ المائدة: ٩٠
186	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ ﴾ المائدة: ٩١
80	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ ﴾ المائدة: ١٠٣
326,270	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ المائدة: ١٠٦
81	﴿ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ ﴾ المائدة: ١٠٨
سورة الأنعام:	
165	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾ الأنعام: ١
284	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ الأنعام: ٢
102	﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ الأنعام: ١٦
128	﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ الأنعام: ٢٨
261	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي ﴾ الأنعام: ٣٣
164	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ الأنعام: ٣٨
170	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ الأنعام: ٤٤
222	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ ﴾ الأنعام: ٤٦

253	﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ الأنعام: ٦٦
253	﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ ﴾ الأنعام: ٧٠
285	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾ الأنعام: ٧٣
160	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ الأنعام: ٧٦
160	﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾ الأنعام: ٨١
182	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ﴾ الأنعام: ٨٢
160	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتْنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنعام: ٨٣
128،127	﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ﴾ الأنعام: ١١٠
313	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ الأنعام: ١١٢
290،175	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ﴾ الأنعام: ١٢١
183	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ ﴾ الأنعام: ١٤١
256	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ الأنعام: ١٤٥
305	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ الأنعام: ١٥٨
125	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ﴾ الأنعام: ١٦٢
سورة الأعراف:	
276	﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ الأعراف: ٦

307	﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ الأعراف: ٨
316،205	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ ﴾ الأعراف: ٤٣
300،115	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ ﴾ الأعراف: ٥٤
205	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ الأعراف: ٧٥
165	﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ ﴾ الأعراف: ١١٥
302	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا ﴾ الأعراف: ١٤٣
164	﴿ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴾ الأعراف: ١٥٦
257	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ ﴾ الأعراف: ١٥٧
190	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ الأعراف: ١٧٢
314	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ﴾ الأعراف: ١٧٥
246	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٧٦
314	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾ الأعراف: ١٧٩
سورة الأنفال:	
148	﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ ﴾ الأنفال: ٥
148	﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ الأنفال: ٦
115	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا ﴾ الأنفال: ٣٢

221	﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ ﴾ الأنفال: ٤٤
272	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ الأنفال: ٥٨
321	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ الأنفال: ٦٠
سورة التوبة:	
129	﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة: ٤
255,253,168,116	﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ ﴾ التوبة: ٥
286	﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ التوبة: ٨
129	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا ﴾ التوبة: ٢٨
252	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ التوبة: ٢٩
292	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ ﴾ التوبة: ٣١
254,168,167,116	﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٦
267,165	﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ التوبة: ٤٠
168	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا ﴾ التوبة: ٤١
165	﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ ﴾ التوبة: ٤٧
164	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ﴾ التوبة: ٥١
213	﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا ﴾ التوبة: ٥٧

213	﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ التوبة: ٥٨
266،163	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم ﴾ التوبة: ٦٧
205	﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي ﴾ التوبة: ٨٩
165	﴿ وَعَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ١٠٦
205،85	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ التوبة: ١٠٧
168	﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا ﴾ التوبة: ١٢٢
سورة يونس:	
225،212،115	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يونس: ٢٤
191	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦
159	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ يونس: ٣٨
129	﴿ أَنتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾ يونس: ٥١
85	﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ ﴾ يونس: ٦٥
214	﴿ وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ ﴾ يونس: ٧١
سورة هود:	
164،115	﴿ وَلَئِن أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ ﴾ هود: ٨
169	﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا ﴾ هود: ١٢

235	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ هود: ١٣
310	﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ ﴾ هود: ٣٤
115	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ هود: ٤٠
158,130,110	﴿ وَأُمَّرَاتُهُ وَقَائِمَةٌ فَضَحِكْتِ ﴾ هود: ٧١
226	﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ هود: ٨١
270,267,110,109,83	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ ﴾ هود: ١٠٧
267	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ ﴾ هود: ١٠٨
سورة يوسف:	
273,200	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ يوسف: ٢٤
201	﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ يوسف: ٢٦
201	﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا ﴾ يوسف: ٢٧
201	﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ ﴾ يوسف: ٢٨
201	﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ ﴾ يوسف: ٣٣
148	﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا ﴾ يوسف: ٨٨
148	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ ﴾ يوسف: ٨٩
سورة الرعد:	

169	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴿ الرعد: ٧
280	﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ ﴿ الرعد: ١٠
177	﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ ﴿ الرعد: ١١
160	﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴿ الرعد: ٢٤
232	﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴿ الرعد: ٣١
252	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿ الرعد: ٣٩
232	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ ﴿ الرعد: ٤٣
سورة إبراهيم:	
صفحة الشكر	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴿ إبراهيم: ٧
215	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴿ إبراهيم: ١٨
180	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ ﴿ إبراهيم: ٢٤
239،208	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ﴿ إبراهيم: ٢٨
208،170	﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴿ إبراهيم: ٣٤
160	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ ﴿ إبراهيم: ٣٥
267	﴿ يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ ﴿ إبراهيم: ٤٨
سورة الحجر:	

245	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا ﴿ الحجر: ٩
310،282	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴿ الحجر: ٣٩
282	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ ﴿ الحجر: ٤٠
سورة النحل:	
115،114	﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴿ النحل: ١
160	﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ﴿ النحل: ٢٧
171	﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿ النحل: ٤٤
171	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴿ النحل: ٦٤
246	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴿ النحل: ٧٠
208	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿ النحل: ٧٢
280	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا ﴿ النحل: ٧٣
208	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ﴿ النحل: ٨٣
208	﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ ﴿ النحل: ١١٤
215	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴿ النحل: ١١٦
163	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴿ النحل: ١٢٠
114	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ﴿ النحل: ١٢٦

سورة الإسراء:	
160	﴿ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ الإسراء: ٧
177	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ الإسراء: ١٦
302	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ الإسراء: ٢٣
صفحة الإهداء	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾ الإسراء: ٢٤
195	﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ الإسراء: ٢٥
167،286	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً ﴾ الإسراء: ٣١
200	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ ﴾ الإسراء: ٣٢
169	﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ﴾ الإسراء: ٥٨
302	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ الإسراء: ٦٠
236	﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ ﴾ الإسراء: ٧٦
304	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً ﴾ الإسراء: ٧٩
318	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ الإسراء: ٨٥
271	﴿ قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ الإسراء: ٨٨
301،214	﴿ أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَت ﴾ الإسراء: ٩٢
205	﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ ﴾ الإسراء: ٩٣

308	﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُشْرِكْ بِهِ أَحَدٌ ﴾ الإسراء: ١١١
سورة الكهف:	
245	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الكهف: ١
260	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾ الكهف: ٦٠
161،153	﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ الكهف: ٦١
161	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى كَهْفِنَا ﴾ الكهف: ٦٣
165	﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَمِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ الكهف: ٧٢
166	﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ﴾ الكهف: ٧٥
285	﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ بَيْتِهِمَا ﴾ الكهف: ٧٧
266	﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ ﴾ الكهف: ٧٩
130	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ ﴾ الكهف: ١٠٣
سورة مريم:	
190	﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ مريم: ١٧
110	﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ﴾ مريم: ٥٤
139	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ مريم: ٥٩
307	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ مريم: ٧١

261	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ ﴾ مريم: ٧٥
سورة طه:	
176	﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْجَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ طه: ١٢
160	﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ طه: ٤٩
163	﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى ﴾ طه: ٥٠
106	﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ طه: ٥٢
283,280,212	﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ ﴾ طه: ٦٣
237	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ طه: ٨٢
311	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا ﴾ طه: ١٢١
سورة الأنبياء:	
115	﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الأنبياء: ١
192	﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ الأنبياء: ٢٠
304	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الأنبياء: ٢٨
161	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَن قَبْلِكَ ﴾ الأنبياء: ٣٤
214	﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِبْرُهُمْ ﴾ الأنبياء: ٦٣
169	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ الأنبياء: ٧٣

315	﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَظِبًا ﴾ الأنبياء: ٨٧
325	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ ﴾ الأنبياء: ٩٢
267،192	﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ﴾ الأنبياء: ١٠٤
سورة الحج	
234	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ الحج: ١
234	﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تَذْهَلُ ﴾ الحج: ٢
84	﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ الحج: ١٣
234	﴿ هَذَانِ حَصَمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ الحج: ١٩
261	﴿ وَإِكْلِ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ﴾ الحج: ٣٤
سورة المؤمنون:	
184	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ ﴾ المؤمنون: ٥
287	﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ المؤمنون: ٣٦
165	﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ﴾ المؤمنون: ٥٠
سورة النور:	
311	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ ﴾ النور: ٢
186	﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ النور: ٣

299,293	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ النور: ٤
139,318,214	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ النور: ٣٥
275	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ ﴾ النور: ٤١
261	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ﴾ النور: ٤٥
257	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ النور: ٥٤
303	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ النور: ٥٥
257	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ النور: ٦١
سورة الفرقان:	
302,301	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ الفرقان: ٢١
229	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴾ الفرقان: ٣٢
229	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ ﴾ الفرقان: ٣٣
153	﴿ فَقُلْنَا أذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ ﴾ الفرقان: ٣٦
224	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الفرقان: ٦١
سورة الشعراء:	
153	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ الشعراء: ٢٢
272	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء: ٢٣

81	﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانَ ﴾ الشعراء: ٦١
263	﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا ﴾ الشعراء: ١٤٨
268	﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ الشعراء: ٢١٠
255،237	﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ الشعراء: ٢٢٧
سورة النمل:	
165	﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ النمل: ٢١
270	﴿ إِنَّهُ وَمِن سُلَيْمَانَ ﴾ النمل: ٣٠
164	﴿ قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ النمل: ٤٧
306	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ النمل: ٨٢
سورة القصص:	
103	﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ ﴾ القصص: ٢٧
153	﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ القصص: ٣٢
169	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ ﴾ القصص: ٤١
169	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى ﴾ القصص: ٥٩
311	﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ القصص: ٦٣
162	﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ أَلِيلًا ﴾ القصص: ٧٣

153	﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ ﴾ القصص: ٨٢
235	﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ القصص: ٨٥
سورة العنكبوت:	
179	﴿ أَيُنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ العنكبوت: ٢٩
237	﴿ وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ العنكبوت: ٤٦
309	﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ العنكبوت: ٤٨
سورة الروم:	
115	﴿ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾ الروم: ٤
162	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ الروم: ٢٣
سورة لقمان:	
182	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ ﴾ لقمان: ١٣
208	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي ﴾ لقمان: ٣١
سورة السجدة:	
244	﴿ أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ السجدة: ١٨
253	﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ ﴾ السجدة: ٣٠
سورة الأحزاب:	

224،212	﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأحزاب: ٦
148،145	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا ﴾ الأحزاب: ٩
266	﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ الأحزاب: ٣٣
126	﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ ﴾ الأحزاب: ٣٧
267	﴿ تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ ﴾ الأحزاب: ٥١
257	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الأحزاب: ٥٣
سورة سبأ:	
263،104،103	﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ ﴾ سبأ: ١٣
304	﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ ﴾ سبأ: ٢٣
سورة فاطر:	
208،83	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فاطر: ٣
314	﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ فاطر: ٨
83	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ فاطر: ٣٢
سورة يس:	
212	﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يس: ٢٩
160	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ﴾ يس: ٤٥

137	﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ ﴾ يس: ٦٧
سورة الصافات:	
165	﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿٦٨﴾ الصافات: ٦٨
160	﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ﴿٨٤﴾ الصافات: ٨٤
110	﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ﴿١٠١﴾ الصافات: ١٠١
255،111	﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٠٧﴾ الصافات: ١٠٧
197	﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ﴾ الصافات: ١٢٥
313	﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿١٦١﴾ الصافات: ١٦١
313	﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ ﴾ ﴿١٦٢﴾ الصافات: ١٦٢
313	﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿١٦٣﴾ الصافات: ١٦٣
سورة ص:	
281	﴿ وَأَنْطَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾ ص: ٦
163	﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ ﴾ ص: ٢٢
325	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ ﴾ ص: ٢٤
أ	﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ ﴾ ص: ٢٩
سورة الزمر:	

170	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣
209	﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الزمر: ١٧
209	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾ الزمر: ١٨
170	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ ﴾ الزمر: ٣٢
283	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ الزمر: ٣٣
237,233	﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ الزمر: ٥٣
128	﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي ﴾ الزمر: ٥٦
128	﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ ﴾ الزمر: ٥٧
128	﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ﴾ الزمر: ٥٨
سورة غافر:	
209	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ ﴾ غافر: ١٨
267	﴿ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ ﴾ غافر: ٢٩
209	﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا ﴾ غافر: ٤٦
209	﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ غافر: ٤٧
242	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ﴾ غافر: ٦٠
224	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ غافر: ٦٧

169	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا ﴾ غافر: ٧٨
129	﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ غافر: ٨٤
129	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ ﴾ غافر: ٨٥
سورة فصلت:	
213	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ فصلت: ٥
163	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا ﴾ فصلت: ١٧
272,270	﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ ﴾ فصلت: ٢٠
168	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ فصلت: ٣٤
313	﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا ﴾ فصلت: ٤٣
سورة الشورى:	
287	﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ ﴾ الشورى: ٣
300	﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الشورى: ١١
237	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ الشورى: ٢٥
168	﴿ وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ الشورى: ٤١
سورة الزخرف:	
310,105	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الزخرف: ٣

276	﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ ﴾ الزخرف: ١٩
164	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ﴾ الزخرف: ٢٢
23	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ الزخرف: ٣٦
282	﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ ﴾ الزخرف: ٨٠
233،137	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ﴾ الزخرف: ٨٧
سورة الدخان:	
149	﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴾ الدخان: ٤٣
149	﴿ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ الدخان: ٤٤
سورة الجاثية:	
117	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ ﴾ الجاثية: ١٤
سورة الأحقاف:	
235،192	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ الأحقاف: ١٠
صفحة الإهداء	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ الأحقاف: ١٥
309	﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا ﴾ الأحقاف: ٢٨
سورة محمد:	
255	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ ﴾ محمد: ٤

177	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴾ ﴿ محمد: ٣٥
سورة الفتح:	
117	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ ﴿ الفتح: ١
275	﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ ﴿ الفتح: ١١
179	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿ الفتح: ٢٦
239	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ﴿ الفتح: ٢٩
سورة الحجرات:	
187	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدِّمُوا ﴾ ﴿ الحجرات: ١
275	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ ﴾ ﴿ الحجرات: ١١
سورة ق:	
306	﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ ق: ٤٢
306	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ ﴿ ق: ٤٣
306	﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ ﴿ ق: ٤٤
سورة الذاريات:	
158،130	﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ ﴿ الذاريات: ٢٨
81	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴾ ﴿ الذاريات: ٥٦

277	﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ الذاريات: ٥٩
سورة الطور:	
208	﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ الطور: ٢٩
سورة النجم:	
256	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ النجم: ٣
سورة القمر:	
282	﴿ فَادْرَأْ صَاحِبَهُمْ ﴾ القمر: ٢٩
سورة الرحمن:	
153	﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ الرحمن: ٢٢
صفحة الشكر	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ ﴾ الرحمن: ٦٠
سورة الواقعة:	
98	﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ الواقعة: ٢١
279	﴿ وَحُورٍ عِينٍ ﴾ الواقعة: ٢٢
229	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ الواقعة: ٧٥
سورة الحديد:	
137	﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ ﴾ الحديد: ١٥

سورة المجادلة:	
164	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ المجادلة: ٢٢
سورة الحشر:	
187	﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ ﴾ الحشر: ٧
سورة الممتحنة:	
254	﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ ﴾ الممتحنة: ٨
سورة الجمعة:	
295	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ ﴾ الجمعة: ٩
سورة الطلاق:	
184	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ ﴾ الطلاق: ١
سورة الملك:	
249	﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾ الملك: ١
313	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ الملك: ١٤
سورة القلم:	
230	﴿ تَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ القلم: ١
230	﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ القلم: ٢

230	﴿ فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ القلم: ٥ ﴾
سورة المزمل:	
231	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ المزمل: ١ ﴾
سورة المدثر:	
231	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ المدثر: ١ ﴾
231	﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ المدثر: ٢ ﴾
174	﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ المدثر: ٥٦
سورة القيامة:	
255،112	﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ القيامة: ١٩ ﴾
سورة الإنسان:	
151	﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ الإنسان: ١٨ ﴾
129	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾ الإنسان: ٢٠
221	﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ ﴾ الإنسان: ٢١
سورة المطففين:	
108	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ المطففين: ٢
301	﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ ﴾ المطففين: ١٥

سورة الانشقاق:	
178	﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ ﴾ الانشقاق: ٢
133	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ ﴾ الانشقاق: ١٠
سورة الغاشية:	
281	﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الغاشية: ١٢
سورة الفجر:	
140	﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الفجر: ١٣
سورة الضحى:	
231	﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ ﴾ الضحى: ١
231	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ الضحى: ٢
81	﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴿٥﴾ ﴾ الضحى: ٥
185	﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى: ١١
سورة التين:	
246	﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ التين: ٥
سورة العلق:	
230،146	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١

231،230	﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ العلق: ٥ ﴾
174	﴿ كَلَّا لَا تَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ العلق: ١٩ ﴾
سورة البينة:	
311	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ﴿٥﴾ البينة: ٥ ﴾
سورة العاديات:	
273	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ العاديات: ٦ ﴾
273	﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ العاديات: ٧ ﴾
273	﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ العاديات: ٨ ﴾
سورة التكاثر:	
190	﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ التكاثر: ١ ﴾
سورة الكوثر:	
179	﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴿١﴾ الكوثر: ١ ﴾
سورة الكافرون:	
313،239	﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ الكافرون: ٣ ﴾
سورة الناس:	
223،113	﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ الناس: ٢ ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

الصفحة	عزوه	طرف الحديث أو الأثر
صفحة الشكر	مسند الإمام أحمد	لَا يَشْكُرُ اللَّهُ
صفحة الشكر	مسند الإمام أحمد	وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا
98	صحيح البخاري	أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ
127	صحيح البخاري	حادثة الإسراء
131	مسند الإمام أحمد	لأمثلن بثلاثين
166	المسند الصحيح	حدثني رجل من بني غفار
166	مجمع الزوائد	لم تقاتل الملائكة في يوم
167	مجمع الزوائد	كنت أسلمت مع العباس
167	مسند الإمام أحمد	أسر أبو اليسر
168,212	مسند الإمام أحمد	فرضت الصلاة
168	مسند الإمام أحمد	قلنا يوم الخندق
168	مجمع الزوائد	كانت معي يوم الخندق
168	لم أقف له على تخريج	كان المسلمون
168	رواه الطبري	لما برز
169,161	رواه الطبري	نادى مناد
169	مجمع الزوائد	قالت الجنوب للشمال
170	رواه الطبري	أرسلت على الأحزاب
170	صحيح البخاري	بيننا أنا يوم بدر
170	رواه الطبري	بعث النجاشي
171	رواه الطبري	أول ما ابتدئ به
173	رواه الطبري	لما دخل إليهما إبليس
173	رواه الطبري	لما بلغ عيسى

173	رواه الطبري	بلغني أنه لما كلموه
174	رواه الطبري	خرجوا مع
174	رواه الطبري	كانت الجنود قريشا
174	سيرة ابن هشام	فكانت وقعة الخندق
175	رواه الطبري	يا معشر قريش
187	رواه الطبري	أعرضوا عما جاء
193	رواه الطبري	نأمرك بتركها
308،200،134	رواه الطبري	الآية محكمة
202	رواه الطبري	عام لكل ثيب وبكر
204	مسند الإمام أحمد	أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ
205	مسند الإمام أحمد	صليت خلف
205	مسند الإمام أحمد	يفتح الصلاة
206	صحيح ابن خزيمة	صليت خلف
206	مسند الإمام أحمد	أَلَا أَعَلِّمُكَ سُورَةَ
234،206	مسند الإمام أحمد	كُلِّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ
206	مسند الإمام أحمد	وحدیث الإفك
206	مسند الإمام أحمد	إن الله يقول
207	صحيح البخاري	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي
207	المسند الصحيح	أقرب ما يكون العبد
359،331،208	رواه الطبري	هو تطوع
208،359	المسند الصحيح	لما دنا من الصفا
209	رواه الطبري	وذبيحة نصارى تغلب
209	موطأ الإمام مالك	سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ
209	رواه الطبري	كانتا من جلد

298،210	المسند الصحيح	أعطيت البقرة من الذكر
210	مسند الإمام أحمد	الله ملائكة
211	مسند الإمام أحمد	خير المال سكة
211	مسند الإمام أحمد	من فاتته صلاة العصر
211	صحيح البخاري	ما أذن الله لشيء
211	صحيح البخاري	بني الإسلام على خمس
211	صحيح البخاري	لا ترجعوا بعدي
213	مسند الإمام أحمد	المغضوب عليهم
213	مسند الإمام أحمد	كانوا يخذفون أهل
213	صحيح البخاري	كلمة التقوى
214	صحيح البخاري	هي النخلة
230،214	المسند الصحيح	الوسطى صلاة
214	موطأ الإمام مالك	من شهد الصبح
215	المغني	بيننا وبين المنافقين
215	صحيح البخاري	لو يعلمو ما في العتمة
215	صحيح البخاري	الثلاث، والثلاث
215	سنن ابن ماجه	أحلت لكم ميتتان
215	صحيح البخاري	ربع دينار
216	مسند الإمام أحمد	لا قطع في ثمر
216	صحيح البخاري	ليس الأمر كما
217	سنن ابن ماجه	لا وصية
217	تفسير ابن كثير	ما سقط عن
218	صحيح البخاري	حرم المتعة
218	المسند الصحيح	من شرب الخمر

218	مسند الإمام أحمد	حتى تذوق
220	مسند الإمام أحمد	وإن لمجزون بأعمالنا؟
221	مسند الإمام أحمد	اللهم بين لنا في الخمر
222	مسند الإمام أحمد	لاحي رجلا
222	رواه الطبري	نزلت في قوم من المؤمنين
222	مسند الإمام أحمد	استأذن رجل من المؤمنين
223	صحيح البخاري	نزلت في سب كلام
223	مسند الإمام أحمد	نهى النبي - ﷺ - عن إحصاء
223,311	صحيح البخاري	حرم لحوم الحمر
223	مسند الإمام أحمد	نفي البكر
223	صحيح البخاري	قصة ماعز والغامدية
223	صحيح البخاري	أن تنكح المرأة على
224	صحيح البخاري	يجرم من الرضاع
224	صحيح البخاري	مره يراجعها
281,226	تخريج الكشاف	كل شيء في القرآن
226	صحيح البخاري	من مات يجعل لله نداً
226	رواه الطبري	الحج فريضة
226	مسند الإمام أحمد	كان جميع الخلق أمة
226	رواه الطبري	كان روح عيسى بن مريم
227	صحيح البخاري	لو أن لابن آدم واديين
227	رواه الطبري	إن جبريل أتى النبي - ﷺ -
227	رواه الطبري	الزيادة غرفة من
228	رواه الطبري	لم يكن نبياً ولا ملكاً
228	صحيح البخاري	إن الصلاة أول ما فرضت

228	صحيح البخاري	خير الناس للناس
228	المغني	يوضع الميزان يوم القيامة
283,229	صحيح البخاري	ما سمعت النبي - ﷺ -
229	رواه الطبري	ملك اسمه السجل
229	رواه الطبري	إن الله جزأ الخلق
230	مسند الإمام أحمد	هي الظهر
230	رواه الطبري	كان يصلي في الهاجرة والناس
230	رواه الطبري	هي المغرب لكونها
232	المسند الصحيح	خَيْرُكُمْ قَرْنِي
232	رواه الطبري	هي المبادرة: تكون من الرجل
233	رواه الطبري	من قتل نبيا أو إماماً عدلاً
233	الكتاب المصنف	أول ما خاطبه بالوحي
235	رواه الطبري	كان عبداً حبشياً
245	صحيح البخاري	هكذا أنزل
251	مسند الإمام أحمد	ما حملكم على أن عمدتم
251	لم أقف له على تخريج	آخر ما نزل
252	مسند الإمام أحمد	أعطيت السبع الطونل
253	كنز العمال	أرى فيه لحناً
267	مسند الإمام أحمد	قرأ "مالك" بألف
275	المستدرک	حديث نزول القرآن
275	مسند الإمام أحمد	أنزل الله القرآن جملة
278	مسند الإمام أحمد	بكى عمر
282	سنن الترمذي	نزلت سورة الحج
283	رواه الطبري	إننا نجد في التوراة

290	سنن ابن ماجه	كنا مع رسول الله
290	سنن ابن ماجه	إن أخاكم النجاشي
291	مسند الإمام أحمد	أصحاب سلمان الفارسي
292	تخريج الظلال	نزلت في سائل سأل
292	رواه الطبري	كيف يكون الله قريبا
293	رواه الطبري	خوطف بهذا النبي - ﷺ -
293	رواه الطبري	مفاتيح الكعبة
295	أسباب نزول القرآن	إنهم سألو النبي - ﷺ -
297	المستدرک	نجيء البقرة وآل عمران
302،299	مسند الإمام أحمد	لكل شيء سنم
299	لم أقف له على تخريج	ما معك من القرآن؟
300	سنن الدارمي	أي القرآن أعظم؟
300	لم أقف له على تخريج	سورة المائدة تدعى
300	سنن الترمذي	ألا أخبركم بسورة
300	تخريج الكشاف	من داوم قراءة الواقعة
301	سنن الترمذي	كان لا ينام حتى
301	مسند الإمام أحمد	أعطيت آيات من كنز
301	مسند الإمام أحمد	أي ما أنزل عليك
301	سنن الترمذي	من قرأ آية الكرسي إذا
312	مسند الإمام أحمد	لا يجل مال امرئ
354	لم أقف له على تخريج	ثواب الرجل مع الزوجة
370	التعليقات الحسان	الخلافة بعدي ثلاثون
371	صحيح البخاري	أعطيت خمسا لم يعطهن
372	الكتاب المصنف	كيف تهلك أمة

373	المستدرک	ترفع عند ذلک التوبة
381	مسند الإمام أحمد	والذی نفسی بیده
386	مسند الإمام أحمد	لا یدخل الجنة أحد
396	الکتاب المصنف	المسلم مرآة أخیه

ثالثاً: فهرس الأشعار.

الصفحة	قائله	البيت الشعري
28	زهير	وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
322	النابعة الذبياني	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
340	لم أجده	شَرَابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطٍ
340	لم أجده	وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا
340	لم أجده	عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا
340	الراعي النميري	إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيْونَا
341	إمرئ القيس	عَلَى لَا حِبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَابِي جَرَجِرَا
341	الخنساء	تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
341	ابن قيس الرقيات	بَكَرْتُ عَلَيَّ عَوَازِلِي يَلْحَيْنِي وَأَلْوْمُهُنَّ
341	ابن قيس الرقيات	وَيَقْلُنَّ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبُرَتْ فُقُلْتُ إِنَّهُ
342	المرار الأسدي	لَقَدْ عَلِمْتُ أَوْلَى الْمَغِيرَةِ أَنَّنِي كَرَرْتُ، فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا
342	لم أجده	مِثْلِي لَا يُحْسِنُ قَوْلَ فَعْفَعٍ وَالشَّاهُ لَا تَمَشِي عَلَى الْهَمْلَعِ
343	الطفيل الغنوي	إِذْ هِيَ أَحْوَى مِنَ الرَّبْعِيِّ حَاجِبَهَا وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِ الْحَارِيِّ مَكْحُولُ
343	المرقش الأصغر	فَمَنْ يَلْقَ حَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ
344	ذو الرمة	لَمَيَاءُ فِي شَفْتَيْهَا حَوْءٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبٌ
345	قيل مصنوع	أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَجُودُ جُودَ الْجَنَّةِ الْمُغْلَّةِ
345	أشهب بن رميلة	إِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ
346	المتلمس	فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَمَا
346	هوبر الحارثي	تَرَوَدَ مِنَّا بَيْنَ أَدْنَاهُ طَعْنَةً دَعْنُهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمِ
347	ابن أبي الصلت	لَهُ مَا رَأَتْ عَيْنُ الْبَصِيرِ وَفَوْقَهُ سَمَاءُ الْإِلَهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَائِيَا

346	لم أجده	تَرَى الْقَوْمَ أَسْوَأَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا
346	لم أجده	قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدُّهُ
351	عدي بن زيد	لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ
348	لم أجده	يُرِيدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْتَعِبُ عَنِ دِمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ
348	نهشل بن حرّي	لِيُبْنِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ حُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ
348	كعب الغنوي	وَحَبْرُ ثَمَانِي أَهْمَا الْمَوْتُ فِي الْقُوَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَقَلْبُ
348	الفرزدق	بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيْمُوا سُيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَلَّتِ
348	امرئ القيس	لَهَا وَثَبَاتٌ كَصَوْبِ السَّحَابِ فَوَادٍ حَطَاءً وَوَادٍ مُطِرٌ
350	جرير	فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلَ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ
350	امرئ القيس	لَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَوْرُ

رابعاً: فهرس الأعلام.

الصفحة	اسم العلم المترجم له
18	مكي بن أبي طالب
18	طاهر بن عبد المنعم بن غلبون
19	عبد الملك المظفر
19	مُحَمَّد بن هشام بن عبد الجبار
20	جهور بن مُحَمَّد بن جهور
20	يونس بن عبد الله بن مُحَمَّد
24	القابسي، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد
24	مُحَمَّد بن شريح بن أحمد الرعيبي
25	المقريزي أحمد بن علي الحسيني
26	موسى بن جعفر الصادق
33	القاضي النعمان القيرواني
43	هشام بن الحكم
41	مُحَمَّد بن عبد الله بن عامر المعافري
43	مُحَمَّد بن هشام
44	يوسف بن تاشفين
48	يحيى بن إسماعيل أبو زكريا المأمون
48	ابن عكاشة
48	المعتمد على الله مُحَمَّد بن المعتضد بالله
51	أسد بن الفرات
51	عبد السلام بن سعيد التنوخي
70	أبي مُحَمَّد بن أبي زيد القيرواني

73	أبو عمر بن عبد البر المالكي
34	صلاح الدين الأيوبي
93	أبو عمرو الداني
93	شمس الدين ابن الجزري
119	الأدفوي: أبو بكر مُجَّد بن علي
126	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ
141	أبو جعفر أحمد بن مُجَّد المرادي النحاس
145	علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي
156	أبو طالب وأبو المجد القضاعي
157	يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة
159	أبو عبد الرحمن مُجَّد بن عبد الله ابن زمنين
159	هود بن محكم الأوراسي الهواري
159	عبد الرحمن بن مروان المعروف: بالقنازعي
162	طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني
162	عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي
162	مُجَّد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان
163	بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع
163	عبد الله بن مُجَّد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان
167	إبراهيم أبو رافع
169	خوات بن جبير
176	أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه
176	الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
176	علي بن حمزة أبو الحسن الأسديّ المعروف بالكسائيّ
176	أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء

178	أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج
181	أبو عبدة معمر بن المثنى
181	مُحَمَّد بن المستنير، المعروف بقطرب
390	يوسف بن تغري بردي

خامساً: فهرس المصادر والمراجع.

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.

الألف:

- 1- آبادي: أبي الطيب شمس الحق العظيم " عون المعبود شرح سنن أبي داود "، تحقيق: عبد الرحمن مُجَّد عثمان، الطبعة الثانية: 1388هـ ، 1968م، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- 2- ابن الآبار: مُجَّد بن عبد الله البنسني، "الحلة السبراء"، المحقق: الدكتور حسين مؤنس، الطبعة: الثانية، 1985م، الناشر: دار المعارف - القاهرة.
- 3- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، " الكامل في التاريخ "، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- 4- إحسان: عباس، "تاريخ الأدب الأندلسي"، الناشر: دار الثقافة - بيروت، الطبعة: الأولى 1962م.
- 5- الأذنهوي: أحمد بن مُجَّد، "طبقات المفسرين"، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة: الأولى، 1417هـ- 1997م.
- 6- الإسترابادي: نجم الدين مُجَّد " شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهد، للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب "، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: مُجَّد نور الحسن - مُجَّد الزفزاف - مُجَّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- 7- الأصبحي: مالك بن أنس، "موطأ الإمام مالك"، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: 1406 هـ - 1985 م.
- 8- الألباني: مُجَّد ناصر الدين ،

- أ- " ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)"، الطبعة: الثالثة 1408هـ ، 1988م، دار المكتب الإسلامي بيروت.
- ب- "مختصر صحيح البخاري"، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.
- 9- الألويسي: أبو الفضل شهاب الدين، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار الفكر بيروت لبنان، 1414هـ/1994م.
- 10- إميل: يعقوب "المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية"، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م.
- 11- الأنباري: عبد الرحمن بن مُجَدِّد ، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م.
- 12- الأندلسي: أبو حيان مُجَدِّد بن يوسف، "البحر المحيظ"، دار الفكر، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، 1430هـ/1983م.
- الباء:
- 13- الباهلي: أبو نصر أحمد، " ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب"، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان جدة، الطبعة: الأولى، 1982 م - 1402 هـ.
- 14- البخاري: مُجَدِّد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، المحقق: مُجَدِّد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 15- ابن بسام: أبو الحسن علي الشنتري، " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: الأولى، 1978، الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس.

- 16- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك، " الصلة في تاريخ أئمة الأندلس "، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، 1374 هـ - 1955 م، القاهرة.
- 17- ابن بشير: أبو الطاهر التنوخي المهدي، " التنبيه على مبادئ التوجيه "، المحقق: الدكتور محمد بلحسان، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
- 18- البيجوري: إبراهيم بن محمد، " تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد "، الطبعة الأولى 1403 هـ، دار الكتب العربية - بيروت - لبنان.
- التاء:
- 19- الترمذي: محمد بن عيسى، " سنن الترمذي "، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: 1998 م.
- 20- ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الظاهري، " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة "، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة 1963م، دار الكتب، مصر.
- 21- التكروري: أحمد بابا التنبكتي، " نيل الابتهاج بتطريز الديباج "، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م.
- 22- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس،
- أ- " مجموع الفتاوى "، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م.
- ب- " مقدمة في أصول التفسير "، دار مكتبة الحياة، الطبعة 1490 هـ - 1980 م، بيروت، لبنان.

الجيم:

- 23- الجزري: عز الدين ابن الأثير، " أسد الغابة في معرفة الصحابة"، المحقق: علي مُجَّد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: 1415هـ - 1994 م.
- 24- ابن الجزري: أبو الخير مُجَّد،
أ- " طيبة النشر في القراءات العشر"، المحقق: مُجَّد تميم الزغبى، الناشر: دار الهدى، جدة، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
ب- "غاية النهاية في طبقات القراء"، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1351هـ/1932م.
ج- "منجد المقرئين ومرشد الطالبين"، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى 1420هـ -1999م.
- 25- ابن جزي الكلبي: أبو القاسم، مُجَّد الغرناطي، " التسهيل لعلوم التنزيل"، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
- 26- ابن جني: أبو الفتح عثمان، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، تحقيق مُجَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ/1998م.
- 27- الجوزية: ابن قيم مُجَّد، " زاد المعاد في هدي خير العباد"، الطبعة : السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
- الحاء:
- 28- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله، " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد، تاريخ النشر: 1941م.
- 29- الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري، " المستدرک علی الصحیحین"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.

- 30- ابن حبان: مُجَّد بن أحمد، " التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان "، ترتيب: الأمير أبو الحسن، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن الألباني، الناشر: دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003م.
- 31- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني،
 أ- " الإصابة في تمييز الصحابة"، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى مُجَّد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ.
 ب- " رفع الإصر عن قضاة مصر"، تحقيق: د. علي مُجَّد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م.
 ج- " لسان الميزان"، المحقق: دائرة المعارف النظامية - الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1390هـ/1971م.
- 32- ابن الحداد: سعيد بن مُجَّد القرطبي، " كتاب الأفعال"، المحقق: حسين مُجَّد مُجَّد شرف، مراجعة: مُجَّد مهدي علام، الناشر: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: 1395 هـ - 1975 م.
- 33- الحمد: غانم قدوري، "أبحاث في علوم القرآن"، دار عمار، عمان الأردن، الطبعة الأولى 1426هـ/2006م.
- 34- الحموي: شهاب الدين ياقوت، " معجم الأدباء"، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.
- 35- الحميدي: مُجَّد بن فتوح الميورقي، "جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس"، الناشر: الدار المصرية للتأليف والنشر، عام النشر: 1966 م - القاهرة.
- 36- ابن حنبل: أحمد بن مُجَّد الشيباني، " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، بيروت.

37- أبو حيان: مُجَدُّ أثير الدين الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير"، المحقق: صدقي مُجَدُّ جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

الحاء:

38- الخالدي: صلاح عبد الفتاح، "تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"، دار القلم دمشق 1429 هـ / 2008 م.

39- ابن خالويه: أبو جعفر بن نصر الأصبهاني، "إعراب القراءات السبع وعللها"، ضبط نصه وعلق عليه، أبو مُجَدُّ الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1427 هـ / 2006 م.

40- ابن خزيمة: أبو بكر مُجَدُّ بن إسحاق، "صحيح ابن خزيمة"، المحقق: د. مُجَدُّ مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1412 هـ - 1992 م.

41- ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُجَدُّ، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

42- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1977 م.

43- ابن خير: أبو بكر مُجَدُّ الإشيلي، "فهرسة ابن خير الإشيلي"، المحقق: مُجَدُّ فؤاد منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ / 1998 م.

الدال:

44- الدارمي: أبو مُجَدُّ عبد الله، "سنن الدارمي"، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م.

- 45- الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد "جامع البيان في القراءات السبع"، مجموعة رسائل
جامعية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م.
- 46- الداوودي: مُجَّد بن علي، "طبقات المفسرين"، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع
النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. سنة النشر: 1403هـ -
1983م، الطبعة الأولى.
- 47- درويش: محي الدين بن أحمد، "إعراب القرآن وبيانه"، دار اليمامة الطبعة: الرابعة،
1415 هـ، دمشق - بيروت.
- 48- الدشراوي: فرحات، "الخلافة الفاطمية بالمغرب"، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، الطبعة
الأولى 1994، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 49- الدمياطي: شهاب الدين أحمد، "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر"، وضع
حواشيه، الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ/2001م، الطبعة
الأولى.
- الذال:
- 50- الذهبي: شمس الدين بن قَائِمَاز،
أ- "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر:
دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م.
- ب- "تذكرة الحفاظ"، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ -
1998م.
- ج- الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، الطبعة
الثالثة، 1405 هـ - 1985 م مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- د- "العبر في خبر من غبر"، المحقق: أبو هاجر مُجَّد السعيد زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية
- بيروت.

هـ - "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997م.

و - "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، تحقيق: علي مُجَّد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1963 م

51- الذهبي: مُجَّد حسين،

أ - "الإسرائيليات في التفسير والحديث"، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1990م.

ب - "التفسير والمفسرون"، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، الناشر مكتبة وهبة القاهرة، سنة النشر: 2000م، الطبعة السابعة.

الراء:

52- الرازي: فخر الدين بن ضياء الدين، "مفاتيح الغيب"، الطبعة الأولى 1981م، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

53- رضا: مُجَّد رشيد، "تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار"، الطبعة الثانية 1947م، دار المنار القاهرة.

الزاي:

54- الزبيدي: مُجَّد بن الحسن الأندلسي، "طبقات النحويين واللغويين"، المحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية 1984م، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

55- الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، "معاني القرآن وإعرابه"، تحقيق عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتاب بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

56- ١ - الزحيلي: وهبة، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، الطبعة: الثانية 1418 هـ، دار الفكر المعاصر - دمشق.

ب - "الفقه الإسلامي وأدلته"، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، 1418هـ/1997م.

- 57- الزرقاني: مُجَّد عبد العظيم، "مناهل العرفان في علوم القرآن"، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- 58- الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين، " البرهان في علوم القرآن"، المحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م.
- 59- الزركلي: خير الدين، "الأعلام"، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، بيروت.
- 60- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، "الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُجَّد معوض والدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، الطبعة الأولى 1998م، مكتبة العبيكان الرياض.
- 61- ابن أبي زَمَين: أبو عبد الله مُجَّد الإلبيري المالكي، " تفسير القرآن العزيز"، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - مُجَّد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002م.
- 62- زنوبة: نادى مرسي، "محاضرات في تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية"، دار الثقافة العربية، بدون طبعة، القاهرة.
- 63- الزيلعي: جمال الدين أبو مُجَّد عبد الله بن يوسف بن مُجَّد، "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- 64- ابن زنجلة: أبوزرعة عبد الرحمان بن مُجَّد، "حجة القراءات"، تحقيق، سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ/1982م.

السين:

- 65- السامرائي: خليل إبراهيم وآخرون، "تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس"، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة - الطبعة: الأولى، 2000 م، بيروت، لبنان.
- 66- السخاوي: شمس الدين أبو الخير، "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- 67- سرور: جمال الدين، "تاريخ الدولة الفاطمية"، دار الفكر العربي، 2012م، القاهرة.
- 68- السَّقَّاف: علوي بن عبد القادر، "تخرىج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن"، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1416 هـ - 1995 م.
- 69- ابن سلام: يحيى بن أبي ثعلبة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، "تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
- 70- السلاوي: شهاب الدين الناصري، "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب - الدار البيضاء المغرب، طبعة 1376هـ/1956م.
- 71- السلاوي: أبو سفيان مصطفى باحثو، "علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم"، الناشر: جريدة السبيل، المغرب، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007م
- 72- السمين الحلبي: أحمد بن يوسف، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، تحقيق الدكتور احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م.
- 73- سيد: أمين فؤاد، "الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد"، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى 1992م، القاهرة.
- 74- سيد قطب: إبراهيم حسين، "في ظلال القرآن"، الطبعة: السابعة عشر - 1412هـ، دار الشروق - بيروت.

75- السيوطي: أبو الفضل جلال الدين،

أ- " الإِتقان في علوم القرآن "، ضبطه وصححه وخرج آياته، مُجَدَّ سالم هاشم، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2007م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ب- أسباب النزول"، دار الهجرة، دار النمير، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.

ج- "تاريخ الخلفاء" ، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م، السعودية.

د- "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، المحقق: مُجَدَّ أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2004م، بيروت.

هـ- " حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة"، المحقق: مُجَدَّ أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى، 1387 هـ - 1967 م.

و- " الدر المنثور في التفسير بالمأثور "، تحقيق: مركز هجر للبحوث، إشراف الدكتور عبد الله التركي، 1424هـ - 2003م، دار هجر، الطبعة الأولى، مصر.

ز- " شرح شواهد المغني"، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيّل وتعليقات: الشيخ مُجَدَّ محمود ابن التلاميذ التركي الشنقيطي، الناشر: لجنة التراث العربي، 1386 هـ - 1966 م، الطبعة الأولى، مصر.

ح- "طبقات المفسرين"، تحقيق، علي مُجَدَّ عمر، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة: الأولى - 1396هـ/1976م.

الشيخ:

76- شُرَّاب: مُجَدَّ بن مُجَدَّ حسن، " شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية "، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2007 م.

- 77- أبو شُهبة: مُجَّد بن مُجَّد بن سويلم، "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير"، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الرابعة
- 78- الشنقيطي: مُجَّد الأمين الجكني، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الثانية، 1415 هـ - 1995م، بيروت - لبنان.
- 79- شوقي ضيف: أحمد عبد السلام، "المدارس النحوية"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة السابعة.
- 80- الشيباني: أحمد بن حنبل، "فضائل الصحابة"، تحقيق: د. وصي الله مُجَّد عباس، الطبعة: الأولى، 1403 - 1983م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- 81- ابن أبي شيبة: أبو بكر العبسي، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.

الصاد:

- 82- الصفدي: صلاح الدين بن أبيك، "الوافي بالوفيات"، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، عام النشر: 1420هـ - 2000م.
- 83- الصلابي: علي مُجَّد،
- أ- "الدولة الفاطمية"، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006م، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

ب- "دولة الموحدين"، الناشر: دار البيارق للنشر، سنة النشر: 1998م، عمان.

- 84- الصنهاجي: مُجَّد بن علي القلعي، "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"، المحقق: د. التهامي نقرة، د. عبد الحليم عويس، بدون طبعة، الناشر: دار الصحوة - القاهرة.

الطاء:

- 85- الطبري: أبو جعفر مُجَّد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد مُجَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

86- الطيار: مساعد بن سليمان، " المحرر في علوم القرآن "، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م.

العين:

87- عادل: نويهض، "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م.

88- ابن عاشور: مُجَّد الطاهر بن مُجَّد بن مُجَّد الطاهر، "التحرير والتنوير"، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

89- ابن عاشور: مُجَّد الفاضل، "التفسير ورجاله"، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية الأزهر مصر، طبعة: 1970م.

90- عباس: فضل حسن،

أ- "إتقان البرهان في علوم القرآن"، دار الفرقان، الطبعة الأولى 1997م، عمان

ب- "إعجاز القرآن الكريم"، الطبعة السابعة، 2004م، دار النفائس عمان، الأردن.

ت- "التفسير أساسياته واتجاهاته"، مكتبة دنديس، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، عمان.

91- أبو عبيدة: معمر بن المثني، " مجاز القرآن "، تحقيق: مُجَّد فواد سزكين، طبعة 1381هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.

92- العثيمين: مُجَّد بن صالح بن مُجَّد، " شرح العقيدة الواسطية "، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة: الخامسة، 1419هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- 93- ابن عذارى: أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، الطبعة: الثالثة، 1983 م، الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان.
- 94- أبو العرب: محمد المغربي الإفريقي، " طبقات علماء إفريقية، وتونس"، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان.
- 95- العراقي: أبو الفضل زين الدين، " المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار"، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- 96- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله، "أحكام القرآن"، مراجعة وتعليق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424هـ/2003م.
- 97- العسيري: أحمد معمور، "موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم - عليه السلام - إلى عصرنا الحاضر"، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
- 98- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى - 1422 هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- 99- ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي، " شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، حققه: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
- 100- العمري: أكرم ضياء، "السيرة النبوية الصحيحة"، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، 1415 هـ - 1994 م.
- 101- عنان: محمد عبد الله،

أ- "الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية"، الطبعة الثالثة، 1983م، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

ب- " دولة الإسلام في الأندلس"، الطبعة: الرابعة، 1417هـ - 1997 م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الغين:

102- غزلان: عبد الوهاب عبد المجيد، " البيان في مباحث من علوم القرآن"، جامعة الأزهر، بدون سنة الطبعة، مطبعة دار التأليف، القاهرة.

الفاء:

103- الفراء: أبي زكريا يحيى بن زياد، " معاني القرآن"، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي - مُجدد على نجار - عبدالفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الأولى، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

104- فرحات: أحمد حسن، " مكى بن أبى طالب وتفسير القرآن"، الطبعة الأولى: 1997م، دار عمار، الأردن.

105- ابن فرحون: برهان الدين اليعمري، " الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، تحقيق وتعليق: الدكتور مُجدد الأحمدى أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

106- الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر، " البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة"، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى 1421هـ - 2000م.

القاف:

107- القاسمي: مُجدد جمال الدين، " محاسن التأويل"، إشراف: فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1957م، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

108- ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد، " طبقات الشافعية"، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الأولى 1407 هـ، دار عالم الكتب - بيروت.

- 109- القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي، " ترتيب المدارك وتقريب المسالك "، المحقق: سعيد أحمد أعراب 1981-1983م، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى.
- 110- القرائي: شهاب الدين المالكي، " الذخيرة"، المحقق: مُجَّد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994 م.
- 111- القرشي: أبو زيد مُجَّد بن أبي الخطاب، "جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام"، تحقيق علي مُجَّد البجاوي، دار النهضة مصر الفجالة، القاهرة.
- 112- القرطبي: أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م، دار الكتب المصرية - القاهرة.
- 113- القزويني: أبو عبد الله مُجَّد بن يزيد، " سنن ابن ماجه "، تحقيق: مُجَّد فؤاد عبد الباقي مع احكام الألباني، فيصل عيسى البابي الحلبي، الطبعة 1952م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- 114- القضاة: احمد مفلح، وأحمد خالد شكري و مُجَّد خالد منصور " مقدمات في علم القراءات "، الطبعة الاولى 2001، دار عمار، عمان.
- 115- القطان: مناع بن خليل، " مباحث في علوم القرآن"، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م.
- 116- القفطي: جمال الدين أبو الحسن، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، المحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م.
- 117- القيسي: أبو علي الحسن بن عبد الله، " إيضاح شواهد الإيضاح"، دراسة وتحقيق: الدكتور مُجَّد بن حمود الدعجاني، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1987 م.

الكاف:

- 118- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي،
 أ- " البداية والنهاية "، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه : علي شيري، دار إحياء التراث
 العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م، بيروت.
 ب- "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة
 الثانية 1420هـ/1999م.
 119- كحالة: عمر رضا، "معجم المؤلفين"، تحقيق مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت،
 الطبعة، الأولى، 1414هـ/1993م.
 120- الكرماني: محمود بن حمزة، " غرائب التفسير وعجائب التأويل "، تحقيق الدكتور شمران
 سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، ومؤسسة علوم القرآن بيروت.

الميم:

- 121- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد،
 أ- " الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني"، المحقق: الشيخ
 علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -
 لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م.
 ب- " النكت والعيون"، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب
 العلمية - بيروت.
 122- محيسن: محمد سالم، " الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر"، الناشر: دار الجيل -
 بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
 123- مخلوف: محمد بن محمد، " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية "، علق عليه: عبد المجيد
 خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

- 124- المرآغي: أحمد مصطفى ، " تفسير المرآغي " ، الطبعة الأولى 1946م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر.
- 125- المرآكشي: أبو طالب وأبو المجد عقيل، " تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل "، المحقق: مصطفى باحو، الناشر: دار الإمام مالك، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م.
- 126- المرآكشي: عبد الواحد بن علي التميمي، " المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين "، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2006م، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
- 127- المصطاوي: عبد الرحمن ، " ديوان امرؤ القيس بن حجر " ، الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2004م، دار المعرفة - بيروت.
- 128- مسلم: مصطفى، "مناهج المفسرين"، دار المسلم. الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ.
- 129- المقدسي: مُجَّد بن طاهر، " ذخيرة الحفاظ "، تحقيق: د.عبد الرحمن الفريوائي دار السلف، 1416 هـ -1996م، الرياض .
- 130- المقرئ: شهاب الدين أحمد التلمساني، " نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1997 .
- 131- المقرئ: تقي الدين الحسيني العبيدي،
أ- "اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"، تحقيق دجمال الدين الشيال ود مُجَّد حلمي مُجَّد أحمد، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، القاهرة.
- ب- " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.

132- ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، "البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير"، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ، 1425هـ/2004م.

133- مكّي: أبو مُجَدِّ بن أبي طالب القيسي،

أ- " الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه "، وهو بتحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات، والناشر: دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى: 1406هـ / 1986م.

ب- "تفسير مشكل الإعراب"، وقام بتحقيقه الدكتور حاتم الضامن، ونشرته مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: 1405هـ / 1984م.

ج- " الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات، دار عمار - الأردن، الطبعة الثانية ، 1404هـ.

د- "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة: 1404هـ / 1984م

هـ- " الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه "، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م.

134- ابن منظور: مُجَدِّ بن مكرم الإفريقي، "لسان العرب"، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

135- الميلي: مبارك بن مُجَدِّ، "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي بيروت.

النون:

136- النحاس: أبو جعفر مُجَّد بن إسماعيل،

أ- " إعراب القرآن"، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى.

ب- " الناسخ والمنسوخ"، المحقق: د. مُجَّد عبد السلام مُجَّد، الناشر: مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة: الأولى، 1408.

137- النفراوي: أحمد بن غانم، " الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م.

138- النيسابوري: مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري، " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -"، المحقق: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

139- النيسابوري: نظام الدين الحسن القمي، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، تحقيق الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1416 هـ / 1996م.

الواو:

140- الواحددي: أبو الحسن علي بن أحمد، "أسباب نزول القرآن"، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

الهاء:

141- الهراسي: إلكيا عماد الدين بن مُجَّد الطبري، "أحكام القرآن"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ / 1983م.

142- الهروي: أبي منصور مُجَّد الأزهر،

أ- "تهذيب اللغة"، تحقيق أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 1425هـ / 2004م.

- ب- " معاني القراءات "، مركز البحوث في كلية الآداب - الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1991 م، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- 143- ابن هشام: جمال الدين الحميري، "السيرة النبوية"، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- 144- الهندي: المتقي علاء الدين، "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م.
- 145- الهواري: هود بن محكم، " تفسير كتاب الله العزيز"، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريقي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1990م.
- 146- الهيثمي: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، المحقق: حسام الدين القدسي، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة.

الرسائل الجامعية:

1. البشري: سعد عبد الله، "الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس"، إشراف الدكتور سعيد دراج، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، غير مطبوعة بجامعة أم القرى، 1981م، مكة المكرمة.
2. بوراس: رفيق، "الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية"، إشراف: محمد الصالح مرمول، رسالة ماجستير غير مطبوعة في التاريخ الإسلامي 2007، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

3. جلال: يحي أحمد، " قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكى بن أبى طالب القيسى"، إشراف الدكتور أحمد شكرى، رسالة ماجستير غير مطبوعة، الجامعة الأردنية 2006م.
4. حجاج: جهاد أحمد، " منهج الإمام مقاتل بن سليمان البلخى في تفسيره"، إشراف الدكتور عصام العبد، رسالة ماجستير غير مطبوعة بالجامعة الإسلامية غزة 2010م، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.
5. أبو حسان: جمال محمود، " تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير "دراسة منهجية ونقدية"، إشراف الدكتور فضل عباس رسالة ماجستير غير مطبوعة في قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، 1991م، عمان.
6. حسنى: إسلام، " اختيارات مكى بن أبى طالب القيسى في كتابه الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها "دراسة لغوية تحليلية"، إشراف الدكتور: فوزى إبراهيم، رسالة ماجستير غير مطبوعة بالجامعة الإسلامية، غزة، 2013م.
7. الخواج: محمد مصطفى، " منهج الشيخ محمد أطفيش، في تفسيره تيسير التفسير"، رسالة ماجستير غير مطبوعة 1994م، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
8. ربيع: عبد الله، " منهج الشيخ الألوسى في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، إشراف الدكتور عصام العبد، رسالة ماجستير غير مطبوعة بالجامعة الإسلامية غزة 2011م، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.
9. زغيشي: سعاد، " منهج هود بن محكم الهوارى في التفسير"، إشراف الدكتور منصور كافي، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، قسم أصول الدين، رسالة دكتوراه غير مطبوعة بجامعة باتنة 2007م، الجزائر.

10. سليم: ناصر العبد، " منهج الشيخ السعدي في تفسيره، "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان"، وإشراف الدكتور عصام العبد، رسالة ماجستير غير مطبوعة بالجامعة الإسلامية غزة 2002م، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.
11. غزلان: مُحمد أحمد، "منهج الإمام مكي بن أبي طالب في القراءات من خلال تفسيره الهداية"، إشراف الدكتور: فضل عباس، رسالة ماجستير غير مطبوعة بجامعة العلوم الإسلامية العالمية عمان، 2011م، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.
12. القرشي: فاخر بن بريكان، " منهج الإمام مكي بن أبي طالب في الترجيحات من خلال تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية "، إشراف الدكتور عبد الرحيم الغامدي، رسالة ماجستير غير مطبوعة بجامعة أم القرى 1435هـ، مكة المكرمة.
13. النجار : سليم عثمان، " منهج الشيخ المنصوري في تفسيره المقتطف من عيون التفاسير"، إشراف الدكتور عصام العبد، رسالة ماجستير غير مطبوعة بالجامعة الإسلامية غزة 2006م، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.

الدوريات:

1. مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، العدد التاسع والعشرون. 1411هـ.
2. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، الرياض، العدد السابع عشر، 1433هـ.
3. مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية، العدد 319 ، يونيو 1996.
4. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد 14، أغسطس 1989.
5. مجلة لغة العرب العراقية ، المدير المسؤول: كاظم الدجيلي، الناشر: وزارة الأعلام، الجمهورية العراقية - مديرية الثقافة العامة، مطبعة الآداب، بغداد، العدد السابع، 1349 هـ.

المواقع الإلكترونية:

1. موقع شبكة الألوكة، www.alukah.net
2. موقع أهل التفسير، [www. Tafsir. Net](http://www.Tafsir.Net)
3. موقع ملتقى أهل الحديث، www.ahlalhdeeth.com
4. موقع ملتقى أهل اللغة، www.ahlalloghah.com
5. موقع شبكة الفصيح، www.alfaseeh.com

سادساً: فهرس الموضوعات.

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	شكر وتقدير وعرفان
أ	مقدمة
الفصل التمهيدي: حياة مكى الشخصية والعلمية	
18	المبحث الأول: حياته الشخصية
18	المطلب الأول: مولده ونسبه وأسرته ووفاته
21	المطلب الثاني: الحالة السياسية في عصره
21	الفرع الأول: الحالة السياسية في القيروان والمناطق التي تنقل بها
39	الفرع الثاني: الحالة السياسية في الأندلس
50	المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية والثقافية
50	الفرع الأول: الدولة الفاطمية
59	الفرع الثاني: الأندلس
66	المبحث الثاني: هجرته في طلب العلم وشيوخه وتلاميذه
66	المطلب الأول: هجرته في طلب العلم
69	المطلب الثاني: شيوخه
72	المطلب الثالث: تلاميذه
77	المبحث الثالث: مذهبه الفقهي ومنزلته عند العلماء
77	المطلب الأول: مذهبه الفقهي
84	المطلب الثاني: منزلته عند العلماء
88	المبحث الرابع: مصنفات مكى بن أبى طالب
89	المطلب الأول: مصنفاته في علوم القرآن
92	المطلب الثاني: مصنفاته في علم القراءات

96	المطلب الثالث: مصنفاته في العلوم الأخرى
98	المطلب الرابع: مصنفاته المطبوعة
101	المطلب الخامس: الدراسات السابقة حول تفسير مكى ومصنفاته
الفصل الأول: مدخل إلى دراسة تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية	
108	المبحث الأول: التعريف بتفسير مكى بن أبى طالب
108	المطلب الأول: وصف مخطوطات التفسير
112	المطلب الثانى: وصف تحقيق التفسير وطريقته
115	المطلب الثالث: توثيق نسبة التفسير إلى مؤلفه
122	المبحث الثانى: الدراسة العامة حول التفسير
122	المطلب الأول: علاقة التفسير بمؤلفات مكى
129	المطلب الثانى: طريقته العامة في التفسير
136	المطلب الثالث: مع مكى في مقدمة تفسيره
140	المبحث الثالث: مصادر مكى في تفسيره
140	المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن
164	المطلب الثانى: مصادره من كتب السنة والسيرة النبوية
176	المطلب الثالث: مصادره من كتب اللغة والنحو
الفصل الثانى: منهج مكى في التفسير بالمأثور وما يتعلق به	
185	المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور
185	المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن
203	المطلب الثانى: تفسير القرآن بالسنة
224	المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة
231	المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين
236	المطلب الخامس: تفسير القرآن بالإسرائيليات وموقفه منها
241	المبحث الثانى: منهج المفسر في القراءات
241	المطلب الأول: القراءات في تفسير مكى

243	المطلب الثاني: تطرقه لمسائل خاصة بعلم القراءات
254	المطلب الثالث: نسبة القراءة إلى من قرأ بها
259	المطلب الرابع: توجيه القراءات وأسبابه عند مكى
268	المطلب الخامس: القراءات الشاذة في تفسير مكى
273	المبحث الثالث: منهج المفسر في قضايا علوم القرآن
273	المطلب الأول: المكى والمدنى
287	المطلب الثاني: أسباب النزول
296	المطلب الثالث: فضائل القرآن
303	المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ
الفصل الثالث: منهج مكى في التفسير بالرأى وما يتعلق به	
314	المبحث الأول: منهج المفسر في قضايا اللغة
314	المطلب الأول: عنايته بالنحو والصرف
329	المطلب الثاني: عنايته ببعض القضايا البلاغية
339	المطلب الثالث: عنايته بالشاهد الشعري
297	المبحث الثاني: منهج المفسر في قضايا الفقه والعقيدة وما يتعلق بهما
352	المطلب الأول: منهجه في الفقه
352	المطلب الثاني: منهجه في العقيدة
376	المطلب الثالث: منهجه في الرد على أهل الديانات والفرق الضالة
الفصل الرابع: تفسير مكى في الميزان	
391	المبحث الأول: مزايا تفسير مكى بن أبى طالب
396	المبحث الثاني: ملاحظات على تفسير مكى بن أبى طالب
402	خاتمة
الفهارس الفنية	
406	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
443	ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار

450	ثالثاً: فهرس الأشعار
452	رابعاً: فهرس الأعلام
455	خامساً: فهرس المصادر والمراجع
479	سادساً: فهرس الموضوعات
483	الملخص باللغة العربية
484	الملخص باللغة الفرنسية
485	الملخص باللغة الأنكليزية

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة:

منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره "الهداية إلى بلوغ النهاية"

إعداد الطالب: عبد العزيز ناصري

إشراف الأستاذ الدكتور: خير الدين سيب

تناولت هذه الدراسة منهج مكي بن أبي طالب في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، وهو مفسر عاش في القرن الخامس الهجري، وترك لنا تفسيراً يمتاز بسهولة العبارة، والبعد عن التكلف والتعقيد، والتفسير مطبوع حديثاً، ويقع في ثلاثة عشر مجلداً، وجاءت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة، ففي الفصل التمهيدي، قام الباحث بالتعريف بالمفسر مكي بن أبي طالب الذي عاش بين الفترة (355 - 437 هـ)، وتعرض لحياته الشخصية والعلمية، وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته المخطوطة والمطبوعة، وفي الفصل الأول، تعرض الباحث للتعريف بتفسيره، وتوثيق نسبة التفسير له، والطريقة التي سلكها فيه وأهم المصادر التي اعتمد عليها، أما في الفصل الثاني، فقد كشف الباحث عن منهج الشيخ في التفسير بالمأثور وما يتعلق به من القراءات وبعض قضايا علوم القرآن التي تطرق لها المفسر في تفسيره، وفي الفصل الثالث تعرض الباحث للجانب العقلي في هذا التفسير، وبيّن منهج الشيخ في التفسير باللغة والفقه والعقيدة، وفي الفصل الرابع وضع الباحث هذا التفسير في الميزان، بما فيه من مزايا وملاحظات، وفي نهاية الدراسة كانت الخاتمة، وفيها خلاصة ما توصل إليه من نتائج وتوصيات، وكان أهمها محاولة تعريف الدارسين والباحثين بشخصية مكي بن أبي طالب، وتبسيط الضوء على تفسيره ومؤلفاته المختلفة، وبيان منهجه وإبراز قيمته العلمية، وهي فرصة لبيان قدر ومكانة هذا المفسر. راجياً من المولى - ﷻ - أن يكون قد وفقني وأعانني وسدّد خطاي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

كلمات مفتاحية: المفسر، تفسير، مكي، منهج، الهداية.

Résumé de la Mémoire:

L'Intitulé de la Mémoire:

La Méthode de L'Imam Maki Ibn Abi Talib dans son Interprétation du

« Les Conseils qui Amène à le But »

Étudiant: Nasri Abdal Aziz

Superviseur: Dr. Prof. Sepp Kheireddine

Cette étude a traité la méthode de L'Imam Maki Ibn Abi Talib dans son interprétation «Les Conseils qui Amène à le But ». Ce dernier est un interpréteur qui a vécu durant la quinzième siècle Hidjri, et qui nous a laissé une interprétation qui se caractérise par la facilité consternante de ses termes, et l'évitement de reformulations et de la complexité. Ce dernier a été récemment imprimé, comportant treize volumes. Cette étude était fait en quatre chapitres avec une conclusion. Le chercheur s'est basé dans le chapitre introductif sur la définition de l'interpréteur Imam Maki Ibn Abi Talib qui a vécu entre (355-337 H) et s'est penché sur sa vie personnelle et scientifique et ses enseignants et ses élèves. Ainsi que ses œuvres manuscrites et imprimées. Le chercheur a abordé dans le premier chapitre son interprétation et son introduction et l'authentification de son affiliation à l'interpréteur, aussi la méthode utilisée et les sources les plus importantes, sur lesquelles il s'est basé. Dans son deuxième chapitre, le chercheur nous a dévoilé la méthodologie du Cheikh dans son interprétation du al-Mathur (Coran), et sa relation avec les lectures et cas déférents des sciences Coranique que l'interpréteur s'y est penché. Le troisième chapitre a été consacré à la cote réaliste de cette interprétation en tentant à montrer la méthode du Cheikh dans son interprétation de la langue, Fiqh (les Cannon et la loi de L'Islam), et la croyance. Dans le quatrième chapitre le chercheur a expliqué les avantages et les remarques sur son interprétation. Et en fin, en conclusion, le chercheur a synthétisé les résultats et les recommandations atteintes, dont, la plus importante est d'introduire le personnage de Maki Ibn Abi Talib aux étudiants et aux chercheurs, de faire une projection sur son interprétation et ses différentes œuvres, de schématiser sa méthodologie, accentuer sur sa valeur scientifique, s'est aussi une occasion pour montrer la valeur et le statut de cet interpréteur.

Espérant que notre Seigneur Glorifié Allah m'a aidé à réussir et a guidé mes pas, vraiment Il est bien notre Guide et Seigneur.

Les Mots Clé: Interpréteur, interprétation, Maki, Méthode, Conseils.

Abstract

Title of the Thesis:

Imam Maki Ibn Abi Talib's Method in His Interpretation

« Guidance towards the End »

Student: Nasri Abdal Aziz

Supervisor: Dr. Prof. Sepp Kheireddine

This study addressed Maki Ibn Abi Talib's method in his interpretation of the Quran named «Guidance toward the End ». He is an interpreter who lived in the fifth Hidjri decade. He left to us an interpretation characterized by the ease of phrase far from affection and complexity. This interpretation is newly printed in thirteen volumes. This research encompasses four chapters and a conclusion. In the introductory chapter the researcher defined the interpreter Maki Ibn Abi Talib's life, who lived during the period (355-437 AH), through introducing his personal and scientific life, his teachers and students, in addition to his manuscripts and printed works. In the first chapter, the researcher presented a definition about Imam Maki's interpretation, and authenticated that the interpretation of the subject of study belongs to him, then introduced the method he followed in his interpretation and the most important resources he relied on. In the second chapter, the researcher revealed the approach of Sheikh, which was based on al-Ma'thur and the readings related to it. Moreover, he unfolded some Quranic scholastic issues that the interpreter discussed in his interpretation. In the third chapter, the mental side of interpretation was presented, in addition to, Sheikh's approach in language, Fiqh (knowledge of the canon law of Islam) and aleaqiduh (dogma) was stated. In the fourth chapter, the researcher weighed the options when he addressed his interpretation's advantages and observations. In the end of study, he concluded with major findings and recommendations, some of which are mentioned as follows: Introducing Maki ibn Abi Talib's personality and life to researchers, highlighting his interpretation and different works, stating his interpretation's approach, and seized the opportunity to state the interpreter's scientific position and value.

Praying that the Glorified and Almighty Allah would have enabled me to succeed, helped me and directed my steps well, indeed he is the best Lord and best helper.

Key words: Interpreter, interpretation, Maki, Method, Guidance.

ملخص

تناولت هذه الدراسة منهج مكي بن أبي طالب في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، وهو مفسر عاش في القرن الخامس الهجري، وترك لنا تفسيراً يمتاز بسهولة العبارة، والبعد عن التكلف والتعقيد، والتفسير مطبوع حديثاً، ويقع في ثلاثة عشر مجلداً، وجاءت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة، ففي الفصل التمهيدي، قام الباحث بالتعريف بالمفسر مكي بن أبي طالب الذي عاش بين الفترة (355 - 437 هـ)، وتعرض لحياته الشخصية والعلمية، وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته المخطوطة والمطبوعة، وفي الفصل الأول، تعرض الباحث للتعريف بتفسيره، وتوثيق نسبة التفسير له، والطريقة التي سلكها فيه وأهم المصادر التي اعتمدها، أما في الفصل الثاني، فقد كشف الباحث عن منهج الشيخ في التفسير بالمأثور وما يتعلق به من القراءات وبعض قضايا علوم القرآن التي تطرق لها المفسر في تفسيره، وفي الفصل الثالث تعرض الباحث للجانب العقلي في هذا التفسير، وبيّن منهج الشيخ في التفسير باللغة والفقه والعقيدة، وفي الفصل الرابع وضع الباحث هذا التفسير في الميزان، بما فيه من مزايا وملاحظات، وفي نهاية الدراسة كانت الخاتمة، وفيها خلاصة ما توصل إليه من نتائج وتوصيات، وكان أهمها محاولة تعريف الدارسين والباحثين بشخصية مكي بن أبي طالب، وتسليط الضوء على تفسيره ومؤلفاته المختلفة، وبيان منهجه وإبراز قيمته العلمية، راجياً من المولى - ﷻ - أن يكون قد وفقني وأعانني وسدّد خطاي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

كلمات مفتاحية: مكي، منهج، المفسر، التفسير، الهداية

Résumé

Cette étude a traité la méthodologie de L'Imam Maki Ibn Abi Talib dans son interprétation « Les Conseils qui Amène à le But ». Ce dernier est un interprète qui a vécu durant la quinzième siècle Hidjri, et qui nous a laissé une interprétation qui se caractérise par la facilité consternante de ses termes, et l'évitement de reformulations et de la complexité. Ce dernier a été récemment imprimé, comportant treize volumes. Cette étude était fait en quatre chapitres avec une conclusion.

Le chercheur s'est basé dans le chapitre introductif sur la définition de l'interprète Imam Maki Ibn Abi Talib qui a vécu entre (355-337 H) et s'est penché sur sa vie personnelle et scientifique et ses enseignants et ses élèves. Ainsi que ses œuvres manuscrites et imprimées. Et en fin, Espérant que notre Seigneur Glorifié Allah m'a aidé à réussir et a guidé mes pas, vraiment Il est bien notre Guide et Seigneur.

Mots-clés: Maki. Interprétation. la méthode. Le chercheur. projection.

Abstrac

This study addresses Maki Ibn Abi Talib's Approach in his interpretation of the Quran named Guidance toward the End. He is an interpreter who lived in the fifth Hidjri decade. He left to us an interpretation characterized by the ease of phrase far from affection and complexity. This interpretation is newly printed in thirteen volumes. This research encompasses four chapters and a conclusion. In the introductory chapter the researcher defined the interpreter Maki Ibn Abi Talib's life, who lived during the period (355-437 AH), through introducing his personal and scientific life, his teachers and students, in addition to his manuscripts and printed works. In the first chapter, the researcher presented a that the Glorified and Almighty Allah would have enabled me to succeed, helped me and directed my steps well, indeed he is the best Lord and best helper.

Key words: Maki. addresses interpretation researchers researcher